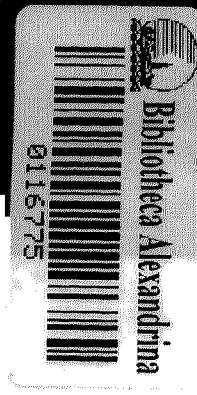
المحامي
أحمد وليد سراج الدين

البهائية والنظام العالمي الجديد

وحدة الأديان والحكومة العالمية

الجزء الأول



توزيع
مكتبة دار الفتح



البهائية والنظام العالمي الجديد

وحدة الأديان والحكومة العالمية



المحامي
أحمد وليد سراج الدين

البهائية والنظام العالمي الجديد

وحدة الأديان والحكومة العالمية

الجزء الأول

المقدمة

الشيخية - الكشفية

البابية

دمشق ١٩٩٤ م
مطبعة الداودي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

[المنافقون — ٤]



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« إننا إذا كنا نفتقر إلى دليل يثبت عمالة البهائيين وتجسسهم لأمريكا ، فإن دعم ريغان لهؤلاء دليل كاف على صحة أقوالنا » .

١٥ شعبان ١٤٠٣ هجري «الإمام الخميني»



الباب الأوّل

المقدّمة



تمهيـــد

ستة أديان ظهرت في العالم دفعة واحدة في حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، لاتفصل بين الواحد والآخر سوى سنوات قليلة .

ثلاثة من هذه الأديان ظهرت في الأقطار الإسلامية ، في ايران والهند والصين .

وثلاثة أخرى ظهرت في الأقطار المسيحية ، في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

تجمع هذه الأديان سمات عديدة مشتركة ، تدل على وحدة الصانع ، الذي ربما كان ذاك المقصود بوصية بهاء الله إلى أولاده : « يا أغصاني إن في الوجود قوة عظيمة مكنونة وقدرة كاملة مستورة فكونوا متجهين وناظرين اليها وللاتحاد معها لا إلى الاختلافات الظاهرة منها »(١) . ويحمل السمات ذاتها مشروع الرئيس الأمريكي جورج بوش ، الذي سماه : « **النظام العالمي الجديد** » والذي يبدو أنه الهدف الأخير لتلك الأديان .

كل أولئك يتجهون بأنظارهم إلى عام (٢٠٠٠) على أنه بداية عصر العصور ، أو العصر الألفي السعيد ، الذي تطبع فيه السيوف سككا والرماح مناجل ، لاترفع أمة على أمة سيفا ولايتعلمون الحرب فيا بعد (٢) .

لكن بعد حرب كونية تكاد لاتبقي ولاتذر ، يسمونها **معركة هرمجدّون** (**Armageddon**) ، قد تكون تلك التي ستؤدي إلى تفتيت دول العالم إلى أربعمئة دولة عند ذلك الميعاد ، على حد قول بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة .

ولأن الموعد قريب ، ولأن المخطط بلغ مراحل متقدمة جدا ، فقد بات لزاما البحث في القضية بمنتهى الجدية .

---

(١) كتاب عهدي ـــ مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله ، ص ١٩٩ .

(٢) إشارة إلى ماجاء في الإصحاح ٢ ـــ ٤ من سفر اشعياء من التوراة .

ليس هذا تشاؤما ، فدواعي التفاؤل أكبر من دواعي التشاؤم ، لكن مامن شك في أن أذى كبـيرا سيصيب الشعوب خلال مراحل الصراع ، وأن الوعي المبكر قدر الإمكان سيساعد على التخفيف من المصائب والويلات .

وإذ تصعب معرفة حقيقة النظام العالمي الجديد الذي بشّر به الرئيس الأمريكي بوش ، والذي بشرت به البهائية من قبل ، بدون الإلمام بهذه الأديان جميعا ، كما يصعب فهم الكثير من جوانب هذه الأديان بدون التوغل قليلا في التاريخ ، فقد كانت مقدمة هذا الكتاب المطولة التي تعطي لمحة عامة عن هذه الأديان وتبسط الظروف التاريخية لظهورها ، قبل الانتقال إلى بحث البهائية على وجه الخصوص .

لقد استشهد هذا الكتاب بكمية كبيرة من النصوص المنقولة بحرفيتها مما أدى إلى تضخم حجمه ، فالقضية من الجسامة بحيث يصعب على الكثيرين تصديقها بغير دليل . ومن هنا كان الحرص على تقديم هذا الدليل من أقوال ذوي الشأن وكتاباتهم ووقائع تحركهم .

دمشق ـ ١ أيلول ١٩٩٣ المؤلف

- ١ -
إرهاصات النظام العالمي الجديد

منــذ أن أعــلن الرئيس الأمريكي جـورج بوش عـبر خطـاب تـلفـزيوني في ١٩٩١/١/١٧ ، ألقاه من مكتبه في البيت الأبيض ، مع بداية هجوم الحلفاء الجوي على العراق ، وكان يجلس إلى جانبه حينئذ المبشر الانجيلي القس بيلي غراهام[1] ، عن الفرصــة التي أتيحت لصنع نظـام عالمي جديد ، ثم التفت إلى جليسـه عقب هذا الخطاب يسأله عن رأيه فيه ، فهتف القس « ممتاز »[2] . ثم إعلانه مجددا عن النظام العالمي الجديد في خطابه أمام الكونغرس الأمريكي بتاريخ ١٩٩١/٣/٧ ، عقب انتهاء تلك الحرب ، حيث قال : **« وحتى الآن كان العالم الذي نعرفه عالما منقسما ، عالم الأســلاك الشـائكـة وجدران الاسمنت ، وعالم الصراع والحرب البـاردة ، والآن نستطيع أن نرى عالماً جديداً آخذاً في التبـلور ، عالما يمتاز باحتمال حقيقي جداً لتحقيق نظام عالمي جديد ... عالماً تتأهب فيه الأمم المتحدة ، بعد أن تحررت من جمود الحرب البـاردة ، لتحقيق الرؤيا التاريخية لمؤسسيها[3]... لقد وضعت حرب الخليج هذا العالم الجديد أمام أول امتحاناته ، ويا إخواني الأمريكيين لقد نجحنا في ذلك الامتحان »** [4] ..

منذ أن أعلن الرئيس الأمريكي ذلك بدون أية تفـاصيـل ، مافتئ العالم يحاول

(١) بيلي غراهام أحد مروجي مشروع « العصر الألفي السعيد » و « حرب هرمجدّون »، كما سيتضح فيما بعد .

(٢) عاصفة الصحراء ، أريك لوران ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٣) كان دافيد بن غوريون ، رئيس وزراء إسـرائيـل ، قد صرح بأن « فكرة هيئة الأمم المتحدة فكرة يهوديـة » بحسب مـانقــلـت عنــه مجلة التـايم الأمريكيـة في عدد ها الصــادر بتـاريخ ١٦ آب ١٩٤٨ (اليهود لزهدي الفاتح ص ١٤٧) .

(٤) مسيرة النظام الدولي الجديد قبل وبعد حرب الخليج ، أحمد شرف ، ص ٢٣٨ .

استقصاء معالم وأهداف النظام العالمي الجديد ، ومازالت أجهزة الإعلام العالمية تكثر من ترداد هذا التعبير ، ومن محاولات إلقاء الأضواء عليه . ومع هذا مايزال يزداد غموضا وجهالة . حتى أن وزير خارجية بريطانيا « دوجلاس هيرد » صرح في أواخر أيار ١٩٩٣ بـ : « ان عبارة النظام الدولي الجديد هي وصف لشيء غير موجود ، لكنها تشير إلى أمر يجب علينا جميعا إقامته ، لكنني لم أشعر أبدا بالارتياح الى العبارة التي تشير الى أوهام »[1] .

فالذي يبدو أن أصحاب النظام العالمي الجديد آثروا إحاطة نظامهم بالسرية والغموض واتخذوا لغة الرموز وسيلة للتعبير عنه ، بناء على توجيهات سفر دانيال من التوراة : « أما أنت يادانيال فأخف الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية » (دانيال ١٢ : ٤) .

غير أن مراجعة بعض معطيات التاريخ ، ومضاهاتها بما جرى ويجري على ألسنة بعض زعماء هذا النظام العالمي ، وبما تواتر على الساحة الدولية أخيرا من أحداث في حركة سريعة غير مألوفة كأنما تسعى إلى غايـــــة موقوتة ، تكشف عن مشابهة عجيبة بين النظام الجديد وبعض المخططات القديمة ، قِدم التاريخ ، التي تمتد جذورها إلى كَتَبَةِ العهد القديم وبعض فلاسفة اليونان ، وأفرعها إلى البهائيين والقاديانيين وشهود يهوه والحركات الأصولية الانجيلية وغيرها ، الأمر الذي يسمح بإلقاء مزيد من الضوء على النظام العالمي الجديد لاستخلاص معالمه واستجلاء أهدافه . فإذا بهذا الاصطلاح الغريب لايخلو من ايحاءات مصطلحات جورج أورويل[2] .

ففي الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأميركي « جورج بوش » ذاته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١ قال أنه ينظر الى عالم عام ٢٠٠٠ على أنه : **« عالم حدود مفتوحة ، عالم تجارة مفتوحة ، وأهم من كل شيء عالم عقول مفتوحة » . وأعرب عن أمله في أن يرى عالما يقتدي بأوربا في وحدتها ، عالما موحداً حراً** . ومارس سياسة أقل مايقال فيها ذلك الذي قاله الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر :

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٥٢٩٤ ، ١٩٩٣/٥/٢٧ .

(٢) في روايته المسماة (١٩٨٤) حيث يستعمل الكثير من العبارات بمعنى معاكس لمعناها اللغوي .

« ان سياسة الجمهوريين في الولايات المتحدة أصبحت في المدة الأخيرة تنتهج سياسة خارجية تتعارض مع الحقوق الدولية الأساسية لسيادة الدول »[1] .

وقد عقّب أحد الصحفيين على أقوال الرئيس الأمريكي جورج بوش بمقالة افتتحها بالعبارة الآتية :

« ورقة الدولار النقدية أيقونة أمريكية ، الرمز التقليدي للتفوق الاقتصادي ، على ظهرها رمز ماسوني غريب ، لامرأة عند قمة هرم تقف فوق جملة لاتينية معناها [نظام جديد للعصور] . وهذا وعد على كل ورقة عملة . فنهاية الحرب الباردة ، والتقهقر الاستراتيجي للاتحاد السوفييتي من مركز الشؤون العالمية ، وأزمة الخليج ، قد اجتمعت كلها لتنفخ الحياة في شعار ورقة الدولار »[2] .

وكان العالم يشهد في خلال ذلك أحداثا غير مألوفة يبرز في مقدمتها سقوط الأنظمة الشيوعية **وظهور ماسمي باتحاد الدول ذات السيادة**[3] التي ما إن رغب بعضها (جورجيا وطاجيكستان وأذربيجان) في الاستقلال والسيادة فعلا حتى أطاح الجيش السوفييتي بحكومتها المنتخبة . وظهور الولايات المتحدة الأمريكية كدولة عظمى وحيدة . وانتشار توقعات مفادها احتمال زوال روسيا من الخارطة الجيوسياسية[4] ثم اتحاد

(١) جريدة تشرين السورية ، عدد ١٩٩٢/٧/٢٧ .

(٢) مقالة مارتن والكر التي نشرت بمجلة ماركيزم تودي عدد أبريل ، نيسان ١٩٩١ ــ حرب الخليج والنظام العالمي الجديد ، اعداد مجدي نصيف ص ٦٠ .

(٣) كان الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت (١٧٢٤ ــ ١٨٠٤ م) قد استعمل هذا التعبير ذاته في معرض دعوته الى اقامة الحكومة العالمية وذلك في كتابه « نحو سلام دائم ــ محاولة فلسفية » .

(٤) حذرت صحيفة روسيا الأدبية من خطر زوال روسيا من الخارطة الجيوسياسية ، كما أشارت الصحيفة إلى وجود مشروعين عالميين لاعادة صياغة العالم . المشروع الأول يهدف إلى إعلان سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم ، ويهدف هذا المشروع إلى إقامة اتحاد الولايات العالمية بحيث يدار هذا الاتحاد من مركز واحد هو الولايات المتحدة وتكون امكانياته الاقتصادية متكاملة مع الاقتصاد الأمريكي . وأضافت الصحيفة : أما المشروع الثاني فيهدف إلى إقامة أوربا الموحدة من الأطلسي إلى المحيط الهادي ، وهذا المشروع يقف في مواجهة المشروع الأميركي ، ولكن روسيا ستخسر فيه مقومات وجودها ، مشيرة إلى مافقدته روسيا جراء انهيار الاتحاد السوفييتي بالمفهوم الجغرافي والسكاني والاقتصادي والأمني . (جريدة الثورة السورية ــ العدد ٨٩٩٨ تاريخ ١٩٩٢/١٢/٨) .

=

الألمانيتين ، ومشروع اتحاد الكوريتين ، وتمزق يوغسلافيا ، وحل مشكلة كمبوديا ومشكلة أفغانستان وغيرهما من المنازعات الدولية المستعصية . وتقدم مشروع الوحدة الأوربية . وماجرى أيضا من تدابير دولية عن طريق هيئة الأمم المتحدة أضفت على هذه المنظمة طابع حكومة عالمية ذات قوة تنفيذية فاعلة ، بحيث لم تعد مجرد وسيط أو حكم لحل المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ، بل باتت طرفا في تلك المنازعات وأخذت تعمد الى فرض الحلول لها بالوسائل السلمية وغير السلمية ، وراحت تتناوب الأدوار مع الولايات المتحدة الأمريكية ، كفَرسَي رهان .. ثم انتخاب أمين عام جديد للهيئة (الدكتور بطرس غالي) ، قيل انه انتخب لكونه إفريقياً ، في حين تبين أنه يدور في الفلك البهائي الذي ينكر كل انتماء وطني أو قومي أو اقليمي أو ديني ويؤمن بضرورة اقامة « الحكومة العالمية » ، التي سبق أن دعا اليها في كتاب أصدره بهذا العنوان عام ١٩٦٢ ، كما دعا عقب انتخابه لمنصب الأمين العام إلى إنشاء جهاز استخبارات خاص بالأمم المتحدة[١] وإلى إنشاء قوة انتشار سريع توضع تحت تصرف مجلس الأمن الدولي[٢] وأعلن « لوعرض علي منصب الأمين العام للأمم المتحدة قبل سنوات لرفضته ، فالأمم المتحدة كانت ضعيفة »[٣] ، وهو يقصد فيما يبدو أنها لم تكن قادرة على ممارسة دور الحكومة العالمية . وأخيرا كانت قمة تلك الأحداث انعقاد مؤتمر قمة الأرض في ريو دي جانيرو ، في حزيران ١٩٩٢ م ، الذي سمي رسميا « مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية » ، والذي لم تُخفِ مجلة (News Week) شعورها قبيل انعقاده بأنه « يصطبغ بمعنى مصيري قوي ، إذ لايجتمع قادة أكثر من (١٢٠) أمة لتنظيم قوانين تتعلق بتلوث الهواء والنفايات السامة فحسب ، فلاحاجة لمؤتمر قمة لهذا السبب فقط » . وقد أعقبه مؤتمر قمة عالمي آخر عقد في فيينا عاصمة النمسا في الفترة مابين ١٤ و ٢٥ حزيران ١٩٩٣ ، تحت اسم « **المؤتمر العالمي لحقوق الانسان** » وقد

= وقد شارك في توقعات تفكك وانهيار روسيا الاتحادية مجلة لوموند دبلوماتيك ، عدد نيسان ١٩٩٣ (مجلة السياسة الدولية المصرية ، عدد يوليو / تموز ١٩٩٣ ، ص ٢٩٤) .

(١) تصريح بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة — جريدة السفير اللبنانية ، عدد ١٩٩٢/٣/٢٠ .

(٢) في مقابلة مع صحيفة ليبراسيون اليومية الفرنسية — صحيفة الثورة السورية ، عدد ٨٨٨٢ تاريخ ١٩٩٢/٧/١٦ .

(٣) « بطرس غالي والحكومة العالمية » للدكتور نبيل السمان ، ص ٨٢ .

اختارت هيئة الأمم المتحدة الدبلوماسي الفرنسي أنطوان بلانكا المدير العام للمقر الأوربي للأمم المتحدة في جنيف ليكون أمينا عاما لمؤتمر فيينا هذا ، فبادر إلى عقد اجتماع تحضيري للمؤتمر المذكور في الفترة من ٨ الى ١٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٩٢ في « أكاديمية لانديغ » في سويسرا ، وهي المؤسسة الرئيسية للطائفة البهائية في سويسرا ، وقد شارك في الاجتماع « مكتب الجماعة البهائية في الأمم المتحدة » الذي لوحظ أنه يلعب دورا متزايد الوضوح والنفوذ في كثير من نشاطات المنظمة الدولية ، ولعب دورا بارزا في توجيه الأعمال التحضيرية لـ « قمة الأرض » في حزيران ١٩٩٢ ، كما شارك في الاجتماع عدد من الشخصيات البهائية البارزة[١] .

* * *

لقد بدا سقوط الشيوعية السوفييتية على يد أمينها العام ، الذي كان يفتقر إلى الحد الأدنى من الأمانة ، بطريقة مسرحية مثيرة ، دون أي رد فعل ذي مغزى من جانب جيوش المنتفعين من النظام الشيوعي ، ومن ثم سحق الشعوب ، التي كانت أسيرة النظام السوفييتي ، سحقها مجددا ، لكن بطريقة رأسمالية ، للقضاء نهائيا على مقاومتها إزاء ماسيتبع ذلك من أحداث .. بدا سقوط الشيوعية على هذا النحو أمرا في منتهى الغرابة والمفاجأة .

لكن من البدهي أن السياسة العالمية ليست مسرحا للغرائب والعجائب ، فإذا كانت أجهزة الإعلام العالمية اكتفت بإبداء الدهشة إزاء الحدث على جسامته ، ثم راحت تنشر حوله أستارا من الدخان والضباب . فذلك يكفي ليشير إلى وجود مخطط جهنمي لابد من استقصائه .

ففي كتابه « أحجار على رقعة الشطرنج »[٢] يروي الأميرال وليام غاي كار بعضا من مخطط رسمه الجنرال الأمريكي « ألبرت بايك » ، أحد أعوان الزعيم الإيطالي « مازيني » ، خلال الفترة الواقعة مابين عام ١٨٥٩م وعام ١٨٧٠م فيقول : « كان من الأهداف المرسومة لهذا المخطط أن يستر بناء الشيوعية العالمية ويدعمها حتى تصل

(١) مجلة الكفاح العربي ، العدد ٧٤٧ ، ١٩٩٢/١١/٢٣ ، ص ٤ و ٥ .
(٢) — ص ٢٠ ، وقد نشرت الترجمة العربية لهذا الكتاب عام ١٩٧٠ .

إلى مرحلة تعادل فيها قوتها مجموع قوى العالم المسيحي الغربي . ويقتضي المخطط إذ ذاك ايقافها عند هذا الحد ، حتى يبدأ العمل في تنفيذ المرحلة التالية وهي التمهيد للكارثة الإنسانية الكونية الثالثة والنهائية (الحرب العالمية الثالثة) ... ويقضي المخطط المرسوم بأن تقاد هذه الحرب وتوجه بصورة يحطم فيها العالم العربي ومن ورائه الإسلام ذاته » .

أما أرنولد توينبي فيقول بطريقته الغامضة المألوفة في كتابه « دراسة للتاريخ » الذي صدر في حوالي العام ١٩٥٦ ، تحت عنوان (الاعتزال والعودة — ٤ — ماهو دور روسيا في تاريخنا الغربي ؟) :

« إن الحكم على فصل من التاريخ — وهو مايزال في مراحل بدايته كما هو ظاهر — يعتبر حكما مبتسرا . ولكن عسانا أن نجازف بإمعان النظر فيما لدينا هنا من تفسير لوضع المسيحية الأرثوذكسية الروسية . فلقد استبان لنا قبل الآن ، أن حركة روسيا الشيوعية — تحت قناعها الغربي — تعتبر محاولة غيورة للانفلات من التأثير الغربي الذي فرضه بطرس الأكبر على روسيا منذ قرنين مضيا . ورأينا هذا القناع — في نفس الوقت — يتقطع في حماس ، رغما عن أنفه . وخلصنا من ذلك إلى القول بأن روسيا المتأثرة بالآراء الغربية ، قد اعتنقت — كارهة — الحركة الثورية الغربية تعبيرا عن مناهضتها للاتجاه الغربي . لكن أصبحت هذه الحركة تمكّن للاتجاه الغربي في روسيا ، أعظم مما يتيحه تطبيق أية عقيدة اجتماعية غربية أخرى .

« ولقد حاولنا التعبير عن النتيجة الأخيرة للعلاقة الاجتماعية بين روسيا والغرب ، في صيغة مبناها أن العلاقة التي كانت ذات مرة عبارة عن اتصال خارجي بين مجتمعين منفصلين ، قد تحولت إلى تجربة داخلية لمجتمع كبير اندمجت فيه روسيا .

« فهل نستطيع أن نذهب أبعد من ذلك ، فنقول بأن روسيا — وقد أصبحت الآن مندمجة في المجتمع الكبير — ماتزال تسعى — في نفس الوقت — إلى الإنسحاب من حياتها المألوفة ، لكي تقوم بدور أقلية مبدعة تجدّ لإيجاد حل ما للمشكلات الجارية للمجتمع الكبير ؟ .

« وهكذا أصبح مفهوما — وهذا مايؤمن به كثير من المعجبين بالتجربة الروسية الحالية — أن روسيا ستتخذ عودتها إلى المجتمع الكبير ، لتؤدي دور الخلق فيه »[1] .

(١) « مختصر دراسة للتاريخ » ، لأرنولد توينبي ، ترجمة فؤاد محمد شبل ، ج ١ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ .

في ١٩٩٢/٣/٩ م نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقتطفات من دراسة أعدتها وزارة الدفاع الأمريكية تشرح فيها مستقبل الدور الأمريكي في العالم فتعرض الوثيقة تصورا لعالم « تهيمن عليه قوة كبرى واحدة تحافظ فيه على موقعها بسلوك بنّاء وقوة عسكرية كافية لردع أية دولة أو مجموعة دول عن تحدي التفوق الأمريكي » ولكي يكون ذلك ، ترى الوثيقة أن على الولايات المتحدة « أن تأخذ في اعتبارها مصالح الدول الصناعية المتطورة لتثبيطها عن التصدي لدور القيادة ، أو محاولة قلب النظام السياسي والاقتصادي القائم » . وترفض الوثيقة بشكل واضح الموقف الدولي الجماعي الذي كان أساس التعاون بين الدول الكبرى منذ الحرب العالمية الثانية ، عندما حاولت الدول الخمس المنتصرة انشاء الأمم المتحدة لتستطيع التوسط في الخلافات والتدخل في حالة انفجار العنف في منطقة ما . كما تطرح الوثيقة مبدأ منع تكوّن قوة منافسة للولايات المتحدة في غرب أوربا أو آسيا أو الجمهوريات التي كانت تشكل الاتحاد السوفييتي . ولكي تتحقق الهيمنة العسكرية ، تقترح الوثيقة تطوير القوات العسكرية الأمريكية وإنشاء نظام أمني عالمي يمنع كلا من اليابان وألمانيا من القيام بإعادة تسليح نفسيهما بشكل كبير وخصوصا على الصعيد النووي .

وفي مواقع أخرى من الوثيقة تطرح الوزارة فكرة استعمال القوة ، إذا استدعى الأمر ذلك ، لمنع انتشار الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل الأخرى في بلدان مثل كوريا الشمالية والعراق وبعض الجمهوريات في آسيا الوسطى وأوربا . وما لم يحدث ذلك ، فان انتشار الأسلحة النووية سيمكن كلا من ألمانيا واليابان من امتلاك هذه الأسلحة وتطوير قدراتهما العسكرية لتصبحا منافستين للولايات المتحدة الأمريكية . أما على صعيد العمل الجماعي في إطار الأمم المتحدة ، فإن الوثيقة تشير الى أن واشنطن ستعمل في إطار المنظمة الدولية ولكنها تحتفظ بحقها في اتخاذ ماتراه مناسبا خارج إطار المنظمة لحماية مصالحها الاستراتيجية ... وترى الوثيقة كذلك أن « على الولايات المتحدة أن تثبط الدول الأخرى عن التفكير في الحصول على دور اقليمي أو دولي » ، وتحتوي الوثيقة إشارات عديدة إلى الدول الحليفة للولايات المتحدة ، مثل أوربا واليابان ، وذلك لمنعها من تنمية النفوذ السياسي أو العسكري الى درجة تجعلها متكافئة

مع الولايات المتحدة الأمريكية[1] .

لقد بدت هذه الوثيقة ، كذلك ، مفاجئة للعديدين ، وأثارت ضجة واسعة في العالم . غير أننا نلاحظ معالمها في بعض كتابات أرنولد توينبي ذاته . ففي عام ١٩٥٥ كتب يقول :

« لم يَحِلّ عام ١٩٥٥ حتى كان القضاء على الحروب حتما مقضيا .

« لكن ؛ لن يتأتى القضاء عليها ، إلا إذا أمكن تركيز الرقابة على الطاقة الذرية في يد سلطة سياسية واحدة . وترتب على هذا الاحتكار للسيطرة على السلاح الرئيسي الذي أنتجه العصر ، أن تقوم هذه السلطة السياسية بدور حكومة عالمية . وفي الظروف التي كانت قائمة في عام ١٩٥٥ ، كان لامندوحة أن يكون المقر الفعلي لهذه السلطة السياسية : واشنجتن :

« بيد أنه ؛ لا الولايات المتحدة — ولا الاتحاد السوفييتي — كانت مستعدة لأن تضع نفسها تحت رحمة الأخرى .

« وفي هذا المأزق الحرج ؛ كان الأسلوب التقليدي — لامحالة — لتحقيق أقل قدر ممكن من المقاومة السيكلوجية ، هو اللجوء إلى محنة التقاتل . وقد رأينا كيف أن الضربة « القاضية » كانت الوسيلة الوحشية التي بواسطتها مرت الحضارات المنهارة — الواحدة تلو الأخرى — من مرحلة عصر الاضطراب إلى مرحلة الدولة العالمية . إلا أنه في حالتنا هذه ؛ قد تصرع « الضربة القاضية » لا العدو وحده ، ولكنها قد تصرع أيضا : المنتصر ، والحكم ، وحلقة الملاكمة ، والنظارة ؛ جميعا »[2] .

فهل كانت الحرب الباردة هي الوسيلة المعقولة لتحقيق أقل قدر ممكن من المقاومة السيكلوجية لمشروع الحكومة العالمية ، بأقل قدر ممكن من المخاطر ؟ .

* * *

ثم لقد سقط عرّاب النظام العالمي الجديد في انتخابات الرئاسة الأمريكية التي

(١) مجلة « العالم » الصادرة في لندن بالعربية ، عدد ١٩٩٢/٣/٢١ — مجلة الوحدة ، الصادرة في الرباط بالمغرب ، العدد ٩٩ كانون أول ١٩٩٢

(٢) « مختصر دراسة للتاريخ » ، ج ٤ ، ص ١٩١ و ١٩٢ .

جرت في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢ ، فاتجهت أنظار هنري كيسنجر إلى خلفه بيل كلينتون ليعده بـ « **فرصة الترشيح الى موقع لم يخطر على باله : أن يتذكره التاريخ بوصفه الرئيس الأمريكي الذي وضع معمار النظام الدولي الجديد** » ، **إن هو استطاع أن يحل بعض المشكلات التي تقف عائقا أمام هذا النظام ، كمستقبل الاتحاد السوفييتي السابق ، ومستقبل حلف الأطلسي (الناتو) ، ومستقبل العلاقات مع الصين ، ومستقبل هيكل نصف الكرة الغربي ، والأصولية الإسلامية المنبعثة من طهران وقضية البوسنة ...**[1] . فهل يعني هذا الوعد أن يكون الرئيس كلينتون أول رئيس للحكومة العالمية ، أو يكون المسيح المنتظر .

لقد أطاحت حرب الخليج الأولى بالرئيس الأمريكي كارتر ، في انتخابات عام ١٩٨٠ ، ثم أطاحت حرب الخليج الثانية بداعية النظام العالمي الجديد جورج بوش في انتخابات عام ١٩٩٢ ، فكشف النظام الأمريكي بذلك عن هشاشة يفترض أن يصعب معها على الرئيس بيل كلينتون هضم وعود هنري كيسنجر .

(١) جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٥١٧١ تاريخ ١٩٩٣/١/٢٤ .

- ٢ -
النظام العالمي الجديد من منظور بهائي

في الثلاثينات من هذا القرن ، ولأول مرة فيما نعلم ، برز اصطلاح « **النظام العالمي الجديد** » في البيانات التي أصدرها « شوقي أفندي » الخليفة الثاني « لبهاء الله » مؤسس البهائية ، وقد حدد في بياناته هذه معالم النظام الذي يريد ، فإذا بها شبيهة إلى حد كبير ببعض معالم النظام العالمي الجديد (الأكثر جدة من نظام شوقي أفندي) ، المطروح حاليا على الساحة الدولية ، وشبيهة أيضا بنظام قديم جدا طرحته جهات عديدة متباعدة زمانا ومكانا .

على أن بعض النشرات البهائية الحديثة ألمحت إلى أن بهاء الله قد استخدم هذا المصطلح نفسه قبل ١٠٠ عام . لكننا لم نعثر فيما وصل إلينا من نصوص بهاء الله على هذا الاصطلاح ، وإن يكن من المؤكد أنه أبان الكثير من معالم النظام ذاته التي تحدث شوقي أفندي عنها .

يقول شوقي أفندي في رسالته المؤرخة ـ ١٩٣١/١١/٢٨ ماترجمته[١] :

« ... ونحو هذا الهدف ـ هدف **نظام عالمي جديد** إلهي في منشئه وشامل في مداه ومنصف عادل في مبدئه وتتحدى ملامحه كل ماعداها ـ يجب على البشرية أن تستحث خطاها وتكدح اليه كدحا » ...

« وما أشجى حقا تلك الجهود المضنية التي يبدلها قادةالمؤسسات البشرية الذين لايأبهون أبدا بروح العصر والذين يجهدون في تكييف عملياتهم القومية التي كانت في العصور القديمة ملائمة لأممهم المنعزلة ليجعلوها تناسب عصرا **يجب عليه أن يختار بين أمرين : إما أن ينجز الوحدة العالمية التي دلنا اليها بهاء الله أو أن يفنى** . وفي ساعة حرجة كهذه الساعة في تاريخ الحضارة يليق بقادة أمم العالم كلها كبيرة أم صغيرة ، شرقية أم

(١) منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، أسلمنت ، ص ٢٧١ .

غربية ، منتصرة أم مغلوبة ، أن يصغوا الى نداء بهاء الله من صافوره العظيم وينهضوا بكل رجولة تدفعهم روح الوحدة العالمية ويحدوهم الولاء التام لأمره الإلهي لينفذوا الخطة العلاجية الوحيدة التي وصفها ذلكم الطبيب الإلهي للبشرية المتألمة ولينبذوا نبذا تاما والى الأبد كل فكرة سبق لها أن تصوروها وكل تعصب قومي تمسكوا به ...

« ان شكلا من أشكال **الحكومة العالمية** يجب أن يتطور ، فتتنازل من أجله جميع أمم العالم طوعا عن جميع ادعاءاتها في شن الحروب ويكون له **حق فرض الضرائب وتحديد السلاح واقتصاره على حفظ الأمن الداخلي ضمن حدود سيادته** . ومثل هذه الحكومة يجب أن تضم ضمن اطارها **هيئة تنفيذية عالمية** تستطيع أن تفرض سلطتها العليا التي لاينازعها فيها أحد على كل عضو معاند من أعضاء الجامعة الدولية . وان **برلمانا عالميا** ينتخب أعضاؤه من بين شعوب الأقطار وتصادق على انتخابهم حكومات الأقطار ذاتها ، وان **محكمة عليا تكون أحكامها ملزمة للفرقاء المعنيين** ، حتى في الحالات التي يمتنع فيها أولئك الفرقاء عن عرض قضيتهم عليها طوعا ، وان جامعة عالمية تلغى فيها جميع الفوارق الاقتصادية إلغاء أبديا وفيها يعترف اعترافا واضحا باعتماد رأس المال والعمل أحدهما على الآخر ، وفيها يهدأ إلى الأبد ضجيج الحروب والتعصبات الدينية ، وفيها تطفأ جميع نيران التعصبات القومية اطفاء نهائيا ، وفيها يقوم قانون دولي واحد هو ثمرة أحكام الممثلين العالميين المتحدين بالمصادقة على تلاحم جميع قوى الوحدات المتحدة ، وأخيرا يتحول فيها هياج القوميات المتحاربة المتقلبة في أطوارها الى وعي بالمواطنة العالمية ــ هذه كلها في الواقع كما يبدو هي الخطوط العريضة لنظام تنبأ به بهاء الله ، وهو نظام سوف يعتبر أبدع ثمرة من ثمرات عصر ينضج نضوجا بطيئا ...

« ثم ألم يؤكد عبد البهاء نفسه بلهجة لاغموض فيها : **ان حربا أشد من الحرب الماضية ستنفجر بالتأكيد ؟** » .

وفي رسالته المؤرخة ــ ١٩٣٤/٢/٨ يقول شوقي أفندي أيضا :

« إن هذا النظام الإداري ... حينما تبدأ أجزاؤه المكونة له ومؤسساته الأصيلة فيه بعملها بقوة وكفاءة سوف يؤكد على مطاليبه ويعرض قدرته على أن لايكون مجرد نواة بل يكون نموذجا **للنظام العالمي الجديد** الذي قدر له أن يحتضن الإنسانية جمعاء عندما يحين الوقت لذلك ...

« وهذا الدين وحده من بين جميع الظهورات التي سبقته ... قد نجح في إقامة بناء يستطيع أتباع المذاهب المفلسة المتحطمة أن يقتربوا منه في ذهولهم ويفحصوه بالنقد ويرجو قبل فوات الأوان الأمن باللجوء إلى حصنه المنيع ...

« وإلى أي جلال وقدرة تشير كلمات بهاء الله في قوله : « قد اضطرب النظم من هذا النظم الأعظم واختلف الترتيب بهذا البديع الذي لم تر عين الإبداع شبهه ، إن لم تشر إلى القدرة والجلال اللذين قدر لهذا النظام الإداري أن يكشف عنهما باعتباره بداية ظهور رابطة الشعوب البهائية المقبلة » ؟ ...

« ولايقللن أحد من شأن هذا النظم الإلهي الذي لايزال في عهد طفولته أو يشوهن هدفه . فالصخرة التي شيد عليها ذلك النظام الإداري هي ما أراده الله للإنسانية في هذا اليوم ارادة محتومة . وإن المنبع الذي يستقي منه إلهاماته هو بهاء الله نفسه لاغيره ... والهدف المركزي والأساسي الذي يقوم عليه ويحييه هو تأسيس النظام العالمي الجديد وفقا لما أشار به بهاء الله ... » .

ثم في رسالته المؤرخة ١٩٣٦/٣/١١ يقول شوقي أفندي ماترجمته[١] :

« إن التباين المشهود بين الأدلة المتجمعة على تراص دين الله تراصا ثابتا راسخا مرافقا لنشوء النظام الاداري وبين قوى التفسخ التي تهدم بناء هيئة اجتماعية متعبة هو تباين واضح يستوقف الفاحصين ويأخذ بالألباب . ففي داخل وخارج العالم البهائي هناك علامات وإمارات متزايدة يوما فيوما تبشر بطريقة غيبية بميلاد ذلكم النظام العالمي الإلهي الذي يشير تأسيسه الى مجيء العصر الذهبي لدين الله ...

« وتعلن ذلك كلمات بهاء الله بالنص : « سوف يطوى بساط الدنيا ويبسط بساط آخر ويبقى العزة والملك لله العليم الحكيم »[٢] .

« ... يجب أن يعتبر الظهور الذي أفاض به بهاء الله بأنه يشير إلى بلوغ الجنس البشري بلوغا تاما ، ويجب أن لاينظر إليه كمجرد بعث روحاني جديد في سلسلة

---

(١) منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، أسلمنت ، ص ٢٧٧ .

(٢) كتاب آثار قلم أعلى ج ١ ص ٣١٠ .

مصائر البشرية المتغيرة على الدوام ، ولا أن يعتبر مرحلة أخرى في سلسلة مراحل الإلهام الإلهي المتطور وحتى أنه لايعتبر كذلك نهاية سلسلة الرسالات الإلهية المتعاقبة بل يعتبر آخر وأعلى مرحلة من مراحل التطور الهائل الذي تطورت إليه الحياة البشرية بمجموعها على هذه الكرة الأرضية . **وإن بروز هيئة اجتماعية عالمية وكذلك ظهور الوعي بالمواطنة العالمية وتأسيس حضارة وثقافة عالمية ، كل هذه يجب أن تعتبر أقصى الحدود في تنظيم الهيئة الاجتماعية البشرية بقدر مايختص الموضوع بالحياة على سطح هذه الكرة الأرضية** بالرغم من أن الانسان كفرد سوف يستمر بل يجب أن يستمر على التقدم والتطور استمرارا لا حدود له وذلك نتيجة لوصول البشرية الى هذا الحد من الكمال في البلوغ ...

« إن **وحدة الجنس البشري** كما رسمها بهاء الله تتضمن في مدلولها تأسيس **رابطة شعوب عالمية** تتحد فيها جميع الأمم والأجناس والعقائد والطبقات اتحادا وثيقا متماديا ، وفيها يصان الاستقلال الذاتي للدول الأعضاء كما تصان حريات الأفراد المكونين لها وابداعهم ومبادرتهم . ورابطة الشعوب العالمية هذه يجب أن تتألف في حدود مانستطيع أن نتصوره في الوقت الحاضر من **هيئة تشريع عالمية** يسيطر أعضاؤها على جميع منابع الأمم المكونة لها باعتبارهم أمناء على جميع الجنس البشري والشعوب وسد احتياجاتها وتنظيم ارتباطاتها . وان **هيئة تنفيذية عالمية تسندها قوة دولية** سوف تنفذ القرارات التي تصدرها هيئة التشريع العالمية وتطبق القوانين التي تشرعها وتحرس الوحدة الأساسية لرابطة الشعوب العالمية بمجموعها . وان **محكمة دولية سوف تقاضي وتصدر قرارها النهائي الالزامي** في جميع المنازعات التي تنشب بين العناصر المختلفة المكونة لهذا النظام العالمي ، وسوف تبتكر وسيلة للاتصالات الدولية تحتضن جميع الكرة الأرضية وتكون متحررة من العوائق والقيود القومية وتقوم بوظائفها بسرعة رائعة وبانتظام تام . وستكون **عاصمة عالمية** المركز العصبي لحضارة عالمية والنقطة التي فيها تتجمع جميع القوى الموحدة للحياة ومنها يشع نشاط نفوذها الفعال . وان **لغة عالمية** سوف تخترع أو تنتخب من بين اللغات الموجودة في العالم وتدرس في مدارس جميع الأمم المتحدة باعتبارها لغة مساعدة الى جانب لغة الأم ، **وان خطا عالميا وأدبا عالميا ونظاما عالميا موحدا للنقد والموازين والمكاييل** سوف يسهل اختلاط الأمم والأجناس ويجعله بسيطا

يسـيرا . وفي مثـل هذه الجامعـة العالمية سوف يتفق الدين والعلم باعتبارهما القوتين المؤثرتين في الحيـاة البشـرية وسوف يتعاونان ويتطوران بكل وفاق . وسوف لن تعود الصحافة تحت نظام اداري مثل هذا النظام لتكون أداة تستغل استغلالا سيئا مضرا لخدمة مصالح معينة شخصية أو عمومية وسوف تتحرر من نفوذ الحكومات المتناحرة والشعوب المتعادية وتمنح أقصى المدى في حرية التعبير عن الآراء المتنوعة والمعتقدات المتباينة . وسوف تنظم المنابع الاقتصادية في العالم وتستثمر منابع المواد الخام استثمارا كاملا وترتب وتطور أسواقها وينظم توزيع منتجاتها تنظيما عادلا .

« ولن تعود منافسات القوميات وعداواتها ومؤامراتها بل تستبدل عداوة الأجناس وتعصباتها بالمحبة بين الأجنـاس وبالتفـاهم وبالتعـاون ، وسـوف تستـأصـل أسباب المشاحنات الدينية نهائيا ، **وتمحى الحواجز والقيود الاقتصادية محوا تاما** وتطمس آثار التميز المتطرف بين الطبقات وسوف يختفي الفقر المدقع الذي يرى في جهة واحدة كما **يختفي في الجهة المقابلة الأخرى تراكم الملكية المفرط** . وتلك الطاقات الهائلة التي تهدر وتبذر على الحروب سواء الحروب الاقتصادية أو السياسية سوف تكرس إلى غايات توسيع مدىالاختراعات البشـرية ، والى تطوير التكنولوجيـا ، وإلى زيادة القـابليات الانتاجية البشرية ، والى استئصـال المرض ، والى توسيع البحوث العلمية ، وإلى رفع مستويات الصحة البدنية ، وإلى شحذ العقول البشرية وتنقيتها ، وإلى استغلال منابع الكرة الأرضية التي لم تستغل أو التي لم تستكشف ، وإلى اطالة الأعمار البشرية ، وإلى ترقية أية وكالات تستطيع انعاش الحياة الفكرية والخلقية والروحانية في عموم الجنس البشري .

« وإن نظاما فيدراليا (اتحاديا) عالميا يحكم جميع الأرض ويمارس سلطة لايمكن تحديها على جميع منابعه الواسعة التي لايمكن تصورها ويوحد جميع المثل العليا للشرق والغرب ويجسدها ويكون متحررا من لعنة الحرب وبلاياها ومنكبا على استثمار جميع الطاقات الموجودة على سطح الكرة الأرضية وفيه تكون القوة عبدا للعدل وتقوم حياته على الاعـتراف الشـــامـل بـالله الأحد وعلى الولاء لدين الهي عام ــ نعـم ان مثـل هذا النظام هو الهدف الذي تتقدم نحوه انسانية تدفعها القوة الموحدة للحياة .

« إن جميع البشرية متلهفة إلى أن تقاد إلى الوحدة وإلى انهاء عصر استشهادها

الطويل ، ومع ذلك ترفض بعناد أن تحتضن النور وتعترف بسلطنة القوة الوحيدة التي تستطيع وحدها أن تستخلصها من ورطتها وتحول عنها الكارثة المريعة التي تهدد بالاحاطة بها والتحديق بكيانها ...

« إن مبدأ توحيد البشرية بكاملها هو سمة المرحلة التي تقترب منها الجامعة البشرية الآن . ولقد نجحت محاولات تأسيس وحدة الأسرة ، ووحدة القبيلة ، ووحدة دولة المدينة ، ووحدة الأمة ، وبقيت وحدة العالم هدفا تسعى نحوه بشرية قد أنهكت قواها .

« وها قد انتهى بناء الشعوب وتتوجه الفوضى الكامنة في سيادة الدولة الى أوجها . وإن العالم وهو متوجه نحو مرحلة البلوغ يجب عليه أن ينبذ هذا الوثن ويعترف بوحدة العلاقات البشرية بكاملها ويؤسس أخيرا الأداة التي تستطيع أن تتجسد هذا المبدأ الجوهري الضروري لحياتها أحسن تجسد »[1] .

ثم في شهر تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٨٥ أصدر بيت العدل الأعظم ، وهو المرجع الأعلى للبهائيين في العالم ، بيانا جاء فيه :

« ... إن الخطوات التجريبية التي اتخذت في سبيل تحقيق النظام العالمي ، وخاصة تلك التي تم اعتمادها منذ الحرب العالمية الثانية توحي بدلائل تبشر بالأمل . فتزايد الاتجاه لدى مجموعات الأمم نحو اقامة علاقات تمكنها من التعاون فيما بينها في القضايا ذات المصالح المشتركة يشير الى أن الأمم كلها باستطاعتها التغلب على حالة الشلل هذه في نهاية المطاف . فرابطة دول جنوب شرق آسيا ، وجامعة دول البحر الكاريبي وسوقها المشتركة ، والسوق المشتركة لدول أمريكا الوسطى ، والمجلس الاقتصادي للتعاون المشترك ، ومجموعة الدول الأوربية ، وجامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الأفريقية ، ومنظمة دول القارة الأمريكية ، ومنتدى دول الباسيفيك الجنوبي — إن كل هذه التنظيمات وكل جهودها المشتركة تمهد السبيل أمام قيام نظام عالمي ...

« والاعتراف بمبدأ وحدة العالم الانساني يستلزم ، من وجهة النظر البهائية ، أقل

---

(١) منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، أسلمنت ، ص ٢٧١ — ٢٨٠ .

ما يمكن إعادة بناء العالم المتمدن بأسره ونزع سلاحه ، ليصبح عالما متحدا اتحادا عضويا في كل نواحي حياته الأساسية ، **فيتوحد جهازه السياسي ، وتتوحد مطامحه الروحية ، وتتوحد فيه عوالم التجارة والمال ، ويتوحد في اللغة والخط** ، على أن يبقى في ذات الوقت عالما لاحدود فيه لتنوع الخصائص الوطنية والقومية التي يمثلها أعضاء هذا الاتحاد ...

« ان التفاؤل الذي يخالجنا مصدره رؤيا ترتسم أمامنا ، وتتخطى فيما تحمله من بشائر نهاية الحروب وقيام التعاون الدولي عبر الهيئات والوكالات التي تشكل لهذا الغرض ، **فما السلام الدائم بين الدول الا مرحلة من المراحل اللازمة الوجود ، ولكن هذا السلام ليس بالضرورة ، كما يؤكد بهاء الله ، الهدف النهائي في التطور الاجتماعي للانسان** . انها رؤيا تتخطى هدنة أولية تفرض على العالم خوفا من وقوع مجزرة نووية ، وتتخطى سلاما سياسيا تدخله الدول المتنافسة والمتناحرة وهي مرغمة ، وتتخطى ترتيبا لتسوية الأمور يكون اذعانا للأمر الواقع بغية احلال الأمن والتعايش المشترك ، وتتخطى أيضا تجارب كثيرة في مجالات التعاون الدولي تمهد لها الخطوات السابقة جميعها وتجعلها ممكنة . إنها حقا رؤيا تتخطى ذلك كله لتكشف لنا عن تاج الأهداف جميعا ، ألا وهو اتحاد شعوب العالم كلها في أسرة عالمية واحدة » .

وقبل ثلاث سنوات من بيانات شوقي أفندي كان الصهيوني باروخ ليفي قد صرح بتاريخ ١٩٢٨/٦/١ :

« إذا اعتبرنا الشعب اليهودي وحدة لاتتجزأ ، فسيكون هو نفسه المسيح المنتظر وسيطرته على العالم ستتحقق باندماج الأديان والأجناس ، والغاء الحدود بين الدول والممالك ، ومن ثم انشاء جمهورية عالمية تمنح اليهود الحقوق المدنية في سائر أنحاءالأرض .

« وفي هذا التنظيم الجديد للبشرية ، سينتشر بنو اسرائيل في كل أرجاء الدنيا ، وسيصبحون ، في كل مكان ، العنصر القائد ، بدون منازع ، لاسيما اذا تمكنوا من فرض سيطرة حازمة على الطبقات العمالية .

« حكومات الشعوب التي ستتألف منها الجمهورية العالمية ستنتقل دون أي عناء

الى قبضة اليهود ، بمساعدة البروليتاريا المنتصرة . وسيحظر الحكام اليهود الأملاك الفردية الخاصة ، بعدما يسيطرون في كل مكان على جميع الموارد المالية العامة .

« بهذا يكون قد تحقق وعد التلمود الذي يقول أنه حينما تحين ساعة ظهور مسيح اليهود المنتظر ، سيملكون مفاتيح ثروات العالم[١] .

وبالمقارنة بين هذه التصريحات المتقاربة ، زمانا وموضوعا ، يتضح جانب كبير من الحقيقة .

أخيرا يقول فرناندو سانث ، أحد أعضاء بيت العدل الأعظم البهائي ، في تصريحه لجريدة « المسلمون » الصادرة في لندن بتاريخ ١٩٨٦/٨/٢٣ : **انه في عام ٢٠٠٠ م فان السلام الأصغر سيحصل والبلاد المختلفة ستتوحد أولا بشكل امارات كونفدرالية وبعد ذلك تتكون الأمة العالمية الواحدة التي يحكمها البهائيون**[٢] .

يقول هذا البهائي ذلك ، في حين أن بيت العدل الأعظم ذاته الذي هو عضو فيه ، كان قد حدد في بيانه الصادر عام ١٩٨٥ ، الذي سبقت الاشارة اليه ، عدد البهائيين في العالم وقت صدور البيان بثلاثة أو أربعة ملايين تقريبا من البشر ، وذلك بعد مئة وثلاثين عاما من ظهور البهائية ، فأنّى له بلوغ غايته بتوحيد العالم تحت زعامة البهائيين في غضون أربعة عشر عاما من تصريحه ، اللهم إلا اذا كان البهائيون يعملون ضمن اطار منظومة عالمية، وهو مانؤكده .

ثم كانت حرب الخليج الأخيرة ، التي اتخذت شكل فيلم سينمائي أنتجته هوليود قبل عدة سنوات من وقوع الحرب[٣] فاذا بعبارة « **النظام العالمي الجديد** » تبرز مجددا على الساحة العالمية ، مشفوعة بمرآى الحرب التي يُلوّحُ بها عادة دعاة انشاء الحكومة العالمية .

وما ان طرح الرئيس الأمريكي جورج بوش عبارة « النظام العالمي الجديد »

---

(١) « اليهود » ، زهدي الفاتح ، ص ١٠١ .
(٢) عن كتاب « البهائية والقاديانية » للدكتور أسعد السحمراني ص ١٢٤
(٣) فيلم الدفاع الأفضل الذي ظهر عام ١٩٨٤ وجرى تصويره في اسرائيل ــ مجلة « العربي » الكويتية ، عدد ٣٥٣ ، نيسان ١٩٨٨ .

للتداول حتى تبناها البهائيون ، فأخذت نشراتهم العديدة في الولايات المتحدة وأوربا تحفل بكتابات عن هذا النظام تضفي عليه طابعا دينيا . وقد أصدرت النشرة الرسمية للجماعة الدولية البهائية ـــ وهي نشرة تصدر باسم « بلد واحد » ـــ عددا خاصا لها بعنوان « نحو نظام عالمي جديد » ، تقول فيه ان هذا النظام الجديد « سيخرج من وسط الفوضى والأزمات ويخلق نوعا من الكومنولث العالمي ، ونظاما تشريعيا عالميا ، ورئاسة تنفيذية عالمية ونظاما قضائيا عالميا واحدا ... بالسرعة التي يستطيع بها عالمنا الحديث وحده بإمكاناته في مجال الاتصالات أن يحقق ذلك بدا بالإمكان أن يظهر فجأة تعبير النظام العالمي الجديد ودخل قاموس المصطلحات السياسية للعالم . إن زعماء العالم وصحفييه وأكاديمييه قد احتضنوا هذه الجملة ، **ومع أن معناها لايزال يحتاج إلى تحديد وتعريف كامل إلا أنه من الواضح أن المصطلح يشكل الآن إطار المناقشة حول كيفية تنظيم المرحلة المقبلة من الحياة السياسية الجماعية لهذا الكوكب »**[1] .

وتضيف النشرة أن مؤسس البهائية ونبيُّها بهاء الله قد استخدم هذا المصطلح نفسه قبل ١٠٠ عام لوصف سلسلة من التغييرات الهائلة التي توقع أن تحدث في العالم وتحوله إلى كومنولث موحد وسلمي[2] .

ولقد أشار بيان بيت العدل الأعظم الصادر في شهر تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٨٥ ، إلى بعض الإجراءات العملية لإقامة النظام العالمي الجديد ، فنقل ابتداء قول بهاء الله : [**سيأتي الوقت الذي يدرك فيه العموم الحاجة الملحة التي تدعو إلى عقد اجتماع واسع يشمل البشر جميعا . وعلى ملوك الأرض وحكامها أن يحضروه ، وأن يشتركوا في مداولاته ، ويدرسوا الوسائل والطرق التي يمكن بها إرساء قواعد السلام العظيم بين البشر**] ...

ثم أضاف البيان قائلا : « أما فيما يختص بالإجراءات المتعلقة بذلك الاجتماع العالمي ، فقد عرض عبد البهاء ، ابن بهاء الله ، والذي خوله والده صلاحية بيان

---

(١) مجلة الكفاح العربي ، العدد ٧٤٧ ، ١٩٩٢/١١/٢٣ ، ص ٥ .
(٢) المصدر السابق .

تعاليمه ، هذه العبارات المتسمة بنفاذ البصيرة : [عليهم أن يطرحوا أمر السلام على بساط المشورة العامة ، وأن يسعوا بكل وسيلة متاحة لهم إلى تأسيس اتحاد يجمع دول العالم ، وعليهم توقيع معاهدة ملزمة للجميع ، ووضع ميثاقٍ بنوده محددةٌ ، سليمة وحصينة . وعليهم أن يعلنوا ذلك على العالم أجمع وأن يحرزوا موافقة الجنس البشري بأسره عليه . فهذه المهمة العليا النبيلة ـــ وهي المصدر الحقيقي للرفاهية والسلام بالنسبة للعالم كله ـــ يجب أن ينظر إليها جميع سكان الأرض على أنها مهمة مقدسة ...] .

« إن انعقاد هذا الاجتماع العظيم قد طال انتظاره .

« إننا بكل مايعتلج في قلوبنا من صادق المشاعر نهيب بقادة كل الدول أن يغتنموا الفرصة المؤاتية لاتخاذ خطوات لارجوع عنها من أجل دعوة هذا الاجتماع العالمي إلى الانعقاد . وجميع قوى التاريخ تحث الجنس البشري على تحقيق هذا العمل الذي سوف يسجل على مدى الزمان انبثاق الفجر الذي طال ترقبه ، فجر بلوغ الانسانية نضجها .

« فهل تنهض الأمم المتحدة ، بالدعم المطلق من كل أعضائها ، وترتفع إلى مستوى هذه الأهداف السامية لتحقيق هذا الحدث المتوج لكل الأحداث ؟ .

« فليدرك الرجال والنساء والشباب والأطفال ، في كل مكان ، ماسيضفيه هذا الحدث الضروري على جميع الشعوب من تشريف وإعزاز دائمين . وليرفعوا أصواتهم بالموافقة والحفز على التنفيذ . وليكن هذا الجيل ، فعلا ، أول من يفتتح هذه المرحلة المجيدة من مراحل تطور حياة المجتمع الانساني على ظهر هذا الكوكب الأرضي » .

فهل كانت الاستجابة لهذه الدعوة ، وكانت الخطوة الأولى على هذا الطريق ، متمثلة في مؤتمر قمة الأرض الذي انعقد في ريو دي جانيرو ، في حزيران من عام ١٩٩٢ ، الذي سمي رسميا : « مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية » . وكانت الخطوة الثانية على الطريق ذاته « المؤتمر العالمي لحقوق الانسان » الذي انعقد في فيينا في حزيران ١٩٩٣ ، وهل تكون معاهدة ماستريخت ، المتعلقة بالوحدة الأوربية ، التي أعرب الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١ عن أمله في أن يقتدي العالم بها ، تشكل الخطوة الثالثة ؟ . وهل يكون

هناك قريبا جدا مؤتمر قمة عالمي لقضايا السلام ؟ ! يعقبه مؤتمر قمة عالمي لتنصيب ملك من نسل داوود على الحكومة العالمية ! .

كم من خطوات إذاً حدثت وتحدث الآن على الطريق ، وكم خطوة ماتزال أمام هذا النظام ؟ .

مامن شك في أنهم يستحثون الخطى ، فالموعد الذي حددوه قريب ، وربما يحتاج إلى الهرولة .

لكن مامدى جدة هذا النظام العالمي الجديد :

يقول الداعة البهائي جون أسلَمُنْت : « ومن الرسل من كانت له مهمة سامية خاصة . وكلما انقضت بضعة قرون ظهر رسول إلهي في الشرق ، أمثال كرشنا وزردشت وموسى وعيسى ومحمد ... وقد امتلأت أقوالهم المدونة بإشارات ووعود تبشر بظهور معلّم عظيم للعالم ، يظهر في « وقت المنتهى » ، ليتمم عملهم حتى يؤتي ثمرته ، وهو يؤسس حكم السلام والعدل على الأرض ، ويجمع في أسرة واحدة كل الأجناس والأديان والأمم والقبائل ، ليكون هناك « قطيعٌ واحد وراعٍ واحد » وليعرفوا الله ويحبوه من « أصغرهم إلى أكبرهم » .

« حقا إن مجيء هذا « المربي للإنسانية » في آخر الأيام هو أعظم حدث في التاريخ البشري . ولقد أعلنت الديانة البهائية للعالم بشارة ظهور هذا « المربي » ظهورا فعليا ، وأن أمره قد تم وتدوّن ، وأنه يمكن لكل باحث غيور أن يدرسه ، وأن فجر « يوم الربِّ » قد تنفس ، وأن « شمس الحقيقة » قد أشرقت ...

« قد أصبح معلوماً لدى العموم ، اختراق العالم في القرن التاسع عشر وابتداء القرن العشرين سكرات موت العصر القديم وطلقات ولادة العصر الجديد ، وقد أخذت أصول المادية القديمة والمصلحة الفردية والتعصبات والعداوات الوطنية والمذهبية بالاضمحلال ، وصارت أمورا مفضوحة يجب نبذها ، بسبب التدميرات التي نشأت عنها ، وفي كل جهة من جهات العالم نرى علامات روح ايمان جديد وأخوة دولية تكسر القيود القديمة وتتجاوز الحدود العتيقة . وتجري الآن في جميع شؤون الحياة الانسانية تحولات ثورية ذات شأن عظيم لم يسبق لها مثيل ، وترى العصر القديم في

صراع دائم مع العصر الجديد ، وفي تقلب بين الحياة والموت ، ولم يتم للآن احتضاره ...

« فما هو السبب ياترى في هذه اليقظة الفجائية في العالم ؟ .

« يعتقد البهائيون أنها ترجع إلى نفثات الروح القدس الفائضة من الرسول بهاء الله الذي ولد في ايران سنة ١٨١٧ وصعد في الأرض المقدسة سنة ١٨٩٢ ...

« فمجيء المَظْهَر هو كمجيء الربيع ، وهو يوم القيامة الذي يقوم فيه أموات الروح إلى حياة جديدة ، وتتجدد فيه ، بل وتتأسس من جديد حقائق الأديان الإلهية ، وفيه تظهر « سماءٌ جديدةٌ وأرضٌ جديدةٌ » ...

« ... وعلى هذا المنوال يكون العالم الروحاني ، فيسبب إشراق الشمس الروحانية تغيرا وحركة مشابهة ، وكذلك يكون يوم القيامة يوما للجزاء فتزول فيه وتنبذ كل أشكال الفساد والأفكار والعادات العتيقة وكل الخرافات والتقاليد ، وتذوب ثلوج الأوهام والتعصبات التي تراكمت في أزمنة الشتاء ، وتنطلق القوى التي تجمدت طويلا لتغمر العالم وتجدده »[1] .

ويقول جون أسلمنت كذلك : « ويصرح بهاء الله أن « مرحلة جديدة » وزمان « ولادة جديدة » للبشرية على الأبواب ، كما أن للأحياء أزمنة انتقال إلى حياة جديدة أتم وأكمل . وعندئذ ستتبدل أوضاع الحياة التي استمرت قائمة منذ فجر التاريخ حتى وقتنا الحاضر تبدلا قطعيا سريعا وستدخل الإنسانية إلى صفحة جديدة من الحياة تختلف عن الصفحة القديمة اختلاف الفراشة عن الدودة التي تحولت عنها أو اختلاف الطير عن البيضة التي نشأ منها ، وستنال الانسانية جمعاء تحت نور الظهور الجديد بصيرة جديدة تبصر بها الحقيقة ، وكما أن بلدا كاملا يتنور عند شروق الشمس ، كذلك البشر جميعهم سيرون رؤية واضحة ، ولاشك أن كل شيء يكون مظلما معتما قبل ساعة واحدة من الشروق . وبعد الشروق يصبح كل شيء منيرا[2] .

---

(١) منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، جون أسلمنت ، ص ٤ .

(٢) منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، جون أسلمنت ، ص ١٢٨ .

فما هي عناصر جدة هذا النظام ؟ :

اتضح آنفا (ص١٦) أن ورقة الدولار الأمريكي تحمل الشعار « **نظام جديد للعصور** » بمعنى أن ثمة نظاما قديما جديدا ماثلا في كل العصور، لا جديد فيه غير اسمه أو بعض الرتوش التي يُضفونها عليه .

ويقول داعيـة البهائيين جون أسـلَمُنْت ذاته : « **وعندما تصبح الأديان مكيفة ومحورة لتطابق النمط العصري الحديث تفقد قوتها في إنقاذ الناس وتبديل قلوبهم ، وتفقد قوتها في عمل المعجزات . فالدين الحقيقي لم يكن يوما ما مكيفا ومحورا ليطابق النمط العصري الحديث . ولو فرض أن أصبح الدين يوما ما مكيفا فالواقع أنه يبقى كما كان الأمر في أيام المسيح** »[1] .

كتب البهائي محمد أفندي توفيق غريب عن خطبة ألقاها عبد البهاء في جامعة ستانفورد بأمريكا في ٨ أكتوبر ١٩١٢ :

« قدم الرئيس غردون حضرة الخطيب للحضور قائلا :

« كان من حسن حظنا أن عرّفنا أحد الفرس بأحد أكابر المعلمين الدينيين وأحد خلفاء أنبياء بني إسرائيل الأقدمين . وقد ينعته بعض الناس بأنه **مؤسس ديانة جديدة** يتبعه نيف وثلاثة ملايين من النفوس ، ولكن هذا غير صحيح ، فديانة الأخوة العامة **والمحبة التامة بين الأمم قديمة منذ كانت النية الحسنة والحياة الطيبة ، ويمكن أن يقال عنها من بعض الوجوه أنها أقدم ديانة ...**

وقد علق الكاتب غريب على الخطبة قائلا : « إن حضرة عبد البهاء مُجِدٌّ في تغيير ديانة آسيا يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود **ويجمعهم على أصول نواميس موسى الذي يؤمنون به جميعا** ...»[2] .

وفي سان فرانسيسكو بكاليفورنيا ألقى عبد البهاء عباس خطابا في المجمع اليهودي عام ١٩١٢ ، وقد ألقى الحاخام ميارفي كلمة قبل الخطاب للتعريف بعبد البهاء قال فيها :

---

(١) منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، ص ٨٠ .

(٢) عبد البهاء والبهائية ، لسليم قبعين ، ص ٩٣ .

« من حسن حظنا ، وهو لاشك حظ سعيد ، أن نرحب هذا الصباح بعبد البهاء المعلم العظيم في عصرنا هذا .

« ان قلب الشرق ديني محض ، بقطع النظر عما إذا كان يوجد غير الدين فيه ، وفي كل مدة بعد أخرى ينبغ من قلب الشرق من يعلم ويعيد التعاليم الدينية ، فعبد البهاء هو ممثل أحد المذاهب الدينية في هذه الحياة ، وهذا يجيء عند ميلنا نحن اليهود لأننا نشعر بأننا امتلكنا هذه التعاليم في سائر أجيال الإنسان .

« وفي هذا الصباح سيتكلم بلغته الوطنية بواسطة ترجمانه الدكتور أمين فريد « في أصل اتحاد المذاهب الدينية » وأنا لا أشك في أن ما سيقوله يهمنا ، وسلفا نشكره على كلامه ...[1] .

ويقول البهائي عبد الرحمن البرقوقي :

« إذن فلاشك في أن العقائد البهائية ليست جديدة في ذاتها ولاحديثة في تفاصيلها ، بل هي أقدم عهدا من شم الجبال ولكن تطبيقها في هذه الأيام المضطربة الكثيرة الضوضاء واللجب والجلبة تجعلها جديدة . فهلا يسمع العالم ذلك الصوت العالي المنادي بالمساواة المطلقة والمؤذن بالأخوة الروحانية العامة ، هلا سمع العالم نداء الأنبياء[2] .

(١) عبد البهاء والبهائية ، لسليم قبعين ، ص ٥٤ .

(٢) في مجلة البيان ١٣٣١ هـ ، عدد شوال وذي القعدة ـ عبد البهاء والبهائية ، سليم قبعين ، ص ١١١ .

– ٣ –

لمحة عامة عن نشأة البهائية

تلك بعض معالم النظام العالمي الجديد ، الذي هو محور الحركة البهائية .

فما البهائية ولماذا وكيف ؟ ..

تبدأ الدعوة البهائية بحركة سميت بـ « **البابية** » ، ظهرت في ايران ، ادعى مؤسسها « **علي محمد الشيرازي** » عام ١٢٦٠ هـ – ١٨٤٤ م وكان في الخامسة والعشرين من عمره ، أنه « **الباب** » الذي يبشر بظهور المهدي ، ثم تدرج فادعى أنه « **المهدي المنتظر** » ، ثم ادعى النبوة والرسالة فالربوبية ، ونسخ الشرائع والأديان السابقة . كل ذلك في خلال ست سنوات ، حتى أعلم عام ١٢٦٦ هجري – ١٨٥٠ م ، إثر فتوى أصدرها علماء ايران بوجوب قتله ، وعقب اضطرابات شديدة وثورة شعبية عارمة ، حدثت في ايران بسبب دعوته .

ويقول أبو الفضل الجرفادقاني ، وهو أحد زعماء البهائية وكبير فلاسفتها ، أنه لما قتل الباب اشتهر من بعض رؤساء البابية « **دعاوى مختلفة من قبيل النبوة والوصاية والولاية والمرآتية وأمثالها فاختلفت آراؤهم وتشتت أهواؤهم وسقط كثير منهم في الضلالات وانهمك بعضهم في المنكرات والموبقات** »[1] .

وقد برز من بين تلامذة الباب ، في ايران كذلك ، عقب اعدامه ، أخوان غير شقيقين ، هما « **حسين علي المازندراني النوري** » ، المولود عام ١٢٣٣ هجري – ١٨١٧ م ، و « **يحيى المازندراني النوري** » المولود عام ١٢٤٣ هجري ، ادعى كل منهما أنه خليفة « الباب » تلقى الوصاية منه ، فشكل جماعة مستقلة لنفسه ، أو دينا جديدا مستقلا عن دين أخيه ، وحتى عن دين الباب ذاته ، لكن الذي استطاع أن

(١) مختارات من مؤلفات أبي الفضائل ، ص ٣٢٠ – عبد البهاء والبهائية لسليم قبعين ، ص ١١ .

يفرض نفوذه على نطاق واسع ، بدعم من بعض القوى العالمية ، هو « حسين علي » الذي أسس الديانة البهائية عام ١٨٦٧ م ، وسمّى نفسه « بهاء الله » وادعى النبوة والرسالة ثم الألوهية ، ونسخ الشرائع والأديان السابقة ، كما نسخ بعض شرائع الباب ، وراح يظهر شريعته الجديدة التي ادعى أنها وحي يتنزل عليه باللغة العربية حينا وباللغة الفارسية حينا آخر . وقد حدد لدينه عمرا مدته ألف سنة ، وقرر أن كل من يدّعي النبوة أو الرسالة خلال هذه المدة فهو كاذب . وانتهى به المطاف في عكا بفلسطين إلى أن توفي عام ١٨٩٢/٥/٢٩ م وكان في الخامسة والسبعين من العمر .

أما أخوه يحيى ، الملقب بصبح الأزل ، الذي استقر في قبرص ، وبقي فيها حتى وفاته في عام ١٩١٢م ، فقد سميت جماعته بـ « الأزليين » ، لكن دعوته انقرضت إلى حد ما ، وليس لها اليوم نشاط يذكر[1] .

لقد أعلن « الباب » في البدء في كتابه « البيان » ، محو الكتب السابقة فانتهى اعلانه بالثورة عليه واعدامه .

لذلك تفادى خليفته « بهاء الله » هذا المسلك ، مثلما تفاداه القاديانيون وشهود يهوه والأصوليون الانجيليون ، الذين ظهروا جميعا بعد مقتل الباب ، واتبعوا تلك الطريقة التي كرستها « بروتوكولات حكماء صهيون » ، حيث قالت :

« لقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلي للقوانين السارية من قبل ، بل بتحريفها في بساطة وبوضع تفسيرات لها لم يقصد اليها مشترعوها .

« وقد صارت هذه النتائج أولا ظاهرة بما تحقق من أن تفسيراتنا قد غطت على المعنى الحقيقي ، ثم مسختها تفسيرات غامضة الى حد أنه استحال على الحكومة أن توضح مثل هذه المجموعة الغامضة من القوانين .

« ومن هنا قام مذهب عدم التمسك بحرفية القانون ، بل الحكم بالضمير » .

فراح بهاء الله يثبت نبوته ورسالته وألوهيته من خلال نصوص التوراة والانجيل والقرآن ، مُمعِنا في التفسير والتأويل بغير حدود ، بل راح يستخلص من نصوص كل

---

(١) « البهائية والقاديانية » ، للدكتور أسعد السحمراني ، ص ٧٥ .

كتاب مايدّعي أنه يثبت انتهاء أجل ذلك الكتاب عند ظهوره هو .

وبوفاة بهاء الله تنازع أولاده الخلافة من بعده ، لكن الذي غلب عليها ابنه **الأكبر عباس أفندي الملقب بعبد البهاء** ، الذي أورثها من بعده **سبطه شوقي أفندي رباني** ، خلافا لوصية بهاء الله ، ثم مات شوقي أفندي عن غير وريث ، فانتقلت الرئاسة إلى **بيت العدل الأعظم** الذي وضع بهاء الله ذاته أُسُسَه .

- ٤ -

قوام البهائيــة

يتمحور الدين البهائي حول مسألتين رئيسيتين هما :

١ - توحيـد الأديـان .

٢ - إقامة الحكومة العالمية .

أما ماسوى هاتين المسألتين من دعاوى البهائية ، فلايعدو أن يكون وسيلة للتمويه والتضليل ، أو وسيلة لبلوغ الهدف .

فمن وسائلهم الأساسية التي اعتبروها جزءا من الدين :

١ - نزع السلاح وتحريم الجهاد .

٢ - توحيد اللغات .

٣ - الطاعة التامة للحكومات وتحريم المعارضة .

٤ - تحريم العمل السياسي .

٥ - قيود على الاقتصاد الوطني وحدود مفتوحة للتجارة الدولية .

٦ - محو القومية والوطنية .

والبهائيون يطرحون برنامجهم هذا باختصار شديد وبساطة متناهية ، فهم نادرا مايخوضون في تفسير برنامجهم أو في بيان أساليب تنفيذه ، خشية افتضاح الهدف . وحتى إن فعلوا فبطريقة ظاهرها السذاجة وباطنها شيء آخر ، وهم ربما يكتمون دينهم مكتفين بغرس هذه الأفكار مجردةً في روع الناس مرة بعد مرة ، حتى تبلغ حد البداهة عندهم ، فللبهائيين من أساليب الدعاية وفنون التسلل إلى عقول الناس مايدعو إلى الدهشة .

— ٥ —

حول توحيد الأديان

إن القرائن تشير إلى أن توحيد الأديان ، الذي يقصدونه ، لايعني في الحقيقة غير محو الأديان ، ولاسيا منها الاسلام والمسيحية ، من عالم الوجود ، لصالح المخططات الصهيونية .

فالبهائية بعد أن قدمت نفسها كدين جديد حل محل الأديان السابقة ، التي ترى أنها استنفذت أجلها وأغراضها ولم تعد صالحة للعصر الذي ظهر فيه الدين البهائي ، الذي سيدوم ألف سنة حسب زعمهم ، لم توضح المقصود من توحيد الأديان ، ولا الكيفية التي سيتم بها ذلك ، لكن المرء يستطيع أن يستخلص من سطورهم ومن بين سطورهم كل شيء . فعبارة « وحدة الأديان » التي يطرحونها لاتعني عندهم جمع الأديان على قاسم مشترك ، وإنما تعني إقامة دين جديد يحل محل الأديان السابقة ، هو الدين الذي أبدعه بهاء الله .

والبهائية ، برغم ماتتظاهر به من تعلق بالله وتمسك بشريعة السماء ، لاتعدو أن تكون نظيراً للعلمانية أو الإلحاد ، من حيث هي تعمل على اخراج الناس من أديانهم إلى دين مؤقت لن تلبث هي نفسها أن تكشف زيفه ، إذا ما استطاعت إخراج الناس فعلا من أديانهم ، لتتركهم بعدئذ في فراغ مسلوبي الإرادة والهدف .

فمن المعلوم أن المسلم الذي يعتنق ديناً آخر غير دينه لايبقى مسلما ، وإنما يعتبر مرتداً ، وكذلك المسيحي الذي يعتنق دينا آخر غير المسيحية ، فانه لايبقى مسيحيا . أما اليهودي الذي يعتنق أي دين آخر فانه يبقى يهوديا ، بالنظر للطبيعة الخاصة التي تميز الدين اليهودي .

« اليهودي يظل يهوديا ، حتى ولو اعتنق النصرانية ، تماما مثل الانكليزي الذي يعتنق الموسوية فهو يظل انكليزيا دائما . ان الصفات الخاصة التي يمتلكها اليهود لاعلاقة

لها بالشريعة الموسوية ، لأنها والشريعة من مشتقات القومية . ولهذا لامعدى من الاعتراف بأن اليهودي الملحد أو الحر التفكير ، هو يهودي بقدر أكبر حاخام يهودي »[١] .

« إن كلمة يهودية التي تعني الديانة الخاصة بهم ، مأخوذة من التعريف القومي . ولهذا ان كل يهودي ، حتى الملحد أو المرتد ، هو يهودي مثل غيره وقبل كل شيء آخر »[٢] .

« يظل اليهودي يهوديا ، حتى ولو اعتنق دينا آخر . أما المسيحي الذي يعتنق اليهودية ، فلن يصبح يهوديا حقا ، لأن المميزات اليهودية ليست في الدين وحده ، بل في العرق والدم أيضا . لكن المفكر الملحد الحر يبقى يهوديا أبدا »[٣] .

« إن الأمة كلها هي أعز علينا من كل التقسيمات المتصلبةالمتعلقة بالأمور الأرثوذكسية أو الليبرالية في الدين . عندما يتعلق الأمر بالأمة يجب أن تختفي الطائفية ... فلامؤمنون ولاكفارا ، بل الجميع أبناء ابراهيم واسحق ويعقوب ... لأننا كلنا مقدسون ، كل واحد منا ، سواء كنا غير مؤمنين أو أورثوذكسيين »[٤] .

وقد كتب كريميو ، وزير العدل في الحكومة الفرنسية ، سنة ١٨٤٨ ، وهو ماسوني من الدرجة (٣٣) وأحد زعماء الحركة العنصرية الصهيونية العالمية : « لقد اقترب اليوم الذي ستصبح فيه أورشليم بيت الصلاة ، فتنتشر منه راية الله ، راية اسرائيل الوحيدة وترتفع فوق أقصى الشواطيء ، ولايمكن أن يصير اليهودي صديقا للمسيحي أو للمسلم قبل أن يشرق نور الإيمان ، دين العقل الوحيد على الدنيا بأجمعها »[٥] .

---

(١) جريدة العالم اليهودي لـ ١٩٢٤/١٢/١٤ ـ المفسدون في الأرض لسليمان ناجي ، ص ٤٦٥ .

(٢) من أقوال الكاتب الصهيوني جس سمبتر ـ المفسدون في الأرض ، ص ٤٦٣ .

(٣) صحيفة دي حويش وورلد لـ ١٩٢٢/١٢/١٤ ـ « اليهود » ، لرهدي الفاتح ، ص ١٢٣ .

(٤) من أقوال موشيه ليليبلوم ، الايديولوجية الصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيري ، سلسلة عالم المعرفة ، الجزء الأول ، ص ٢٢٦

(٥) الماسونية والماسونيون في الوطن العربي ، حسين عمر حماده ، ص ٥٩ .

وتستمد الدعوة البهائية إلى توحيد الأديان أساسها من « التوراة » حيث جاء فيها :

« ... وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله ، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب . فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل . لاترفع أمة على أمة سيفا ولايتعلمون الحرب فيما بعد »[1] .

« تكون شريعة واحدة لمولود الأرض وللنزيل النازل »[2] .

فالبهائيون يستندون إلى هذه النصوص بالذات في الكثير من مصادرهم .

لكن البعض يحاول أن يجد سنداً لها في الفكر الإسلامي ، أو فيما يسمى بالفلسفة الإسلامية ، دون أن يقدم نصاً شرعياً واحداً ، من قرآن أو حديث نبوي ، يسعفه في دعواه ، كما سيتضح .

وقد اتضح سابقا (ص٣٤) مما قاله البهائي محمد توفيق غريب : « ان حضرة عبد البهاء مجدّ في تغيير ديانه آسيا يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود **ويجمعهم على أصول نواميس موسى** الذي يؤمنون به جميعا ... » .

ومما قاله غوردون ، رئيس جامعة ستانفورد (ص٣٤) ، أن الديانة البهائية « يمكن أن يقال عنها من بعض الوجوه انها **أقدم ديانة** » .

وكذلك مما قاله البهائي عبد الرحمن البرقوقي (ص٣٥) « أن العقائد البهائية **ليست جديدة في ذاتها ولاحديثة في تفاصيلها بل هي أقدم عهدا من شم الجبال** » .

كل ذلك يجعلنا نرى تقاربا بين الدعوة البهائية إلى توحيد الأديان ، وبين ماقررته « بروتوكولات حكماء صهيون » حيث قالت :

« حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا ،

---

(١) أشعياء ـ الاصحاح ٢/٤ .

(٢) الخروج ـ الاصحاح ١٢/٤٩ .

أي الدين المعترف بوحدانية الله الذي ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم .

« ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ، واذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين ، فلن يدخل هذا في موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلا للأجيال القادمة التي ستصغي الى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل الينا بعقيدته الصارمة واجب اخضاع كل الأمم تحت أقدامنا[١] .

« ولن نهاجم الكنائس القائمة الآن حتى تتم اعادة تعليم الشباب عن طريق عقائد مؤقتة جديدة ، ثم عن طريق عقيدتنا الخاصة »[٢] .

ونلاحظ صدى ذلك في خطاب ألقاه عبد البهاء عام ١٩١٩ يقول فيه :

« كان حضرة بهاء الله يقول دائما سيأتي زمان تسود فيه اللادينية وماينتج عنها من الفوضى ، وهذه الفوضى سببها اعطاء الحرية الزائدة لطوائف من الناس لاتملك استعدادا لها ، ويجب في عاقبة الأمر الرجوع إلى العنف واستعمال القوة لتسكين هياج الناس ووضع قانون للحد من الفوضى والاضطرابات . ومن الواضح أن كل أمة تتمنى الاستقلال والحرية لتفعل ماتشاء ، ولكن بعض الأمم لايملك استعدادا لها . هذا ، وإن العالم متجه نحو اللادينية ، وسوف تؤدي الى الهرج والمرج . ولقد قلت لكم مرارا أن المسائل الخاصة بشؤون الصلح بعد الحرب انما هي الآن في الواقع بياض الفجر وليست بشروق الشمس »[٣] .

وقد قال بعضهم : « لاتعني العقيدة اليهودية الكبرى أن يمضي اليهود في نهاية المطاف كقطعان الغنم ، مخذولين مدحورين أو مشتتين .. بل تعني أن العالم سوف يمتص التعاليم اليهودية ويهضمها . وفي إطار أخوة عالمية بين الشعوب كافة – بالأحرى أخوة يهودية كبرى – ستتلاشى جميع الأديان والأجناس من العالم »[٤] .

---

(١) البروتوكول ١٤ .
(٢) البروتوكول ١٧ .
(٣) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، أسلمت ص ٢٤٧ .
(٤) صحيفة ذي جويش وورلد ، عدد ٩ شباط ١٨٨٣ – شيكاغو . اليهود ، لزهدي الفاتح ، ص ١١٨ .

لقد فرضت البهائية على أتباعها التبشير بدينهم ، في كل مكان ، باستثناء فلسطين التي يعتبرونها وطنا لليهود ، فقد حرّمت على أولئك الأتباع التبشير بدينهم فيها .

ففي أحد مكاتيبه يقول عبد البهاء عباس :

« إن الجمال المبارك (يقصد بهاء الله) حرَّم الدعاية والتبليغ في هذه الديار ، والمقصود من ذلك أن الأحباء يقضون أيامهم في السكوت التام ، وإن سألهم أحد عن البهائية يجب عليهم أن يتجاهلوا كليا »[1] .

هذا على الرغم من أن بهاء الله وابنه عبد البهاء عباس استوطنا فلسطين ، وماتا ودفنا فيها ، وأصبحت لأتباعهم محجّا وقبلة .

وهنا نلاحظ أن شعار الماسونية الاسرائيلية ، بخلاف فروعها الأخرى ، يتضمن ، فضلا عن الفرجار والمثلث التقليديين ، نجمة داوود وصليبا وهلالا[2] . وفي ذلك دلالة على اتخاذهم وحدة الأديان شعارا لهم أيضا .

إن تاريخ البهائية ذاتها يثبت أن قضية توحيد الأديان لاتعدو أن تكون خرافة ، فكما سيتضح من خلال هذا الكتاب ، بلغت الصراعات بين البابيين ، ثم بين البابيين والبهائيين ، ثم بين البهائيين أنفسهم ، ولاسيا ذلك الصراع الذي نشأ بين بهاء الله وأخيه يحيى المازندراني ، وذلك الذي نشأ بين ورثة بهاء الله وخلفائه ، كل تلك الصراعات بلغت حداً من العنف والشراسة يجعل حديث البهائيين عن توحيد البشرية كلها على دين واحد لمدة ألف سنة من تاريخ ظهور بهاء الله مجرد خيال مريض .

فمن المستحيل تصور إجماع البشرية كلها على دين واحد ، لأن ذلك ينافي الطبيعة الانسانية والسنن الكونية ، فثمة أسباب للاختلاف بين البشر أكثر من أن تحصى ، ولقد أثبت التاريخ الانساني هذه الحقيقة .

فإذا كانت البهائية تتذرع بالحروب التي قامت بين الأديان ، لتشن حرباً شاملةً عليها جميعا ، فربما كانت لتلك الحروب أسباب أخرى غير الأديان ذاتها .

---

(١) « مكاتيب عبد البهاء » ، ص ٣٢٧ ، جزء ٢ ، ط فارسي – البابية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٠ .

(٢) « الماسونية والماسونيون في الوطن العربي » ، حسين عمر حماده ، ص ٧٦ .

فالتعايش بين الأديان أمرٌ ممكنٌ جدا ، بل وأمرٌ مرغوبٌ فيه ، وربما كان تفادي الحروب بين الأديان أيسر ألف مرةٍ من توحيد هذه الأديان ، فتوحيدها لايمكن تصوره بغير القسر ، أو بغير الحرب بالأصح لأنه مناقض للطبيعة .

وبالفعل ، فاننا سنلاحظ أن دعاة وحدة الأديان يُنذِرون البشرية بالفناء ويلوِّحون لها بجميع أنواع الأسلحة الفتاكة ، بدءاً بالسلاح النووي وانتهاءً بسلاح التجويع ، مروراً بالأسلحة الكيميائية والبيولوجية ، إن هي لم تتحد على دينهم .

فماذا لو تعددت الأديان ؟ . وهل يمكن تصور سكب عقول البشر جميعا في قالب واحد ؟ .

لقد أقرَّ الإسلام وجود أديان أخرى إلى جانبه ، وذهب إلى ماهو أبعد من ذلك ، فقال القرآن الكريم :

﴿ ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهُدِّمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكرُ فيها اسمُ اللهِ كثيرا ﴾ [الحج ٤٠] .

إن أقصى مايمكن أن تتوق البشرية إليه ، في هذا النطاق ، هو حرية الفكر والعقيدة ، فذلك هو التعبير الحي عن احترام الكرامة الانسانية ، واحترام العقل ، وهما أول شروط التقدم والرقي .

وهنا نرى القرآن الكريم يبلغ غاية المدى في الحرية حيث يقول :

﴿ لا إكراهَ في الدينِ قد تبيَّنَ الرُّشدُ من الغَيِّ فمَن يكفر بالطاغوتِ ويؤمن باللهِ فقد استمسك بالعُروةِ الوُثقى لا انفصام لها واللهُ سميعٌ عليم ﴾ [البقرة ٢٥٦] .

﴿ وقل الحقُّ مِنْ ربِّكم فمن شاء فليؤمِنْ ومن شاء فليكفُر ﴾ [الكهف ٢٩] .

﴿ ولو شاء ربُّك لآمن من في الأرضِ كُلُّهم جميعا . أفأنتَ تُكرِهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [يونس ٩٩] .

﴿ ولو شاء ربُّك لجعل الناسَ أُمّةً واحدةً ولايزالونَ مختلفين ﴾ [هود ١١٨] .

﴿ وقُل لِلّذينَ أُوتُوا الكِتابَ والأُميين : ءَأسلَمتُم ؟ فإن أسلموا فقدِ اهتدَوا . وإن

تَوَلَّوا فإنما عليكَ البلاغ ﴾ [آل عمران ٢٠] .

﴿ أدْعُ إلى سبيل ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ﴾ [النحل ١٢٥] .

﴿ ولاتُجادِلوا أهل الكِتابِ إلاّ بالتي هي أحسنُ إلاّ الذينَ ظلموا مِنهُم وقولو آمنّا بالذي أُنزِلَ إلينا وأُنزِل إليكُم وإلهُنا وإلهُكم واحدٌ ونحنُ لهُ مسلمون ﴾ [العنكبوت ٤٦] .

فهل بعد ذلك من ضرورةٍ إلى إلغاء الأديان أو توحيدها ، اللهم إلاّ إذا كانت الغاية هي القضاء على تلك الحرية وتطويق شعوب الأرض بأغلال العبودية .

على أننا نلاحظ هذه النتيجة بجلاء فيا قاله « بهاء الله » مؤسس البهائية ، في كتابه « الأقدس » : « انا نرى بعض الناس أرادوا الحرية ويفتخرون بها أولئك في جهل مبين . ان الحرية تنتهي عواقبها الى الفتنة التي لا تخمد نارها كذلك يخبركم المحصي العليم . فاعلموا أن مطالع الحرية ومظاهرها هي الحيوان ، والإنسان ينبغي أن يكون تحت سنن تحفظه عن جهل نفسه وضّر الماكرين . ان الحرية تخرج الانسان عن شؤون الأدب والوقار وتجعله من الأرذلين . فانظروا الخلق كالأغنام لا بد لها من راع ليحفظها . ان هذا لحق اليقين . انا نصدقها في بعض المقامات دون الآخر انا كنا عالمين . قل الحرية في اتباع أوامري لو أنتم من العارفين . لو اتبع الناس مانزلناه لهم من سماء الوحي ليجدن أنفسهم في حرية بحتة[1] .

ولقد راجت دعوات مشبوهة تستهدف تعزيز الدعوة إلى وحدة الأديان ، مستعينة بنصوص من القرآن الكريم ، يفسرونها بحسب أهوائهم ، فمنهم من ذهب إلى التمييز بين وحدة الدين وتعدد الشرائع ليخلص إلى القول بأن تعدد الشرائع لاينال من وحدة الأديان ، وأن الشرائع مسألة ثانوية .

ففي مقال كتبه محمد كامل شربجي في « المجلة العربية » الصادرة في المملكة العربية السعودية[2] يقول :

---

(١) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ص ١٤٩ ـ « الحياة البهائية » ص ٥٠ .

(٢) عدد شعبان ١٤٠٠ هجري .

• وبعد أن برزت على السطح (فكرة الوحدة للدين والتعدد للشرائع) من خلال هذا الاستعراض المشفوع بالنقاش والبراهين . كان للقارىء الكريم المصغي والمتتبع له أن يتســاءل : لماذا نسمع صيحات من هنا وهناك في عصرنا اليوم لأناس من أهل الكتب السماوية يؤمنون بتعدد الأديان السماوية ، ويرسخون ذلك في أذهان الأجيال مابال بعضهــم من الهيئات الدينية والرسمية تدعو الى مايسمى (بمؤتمر الأديان) أو تحدث ما يسمى (بوزارة الأديان) .

• ولو رجع المتسائل الى القرآن الكريم لوجد الجواب وعثر على السبب :

• قال تعالى : « وما اختلف الذين أوتو الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم » ، قال علماء التفسير ان هذه الآية كانت بمثابة جواب عن سؤال نشأ من قوله تعالى في الآية السابقة « إن الدين عند الله الاسلام » ، فكأنه قيل : حيث كان الدين واحدا من آدم الى الآن ، فلماذا اختلف أهل الكتاب ؟ ، فزعموا أن لكل رسول دينا ، وأن الله أنزل أديانا ، فجاء الرد .. ﴿ إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ ، أي لاعذر ولاشبهة لهم في ذلك الاختلاف ولا حقَّ لهم في الدعوة الى تعدد الأديان ، لأن الله بيّن لهم الحق من الباطل وانما سبب اختلافهم هو محض عناد وتكبر ، قال تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفُسهم ظُلما وعُلُوًا ﴾[1] .

• وفي آيـة أخرى وصف الله هذا الاختــلاف بـالتفرق والانقســام ، وهما من الأسبــاب التي توقد نار الحقد والكراهيـة والبغضــاء ، وهذه هي عين (الدعوة الى الطائفية) انها دعوة للانقسام وللبغضاء والشقاق ...

• وبهذا تبدو حكمة الله واضحة في (وحدة الدين) وأن ليس للأنبياء أو الرسل والبشرية قاطبة الا (دين واحد) ثابت الأصول موحد الأركان ... تبدو الحكمة هي القضاء على الضغائن والبغضاء بين حملة الرسالات السماوية ، وأن لايذكر الأتباع أحدا من الذين حملوا رسالات الله إلى أهل الأرض إلاّ بالتعظيم والإجلال ، فإذا ذَكَرَ أحد من الأتباع أي رسول قال مثلا : سيدنا ابراهيم – سيدنا موسى – عيسى عليه السلام – محمد عليه السلام ، يقولون ذلك عن عقيدة وايمان ، لأن الكتب السماوية ، وآخرها

(١) النمل ١٤ .

القرآن الكريم كانت تعلمهم وتربيهم على ذلك ، ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ لانفرق بين أحد من رسله ﴾ لأن الجميع يحملون راية الدين الواحد ، وما أجد بعد هذا مستساغا لعذر من الأعذار يقرر طرح مثل هذه الكلمات (أديان سماوية — مؤتمر الأديان — وزارة الأديان) ، وحتى لو ورد مثل هذا على ألسنة بعض الكتّاب والعلماء المسلمين في كتبهم أو مقالاتهم ، والعذر القائل بأن مثل هذا إن ورد فهو من قبيل المجاز أو التسامح في الدلالات والتوسع بها ، أو بعذر أنه مما اشتهر على ألسنة الناس ، أو ماتعارف عليه ، فكل هذه المبررات لاتقف أمام الفساد لمدلوله العلمي ، ويعد مثل هذا التعبير عن جوهر القرآن الكريم وأسراره الحكيمة ، علاوة عن آثاره العملية السيئة على وحدة الأمة وكيانها الانساني بسبب أن مثل هذه الكلمات والدعوات استمرار لدعوة طائفية يظن الجاهل أن مبعثها ومردها (الدين والكتب السماوية) ، بل ان مثل هذا تحريف في الدين مرفوض موضوعا وشكلا ونصا .

ثم يتابع الكاتب ، فيقول :

« وفي نهاية المطاف لابد من وقفة هامة وعظيمة نجد فيها الرد على السؤال الكبير ، هل لهذا الدين الواحد (دين البشرية قاطبة ودين عامة الأنبياء والرسل) علم ولقب يحتويه في مضمونه ومعناه ويرفرف عليه غير منفك عنه هل ؟ .. نعم .. نعم هو (الاسلام — دين الاسلام) واليك (آيات الله) تحكي (ماورد على ألسنة رسل الله جميعا من دعوة الى الاسلام وايمان به وتصفهم وأتباعهم بأنهم المسلمون) ...

« بل هو الدين المرتضى والمقبول عند الله لرسله وعباده جميعا بنص قاطع لايحتمل الشك ، وغير قابل للتأويل ، قوله تعالى : ﴿ ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ ، فهل بعد هذا لمؤمن من أهل الكتاب أن يكفر بوحدة الدين ويزعم بتعدادها ؟ ، وهل لمؤمن من أهل الكتب أن ينسب الى الله دينا غير الاسلام بعد أن سمع قوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ ؟ .

« ثم ألم يأنِ للذين يتزعمون (فكرة تعدد الأديان) فيزرعون بذور الطائفية أن يؤوبوا الى ضميرهم ويتوبوا الى الله .

« رفقا بوحدة الأمة ورحمة بالانسانية جمعاء » .

وبعد ؛ فإما أنها المؤامرة وإما أنها البلاهة البلهاء ، أو هما معا .

لكن من المستبعد أن تستطيع البلاهة وحدها ارتقاء مثل هذا المنبر الاعلامي .

هكذا بمثل هذا الاسلوب الزئبقي الغائم يريد كاتب المقال أن يوحي إلينا بما يخشى الإفصـــاح عنـه ، لكن مع هذا كان من الواضح جداً أنه إنما يروِّج لدعوة توحيد الأديان .

وقد سار على النهج ذاته آخرون ، أشيرَ في هذا الكتاب الى بعضهم . وتجاوز نفرٌ منهـم هذا الحد ، فأضـاف إليـه قضية أخرى ، بالأسلوب ذاته ، هي قضية إقامة الحكومة العالمية ، التي سيأتي الحديث عنها ، مثل عبد القادر أحمد عطا ، في كتابه « الدولة العالمية في القرآن » ، الذي طرح فيه أيضا قضية وحدة الدين . فهو يقول :

« ... فابراهيم الخليل الذي يمكن اعتبار رسالته بدءا للتنظيم السياسي في صورته الأولية كان مسلما بكل ماتحمله هذه الكلمة من اعتبارات ، فقد دعا الى التوحيد ونبذ الوثنية تماما كما فعل نبي الاسلام ، ولذلك سماه الله في القرآن مسلما : ﴿ ماكان إبراهيمُ يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً مسـلماً ﴾ (آل عمران : ٦٧) . « فالرسالة الابراهيمية حددت معالم العقيدة الاسلامية الحنيفية ، ومع ذلك فقد اقترنت بوعد من الله لابراهيم بقيام مملكة أرضية يقيم عليها نظامه وينفذ فيها مبادئه التي أوحى الله بها اليه ...

« (قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها) .

« وعلى هذا فالأسماء التي اخترعهـا الناس بعد ابراهيم ، وأطلقوها على الدعوات السماوية ، ماهي الا تفريق في الدين ، وابتداع يخدم المصـالح البشرية في الأرض ، وخلاف صريح لما جاء في الكتب السماوية كلها .

« فليس في التوراة مايشير الى أن الشريعة الموسوية قد سماها الله بالشريعة اليهودية ، أو الدين اليهودي ، وليس في الأناجيل مايشير الى أن شريعة المسيح قد سماها الله بالدين المسيحي أو الشريعة المسيحية . ومادام ابراهيم « حنيفا مسـلما » فلايجوز أن تسمى شريعة لاحقة لشريعة ابراهيم باسم غير « الاسلام الحنيف » ، كما جاء ذلك صراحة في

قوله تعالى : ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ...

« ... واذ ثبت حق القيام على شريعة ابراهيم لمحمد عليهما الصلاة والسلام ، وأنه أولى الناس به مع من تبع ابراهيم ولم ينحرف عن نهجه ، فانه من الثابت تبعا لذلك امتداد شريعة واحدة بدأها ابراهيم وختمها محمد ، ومن الطبيعي إذ ذاك ألاّ يكون فناء كامل لمنحرف قبل تمام الدورة الابراهيمية كلها ، ولن يكون تمام الدورة الابراهيمية إلاّ بقيام الدولة العالمية المحمدية الموعودة في القرآن .

« ... كانت تجربة ابراهيم الناجحة ضد ملك « عيلام » وملك « شنعار » وملك « الأسار » وملك « جويم » والتي سجلها سفر التكوين في الإصحاح الرابع عشر رمزا ناطقا بانتصار قوى الروح على قوى الشيطان ، وبأن ملكوت الله هو الهدف من جميع الرسالات التي نادى بها جميع الأنبياء : « صوت صارخ في البرية ، أعدوا طريق الرب ، قوموا سبيله » (أشعيا ٤ : ٣) .

« لكي يؤسس الله سلطاناً أبدياً لايزول ، وملكاً لاينقرض » . (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤) .

« وتوضح النبوءات الهدف الأسمى من سلطان الله هذا ، فتقول :

« يسكن الحق في البرية ، والعدل في البستان يقيم ، ويكون صنع العدل سلاما ، وعمل العدل سكونا وطمأنينة الى الأبد ، ويصير السراب أجما ، والمتعطشة ينابيع ماء » (أشعيا ، ٣٢ : ١٦ و ١٧ ، ٣٥ : ٧) .

« الحرب لتحقيق السلام روح الدعوة الابراهيمية .

« وهي روح النبوءات التي تنبأ بها دانيال وأشعياء وغيرهم من أنبياء بني اسرائيل .

« وهي التي بشر باقترابها السيد المسيح بعد أن اكتملت الخطة واقترب أوان تحقيقها في صورة عالمية : « جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة الانجيل ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالانجيل » — انجيل مرقص ص ١٤ : ١٠ — وهي التي صدر بها الأمر صريحا واضحا الى خاتم الأنبياء محمد (ص) في قوله

تعالى : ﴿ أتى أمر الله فلاتستعجلوه ﴾ [النحل ١] .

« ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ [الأنفال ٣٩] .

على أن هؤلاء الذين يتحدثون عن وحدة الدين تحت عنوان الاسلام ، ويقيمون دعواهم على خليط من التوراة والانجيل والقرآن (وتلك عادة البهائيين) لم يفصحوا عن موقفهم من مؤسسة أهل الذمة ، وعن موقفهم من اليهود والمسيحيين الذين لايرغبون في اعتبـارهم مســلمين ، هل يمكن اعتبارهم مسـلمين فعلا بالرغم منهم ، أم يمكن اعتبارهم أصحاب دين آخر مستقل عن الاسلام ، أم أنهم ليسوا بأصحاب دين . ولم يفصحوا أيضا عن موقفهم من الآيات القرآنية الكريمة التي تقر الإختلاف بين البشر ، من مثل :

﴿ ولو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكم أمةً واحدةً ﴾ [المائدة ٤٨] .

﴿ ولو شاءَ ربُّكَ لَجَعَلَ الناسَ أُمَّةً واحدةً ولايَزالون مختلفين ﴾ [هود ١١٨] .

﴿ ولَو شاء ربُّك لآمَنَ مَن في الأرضِ كُلُّهم جميعاً أفأنت تُكْرِهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [يونس ٩٩] .

﴿ ولو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أمةً واحدةً ﴾ [النحل ٩٣] .

﴿ ولو شاء اللهُ لَجَعَلَهُم أمةً واحدةً ﴾ [الشورى ٨] .

وإذا أمكن اعتبـار اليهود والمسيحيين والمسـلمين جميعا مسـلمين ، أو على دين واحد ، فماذا عن الزردشتية والبوذية والكونفوشيوسية والهندوسية ، أما تعتبر هذه أديانا مستقلة ، أم يريدون اعتبارها جزءا من الدين الإسلامي ؟ ، إرضاء للمسلمين .

وما القول في السورة الكريمة : ﴿ قُل يا أيها الكافرون . لا أعبدُ ماتعبُدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابدٌ ما عَبَدْتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكُم دينكم ولِيَ دين ﴾ [الكافرون] .

إن الآية الكريمة القائلة « إن الدين عند الله الإسلام » كلمة حق أرادوا بها باطلا . فهي لاتعني أبدا أن جميع الأديان هي عند الله الإسلام ، ولايمكن اتخاذها سندا لدعوة توحيد الأديان بأي وجه من الوجوه .

أخيرا تجدر الإشـارة إلى نوع آخر من دعاة الحكومة العـالميـة ووحدة الأديان يكشف الغطاء عن جميع هؤلاء الدعاة .

ففي كتاب أصدرته في بيروت عام ١٩٨٠ جهة صهيونية ما هاربة لتوّها من متحف التاريخ ، مختفية وراء اسم اسلامي مستعار هو (مصطفى جحا) ، يحمل الكتاب العنوان « محنة العقل في الإسلام » ويقع في حوالي ستمئة صفحة ملؤها الحقد الأسود ، لم يجد كاتبه في الإسلام غير محنة للعقل .. وتكشف بعض عباراته أي دين وأي عقل يحمله صاحبه . فهو يقول :

« أما أن نُسَلِّم بأن محمداً هو خاتم الأنبياء فخرافة آن لنا أن نستغني عنها ، إذ أن النبي ، كما يراه فردريك نيتشه ، هو « كل من يعمل من أجل إقامة مجتمع صحيح مرتكز على نظرة فلسفية في الكون والوجود والإنسان » ...

« ما المطلوب والقرآن ذو الوجوه الكثيرة يجب وضعه في (المتحف) مع المعلقات الجاهلية والشعر الذي لايتعدى النظم والقافية .

« أتوفيقية .. أم ثورة ؟ .

« الذي أرجوه من كل مجتهد و عالم ومهتم أن يتنبه إلى خطورة مانحن فيه . فكما انبثق الإسلام عن النزاعات المسيحية المسيحية ،التي غذّاها الملوك والقياصرة ، كذلك سينبثق عن النزاعات الإسلامية – الإسلامية ، والإسلامية – المسيحية ، إذا استمرت ، وهذه أيضا تغذيها المطامع الدولية ، دين جديد قد لايتساهل ، أبدا ، لا مع المسلمين ولا مع المسيحيين .

« هذا الدين ... متى جاء ، سيؤكد ، طبعا ، أن محمدا ليس (آخر الأنبياء) ، وأن الإسلام ليس نظام الأولين والآخرين ...

« أليس بقاؤنا في سلام من دون الله ومحمد أفضل من الحرب في سبيل الله ومحمد ؟ »[1] .

وفي نهاية الكتاب مقال تحت عنوان « مكة فتحت مرتين » لكاتب اسمه « أبو موسى الحريري » ، يقول مؤلف الكتاب ذاته بأن اسم صاحب المقال هذا مستعار ،

---

(١) « محنة العقل في الإسلام » ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ ، والكتاب لايشير إلى دار النشر أو المطبعة التي أصدرته ، ص ٤٧ و٣٠٣ و٣٠٧ .

ويصفه بأنه كاتب لبناني معاصر لم يشأ أن يكشف اسمه . وفي المقال تقريظ للكتاب ودعوة إلى فتح مكة مرة ثانية [١] .

مثل هذا الكلام بالطبع ليس في حاجة إلى البحث والمناقشة ، وربما كان من غير المناسب حتى مجرد الإشارة إليه .

لكنه ، كأنموذج بات متكررا ، يعطي صورة عن جانب من جوانب الحرب التي تُشَنُّ على الإسلام خاصة ، كما يعطي صورة عن نوع دعاة الحكومة العالمية ووحدة الأديان وعن غاية دعوتهم ، كان لابد من لفت النظر إليه .

فهل بمثل هراء مصطفى جحا ومن وراءه يمكن إقناع شعوب الأرض بوحدة الأديان والحكومة العالمية ؟ ..

لقد بلغ بهم الغرور حد الجنون ، وهم بعد لايملكون الجرأة على الإفصاح عن هوياتهم وغاياتهم .. إنه الغرور القاتل بعينه .

وحين يقف مسلم مدافعا عن وجوده ودينه في وجه هذا الجنون وهذه السموم السوداء ، يسمونه متطرفا .

فيقول بيان بيت العدل الأعظم – تشرين أول ١٩٨٥ ، ص ٧ :

« إنّ عودة ظهور الحمية الدينية المتطرفة في العديد من الأقطار لاتعدو أن تكون تشنجات الرمق الأخير . فالماهية الحقيقية لظاهرة العنف والتمزق المتصلة بهذه الحمية الدينية تشهد على الافلاس الروحي الذي تمثله هذه الظاهرة » .

كأنه يقول أن الذين لايتورعون عن الإعلان عن عزمهم على شن حرب نووية شاملة لتوحيد الأديان وإقامة الحكومة العالمية ، فأولئك يحيون في غمرة من الفيض الروحاني تضفي عليهم سكينة الولادة الجديدة في العصر الألفي السعيد ؟ ! .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٩ ، الهامش ١ ، و٥٢٨ .

لقد انتهت البشرية بعد آلاف السنين من النضال المرير إلى أن نظام التعددية السياسية ضمان للحرية ولحقوق الإنسان عامة .

وإذا بالبهائية تدعو إلى مايعني سكب عقول البشر في قالب واحد ، أفلا يعني ذلك عودة إلى العصور الأولى ؟ .

وهل من عقل في الدنيا يتصور أن البشرية كلها يمكن أن تنكص على عقبيها إلى ماقبل آلاف السنين ؟ .

* * *

إن مشروع توحيد الأديان يقتضي ، كما يشرحه البهائيون ، إخلاء العقول والأذهان من أية أفكار مسبقة أو عقائد موروثة .

وإذ من المتفق عليه ، كما يقول أرنولد توينبي ، أن الطبيعة تكره الفراغ ، وأن هذه المقولة تصحُّ في الأمور المادية كما تصح في الأمور الروحية .

فإن مشروع توحيد الأديان يعمل على ملء الفراغ الذي يحدثه مؤقتا ، بعقائد مصطنعة ، إلى حين حلول مايسمونه بعصر العصور ، حين يعلنون دينهم النهائي .

فالشيوعية ، مثلا ، كان من ضمن أهدافها أن تحل محل الأديان مؤقتا . ومن هنا كانت مقولة لينين « الدين أفيون الشعوب » التي كانت ترمي إلى تحييد الدين وإبعاده عن ساحة الحياة ، ونزع سلاحه من يد الشعوب .

وحين أيقن الكثيرون أن الشيوعية ذاتها كانت أشد خطرا من الأفيون ، كان ضحاياها قد زادوا على كل ضحايا الأفيون عبر التاريخ .

أما بعد أن استُهلكت الشيوعية فالذي يبدو أن المشروع يتجه صوب شعارات جديدة أكثر بريقا وأبعد عن الشبهة ، من مثل الديمقراطية ، وحقوق الانسان ، وحماية البيئة ، ومحاربة المخدرات .

وقد تكون هذه الشعارات مغرية حقا لو أن الذين أبدعوها كانوا على درجة من الصدق والنزاهة أكثر من شخوص جورج أورويل .

فأن ترفع الولايات المتحدة هذه الشعارات ، فتلك طرفة القرن العشرين . إذ لم

يعد يخفى دور الولايات المتحدة غير المعلن في محاربة الديمقراطية وحقوق الانسان ، خارج حدودها طبعا ، وربما داخل حدودها أيضا ، ودورها في تلوث البيئة ، ودور المخابرات الأمريكية في تجارة المخدرات . هذا إلى جانب دور الولايات المتحدة المعلن في الترويج لتدخين التبغ خارج الولايات المتحدة .

لقد سمعنا ونحن نهيء هذا الكتاب للطباعة شكوى من الجيش البرازيلي أعرب فيها عن قلقه إزاء الوجود المتزايد للعسكريين الأميركيين في خمس دول أمازونية تملك حدودا مع البرازيل واتهم واشنطن باستخدام محاربة مهربي المخدرات ذريعة لإقامة قواعد عسكرية أميركية في هذه الدول[1] .

ولعلهم اختاروا هذه القضايا ذات الطابع العالمي ، لتكون وسيلة أجدى لاستقطاب دول العالم .

وفي أواخر آب من عام ١٩٩٣ عقد في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ماسمي بـ « **برلمان ١٩٩٣ لأديان العالم** » حضره آلاف من ممثلي الديانات العالمية بنداء « من أجل تحقيق السلام العالمي من خلال الوحدة والاحترام المتبادل والتفاهم » . وكان المؤتمر يهدف إلى البحث في تعاون عالمي بين المجتمعات والمؤسسات الدينية المختلفة ، وكذلك النزاعات الدينية ومواضيع مثل العنف والايدز والبيئة .

وهذا البرلمان هو تجمع يعقد كل قرن ، وكان أول برلمان من هذا النوع قد عقد في شيكاغو العام ١٨٩٣ م[2] .

وقد ضم برلمان عام ١٩٩٣ مندوبين عن ١٢٥ جماعة ومنظمة دينية تمثل الهندوس والمسلمين والسيخ والبهائيين والبوذيين والكونفوشيوس والهنود الحمر والكاثوليك واليهود والأنغليكان والتاويين والزرادشت وغيرهم من ممثلي الديانات .

وقد ناشد رئيس اللجنة الأفريقية ــ الأمريكية ، التي تستضيف الاجتماع ، ليون فيني الإبن الزعماء الدينيين أن « ينحّوا جانبا كل العوامل التي تفرق بيننا ويتمسكوا بتلك المشاعر والأفكار التي من شأنها أو توحد بيننا » .

(١) جريدة تشرين ، العدد ٥٧١٣ تاريخ ١٩٩٣/٨/١٥ .

(٢) توفي بهاء الله في عام ١٨٩٢ م .

وكان من المقرر أن يسفر المؤتمر عن إقامة مجلس دائم لأديان العالم يوازي الأمم المتحدة[1] .

ومما يذكر أن شيكاغو تحوي أحد أكبر وأقدم المعابد البهائية في العالم ، ويسمى بـ « **مشرق الأذكار** » ، الذي وضع أساسه عبد البهاء عباس ابن بهاء الله في أول مايو ١٩١٢ . ويقول البهائيون أن هذا المعبد يجمع بين أشكال المعابد والهياكل على اختلاف الأديان التي تنسب إليها . وللمعبد تسعة أبواب وهي رمز الأديان التسعة الرئيسية في نظر البهائيين ، وهي : الفتشية (الصابئة) والبرهمية والبوذية واليهودية والزردشتية والمسيحية والاسلامية والبابية والبهائية[2] .

ومشرق الأذكار القائم في شيكاغو هو الثاني بين مشارق الأذكار في العالم من حيث تاريخ بنائه . أما مشرق الأذكار الأول فهو الذي بني في عشق آباد الروسية على حدود ايران وهدم في أواسط القرن العشرين إثر زلزال أصابه . وبذلك بقي مشرق الأذكار القائم في شيكاغو الأقدم بين المشارق القائمة حاليا .

(١) جريدة السفير اللبنانية ، العدد ٦٥٦٧ ، تاريخ ١٩٩٣/٨/٣٠ .

(٢) عبد البهاء والبهائية ، سليم قبعين ، ص ١٢٤ .

- ٦ -

حول الحكومة العالمية

وأما توحيد العالم ، أو اقامة الحكومة العالمية ، فلايعني عندهم في الحقيقة غير اقامة الحكومة العالمية الصهيونية ، أو حكومة المسيح المنتظر المعروفة عند اليهود والمذاهب المسيحية الانجيلية .

فتأكيد البهائيين على وعود التوراة لبني اسرائيل وتبشيرهم بقيام دولة اسرائيل يثبت أن قضيتهم لاتخرج عن دائرة التوراة والتلمود .

فمثلا يقول شوقي أفندي في توقيعاته :

« لقد تحقق الوعد الإلهي لأبناء الخليل ووارثي الكليم ، واستقرت الدولة الاسرائيلية في الأراضي المقدسة ، وأصبحت العلاقة وطيدة بينها وبين المركز العالمي للجامعة البهائية واعترفت بهذه العقيدة الالهية »[1] .

تقول بروتوكولات حكماء صهيون : « بكل هذه الوسائل سنضغط المسيحيين حتى يضطروا الى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دوليا . وعندما نصل الى هذا المقام سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم في جميع أنحاء العالم وأن نشكل حكومة عالمية عليا .

« وسنضع موضع الحكومات القائمة ماردا يسمى ادارة الحكومة العليا وستمتد أيديه كالمخالب الطويلة المدى ، وتحت إمرته سيكون له نظام يستحيل معه أن يفشل في إخضاع كل الأقطار » (البروتوكول الخامس) .

وقد صرح الصهيوني باروخ ليفي بتاريخ ١٩٢٨/٦/١ قائلا : « إذا اعتبرنا الشعب اليهودي وحدة لاتتجزأ ، فسيكون هو نفسه المسيح المنتظر وسيطرته على العالم ستتحقق باندماج الأديان والأجناس ، والغاء الحدود بين الدول والممالك ،

(١) « قراءة في وثائق البهائية » ، د. عائشة عبد الرحمن ، ص ١٤٧ .

ومن ثم انشاء جمهورية عالمية تمنح اليهود الحقوق المدنية في سائر أنحاءالأرض .

« وفي هذا التنظيم الجديد للبشرية ، سينتشر بنو اسرائيل في كل أرجاء الدنيا ، وسيصبحون ، في كل مكان ، العنصر القائد ، بدون منازع، لاسيا اذا تمكنوا من فرض سيطرة حازمة على الطبقات العمالية .

« حكومات الشعوب التي ستتألف منها الجمهورية العالمية ستنتقل دون أي عناء الى قبضة اليهود ، بمساعدة البروليتاريا المنتصرة . وسيحظر الحكام اليهود الأملاك الفردية الخاصة ، بعدما يسيطرون في كل مكان على جميع الموارد المالية العامة .

« بهذا يكون قد تحقق وعد التلمود الذي يقول أنه حينما تحين ساعة ظهور مسيح اليهود المنتظر ، سيملكون مفاتيح ثروات العالم[1] .

يقول الحاخام جوهاشيم برنز في معرض شرح وثائق أحد المخططات السرية اليهودية :

« وهؤلاء الأغبياء يظنون أن الدعوة لإقامة الدولة العالمية والسعي لبسط نفوذ مؤسسة الأمم المتحدة سيقودانهم الى انشاء دولة أممية ، وان الدعوة للسلام هي الوسيلة الوحيدة لإنشائها ، مع أن الدولة العالمية التي ينشدونها لن تكون سوى دولتنا ، والدعوة للسلام هي السلاح الخطير الذي سيخضعهم في النهاية لسيادتنا ، سيادة بني اسرائيل ، لأنهم لايعلمون أن هذه الدعوة هي المخدر الذي نستعمله لتنويمهم ، لكي نتمكن من إكمال استعداداتنا التي ستقضي على وجودهم ، وسيرون أي سلام سعوا الى تحقيقه وإدامته ، وذلك عندما سيدفعون ثمن غفلتهم هذه غاليا »[2] .

وحتى الشيخ الأزهري الزائف عبد القادر أحمد عطا يقيم بناء كتابه ، الذي يحمل العنوان « الدولة العالمية في القرآن » على وعود التوراة والتلمود ، فهو يقول : « هناك وعد مباشر من الله لإبراهيم عليه السلام عندما اعتزل لوط ، كان نصه « قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها » ثم حدث بعد ذلك حينما باركه « ملكي

---

(١) « اليهود » ، زهدي الفاتح ، ص ١٠١ .

(٢) « مكايد يهودية » ، عبد الرحمن حبنكه ، ص ٣٩٤ .

صادق » أن « قطع الرب معه ميثاقا قائلا : لنسلك أعطيت هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (ص ٥٣) .

ومع هذا كله فإن الحديث عن توحيد العالم ، أو اقامة الحكومة العالمية ، بمثل البساطة التي يبديها البهائيون ، وهم الذين لم يستطيعوا توحيد صفوفهم ، إنما يدل على درجة عالية من الخبث والمكر .

فما من أحد يستطيع أن يتصور توحيد العالم بمثل هذه البساطة .

لكن آخرين ، ممن ساروا في الخطة ذاتها ، أقروا بأن الحرب النووية وحدها هي القادرة على توحيد العالم وإخضاع الأمم والشعوب .

وفي ١٩٥٠/٢/١٧ صرح جيمس بول واربورغ أمام مجلس الشيوخ الأمريكي قائلا « **سوف تسيطر علينا حكومة عالمية ، شئنا أم أبينا ، هذا أمر محتوم ، انما المهم هو هل ستقوم هذه الحكومة بالحرب أم برضانا** »[1].

إن العديد من دعاة الحكومة العالمية يرشحون الولايات المتحدة الأمريكية للقيام بدور الحكومة العالمية ، ومنهم أرنولد توينبي[2] .

وفي كتابه « أمريكا والفرصة التاريخية » يرشح الرئيس الأمريكي الأسبق نكسون الولايات المتحدة الأمريكية لكي تلعب دور زعيمة العالم ، وهو تعبير قد لايختلف عن عبارة « الحكومة العالمية » ويؤكد ذلك بأن « **العالم يحتاج إلى قيادة أميركا عسكريا وسياسيا واقتصاديا . وأكثر من أي شيء آخر يحتاج العالم إلى قيادتنا في مجال الفكر** » . وتلك كل عناصر الحكومة العالمية .

لكن نكسون يستدرك قائلا : « إن أغنى دولة في العالم لايمكن أن تقبل أن يكون استهلاكها للمخدرات مساويا تقريبا لاستهلاك دول العالم مجتمعة بالرغم من أن عدد سكانها لايتجاوز جزءا من عشرين من سكان العالم .. إن أغنى دول العالم لايمكن أن تقبل أن يكون لها أعلى معدل لارتكاب الجريمة في العالم وان يموت في أميركا قتلا أثناء

---

(١) « اليهود » ، لزهدي الفاتح ، ص ١٤٨ .

(٢) « مختصر دراسة للتاريخ » ، ج ٤ ، ص ١٩٥ — ٢٠٠ .

فترة حرب الخليج عشرون ضعف الأميركيين الذين قضوا في الحرب »[1] .

فكيف بمثل هذه المؤهلات يريد نكسون أن يقود العالم ؟ .

يقول هانس شميدت ، وهو كاتب أمريكي من أصل ألماني : « تتمتع الولايات المتحدة بسلطة مطلقة على الأمريكتين منذ زمن طويل . إن الحالة الكئيبة لهذه القارة الغنية ، والفقر المدقع لمعظم سكان أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية ، والاستغلال الذي لاينتهي قط للإنسان والطبيعة ، **كلها شواهد على عدم قدرة نيويورك أو واشنطن على ممارسة الحكم بعدل وبكفاءة . إن شعبا له مثل هذا السجل يريد أن يكون حكماً « لنظام عالمي جديد » ؟ .**

« هناك أيضا حقيقة أن الولايات المتحدة مسؤولة عن تدمير النظام العالمي القديم الذي نشأ وتطور في أوربا لعدة قرون ، أكثر من أية دولة أخرى على الأرض . إن جميع القيود الأخلاقية تقريبا المتعلقة بالسلوك الدولي قد تلاشت الآن ، وإن النزعات المستقبلية العالمية سوف تكون وحشية وبدون ضوابط لأن الولايات المتحدة ، أو الشعب المنبثق من هذه البلاد ، قد وضعت المعايير في وقت سابق (أو ربما لاتوجد معايير) . وينبغي القول هنا أن **الإرهاب الدولي اليوم ينطلق مباشرة من حركات الأنصار المدعومة من الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية ...**

« وعلى سبيل المثال ، خلقت المحكمة العليا في الولايات المتحدة قانونا دوليا جديدا في شباط ١٩٩٠ عندما أصدرت حكمها في قضية أوركييز (URQUIBEZ) التي هي موضع نزاع مع الولايات المتحدة . قررت المحكمة أن وكالات تنفيذ القانون الأميركي بالقوة في البلاد الأجنبية غير مقيدة بالمادة الرابعة من الدستور التي تمنع الاعتقالات والتحقيقات غير القانونية والتي تمنع أيضا تقديم الشهادة التي يتم الإدلاء بها بمثل هذه الأساليب غير المشروعة . وأقرت المحكمة بالأغلبية (ستة أصوات مقابل ثلاثة) ان ضمانات المادة الرابعة وضمانات ميثاق الحقوق لايمكن استخدامها من قبل مواطنين أجانب إذا تمت الأعمال غير الشرعية للموظفين الأميركيين على أرض أجنبية . إن أمة تتخذ فيها المحكمة العليا مثل هذا القرار غير

---

(١) أميركا والفرصة التاريخية ، ص ١٨٦ ـ ٢٦٧ .

الأخلاقي غير جديرة أن تتولى زعامة العالم (يجب أن ينظر إلى قرار المحكمة على ضوء اختطاف مواطنين أجانب خارج الولايات المتحدة من قبل أميركيين) . إن التطورات الجارية في جميع أنحاء العالم تظهر الصورة التي سوف يكون عليها المستقبل ... إن الدولة ــ الأمة ، التي تقوم على السكان المتجانسين سوف تصبح أقوى ، بينما تفشل الامبراطوريات متعددة الثقافات ومتعددة الأعراق ومتعددة الأجناس . إن الاتحاد السوفييتي هو في حالة نوبة أخيرة . **ولن تقوم قط « ولايات متحدة أوربية »** ترتكز على النظام السياسي الأميركي من « الوحدة الأوربية » التي تتمركز قيادتها في بروكسل . إن الوحدة الأوربية عام ١٩٩٢ لن تتم كما هو مخطط . فالولايات المتحدة الأميركية نفسها سوف تنكمش على نفسها ــ بسبب الضرورة ــ بدلا من التوسع والتمدد. **لن يكون هناك ذلك النمط من النظام العالمي الجديد الذي يتخيله الرئيس بوش** . وعلى أساس خبرات القرن العشرين ، فإن الأجيال القادمة لن تكون منجذبة إلى مخططات وهمية تستند على المثل الإنسانية . وبدلا من ذلك ، فإن الشعوب في أرجاء العالم سوف تتحقق أن الله والطبيعة تقودان إلى عالم أفضل وأكثر أمانا »[1] .

أما ونستون تشرشل فيرشح **الأمم الشبعانة** لتولي الحكومة العالمية ، فهو يقول في العبارة التي افتتح بها نعوم تشومسكي كتابه « إعاقة الديمقراطية » :

> « ... **يجب أن يعهد بالحكومة العالمية إلى الأمم الشبعى** ، فهي لاتبغي لنفسها أكثر مما عندها . ولئن أضحت الحكومة العالمية بين يدي الأمم الجوعى لواجه العالم أخطارا على الدوام . أما نحن فليس من سبب لدى أحد منا يدعوه إلى طلب المزيد . والسلام إنما تحفظه شعوب عاشت على طريقتها الخاصة دون أن تطمع بشيء . إن قوتنا تضعنا فوق الآخرين . إننا كالأغنياء الذين يعيشون بسلام في مزارعهم » .

فهل حقا لاتطمع الأمم الشبعى بما في أيدي الآخرين ؟ ..

يدعي الكثير من أنصار الحكومة العالمية أن هذه الحكومة ستكون ديمقراطية ، وهم يلوحون لشعوب الأرض بجميع الأسلحة الفتاكة ، التقليدية وغير التقليدية ،

(١) « السيطرة الألمانية في أوربا » ، نظرة إلى المستقبل ، ص ٦٦ .

لحملها على قبول هذه الديمقراطية ، التي يلفها الغموض من كل جانب .

ولقد ذهب فوكوياما إلى أن هذه الديمقراطية هي خاتمة المطاف في تطور الفكر الإنساني ، حيث يجمد عندها هذا الفكر ويتوقف التاريخ إلى الأبد .

فأية ديمقراطية هذه ؟ .. لعلها من نمط ديمقراطية عالم جورج أورويل ؟ .. أو من نمط الديمقراطية الأثينية أو الديمقراطية الاسرائيلية القاصرة على فئة من الناس دون غيرهم .

أيعتقدون أن عالم نهاية القرن العشرين سيظل يبتلع من ذلك الأفيون الذي سقته إياه الثورة الفرنسية والثورة الشيوعية ؟ ..

أم يعتقدون أن هاتين الثورتين بويلاتهما لم تُكسبا العالم شيئا من المناعة ؟ ..

إن القول بإمكان تشكيل حكومة عالمية ديمقراطية تختارها شعوب الأرض كافة بحرية تامة ، هو نوع من الاغراق في الوهم ، أو نوع من الضلال والتضليل .

ففي ظل الواقع الدولي الراهن ، الذي لانرى تبديلا له في المستقبل المنظور ، ستخضع الحكومة العالمية التي ينشدونها لسلطة الغرب أو لديمقراطيته ، وبتعبير أدق لسلطة الولايات المتحدة الأمريكية . ولقد خبرنا الديمقراطيةالغربية عموما ، والديمقراطية الأمريكية بوجه خاص ، جيدا . إنها ببساطة تفتقر إلى الأخلاق ، فهي دأبت على التحكم بمصائر الأمم الشعوب ونهب ثرواتها وكبح طموحاتها وإعاقة تطورها ، وقدمت الأدلة المتواترة على افتقارها إلى العدل والانصاف . فهي حين ترفع شعار الديمقراطية وتدعو إليها ، فإنما تعني بذلك ديمقراطيات خاضعة لها تسير في ركابها ، فإذا لم يتح لها مثل هذه ، نراها تدعم وتؤيد حكومات استبدادية وتشجع انقلابات عسكرية.

وحين ترفع علم حقوق الإنسان ، نراها تتخذ من هذه الحقوق سلاحاً في وجه الحكومات المناوئة لها ، ليس إلاّ ، في حين أن الكثير من انتهاكات حقوق الإنسان في العالم يمكن أن يُنسب ، بكل ثقة ، إلى بعض الحكومات الغربية ذاتها ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، أياً كانت اليد الفاعلة في الظاهر .

لقد أقام الغرب النكير على دولة لأنها أعدمت بعض تجار المخدرات ، الذين يئنُّ

العالم من جرائمهم ، وبعض الذين ارتكبوا في حق شعبهم أبشع الخيانات والجرائم ، في حين أنه لزم صمت الأموات حيال حاكم قصف شعبه بالسلاح الكيميائي فقضى على خمسة آلاف رجل وامرأة وطفل وألحق إصابات مختلفة بخمسة عشر ألفاً آخرين ، كل ذلك في خلال دقائق معدودات . ثم حين أمعن ذلك الحاكم في حماقاته فمسّ المصالح الأمريكية ، بطريقة مسرحية ، رأينا حكومة الولايات المتحدة والحكومات الغربية عموما ، تصب جام غضبها على شعبه ، حتى أنها وقفت بوضوح ضد انتفاضة ذلك الشعب الذي سعى لاسترداد حريته من جلاديه ..

وتلك قضية البوسنة والهرسك ، إنها وصمة عار في جبين مايسمى بالديمقراطية الغربية لاتمحى إلى الأبد .

ففي البوسنة والهرسك نرى الغرب يؤثر دويلات عرقية عنصرية على دولة ديمقراطية .

وفيها نرى الغرب يغض النظر عن أبشع انتهاكات حقوق الانسان وأكثرها وحشية عبر التاريخ .

ومما يفوق الوصف ، ماجرى لمسلمي ألبانيا على يد الشيوعيين ، من عمليات قمع ، وغسيل أدمغة جماعي لمجمل الشعب استعانوا عليه بستار حديدي لم يكن له نظير حتى في الاتحاد السوفييتي أو الصين ، كل ذلك في ظل تعتيم غربي ينبىء عن تواطؤ مكشوف .

وتلك مسألة الجزائر ، لقد آثر الغرب فيها حكومة عسكرية انقلابية على حكومة ديمقراطية منتخبة .

وحين تشهر الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على رجال المقاومة الفلسطينية أو اللبنانية ، بدعوى الإرهاب ، نرى سيد البيت الأبيض (نكسون) يبرر لحكومته ، التي تملك أقوى جيش نظامي وأضخم جهاز دبلوماسي وإعلامي ، وربما أقوى قوة إقتصادية ، في العالم ، يبرر لحكومته ممارسة **« الفنون السوداء »** . ويُثبت ذلك في مذكراته ليبقى دليل عمل للأجيال الأمريكية الصاعدة .

وإذْ لم تبد القوى السياسية المُعارِضة في الولايات المتحدة أية معارضة للعمليات

السوداء المرتكبة في حق شعوب العالم ، فإنها تطيح بالرئيس نكسون لأنه استرق السمع على خطوطها الهاتفية ، وتدمغه إلى الأبد بما سُمِّي بفضيحة ووترغيت .

ثم إن قضية فلسطين وحدها تكفي لتدمغ ساسة الغرب بالعار مدى الأزمان ، فقد كان موقفهم منها يتنافى مع أي قانون معلن لديهم .. كان موقفهم مثالاً للخديعة والمكر والعدوانية .. ولم تكن مصالح شعوبهم تبرر هذا الموقف من جانبهم أبداً ، لكنه قانون القوة الغاشمة ، أو شريعة الغاب .. أو ربما الحقد الصليبي ، الذي اتضح أنه مازال يعشش في صدور الكثير من أولئك الساسة .

خلاصة القول ، إن مايسمى بالديمقراطية الغربية أو الديمقراطية الأمريكية ، لم يكن ولن يكون ، أبدا ، أقل خطرا على شعوب العالم من الحكومات الشيوعية . فهي بحكم ماتملكه من قوة عسكرية واقتصادية واعلامية هائلة ، وبحكم ماتملكه من أطماع في خيرات الشعوب ، وبحكم افتقارها إلى الإيمان بمثل عليا غير المال ، فانها تشكل خطرا بالغاً على مصائر الشعوب ، يستدعي من هذه الشعوب غاية الحذر والاحتياط .

أما ماتتمتع به الشعوب الغربية ، ونخباتها المثقفة ، من قيم خلقية أو دينية ، فذلك شيء آخر غير الذي يسيطر على عقول ساسة الغرب . إذ من المشكوك فيه أن يكون أولئك الساسة ممثلين حقيقيين لإرادة شعوبهم أو لمصالحها .

وأما مقارنة الرأسمالية بالشيوعية فلاتكفي لإضفاء أية مشروعية على النظام الرأسمالي ، أو لإضفاء أية ثقة على قادة هذا النظام . فهما ليستا سوى وجهين لعملة واحدة . كلاهما يستهدف السيطرة على شعوب الأرض واستلاب ثرواتها ، لكن بوسائل مختلفة .

يقول ايدن في مذكراته : « **إن أمريكا راحت تنفق أموالها بسخاء في الخمسينات على نطاق مسرف لإعانة الشيوعية في منطقة الشرق الأوسط** »[1] .

فكيف يمكن لأمثال هؤلاء أن يكونوا أمناء على مصائر الشعوب .

فحين يقول الرئيس الأمريكي المعزول نكسون على رؤوس الأشهاد في كتابه

(١) الطبعة الانكليزية ، ص ٣٤٣ ــ الإسلام وحضارة المستقبل ، د . محمد عبد المنعم خفاجي وأمينة الصاوي و د . عبد العزيز شرف ، ص ١٥٧ .

« أميركا والفرصة التاريخية » : « **إن التزامنا بأمن إسرائيل التزام عميق . فنحن وإسرائيل لسنا حلفاء شكليين بل نحن مرتبطين ببعضنا بشيء أقوى بكثير من قصاصة من الورق . إنه التزام أخلاقي ... إن التزامنا بإسرائيل نابع من ميراث الحرب العالمية الثانية ومن مصلحتنا الأخلاقية والايديولوجية في تأمين البقاء للديمقراطيات في حالة القتال دفاعا عن الذات . لذلك فإنه لايمكن لأي رئيس أو كونغرس أمريكي أن يسمح بالقضاء على دولة إسرائيل** » .

وفي موقع آخر من الكتاب يقول : « **لن يسمح أي رئيس للولايات المتحدة بأن تهزم إسرائيل** » .

فما الذي ينبغي أن يستخلصه العرب والمسلمون من ذلك ؟! .. لاحاجة للتعليق .

يتحدث نكسون في كتابه ذاك عن عالم الإسلام ، فيبدأ بعرض صورة سلبية جدا عن المسلمين ، لكنه ينسب هذه الصورة إلى تصور الأمريكيين ، ليظهر هو وكأنه لاعلاقة له بهذا التصور ، فيقول :

« يميل كثير من الأميركيين إلى تصور المسلمين على أنهم نمط واحد من الناس غير المتمدينين ، غير النظيفين ، المتوحشين ، وغير العقلانيين ، وعلى الغالب لايلفت انتباهنا فيهم سوى أن بعض زعمائهم لهم الحظ السعيد في أنهم يحكمون أقاليم تحتوي في باطن أرضها على ثلثي الاحتياطيات المؤكدة من النفط في العالم . **ويتذكر الأميركيون الحروب الثلاثة التي شنتها الدول العربية للقضاء على إسرائيل** ، واحتجاز الرهائن الأميركية من قبل آية الله خميني ، والهجوم الإرهابي على ألمبياد ميونيخ من قبل الكومندوس الفلسطينيين من منظمة أيلول الأسود ، والقتل المتبادل الغبي الذي لاحدود له بين المليشيات المسلحة المتنافسة في لبنان ، ومحاولة ضم الكويت من قبل صدام حسين . ليس هنالك من شعب ، حتى ولا الصين الشعبية ، له صورة سلبية في ضمير الأميركيين ، بالقدر الذي للعالم الإسلامي » .

ثم يقول : « إن بعض المراقبين ينبهون إلى أن عالم الإسلام سوف يتحول إلى قوة جيوسياسية موحدة متعصبة وأنه بسكانه المتزايدي العدد وقوته المالية الكبيرة سوف يشكل تحديا كبيرا وأن الغرب سوف يضطر إلى عقد تحالف جديد مع موسكو

لمواجهة عالم إسلامي خصم وعدواني ... ويتنبأ أصحاب هذا الرأي بأن قوى الإسلام الأصولي الصاعدة سوف تنظم ثورة على امتداد العالم الإسلامي من ايران ودول أخرى الأمر الذي يبرز الحاجة إلى سياسة احتواء شاملة يتفق عليها الغرب مع السوفييت » .

لكن نكسون ينفي إمكان حدوث هذه النتيجة ، مراهنا على التباين الموجود بين بلدان العالم الإسلامي في مجالات مختلفة وعلى إمكان إشعال المنازعات فيما بينها .

فيقول : « هذا السيناريو الأسود لن يتحقق أبدا . إن العالم الإسلامي هو من الاتساع ومن التباين بحيث لايمكن تصور انضوائه تحت قيادة واحدة[1] ... هنالك عنصران مشتركان فقط في العالم الإسلامي : الدين الإسلامي ، ومشاكل الإضطراب السياسي ... إن المنافسات في العالم الإسلامي جعلت منه مرجلا للنزاع ... إن التيارات الديمغرافية والاقتصادية والسياسية في العالم الإسلامي تجعل تفجر النزاعات أمرا محتوما » .

ثم يأخذ نكسون في رسم سياسة تهدف إلى توجيه تطور العالم الإسلامي بطريقة تنسجم مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ، فيقول :

« إن العالم الإسلامي حضارة حيوية تفتش عن هويتها التاريخية . ففي الخمسينات والستينات أفلت هذا العالم من قيود الاستعمار . وبعد ذلك جرب الطرق الإيديولوجية المسدودة : عدم الانحياز والوحدة العربية والأصولية الرجعية . وفي التسعينات ومابعدها سوف تجدد هذه البلاد مسعاها لإيجاد مكان لها في العالم . وتحتاج الولايات المتحدة إلى سياسة نشطة لتؤثر في هذا التطور بطرق بناءة ... إن حجر الزاوية في السياسة الأميركية القائمة على الارتباط التمييزي يجب أن يكون الالتزام بالتعاون الستراتيجي مع الأنظمة العصرية فقط وحصر علاقاتنا مع الأنظمة الأصولية والراديكالية المتطرفة بالتعاون التكتيكي . وبما أننا نشارك بالأهداف مع العصريين فإن تعاوننا يجب أن يغطي جميع مسائل الاقتصاد والأمن ... من أجل التأثير على التطور التاريخي للعالم الإسلامي ليس علينا أن نبني (سياسة اسلامية) كبرى تقضي بتطبيق

(١) فكيف يمكن انضواء العالم كله تحت قيادة أمريكا كما يقول نكسون في كتابه ذاته ، مما سبقت الإشارة إليه (ص٥٩) .

سياسة واحدة تجاه جميع هذه البلاد . وبدلا من ذلك علينا أن نحدد نقاط ارتكاز رئيسية لوجودنا . يجب علينا أن نرعى شراكتنا مع بلاد عصرية مختارة تقاسمنا مصالح مشتركة أو برامج متوازية ويكون لها وزن حقيقي في المنطقة . فبالتعاون معها في قضايا سياسية وأمنية وبتزويدها بالمشورة والمساعدة لتعزيز التنمية الاقتصادية لديها ، فإن بروزها كتجربة ناجحة في العالم الإسلامي سيرفع من إمكانيات القوى العصرية في المنطقة ... إن سياسة المشاركة الإنتقائية سوف لاتعطي ثمارها على الفور ، **ولكن في مدى جيل واحد سيكون للولايات المتحدة تأثير عميق على التطور التاريخي للعالم الإسلامي ... هذا وعلينا في الوقت نفسه أن لانذهب في علاقاتنا مع الدول العصرية إلى حد أن هذه العلاقات تصبح هدفا لانتقادات المعارضة الداخلية** . إن ذكريات عصر الاستعمار في الكثير من بلاد العالم الإسلامي تجعل التأثير الغربي مسألة حساسة ، ولذلك فإن علاقاتنا الخاصة بشركائنا يجب أن لاتأخذ طابع علاقة التابع والمتبوع . وعلينا أن لانتعامل مع الزعماء العصريين كحاملي رسالتنا بل كشركاء متساوين ، **ذلك أن أقصر الطرق للقضاء عليهم يكون في إعطاء الانطباع أنهم ليسوا أكثر من ناطقين بلسان الغرب** .

« إن الأميركيين يردون بغضب وتخبط عندما تجد حكومة صديقة نفسها مضطرة بتأثير ظروف السياسة الداخلية إلى معارضة سياساتنا ... **يجب علينا أن نقبل واقع أنه في بعض الأحيان لايخدم مصالحنا أن يؤيد أصدقاؤنا في العالم الإسلامي مواقفنا حول قضايا بالغة الحساسية سياسيا في بلادهم ... إن علينا أن نتجاهل الأمر عندما تضطر الظروف أصدقاءنا إلى إعطاء مجرد التأييد اللفظي لخصومنا** » .

هذا في الجانب المعلن من تفكيرهم وسياستهم .

فما الذي يرمي إليه نكسون من التعاون الإقتصادي مع أصدقاء أمريكا ؟ . هل هو إغراق بلادهم بالقروض لتكون سيفا مشرعا على رقاب الشعوب ، يستبد باقتصادياتها ، ويمتص خيراتها ، وسلاحا في وجه أي تغيير سياسي ؟ .

وما الذي يرمي إليه من التعاون الأمني مع أولئك الأصدقاء ؟ ، وكيف يمكن لهذا التعاون الأمني أن ينسجم مع دعوى الديمقراطية ؟ .

أما في الجانب المستور من تفكيرهم وسياستهم ، وهو ليس مستورا تماما ، بل هو نصف مستور ، كما الفنون السوداء ، وكما الإنفاق بسخاء لنشر الشيوعية في الشرق الأوسط ، فحدّث ولاحرج .

وفي الحالين لايرى ساسة الولايات المتحدة محلا لشعوب العالم الإسلامي كي تطور سياساتها وترسم مستقبلها وتختار حكامها بنفسها .

ومع هذا يعود نكسون ليقول : « لقد كانت المثالية بآن واحد أعظم قوتنا وأعظم ضعفنا . كانت المثالية الأميركية – أحيانا ساذجة ، وأحيانا سيئة التوجيه وأحيانا ترافقها حماسة مفرطة – دائما في مركز سياستنا الخارجية . فمن جهة كانت أحيانا تغذي باعثا عميقا نحو الانعزالية ... ومن جهة أخرى لعبت هذه المثالية دور الأساس الذي لا غنى عنه لمساندة التزامنا بالقضايا الأخلاقية الكبرى للقرن العشرين »[1] .

إن الحديث عن إنشاء حكومة عالمية ، في ظل هذا الواقع يعني وضع شعوب الأرض كافة تحت السيطرة الأمريكية ، أو بالأصح السيطرةالصهيونية ، التي لاحدّ لأطماعها ، ولاحدّ لانهيارها الخلقي .

لقد قال غوستاف لوبون في عام ١٨٧٥ م :

« واليوم يميل الناس الى قياس الأفضلية بحيازة المال . وسيكون ملوك العصر الذي سندخله عما قريب ، أقدر الناس على حيازة الثروات . ولا أحد ينازع بني اسرائيل في هذا المجال ، مع كره الناس لهم في كل مكان . ولا أمل لأحد في غير المحافظة على مايملك والدفاع عنه ، فإما غالب أو مغلوب ، إما صياد أو قنيصة ، فهذه هي سنة الأزمنة الحديثة ، فلا قيمة لكلمات العدل والانصاف في علاقات الأمم بعضها ببعض ، ولا مؤيد لها – بعد تحول موازين القوى – وهي من الألفاظ المبهمة المشابهة لاحتجاجاتنا المبتذلة التي يستعملها العالم بأسره ، ونختم بها رسائلنا دون أن تخدع انسانا . واليوم يحدثنا الشعراء عن العصر الذهبي الذي يسود فيه اخاء عام ، وانني أشك في وجود هذا العصر ، وهو ان وجد تلاشى الى الأبد »[2] .

(١) أميركا والفرصة التاريخية ص ١٨٦ – ٢٦٧ .

(٢) حضارة العرب لغوستاف لوبون ، ص ٧١٣ .

لقد كانت الشيوعية ، فيا يبدو ، مشروعا لحكومةعالمية ، لكنها تهاوت قبل أن يكتمل بناؤها في مسقط رأسها . وقد تنتظر الرأسماليةُ مصيراً مماثلا ، فالأمراض الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعاني الدول الرأسمالية منها تنذر بأوخم العواقب .

إن القوة العسكرية ، وربما الاقتصادية أيضا ، قد تخفي الكثير من أمراض الحكومات والمجتمعات عن الأعين ردحا من الزمن ، لكن تلك الأمراض تبقى كامنة تنمو في الأرحام إلى يوم الحساب (الدنيوي) .

ومن المؤكد أن هيئة الأمم المتحدة[1] قد أنشئت أيضا لتكون خطوة على طريق اقامة الحكومة العالمية أو نواة لها ، وأنه جرى تطوير هذه الهيئة لتقترب من مواصفات الحكومة العالمية المقصودة . وربما كان اختيار داعية الحكومة العالمية بطرس غالي لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة مع الاقتراب من العام ٢٠٠٠ يدخل في هذا النطاق .

على أن الأمم المتحدة ، بحكم تكوينها الحالي ، مرهونة بمصير القوى العظمى .

إن مشروع الحكومة العالمية قد يتقدم بعض الخطوات ، فما من شك في أن قوىً هائلةً تقف وراءه ، لكن وحدهم البسطاء جداً يستطيعون تصور بلوغ هذا المخطط غايته ، فلايمكن تصور العجز والعمى في الناس كافة .

أياً كان الأمر فإن القضية ليست مطروحة للمناقشة ، مادام أن البهائيين أنفسهم ينكرون حكم العقل والحس والنقل ، كما سيتضح ضمن بحث « كيف الحكم على البهائيين » ، ومادام أن الآخرين يتسللون بمشروعهم هذا خلسة في الظلام ، أو يلوّحون بالسلاح النووي لبلوغ غايتهم .

---

(١) صرح ديفيد بن غوريون لمجلة التايم الأمريكية بتاريخ ١٩٤٨/٨/١٦ بأن « فكرة هيئة الأمم المتحدة فكرة يهودية » ــ « اليهود » ، لزهدي الفاتح ص ١٤٧ .

– ٧ –

حول نــزع الســـلاح

يؤكد البهائيون بشدة على ضرورة نزع السلاح بصورة شاملة ، فهم قد حرّموا الجهاد وحظروا حمل السلاح حتى للدفاع عن النفس ، وقد استثنوا في بعض الحالات مايلزم الدولة من سلاح لحماية الأمن الداخلي .

وأننا نجد اليوم الكثير من زعماء الغرب ممن يحمل الفكرة ذاتها ويدعو اليها .

هذا في حين يتوسل بعضهم بالسلاح النووي لإقامة الحكومة العالمية وفرضها على شعوب الأرض ، كبرتراند راسل حامل جائزة نوبل للسلام ، وطائفة من الانجيليين التدبيريين في الولايات المتحدة الأمريكية .

بل حتى البهائيين نجد في كتبهم بعض التلميحات من هذا القبيل .

قد يكون مفهوما لو أن المسيحية دعت إلى نزع السلاح ، فهي ليست ذات مشروع سياسي .

أما البهائية التي تخطط لإقامة حكومة عالمية تنمحي فيها القوميات والأديان واللغات والمشاعر الوطنية والأحزاب السياسية ، وتغدو فيها الثروات الطبيعية ملكاً مشاعاً لأمم الأرض كافة ، وتستباح فيها المصالح الاقتصادية الوطنية عن طريق فتح الحدود كليا للتجارة الدولية .. تلك الحكومة التي يعلن دعاتها على الملأ أنهم لايتورعون عن شن حرب نووية أو حرب عالمية ، أو ما يسمونه **بمعركة هرمجدّون** ، لإقامتها . فإن دعوتهم لنزع السلاح تغدو واضحة الخبث والمكر .

ولعل في أقوال الحاخام جوهاشيم برنز التي سبقت الإشارة إليها (ص٥٨) مايفسر الدعوة البهائية إلى التخلي عن السلاح .

لقد قال الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو يوما : « **إن المجتمعات التي لا تدافع عن**

نفسها لا يمكن أن تعيش ، أو بالأحرى ليست جديرة بالحياة »[١] .

ثم اذا أمكن بالفعل نزع أسلحة شعوب الأرض كافة (مع أننا نشك في أن يكون المقصود هو الكافة فعلا) ، فلم تعد هناك امكانية لشن حرب عسكرية ، فما القول في الحرب الاقتصادية التي وصفها أحد الخبراء بأنها أخطر من التحدي الذري[٢] . وما القول في السلطة الاعلامية التي وصفها برتراند راسل بأنها خطيرة كالسلطة العسكرية والسلطة الاقتصادية تماما[٣] وكيف يمكن لشعوب لا تملك ماتمتلكه الولايات المتحدة من قوة اقتصادية واعلامية أن تحتفظ بوجودها حتى إذا نزعت الولايات المتحدة سلاحها .

إن الترويج لنزع السلاح الشامل من جانب صانعي أسلحة الدمار الشامل ، الذين قصفوا المدن الآمنة بالقنابل الذرية ، والذين ما زالوا حتى اليوم يفتكون بشعوب الأرض بوسائل أخرى ، يجعل الدعوة البهائية إلى نزع السلاح مفضوحة الغايات .

ومما يلفت النظر أن البهائيين حظروا الدعوة إلى مبادئهم في فلسطين التي كانوا يعتبرونها وطناً قومياً لليهود ، فلابد أنهم يقصدون إلى أن الدعوة إلى نزع السلاح الشامل لا تشمل اسرائيل ، وإنما تشمل كل ما عداها .

يقول عبد البهاء عباس في أحد مكاتيبه : « **إن الجمال المبارك (يقصد والده بهاء الله) حرم الدعاية والتبليغ في هذه الديار (يقصد فلسطين) والمقصود من ذلك أن الأحباء يقضون أيامهم في السكوت التام ، وإن سألهم أحد عن البهائية يجب عليهم أن يتجاهلوا كليا »**[٤] .

---

(١) « الحروب والحضارات » ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، ص ٤٥٠ .

(٢) العبارة لجان غيتون عضو الأكاديمية الفرنسية ، من كتاب « الحروب والحضارات » ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٣) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ، ص ١٤٢ .

(٤) « مكاتيب عبد البهاء » ، ص ٣٢٧ ، ج ٢ ، فارسي — « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٣٠ .

– ٨ –

حول السلام العالمي

اتخذ البهائيون من السلام العالمي شعاراً أساسياً لهم ، تماماً كداعية السلام برتراند راسل حامل جائزة نوبل للسلام ، الذي يبرر استعمال السلاح النووي لإنشاء الحكومة العالمية وللمحافظة عليها بعد قيامها .

ومع أننا نراهم يقيمون مجمل دعواهم على ضرورة إنهاء الحروب وإقامة السلام الدائم ، فإنهم يعودون إلى القول بأن السلام العالمي ليس الغاية ، وإنما هو الوسيلة .

فالغاية هي إقامة الحكومة العالمية ، سواء بالسلم أو عن طريق الحرب .

يقول كتاب « مختصر المبادىء البهائية » (ص ٥٦ – ٦٠) :

« **تكاد المبادىء البهائية بأجمعها تخدم غاية واحدة بعينها هي تأسيس السلام العام على الأرض وتحقيق وحدة عالم البشر** . ويصرح بهاء الله أن الغاية من بعثته وظهوره هي تحقيق النبوءات التي أعلنها جميع الأنبياء السابقين بمجيء عصر السلام واستقرار الصلح والمحبة بين عموم البشر . والكتب السماوية القديمة مشحونة بذكر هذا العصر والتغني به وببهائه العظيم ...

« **ومن جملة الحلول الواردة في التعاليم البهائية لأجل تأسيس السلام العام هي تحديد التسلح وتحريم وسائل العنف والمقاومة** » .

ويقول بيان بيت العدل الأعظم الموجه إلى شعوب العالم في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٥ :

« إن التفاؤل الذي يخالجنا مصدره رؤيا ترتسم أمامنا ، وتتخطى فيما تحمله من بشائر نهاية الحروب وقيام التعاون الدولي عبر الهيئات والوكالات التي تشكل لهذا الغرض . **فما السلام الدائم بين الدول إلا مرحلة من المراحل اللازمة الوجود** ، **ولكن هذا السلام ليس بالضرورة ، كما يؤكد بهاء الله ، الهدف النهائي في التطور الاجتماعي**

للإنســـان ، إنها رؤيا تتخطى هدنة أوليـة تفرض على العالم خوفا من مجزرة نووية ، وتتخطى سلاما سياسيا تدخله الدول المتنافسة والمتناحرة وهي مرغمة ، وتتخطى ترتيبا لتسـوية الأمور يكون إذعانا للأمر الواقع بغيـة إحلال الأمن والتعـايش المشـترك ، وتتخطى أيضـا تجارب كثيرة في مجالات التعاون الدولي تمهد لها الخطوات السـابقة جميعهـا وتجعـلهـا ممكنـة . **إنها حقـا رؤيا تتخطى ذلك كله لتكشف لنا عن تاج الأهداف جميعا ، ألا وهو اتحاد شعوب العالم كلها في أسرة عالمية واحدة »** .

ويقول الداعية البهائي جون أسلمنت :

« وخلال فترة الانتقال من الفوضى الدولية إلى الوحدة الدولية ستحدث حروب تعسفية ، وفي هذه الحال يكون لزاما على الأمم اتخاذ اجراءات قوية في سبيل الحفاظ على العدل الدولي والوحدة والسلام . وقد كتب عبد البهاء في الرسالة المدنية ماترجمته : — **« بل قد تكون الحرب أحيانا أساسا للصلح الأعظم ، كما قد يكون التدمير سببا للتعمير ... وتقوم الحرب على نوايا صالحة فيكون الغضب عين اللطف والظلم جوهر العدل والحرب بنيان الصلح »**[1] .

وإذاً ، فالحكومة العالمية ليست وسيلةً لبناء السلام العالمي ، وإنما السلام العالمي هو الوسيلة لإقامة تلك الحكومة . لذا ، هم لا يتورعون عن شنِّ حربٍ نوويةٍ ، أو حربٍ عالميةٍ ، لإقامة حكومتهم المنشودة ، إن لم ينفع السلام العالمي لذلك .

فبرضوخ شعوب الأرض لحكومتهم العالمية يتجلى السلام العالمي الذي يريدون .

وهم يطرحون برنامجا سياسيا خياليا لضمان السلام العالمي ظاهره السذاجة وباطنه المكر الأسود ، أساسه نزع السلاح ، ورضوخ الشعوب للإرادة الدولية ، تلك الإرادة التي لم يعد أحد يجهل مقوّماتها ، وذلك سواء في رسم الحدود السياسية أو رسم السياسة الإقتصادية أو السياسة الدفاعية أو حتى السياسة التعليمية والسياسة الاجتماعية الخ ..

(١) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الحديد » ، جون أسلمنت ، ص ١٩٠ .

– ٩ –

حول توحيد اللغات

يؤكد البهائيون بشدة على مسألة توحيد اللغات في لغة واحدة ، وتوحيد الخطوط في خط واحد ، بداعي تسهيل التفاهم بين الناس واختصار الزمن الذي يحتاجه تعلّم اللغات المختلفة . وتلك حجة أوهى من أن تحتاج إلى تفنيد .

فما هو أقرب إلى العقل والمنطق ، وماتؤكده الأدلة المستخلصة من الوثائق الصهيونية ، هو أن توحيد اللغات يستهدف عزل الشعوب عن تاريخها ومعتقداتها وتراثها الثقافي ، فذلك شرط أساسي لقيام الحكومة العالمية واستقرارها .

فقد جاء في إحدى الوثائق الصهيونية :

« وعندما نتيقن من نجاح مخططاتنا هذه ستكون ساعة الصفر قد أزفت ، فتزحف جيوشنا الى الميادين المعينة لها ، وتقضي سريعا على مقاومة أعدائنا التي ستكون هزيلة حتما ، ونزيل الدول المنهارة عن طريقنا ، ثم نعلن للعالم انتصارنا ، ونفرض عليه سيادتنا تحت ظل الدولة العالمية الموحدة وعلمها ذي النجمة المقدسة ، وبها سنمحو كل أثر للمدنيات العريقة ، ونحرق المؤلفات غير اليهودية دون استثناء ، **وسنفرض على الشعوب ثقافتنا ، ومن ثم سنقضي على اللغات المستعملة الآن ، وسنرغم الشعوب على تعلم اللغة اليديشية وحدها التي ستكون اللغة العالمية للشعوب كافة ، وسنختص نحن باللغة العبرية الأصلية ، لغة السادة والشعب المختار وسنمنع اتخاذ اللغات الأخرى ، ونلقن العالم تاريخنا وحده »**[1] .

وربما نلمح أثر هذا المخطط فيما فعله مصطفى كمال ، (الذي تصفه دائرة المعارف الماسونية بأنه ماسوني عظيم) حين استبدل أحرف اللغة التركية ، فجعلها لاتينية بدل

(١) من أقوال الحاخام جوهاشيم برنز ، التي نقلها عبد الرحمن حبنكه في كتابه « مكايد يهودية » ، ص ٣٩٣ .

العربية ، ومحا من اللغة التركية جميع المفردات العربية ، حتى باتت اللغة الجديدة مغايرة للغة القديمة إلى حد كبير ، ثم عمد إلى فرض الحظر على جميع الوثائق التاريخية الخاصة بالدولة العثمانية ، فلم يعد الجيل الجديد من الشعب التركي يعلم من تاريخه وتراثه إلاّ ما أراد له مصطفى كمال .

وقد أخذ هذا المخطط في الانتشار على نحو ملفت للانتباه ، فقد اقتفى سوكارنو في أندونيسيا ، وسياد بري في الصومال ، خطى مصطفى كمال ، ونسمع الآن دعوات تتردد في جمهوريات آسيا الوسطى تحث على إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي في كتابة اللغات القومية ، فلم يعد من المعقول اعتبار مثل هذه الاجراءات منبثقة عن دوافع قومية أو وطنية أو شخصية ، بل لا بد من وضعها في اطار تلك المخططات العالمية .

وربما كانت مساعي البعض لتعميم استخدام الأرقام الداخلة في اللغات اللاتينية ، المسماة بالأرقام العربية أو الغبارية ، بدل الأرقام المستخدمة حالياً في العالم العربي ، المسماة بالأرقام الهندية . مما يدخل في إطار تلك المخططات أيضاً .

فقد بات من الثابت أن كلا النوعين من الأرقام عربي الأصل والمنبت ، فأحد النوعين (الغباري) رافق العرب الذين فتحوا الأندلس ، ثم انتشر من هناك في أوربا ، والنوع الآخر (المسمى خطأ بالهندي) ظل مستوطنا مشرق العالم العربي ولم يرحل عنه .

لكن الذين يسعون إلى إلغاء لغة القرآن الكريم كان يستحيل عليهم أن يفعلوا في العالم العربي ما فعله مصطفى كمال في تركيا ، فراحوا يسلكون إلى ذلك سياسة « الخطوة خطوة » .

ولقد كان للدكتور عدنان الخطيب[1] فضل كبير في تعرية هذا المخطط ، والتنبيه إلى خطورته .

---

(١) رئيس مجلس الدولة السوري سابقا ، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق حاليا . وقد نشر مقالا موثقا حول هذا الموضوع في العدد ١١ من مجلة « شؤون عربية » الصادر في شهر كانون الثاني عام ١٩٨٢ .

يضـــاف إلى ذلك أنه ظهر في أواسط هذا القرن فرع جديد من فروع علم الإجتماع ، سمّي بعلم اجتماع اللغة ، أثبت دور اللغة في البنـاء الإجتماعي والثقافي للأمـة[1]، الأمر الذي يكشف جانباً آخر من الأهداف الحقيقية للبرنامج البهـائي الصهيوني .

(١) « علم اجتماع اللغة » ، توماس لوكمان ، ص ٩٠ .

- ١٠ -

حول تحريم العمل السياسي

وبرغم الأهداف السياسية الفظيعة ، التي تسعى اليها البهائية وما ماثلها من الحركات ، كالقاديانية وشهود يهوه ، نراها تدعو أنصارها إلى عدم التدخل في المسائل السياسية وعدم الانتساب إلى الأحزاب السياسية ، وذلك للتعمية على أهدافها ، ولإيهام العامة ممن يخشون الخوض في المسائل السياسية بأن هذه الحركات لاتنطوي على مايخشون ، ولتحييد غير العامة وعزلهم عن اكتشاف مخططاتها .

فبينما يعتبر البهائيون التدخل في الأمور السياسية بمثابة القتل والزنا واللواط والسرقة وشرب المسكرات[1] ، نراهم يعتبرون مخالفة أوامر أية حكومة من الحكومات محرمة كشرب الخمر والأفيون[2] .

وقد نجد تفسير ذلك في بروتوكولات حكماء صهيون ، حيث تقول :

« اننا سنحرم على الأفراد أن يصيروا منغمسين في السياسة »[3] .

ومع تحريم العمل السياسي عند البهائيين فإن المندوب الخاص للجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة غاليندوبل طالب في تقريره عن حالة حقوق الإنسان في ايران في أواخر عام ١٩٩٢ بمنح البهائيين في ايران حرية العمل السياسي ، كما أصدرت بعض الدول الأوربية وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية في مناسبات مختلفة بيانات تدعو الى السماح للبهائيين بحرية العمل السياسي في ايران[4] . فكم يعيد ذلك إلى الأذهان حرب الأفيون في الصين . بل إن صورة حرب الأفيون كانت في ذهن « غاليندوبل » فهو لم يغفل في تقريره حتى الدفاع عن تجار المخدرات الذين تعاملهم ايران بشدة .

---

(١) « نبذة عن الدين البهائي » ، ص ٤ .

(٢) « مختصر المبادىء البهائية » ، ص ٨٩ .

(٣) البروتوكول ١٩ .

(٤) مجلة العالم ، العدد ٤٦٢ ، ١٩٩٢/١٢/١٩ م ، ص ٤٦٢ .

- ١١ -

حول الطاعة التامة للحكومات

يؤكد البهائيون تأكيدا شديدا على وجوب ابداء الطاعة التامة للحكومات اطلاقاً ، فهم يعتبرون أية حكومة مقدسةً ، تستمد سلطتها من الله ، وينهون أتباعهم نهياً صارماً عن إبداء أية معارضة لأية حكومة من الحكومات . وهم اختاروا النظام الديني أساسا لحكومتهم ، ليس إحساسا بقداسة الواجب الحكومي ، وإنما للسبب ذاته الذي أبداه فولتير ، وهو المعروف بعدائه للدين : « لابد من الدين للشعب . يجب خاصة أن يكون للشعب دين من أجل طمأنينة الحاكمين والمستثمرين »[1] .

وقد استخدم البهائيون ، أحياناً ، هذه التوجيهات كرشوة للحكومات التي كانوا يعيشون في كنفها ، فقد حرصوا على الدوام ، على تنبيه تلك الحكومات ، بمناسبة وبدون مناسبة ، إلى أنهم يلتزمون جانب الطاعة نحوها ، بأمل أن تلزم هي جانب غض النظر عن نشاطاتهم ، لكنَّ مسلكهم لم يكن على الدوام مطابقاً لدعواهم ، فقد طالما أثاروا الفتن لبعض الحكومات ، كما حدث في ايران وفي الدولة العثمانية مرات عديدة .

وكأنهم بدعواهم تلك يحاولون هدم القاعدة الاسلامية القائلة : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

ولربما كانوا يقصدون من ذلك التوصل إلى إعلان ملكهم أو حكومتهم إلها تعبده البشرية ، كما يستفاد ضمنا من بعض أقوالهم ، وإلى اضفاء نوع من القداسة الدينية على مخططاتهم لجعلها أقل عرضة للتمحيص والنقد وليضمنوا لأنفسهم السيطرة المطلقة على الشعوب .

ولقد عبّر اخوان الصفا عن شيء من هذا بقولهم :

« إن الدين والملك توأمان ، ولا قوام لأحدهما إلاّ بأخيه . غير أن الدين هو الأخ

(١) تيارات الفكر الفلسفي ، أندريه كريسون ، ص ١٦٢ .

المقدم والملك الأخ المؤخر المعقب ، فلا بد للملك من دين يتدين فيه الناس ولا بد للدين من ملك يأمر الناس بإقامة سننه طوعاً أو قهراً »[1] .

« لا بد للملك من دين وحكم وشريعة يحفظ بها الرعية ويسوسهم ويدبر أمورهم »[2] .

بل لربما كان تقمص رداء الألوهية من قبل بهاء الله وأمثاله خطوة على هذا الطريق بالذات .

ففي بروتوكولات حكماء صهيون :

« ان ملكنا سيكون مختارا من عند الله ، ومعينا من أعلى ، كي يدمّر كل الأفكار التي تغري بها الغريزة لا العقل ، والمبادىء البهيمية لا الانسانية ... وحينئذ سنكون قادرين على أن نصرخ في الأمم : صلّوا لله واركعوا أمام ذلك الملك الذي يحمل آية التقدير الأزلي للعالم والذي يقود الله ذاته نجمه ، فلن يكون أحد آخر ، إلا هو نفسه ، قادرا على أن يجعل الانسانية حرة من كل خطيئة » (البروتوكول ٢٣) .

وهنا نجد أن جذور البهائية تمتد موغلة في التاريخ الى عبد الله بن سبأ ، فهو كان قد سعى إلى تأليه الامام علي كرّم الله وجهه ، فأمر الإمام بنفيه إلى مدائن صالح حيث عاش حتى مقتل الإمام علي ، ومن ثم خرج مجدداً على دنيا العرب لينشر فيها بدعته .

وقد نوه القمّي ، الذي توفي سنة ٣٠١ هجري ، وهو من كبار محدثي الشيعة ، بأنه « من السبائية (أتباع عبد الله بن سبأ) كان بدء الغلو في القول حتى قالوا : ان الأئمة آلهة وملائكة وأنبياء ورسل ، وهم الذين تكلموا في الأظلة والتناسخ في الأرواح والدور والكور في هذا الباب ، وإبطال القيامة والبعث والحساب والجنة والنار ، وزعموا أن لا دار إلاّ الدنيا ، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر ، إن خير فخيرا ، وإن شر فشرا ، مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها من كان معذّبا ، فالأبدان هي الجنات والنيران ، وانما الأبدان قوالب ومساكن بمنزلة الثياب التي

(١) رسالة تداعي الحيوانات على الانسان ، ص ٢٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

يلبسها الناس فتبلى وتتمزق وتطرح ويلبس غيرها »[1] .

وسنجد أن الكثير من ذلك مبثوث في الدين البهائي .

وقد يستمد موقف البهائيين حيال الحكومات جذوره من رسالة بولس إلى أهل رومية ، التي يقول فيها :

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتّبة من الله . حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة » (رومية ١٣ : ١ — ٣) .

ويقول الفيلسوف اليهودي سبينوزا في كتابه « رسالة في اللاهوت والسياسة » :

« ... وعلى ذلك ، فما دام العقل والتجربة يشهدان بأن القانون الالهي يقوم على مشيئة السلطات العليا الحاكمة وحدها ، ينتج عن ذلك أن لهذه السلطات نفسها حق تفسيره . وسنرى الآن بأي معنى نقول ذلك ، إذ أنه قد حان الوقت لنبين أن العبادات الظاهرة في الدين وكل المظاهر الخارجية للتقوى ، يجب أن تتفق مع سلامة الدولة لو أردنا أن نطيع الله مباشرة (ص ٤٣٥) .

« لايمكن لأحد أن يعرف المصلحة العامة الا بناء على قرارات السلطة الحاكمة التي هي وحدها المسؤولة عن تصريف الشؤون العامة . واذاً فلايستطيع أحد أن يمارس الايمان الصادق أو أن يطيع الله إلا إذا أطاع قرارات السلطة الحاكمة » (ص ٤٣٦) .

ويقول توينبي ، وهو أحد دعاة وحدة الأديان والحكومة العالمية : « فهل نستنتج من ذلك ، مصداقا لقول صاحب المزامير (يقصد النبي داوود عليه السلام) بأن الرب مردّ الخلاص وأنه بدون توافر نوع من الربوبية يغدو المخلص المرتجى عاجزا عن إنقاذ رسالته ...

« وبعد ؛ هذه هي في الحقيقة ، النتيجة النهائية لاستعراض فكرة المخلّصين . فإذا

(١) سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمّي ، كتاب المقالات والفرق ، طهران ١٩٦٣ م . س . ص ٤٥ .

ماوضعنا حداً لهذا الاستطلاع ، ألفينا أنفسنا نتحرك وسط حشد قوي من الجنود . بيد أنهم – مصداقاً لمناقشتنا الأولى – قد سقطوا بعيدا عن الحلبة : الفرقة تلو الأخرى . فكانت حملة السيوف أول فرقة تسقط ، وتلتها فرقة أصحاب مبدأ السلفية ومبدأ المستقبلية ، وتلتها فرقة الفلاسفة ... حتى لم يتبق في الميدان سوى الآلهة . بل إنه – حتى بالنسبة لهؤلاء الآلهة المخلّصين المرتجين – لم يتبق عند محنة الموت النهائية سوى القليلون ، أولئك الذين أقدموا على وضع لقبهم موضع التجربة ، بالوثب في النهر الثلجي .

« والآن ونحن نقف شاخصين بأبصارنا إلى الشاطىء الأقصى ، تنهض للتوّ من طوفان الشخصيات الإلهية ، شخصية مفردة تملأ الأفق بأسره ، إن ثمة مخلّصا « ستسعد مسرة الرب في يده » وسيرى عناء نفسه وسيكون بذلك راضيا »[1] .

(١) مختصر دراسة للتاريخ ، أرنولد توينبي ، جزء ٢ ، ص ٤٥٢ و٤٥٧ .

– ١٢ –

حول برنامجهم الاقتصادي
صناعة وطنية مقيدة وتجارة عالمية بغير قيود

يؤكد البهائيون على أن من جملة أهدافهم الحرية الاقتصادية في النطاق العالمي ، وفتح الحدود أمام التبادل التجاري الدولي ، أما في المجال الوطني ، فإنهم يضعون بعض القيود الغامضة ، من قبيل ماجاءت عليه بروتوكولات حكماء صهيون :

« ولكيلا يتحقق الأمميون من الوضع الحق للأمور قبل الأوان ، سنستره برغبتنا في مساعدة الطبقات العاملة على حل المشكلات الاقتصادية الكبرى ، وان الدعاية التي لنظرياتنا الاقتصادية تعاون على ذلك بكل وسيلة ممكنة[١] .

فالبهائيون على غرار برتراند راسل يفرضون قيودا على المشروعات الاقتصادية ، هي أقرب الى الاشتراكية ، ويجعلون الثروات الوطنية من المواد الأولية ملكا مشاعا لجميع أمم الأرض ويضعونها تحت تصرف السلطة العالمية ، ثم يريدون حدوداً مفتوحة[٢] أمام التبادل التجاري العالمي بدون أية قيود أو حواجز . ولايخفى مايعنيه ذلك كله من سيطرة الأمم القوية ، أو الأمة الأقوى اقتصاديا ، على الأمم الضعيفة على نحو قد لايبلغه السلاح النووي .

ولعل هذه السيطرة الاقتصادية هي من أبرز أهداف إقامة الحكومة العالمية .

ومن المسلم به أن السيطرة الاقتصادية لاتقل خطراً عن السيطرة العسكرية ، بل

---

(١) البروتوكول السادس .

(٢) هذه العبارة استعملها الرئيس الأميركي جورج بوش في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١ .

لا تقل خطراً عن التحدي الذري ، بحسب قول أحد الخبراء[1] . وهناك من يقول بأن الحرب العالمية الثالثة ليست سوى حرب اقتصادية[2] .

(١) حان غيتون ، عضو الأكاديمية الفرنسية ، « الحروب والحضارات » ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، ص١٧ .

(٢) جين كيركباتريك ، جريدة لوس أنجليس تايمز ، جريدة الشرق الأوسط عدد ١٩٩٢/٧/٦ .

- ١٣ -

كيف الحكم على البهائية

موازين المعرفة عندهم

قد يكون من الصعب على من يطالع الكتب البهائية اخضاع موضوعاتها للبحث العلمي ، أو مناقشتها في ضوء العقل والمنطق أو في ضوء النصوص الدينية السابقة ، فهم ينكرون صراحة حكم العقل وحكم الأدلة الحسية وحكم النصوص الدينية السابقة عموما ، وينكرون الالهام أيضا ، ويطلبون ممن يتوجهون إليه أو يتوجه إليهم أن يتخلى مسبقاً عن أية أفكار أو علوم أو معتقدات يحملها ، وعن أية موازين يعتمدها ، ليستسلم لهم استسلاما مطلقا مجردا من أية مناعة أو حصانة .

فنبيُّهم عبد البهاء يقول :

« فاعلم أيها الواقف في صراط الله والمتوجه إلى الله والمقتبس من أنوار معرفة الله بأن الآية المباركة التي نزلت في الفرقان بصحيح القرآن قوله تعالى (**ما كذب الفؤاد ما رآى**) لها سرٌّ مكنونٌ ورمزٌ مصون وحقيقة لامعة وشؤون جامعة وبينات واضحة وحجة بالغة على من في الوجود من الركع السجود ، ونحتاج في بيان حقيقتها لِبَثٌ تفاصيل من موازين الإدراك عند القوم وشرحها ودحضها حتى يظهر ويتحقق بالعيان أن الميزان الإلهي هو الفؤاد ومنبع الرشاد ، فاعلم بأن عند القوم أربعة موازين يزنون بها الحقائق والمعاني والمسائل الالهية ، وكلها ناقصة لاتروي الغليل ولاتشفي العليل ، ولنذكر كل واحد منها ونبين نقصه وعدم صدقه.

« فأول الموازين **ميزان الحس** ، وهذا ميزان جمهور فلاسفة الافرنج في هذا العصر ، ويقولون انه ميزان تام كامل ، فإذا حكم به بشيء فليس فيه شبهة وارتياب ، **والحال أن دلائل نقص هذا الميزان واضحة كالشمس في رابعة النهار** ، فانك إذا نظرت إلى السراب تراه ماءً عذباً وشرابا ، واذا نظرت الى المرايا ترى فيها صورا تتيقن أنها محققة الوجود والحال أنها معدومة الحقيقة بل هي انعكاسات في الزجاجات ، وإذا

نظرت الى النقطة الجوالة في الظلمات ظننتها دائرة أو خطاً ممتدا والحال أنها ليس لها وجود بل يتراءى للأبصــار ، واذا نظرت الى السماء ونجومها الزاهرة رأيت أنها أجرام صغيرة والحال كلٌ واحدة منها توازي أمثال وأضعاف كرة الأرض بآلاف ، وترى الظل ســاكنـا والحال أنه متحرك ، والشعاع مستمرا والحال أنه منقطع ، والأرض بسيطة مستوية والحال أنها كروية ، فإذا ثبت بأن الحس الذي هو القوة الباصرة حال كونها أقوى القوى الحسية ناقصة الميزان مختلة البرهان فكيف يعتمد عليها في عرفان الحقائق الالهية والآثار الرحمانية والشؤون الكونية .

« وأما الميزان الثاني الذي اعتمد عليه أهل الاشراق والحكماء المشـاؤون[1] هو **الميزان العقلي** ، وهكذا سائر طوائف الفلاسفة الأولى في القرون الأولية والوسطى ، واعتمدوا عليه وقالوا ما حكم به العقل فهو الثابت الواضح المبرهن الذي ليس فيه ريب ولا شك ولاشبهة أصلا وقطعا ، فهؤلاء الطوائف كلهم أجمعون حال كونهم اعتمدوا على الميزان العقلي فاختلفوا في جميع المسائل وتشتتت آراؤهم في كل الحقائق ، فلو كان الميزان العقلي هو الميزان العادل الصــادق المتين لما اختلفوا في الحقائق والمســائل وما تشتتت آراء الأوائل والأواخر . فبسبب اختلافهم وتباينهم ثبت أن الميزان العقلي ليس بكامل ، فإننا إذا تصورنا ميزانا تاماً لو وزنت به مائة ألف نسمة ثقلا لاتفقوا في الكمية ، **فعدم اتفاقهم برهان كافٍ وافٍ على اختلال الميزان العقلي** .

« وثالثه **الميزان النقلي ، وهذا أيضا مختل** ، فلا يقدر الإنسان أن يعتمد عليه ، لأن العقل هو المدرك للنقل وموزن ميزانه ، فإذا كان الأصل ميزان العقل مختلا فكيف يمكن أن يكون موزونه النقلي يوافق الحقيقة ويفيد اليقين ؟ وان هذا أمر واضح مبين .

« وأما الميزان الرابع فهو **ميـزان الالهـام** ، فالالهام هو عبارة عن خطورات قلبية ، والوساوس الشيطانية أيضا عبارة عن خطورات تتتابع على القلب من واردات نفسية ، فإذا خطر بقلب أحد معنى من المعاني أو مسألة من المسائل فمن أين يعلم أنها الهامات رحمانية فلعلها وساوس شيطانية .

(١) هم أتباع فلسفة أرسطو . وقد اشتق الإسم من حقيقة أنه في مدرسة أرسطو كان التعليم يجري عادة أثناء السير .

« فإذا ثبت بأن الموازين الموجودة بين القوم كلها مختلة لا يعتمد عليها في الإدراكات بل أضغاثُ أحلامٍ وظنون وأوهام لا يروي الظمآن ولا يغني الطالب للعرفان .

« **وأما الميزان الحقيقي الإلهي الذي لا يختل أبداً ولا ينفك يدرك الحقائق الكلية والمعاني العظيمة فهو « ميزان الفؤاد »** الذي ذكره الله في الآية المباركة لأنها من تجليات سطوع أنوار الفيض الالهي والسر الرحماني والظهور الوجداني والرمز الرباني ، وانه لفيض قديم ونور مبين وجود عظيم ، فإذا أنعم الله به على أحد من أصفيائه وأفاض به على الموقنين من أحبائه عند ذلك يصل الى المقام الذي قال علي عليه السلام (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) . لأن النظر والاستدلال في غاية الدرجة من الضعف والادراك ، فإن النتيجة منوطة بمقتضيات الصغرى والكبرى فمهما جعلت الصغرى والكبرى ينتج منها نتيجة لا يمكن الاعتماد عليها حيث اختلفت آراء الحكماء ، فإذاً أيها المتوجه إلى الله طهر الفؤاد عن كل شؤونٍ مانعةٍ عن السداد في حقيقة الرشاد وزِنْ كل المسائل الالهية بهذا الميزان العادل الصادق العظيم الذي بينه الله في القرآن الحكيم والنبأ العظيم ، لتشرب من عين اليقين وتتمتع بحق اليقين وتهتدي الى الصراط المستقيم وتسلك في المنهج القويم والحمد لله رب العالمين »[1] .

يلاحظ هنا أن عبد البهاء اعتمد على الآية القرآنية الكريمة « **ما كذب الفؤاد ما رأى** – سورة النجم ١١ » ، فأعطاها تفسيراً ينافي ماذهب إليه المفسرون ، وينافي ماتفيده العبارة لغةً ضمن سياقها ، وذلك لغرض اتخاذها غطاءً لقضية فلسفيه بعيدة الجذور ، أبرَزَها قبله بعدة سنوات الفيلسوف الفرنسي اليهودي « **هنري برغسون** » (١٨٥٩ – ١٩٤١) في كتابه « **التطور المبدع** » الصادر عام ١٩٠٧ حين كان برغسون أستاذا في الكوليج دي فرانس ، وقد أحدث كتابه هذا حين صدوره ضجةً في عالم الفلسفة ، جعلت منه احدى ابرز الشخصيات الفلسفية في عصره .

اعتمد برغسون نوعا من « **الحدس** » ميزاناً له ، حتى تميز به ، فسُمّي بالحدس البرغسوني .

---

(١) « من مكاتيب عبد البهاء – ١ » ص ٨٣ .

فقبل برغسون ، جرى التمييز بين حدس حسي ، هو حدس الحواس ، وحدس داخلي هو الاختبار الضمني ، وحدس عقلاني يجعلنا نميز المبادىء الأولى . ولكن برغسون اعتمد حدساً آخر ، ليست له نقطة مشتركة مع الحدس التقليدي سوى قدرته على أن يدرك رأساً « بعض معطيات الشعور البديهية » . فهو عبارة عن « ادراك باطني اجمالي » و« مشاركة وجدانية حاذرة »[1] ، أو هو نوع من الادراك الصوفي أو المعرفة الصوفية[2] ، أو مايسميه برغسون أحيانا « **الحدس الصوفي** »[3] ، وأحيانا أخرى « **الاشراق** »[4] .

ولقد بدأت مكاتيب عبد البهاء في الصدور عام ١٩١٠ ، أي بعد ثلاث سنوات من ظهور كتاب برغسون . فلكي لايثير شبهة الاقتباس من برغسون ، حاول أن يستخلص معنى الحدس البرغسوني ذاته من الآية القرآنية الكريمة .

على أن الحدس البرغسوني ذاته يعود بجذوره إلى الأفلاطونية الحديثة ، التي وُصِفَت بأنها فلسفة تقوم على الوجدان والتجربة الذوقية الصوفية والكشف . ولهذا لا نجد أفلوطين يعنى بنظرية المعرفة ، بل يفترض ابتداء الموقف الشكي ، فينكر أن تكون للمعرفة العقلية أية قيمة ، وإنما القيمة كلها في التجربة الصوفية وفي الكشف والذوق[5] . وتتفق الأفلاطونية الحديثة في هذا مع الغنوصية ، وهي فلسفة هندية أو ربما فارسية ، عمادها الحدس والوحي ، أضحت مع الأفلاطونية الحديثة أساس الفلسفة اليهودية من خلال مدرسة الاسكندرية ، وتجلت بوجه خاص وبعمق في الكبالا اليهودية[6] .

وفي كتاب آخر يتحدث عبد البهاء عن موازين الادراك فيحصرها بأربعة ، هي :

---

(١) تيارات الفكر الفلسفي ، أندريه كريسون ، ص ٤١٦ . قصة الفلسفة ، ول ديورانت ، ص٥٥٦ .

(٢) الموسوعة الفلسفية ، ص ٧٨ .

(٣) « منبعا الأخلاق والدين » ، برغسون ، ص ٢٧٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

(٥) خريف الفكر اليوناني ، عبد الرحمن بدوي ، ص ١٢٢ .

(٦) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور علي سامي النشار ، ج١ ص١٨٧ .

ميزان الحس ـ ميزان العقـل ـ ميزان النقل ـ ميزان فيض روح القدس والتأييدات الإلهية للإنسان بروح القدس . وبعد أن يشرح كل واحد من الموازين الثلاثة الأولى وينتهي الى اعتباره ميزانا مختلا وناقصا ، يقول :

« اتضـح من هذا أنه ليس في يد الخلق ميزان يعتمد عليـه ، بل ان الميزان الصحيح الذي لا شك فيه ولاشبهة مطلقا هو فيض روح القدس والتأييدات الالهية للانسان بروح القدس ، وفي ذلك المقام يحصل اليقين »[1] .

لقد فات عبدَ البهاء ، أو على الأصح هو أراد أن يفوتنا نحن ، أن التأييدات الإلهية للإنسان ، إنما تمر عبر العقل والحس ، وليس خارجهما ، فهما معا جهاز الاستقبال السوي ، وتعطيلهما يؤدي إلى تعطيل التأييدات الإلهية .

وإذ لا نملك بهذا أن نضع كتاباتهم على محك العقل والمنطق والعلم والدين ، فانه ما كان لنـا إلا أن نبحث عن دوافعهـم وغاياتهم السيـاسيـة ، وراء هذا الستـار من الضباب الفلسفي .

على أن البهائيين حاولوا في كتبهم الدعائية الحديثة الادعاء بضرورة الاتفاق بين العلم والدين ، أو العلم والايمان ، مؤكدين على أن هذا الاتفاق هو أحد أسس دينهم ، وذلك بعد أن اتجهوا إلى نشر دينهم في الغرب ، إذ تعذّر انتشاره في الشرق .

ففي كتابهم « مختصر المبادىء البهائية » يذهبون الى القول :

« فعلى كل انسان أن يتحرى الحقيقة لنفسه بنفسه ويرى الأشياء بعينه لابعين غيره ويسمع الأمور باذنه لا باذن غيره . وقد كان نداء جميع الأنبياء للبشر أن يفتحوا أعينهـم لا أن يُغمضوها وأن يتبعوا العقل لا أن يخمدوه ، فلن يقدروا على أن يخترقوا سحب الأوهام ويخلعوا قيود التقليد الأعمى ويصلوا الى التحقق من صدق الدين والأمر الجديد إلا بإمعان النظر الصحيح وبحرية التفكير لا بالإيمان التقليدي التذللي ، فالذي يرغب أن يكون بهائيا يلزمه أن يفحص عن الحق بدون خوف ولا وجل إلا أنه يلزمه أن لايقصر أبحاثه على المستوى المادي بل عليه أن يتيقظ روحيا كما يستيقظ ماديا وعليه أن

(١) « من مفاوضات عبد البهاء » ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .

يستعمل جميع القوى التي أعطاها له الله ليصل إلى الحقيقة وأن لايعتقد شيئا بدون أن يثبت عنده ثبوتا عقليا صحيحا .

ويقول الداعية البهائي الدكتور جون أسلمنت في كتابه « بهاء الله والعصر الجديد » :

« ... **واننا لنجد في تعاليم بهاء الله ظهورا عظيما للحقيقة يرضي القلب والعقل وفيه يتحد الدين والعلم ويصبحان شيئا واحدا** ... إن التعاليم البهائية حول كيفية الوصول إلى الحقيقة تكشف عن وفاقها التام مع العلم وتوصي بأن يحرر الانسان نفسه من جميع التعصبات لكي لايحول بينه وبين الحقيقة حائل حين بحثه عنها »[1] .

ويقول عبد البهاء في أحد خطاباته في باريس ماتلي ترجمته :

« عندما يتجرد الدين تجردا تاما من جميع الخرافات والتقاليد والمعتقدات البليدة ، يلوح تطابقه ووئامه مع العلم ، كما يلوح النور المبين ، وعندئذ تتجلى قوة موحدة عظيمة تكتسح من أمامها كل الحروب والاختلافات والمنازعات والمشاحنات ، وعندئذ يتحد الجنس البشري بقوة محبة الله »[2] .

لكن القضية أكبر وأوضح من تكون قابلة للستر على هذه الصورة .

---

(١) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٢٢١ .

(٢) من « كتاب حكمة عبد البهاء » ص ١٣٥ ـ « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، جون أسلمنت ، ص ٢٣٤ .

- ١٤ -

الدوافع والأهداف

البهائية ، كما يشرحها أتباعها ، دين جديد ظهر ليحل محل الأديان السابقة عموما ، وليكون الدين الوحيد للبشرية جمعاء ، وهم يقولون بأن أصوله تعود إلى زمن موغل في القدم ، بل يصفونه بأنه أقدم الأديان ، وهو ليس في حقيقته سوى مشروع سياسي خفي تقوم عليه قوى دولية ، يغلفونه بفكر ملفق وروحانية مصطنعة للتعمية عليه ، ولتضليل وإغواء بعض الجهلة وأصحاب الهوى .

فالدعوى البهائية من الجسامة والخطورة ، بحيث يستحيل القول بأنها مشروع فردي ابتدعه من أسموه بالباب أو بهاء الله . لذلك يكون من الراجح أن هذين ليسا سوى شخصين صوريين تختفي وراءهما قوة سياسية عالمية .

بل إن ثمة الكثير من الدلائل والقرائن على أن تلك القوةالسياسية العالمية تكشّفَت في الكثير من المواطن والمناسبات ولم تبق طي الخفاء .

وليست الحركة البهائية فريدة في بابها ، فهي تندرج ضمن سلسلة من الحركات ظهرت عبر التاريخ يجمعها ، على الرغم من تباين أزمانها وأوطانها ، نسق واحد ، ويربط بينها سلك واحد ، وتحمل جميعها بصمات يد واحدة .

اتخذت تلك الحركات أشكالا مختلفة وسلكت أساليب عمل متباينة ، لكن اليد الواحدة التي تحركها والغايات المشتركة التي تجمعها ، كانت ظاهرة إلى حد كبير ، رغم كل وسائل التعمية والتمويه التي اتخذتها .

فالوحدة التي تجمع تلك الحركات ، إنما هي تعبير عن تنظيم سري عالمي أثبتت الأحداث وجوده على الدوام ، وإن تكن درجة نشـــاطه قد اختـلفت مابين فترة وأخرى .

ويبدو أن التنظيم كان في أوج نشاطه لدى ظهور الحركة البهائية في ايران ، ففي

وقت ظهور هذه الحركة ظهرت حركات عديدة أخرى ، تحمل السمات ذاتها ، **كالقاديانية** في الهند ، وحركة **ماهوا لونغ** الذي ادعى النبوة بين المسلمين الصينيين فيما بين سنتي ١٨٦٠ و١٨٧٠ م[1] ، **والحركات الأصولية الانجيلية** التي انطلقت من بريطانيا لتستقر في الولايات المتحدة الأمريكية ، **وحركة شهود يهوه** في الولايات المتحدة . وما سمي بـ « **دين الانسانية** » الذي ابتدعه **أوغست كونت** في فرنسا ، وحركات أخرى مشابهة في روسيا القيصرية وغيرها ، وقد توافق ذلك كله مع تزايد النشاط الصهيوني في العالم .

فالصهيونية التي تعتبر اليهود شعباً مغلقاً مختارا ، يعتنق دينا مغلقاً غير تبشيري ، لا بد لها لكي تستطيع السيطرة على شعوب العالم من أن تحتوي هذه الشعوب بتنظيمات خاصة وبعقائد مصطنعة . ومن هنا كان سعيهم إلى نشر فلسفات بعينها وتنظيمات خفية أو غامضة .

إضافة إلى تلك الحركات ، جندت الصهيونية جيشا من العلماء والفلاسفة والمؤرخين للترويج لمشروعها . لذا وجدنا الكثير من مخططات البهائية مبثوثا في مؤلفات وكتابات أشخاص يبدون ، في ظاهر الأمر ، بعيدين عن البهائية ، مثل برتراند راسل ، وأرنولد توينبي ، وإينشتاين ، وديفيد بوهم ، وهنري برغسون ، وبحّاثة نادي روما ، وعلماء معهد هدسون في الولايات المتحدة الأمريكية ، بل وحتى من بعض حملة لواء الاسلام وعمامة المسلمين ، مثل عبد القادر أحمد عطا ، وآخرين .

لقد ألح القوم على بناء الحكومة العالمية ، حتى جعلوها قدرا لا مفرّ منه ، فلم يكتفوا بالدعوة اليها وتقديم أدلتهم على ضرورتها ، لكنهم وضعوا أمام البشرية أحد خيارين ، لا ثالث لهما ، فإما الحكومة العالمية أو الفناء الشامل .

غير أن أحدهم كان أكثر سخاء وإنسانية ، فهو يقول :

« في الغالب ، يبقى للإنسان الحديث حرية الاختيار بين إمكانيتين : إمكانية الوقوف في وجه التاريخ الذي تصنعه أقلية محدودة للغاية (وفي هذه الحالة تكون له حرية الاختيار بين الانتماء والاغتراب) وإمكانية الاحتماء في وجود أدنى من المستوى

---

(١) أشار إلى هذه الحركة جولد تسيهر في كتابه العقيدة والشريعة ص ٣٦٦ .

الإنساني ، أو اختيار الهروب والتشرد »[1] .

لقد تعددت أساليبهم ، لكن كما « تعددت الأسباب والموت واحد » .

فترى ملحدا فاسقا ، يقيم الدليل على حتمية هذه الحكومة عن طريق العلم الطبيعي ، وآخر زاهد صوفي يقيم الدليل على هذه الحتمية عن طريق الدين ، وثالث مؤرخٌ يقيم الدليل عن طريق الحتمية التاريخية ، ورابع اقتصاديٌّ يقيم الدليل من خلال الضرورة الاقتصادية ، وخامس فيلسوفٌ اعتاد أن يقيم برهانه عن طريق الحدس الباطني فيقوده هذا الحدس إلى الحكومة العالمية ، وسادس فيلسوفٌ عقلاني منطقي يقيم الدليل عن طريق العقل والمنطق .

بعضهم يريد انشاء جيش لإقامة الحكومة العالمية ، وآخر يصطنع دينا لمقتضيات اقامة هذه الحكومة .

ترى داعية سلام يتوسل بالحرب لإقامة الحكومة العالمية ، وترى رجل حرب يتوسل بالسلام لاقامة هذه الحكومة ، وآخر يتوسل بالدعاء الى الله العلي القدير .

بعضهم يطرح قضيته صراحة وعلنا ، وآخرون يتوسلون بالتقيّة ، وفريق يكتفي بتقديم تساؤلات لاجواب عليها غير « الحكومة العالمية » . لكنهم جميعاً يفعلون ذلك دائماً ،بمناسبة وبدون مناسبة ، وقد يفعلونه عرَضاً ضمن مسائل أخرى .

يريدون إقامة الحكومة العالمية لضمان السلم العالمي وقطع دابر الحروب ، لكن الغالبية العظمى منهم تقر علنا أن لا سبيل إلى إقامة هذه الحكومة غير حرب نووية لا تبقي ولا تذر ، سماها بعضهم معركة هرمجدّون .

تراهم في كل العصور وكل الأقطار ! يعملون على تحطيم كل الأديان التي تعيق اتجاه البشرية نحو ذلك المصير ، وينشئون من الأديان مايكفل عبودية بني الانسان المطلقة لزعامتهم .

كيف لا وتلمودهم يقول : **« أرواح اليهود هي جزء من الله وهي في جوهر الله ، مثلما الابن هو من جوهر أبيه . فاليهودي إذن هو الرب الحي ، الرب المتجسد ، إنه**

---

(١) أسطورة العودة الأبدية ، ميرسيا ايلياد ، ص ٢٣٠ و ٢٣١ .

إنسان السماء ، إنه آدم . وأما باقي البشر ، فإنهم أرضيون ومن عرق متدن »[١] .

لقد اختاروا العمل ، كما يبدو ، في إطار مجموعة من الحركات الجماعية والفردية تطبيقا للمثل القائل « لاتضع جميع البيض في سلة واحدة » ، وهم يتوخون بذلك على الغالب :

١ – إرضاء جميع الأذواق والرغبات واستيعاب جميع الأنواع من الناس والولوج إلى جميع المجالات .

٢ – أن لا يخرج الأمر عن السيطرة دفعة واحدة إذا ما أمكن لشخص غريب أو فئة غريبة الإرتقاء إلى المستويات العليا للحركة . وإن يكن من الملاحظ أنهم ضبطوا هذه المسألة بدقة بالغة . ففي الاتحاد السوفييتي مثلا ، كما في دول أوربا الشرقية ، لم يتمكن أحد ممن يحمل اسم أحمد أو محمد أو علي أو عمر أو ما شابه ذلك ، أو ممن كان لهم في قديم الزمان جد يحمل مثل هذه الأسماء ، أن يصل إلى قمة السلطة ، مهما بلغ من الإلحاد أو العلمانية أو النأي عن الدين أو الالتزام بالشيوعية ومهما بلغت تضحياته في سبيل الحزب الشيوعي ، وكان من هؤلاء عدد غير قليل في الأحزاب الشيوعية .

ويفسر الداعية البهائي أبو الفضل ذلك في كتابه « الحجج البهية » بقوله : « **حتى الذين يُعَدّون عند أهل البصـارة من ألد أعداء الدين وأشد الناس كرها للأنبياء والمرسـلين من قبيـل مقلدة الفلاسفة الطبيعيين والماديين والدهريين ، فإنهم أيضا يتعصبون للديانة التي ولدوا فيها ويغارون كثيرا للشريعة التي نشأوا عليها ، بل هؤلاء كثيرا ما يظهرون أكثر تعصبا من المتدينين الحقيقيين وأكبر بغضا وعنادا لمظاهر أمر رب العالمين ...** »[٢] .

---

(١) الحفل الساهر الكبير ، بيير هابيس ، ص ٣١٠ .

(٢) مختارات من مؤلفات أبي الفضائل ، ص ٢٣٩ – وهو يقصد بمظاهر أمر رب العالمين بهاء الله وأمثاله .

ولم تكن هذه الحركات لتشكل أي خطر جدي لو أنها اكتفت بطرح فكرها بشكل حُرٌّ نزيه ، فلم تتسلل خلسة الى عقول الناس عن طريق الخداع والتضليل ، وحتى عبر الدين ذاته الذي تعمل للقضاء عليه . فلقد وجدنا البهائية مثلا تطل برأسها من خلال بعض مساجد المسلمين وبعض كنائس المسيحيين ، ومن خلال بعض الأشخاص الذين يرتدون زيَّ رجال الدين في الحالين ، كمن أسمتهم السيدة عائشة عبد الرحمن « أنماطا من الغزاة الدهاة ، في أزياء وأقنعة تنكرية ، جمعت بين عمامة الشيوخ ورداء العلماء العصريين ومرقعات الصوفية وطراطير الحواة » ، ومن خلال ما أسماه بعضهم « **قراءة معاصرة » للقرآن الكريم**[1] ، وأسماه آخرون « **محاولة فهم عصري للقرآن** »[2] .

فحين يبدي صاحب الديانة البهائية غاية الاغراق في حب الله ، ومنتهى التذلل والعبودية لرب العالمين ، ويعرب عن احترام الأديان السابقة جميعها ، نراه يتقمّص رداء الألوهية ويحمل معول الهدم لتدمير تلك الأديان كلها واعلان محوها جميعا ، ربما باستثناء اليهودية ، كما سيتضح .

مقارنة موقف جولدتسيهر من الإسلام مع موقفه من البهائية :

ان مقارنة موقف المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر (المولود عام ١٨٥٠ والمتوفى عام ١٩٢١) من الإسلام ، مع موقفه من البهائية ، يقدم لنا مؤشرا عن دوافع وأهداف الحركة البهائية .

فلقد قدم هذا المستشرق في كتابه « العقيدة والشريعة » صورة مشوهة ممسوخة عن الإسلام وعن نبيه محمد ﷺ إلى حد أنه جعل الوحي الذي تلقاه الرسول الكريم نوعا من الشعور المَرَضي وجعل الدين الاسلامي مزيجا من الأفكار والآراء الهلينستية والتشريعات الرومانية والنظريات السياسية الفارسية وتيارات الفلسفة الهندية والأفلاطونية الجديدة . في حين أسبغ على الباب وعلى بهاء الله وعلى حركتهما الكثير من

(١) اشارة الى كتاب محمد شحرور « الكتاب والقرآن ــ قراءة معاصرة » .

(٢) اشارة الى كتاب مصطفى محمود « محاولة فهم عصري للقرآن » الذي أصدرته في مصر دار روز اليوسف سنة ١٩٧٠ .

النعوت الرفيعة ، فوصف **الباب** بالشاب الورع الذي شهد له أصحابه بسبب مواهبه الفائقة وحماسته المتقدة بأن العناية الإلهية قد اصطفته لغاية سامية والذي دعا أتباعه ومريديه إلى بغض علماء الدين في فارس بسبب نفاقهم وورعهم الكاذب وتكالبهم على الدنيا ولم يدخر وسعا في أن يرفع الوحي المحمدي درجة نحو النضج والكمال . ويضيف : « ولم تكن النظريات التي أتى بها هذا الشاب الفارسي المنجذب قاصرة على المسائل الإعتقادية والشرعية والتي قصد بها مناهضة فقه الملا والتخلص من ضيقه وجموده ، بل انه نفذ بتعاليمه إلى الظروف والأحوال الاجتماعية التي تحيط بإخوانه في الدين ، وتغلغل فيها ، **فأتى بنظريات أخلاقية تطابق العقل والذوق السليم ، طالب فيها بالإخاء بين كافة أفراد الجنس البشري بدلا من إقرار الفوارق التي تفصل بين الطبقات والديانات**[١] ، ورغب في أن يجعل المرأة على قدم المساواة بالرجل وذلك بانتشالها من الدرك الأدنى الذي وضعتها فيه تقاليد الحياة العملية باسم الدين والسنّة . وقد بدأ بإلغاء الحجاب الذي فرض عليها ، وإنكار ذلك الأسلوب الهمجي في الزواج الذي أصبح جزءا من تقاليد المجتمع الإسلامي ... وإذاً ، فقد أدخل الباب في نطاق إصلاحاته الدينية قواعد تبنى عليها الحياة الاجتماعية ، **لأنه ليس مصلحا دينيا فحسب ، وإنما هو في نفس الوقت مصلح إجتماعي** » .

ثم يصف بهاءَ الله وحركته فيقول : « وهذا التجلي للعقل الكوني الذي ظهر في شخص بهاء الله ، والذي قصد به إتمام مابثه المؤسس الأول من تعاليم ، قد نسخ الرسالة البابية في بعض نقطها الجوهرية ؛ **فبينا البابية ، في حقيقتها ترمي إلى إصلاح الإسلام ، يتقدم بهاء الله بفكرة واسعة النطاق وهي ايجاد ديانة عالمية يتحقق** بواسطتها الإخاء الديني بين الناس كافة ! وكما أنه في آرائه السياسية يتشبث بالعالمية ، فقد تخلى كذلك في ديانته عن أية عقيدة من العقائد الضيقة الجامدة[٢] ، وقد اعتبر

---

(١) هذا الوصف لموقف الباب من الإخاء بين أفراد الجنس البشري فاقع جدا ، فالمعروف ، كما أقر بذلك بهاء الله وابنه عبد البهاء ، أن الباب نهى أتباعه عن معاشرة غير البابيين إطلاقا وأمر بقتل الآخرين بدون تمييز ، حتى أن بهاء الله يعتبر من مفاخره إلغاء مثل هذه الأحكام التي شرعها الباب .

(٢) هو في الحقيقة تخلى عن كل العقائد والأديان السابقة إطلاقا .

نفسه مظهر العقل الكوني لكافة الجنس البشري ، ولذلك بعث بكتبه الرسولية – التي تؤلف جزءا من كتابه المنزل عليه – إلى الأمم والحكام في أوربا وآسيا ... ومما ساعد بهاء الله على رفعة قدره بين أتباعه ، حتى بلغ عندهم مرتبة الكائن الإلهي ، مافاض عليه من مواهب النبوة ونفحاتها ، فقد بعث لنابليون الثالث برسالة تنبأ فيها بسقوطه الداهم قبل هزيمة سيدان ، بأربع سنوات ... وقد نبذ كل القيود الدينية : الإسلامية منها أو الخاصة بالبابية القديمة ... جعل في المحل الأول كل مصلحة عامة ترمي إلى إقرار القواعد الخلقية والاجتماعية ... فقد دعت البهائية إلى المساواة بين أفراد الجنس البشري وجعلت من هذه المساواة لب تعاليمها[1] وقد عنَّف بهاءُ الله في سورة أنزلت عليه تسمى « سورة الملوك » سلطان تركيا ، تعنيفا شديدا لأنه فرق في الحقوق والامتيازات بين طوائف السكان[2] وعالج العلاقات الزوجية بغية تنظيمها وإصلاحها ... وهكذا نراه يخالف فيما ذهب إليه القواعد المتبعة في الإسلام ... وترى البهائية أن الشريعة الإسلامية قد انقضى عهدها انقضاء تاما وبطل مفعول أحكامها[3] ... وقد ألغى بهاءُ الله بجرة قلم – ولم يوضح ذلك تفصيلا – القيود التي يفرضها الإسلام على معتنقيه ... وقرر لأتباعه أن « في إمكانهم أن يعملوا كل مالايخالف العقل البشري السليم »[4] .

---

(١) البهائية أقرت لليهود بأنهم شعب الله المختار وبأن فلسطين وطنهم ومنعت التبشير بالبهائية في فلسطين . فهل هذا مساواة ؟ .

(٢) بل لأنه رفض إعطاء فلسطين لليهود .

(٣) ولهذا نرى جولد تسيهر يجزل المديح لبهاء الله .

(٤) « العقيدة والشريعة » ، جولد تسيهر ، ص ٢٤١ – ٢٤٧ .

- ١٥ -

جذور النظام العالمي الجديد

في كتابه « **العالم يحترق** » ، الذي نشرت طبعته الرابعة في عام ١٩٨٦ يقول **المبشر الإنجيلي القس بيلي غراهام** (وهو الذي كان يجلس إلى جانب الرئيس الأمريكي جورج بوش حين أعلن هذا الأخير عن نظامه العالمي الجديد مع بداية هجوم الحلفاء على العراق في حرب الخليج الأخيرة ، كما أشير إليه سابقاً – ص١٣) . يقول تحت عنوان « عالم الغد » :

« ان الرجاء المسيحي مؤسس على عالمين – هذا العالم والعالم العتيد . عندما نضع هذين العالمين نصب أعيننا ، نكون مستعدين خير استعداد لحياة كاملة هنا . للمسيحي رجاء بحياة فرح ، وسلام ، ومحبة مضحية وسط عالم كله متاعب . للمسيحي رجاء بأحوال أفضل للمعيشة ، نتيجة التأثير المسيحي في أي مجتمع وأية بيئة . إلا ان رجاء المسيحي الأعظم والنهائي ، هو في العالم العتيد ...

« يفترض الكتاب المقدس في كل صفحاته عالما عتيدا . ولايجادل الكتاب للبرهنة على وجوده ، أو لتوضيحه بفصاحة وبلاغة . يقول غوردون البورت (Gordon Allport) « أشد مايهم البشر هو المستقبل » . قال بولس مرة وهو يصف مستقبل المسيحي : « ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه » (١ كرنثوس ٢ : ٩) .

« مرة رأى بولس الرسول رؤيا السماء ، حين شاهد أشياء « لا يسوغ لأحد أن ينطق بها » . وهذا يدل على أنه لم يستطع أن يعبر أو يوضح ماراه بطريقة يمكن فهمها . إننا لانستطيع أن نفهم عجائب العالم العتيد أو نوفق بين معرفته ومعرفة هذا العالم . وإذا حاولنا ذلك نجد انه فوق طاقة مداركنا الحاضرة . وقد كتبت حوالي نهاية الكتاب المقدس هذه الآية « **ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا** » (رؤيا ٢١ : ١) .

« كل شيء يتصل بالسماء سيكون جديدا . لقد وصفت كخليقة جديدة ، نتحرك فيها بأجسام جديدة ، وتعطى فيها أسماء جديدة وترنم ترانيم جديدة ، ونسكن في مدينة جديدة ، ونُحكَم بنوع جديد من الحكومة ، وتتحدانا انتظارات أبدية جديدة . سيستعيد الانسان الفردوس الذي فقده ، لكنه سيكون أكثر من فردوس . سيكون فردوسا جديدا ، لاقديما قد رمم وأعيد تكوينه . عندما يقول الله « **ها أنا أصنع كل شيء جديدا** » فالتشديد في ذلك هو على « كل شيء » . سنحيا في عالم جديد تماما »[1] .

ويقول بيلي غراهام : « يخبرنا العلماء أن الفضاء غير محدود وأننا نعيش في كون يتسع ويمتد ولايتقلص . وكل ما ابتكرناه من أنواع المنظار المقرب (التلسكوب) ، لم يستطع أن يجد حدودا للفضاء الخارجي . **هذا الكون كله سيكون امبراطوريتنا** . وما يصدق على الفضاء يصدق على ما نسميه حاليا الوقت ، لأن الوقت ستخلفه الأبدية ، فنتحرك ونسير في دهور لانهائية في المستقبل ، نكتشف أبعادا في الكون لا نهاية لها »[2] .

ويقول بيلي غراهام : « قال صديق لمارك توين : اني منزعج فإن العالم يقترب من النهاية » .

« أجاب توين الفكه الشهير : « لاتنزعج نستطيع أن نستغني عنه » .

« ربما لم يعرف مارك توين هذه الحقيقة ، لكنه نطق بها واضحة . فإننا نستطيع أن نسير بدون العالم ، وأن نستغني عن هذا العالم ، لأن الله رتب أن يصوغ عالما جديدا بنار . كتب بطرس الرسول : ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها (٢ بطرس ٣ : ١٠) .

« لقد رأى الأنبياء من قبل ، وقت الاحتراق هذا ، فأنبأوا بأنه يوم الرب العظيم المخيف ، الذي فيه تتزلزل الأرض ، وترتعد السموات ، وتظلم الشمس ، ولاتعطي

---

(١) العالم يحترق ، بيلي غراهام ، ص ٣١٨ – ٣٢٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .

النجوم ضوءها . سيكون يوما « كنار تحرق » و« لهيب يأكل » كما قال الأنبياء ، وهم يتكلمون ويعيدون مستخدمين كلمة « النار » وصفا لذلك اليوم .

« تستخدم كلمة « النار » في الكتاب المقدس مرارا ، ليس للتعبير عن نار الاحتراق ، كما نعرفها عادة . بل للدلالة بأن الله يستخدم النار كعامل للتنقية والتطهير . عندما نقرأ أن الروح القدس نزل « كألسنة من نار » ، لانحسب أن هذه كانت نارا حرفية ، بل تصويرا لطبيعة الروح القدس كعامل للتطهير . ويمكن اعتبار النار أيضا كعامل للتنقية . عندما يتكلم الأنبياء عن النار في دينونة الله ، أو عندما يذكر الرسول بطرس ، النار في نهاية الدهر ، فالأرجح أنه لا يشير إلى نار الاحتراق ، **بل يمكن أن تكون نار الانقسام الذري ، نار الانفجار النووي بتفكيك الذرة** . هذا مجرد تخمين بالطبع ، ولكن يمكن أن تكون صورة النار الأولية الخلاقة التي استخدمت في البدء ، ويمكن أن تستخدم مرة أخرى في « البداءة الجديدة » لايجاد أرض جديدة ...

« لكنها ستكون لانار دينونة فقط ، بل نار تطهير وتنقية . بين مواعيد الكتاب المقدس الكثيرة جدا ، الوعد بعالم جديد . هذا هو الوعد بأن الخطأ يتحول صوابا ، والشر يتحول خيرا ، والفاسد يصير نقيا ، واللعنة تتبدل إلى بركة . سيتم هذا في السماء الجديدة والأرض الجديدة . هذا ماذكره بطرس الرسول ، حين كتب « **ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضا جديدة يسكن فيها البر** » (٢ بطرس ٣ : ١٣) ...

« لقد تداخل الله في أحوال البشر بطوفان في الماضي ، وسيتداخل في المستقبل . تداخل الله في أحوال البشر بصليب المسيح ، ليعرّف العالم محبته العظمى للإنسان ، « وهو لا يشاء أن يهلك أناس » وسيتداخل مرة أخرى في الحوادث المتصلة بالمجيء الثاني للمسيح . كانت وسيلة التداخل في الماضي بالماء ، أما في المستقبل فستكون بالنار »[1] .

(١) العالم يحترق ، بيلي غراهام ، ص ٣٠٨ – ٣١١ .

وفي معرض حديث بيلي غراهام عن التغييرات التي ستؤدي بالبشرية الى العالم الجديد ، يقول :

« أولا ، « تزول السموات بضجيج » . هذا يشير غالبا إلى الجو المحيط بالأرض . وهو لايعني أنها ستزول من الوجود ، بل أنها ستتغير . يعني تغيير وضعها وليس فناءها ، لأنه سيأتي مكانها جو جديد وأرض جديدة . سيعاد تكوينها لسكنى الانسان الجديد الذي سيكون له جسد جديد . حتى الجو سيتغير ليلائم هذا الانسان الجديد .

« ثانيا ، يقول بطرس : « وتنحل العناصر محترقة » و« العناصر » هنا تعني الأشياء الأولية الأساسية ، أو الخطوة الأولى . ولما نطبق العناصر على المادة ، كما هو الحال هنا ، فالأمر يشير إلى التركيب الأساسي للمادة بالنسبة للذرات . كل المادة تتكون من ذرات . وكل العناصر يمكن أن تتغير بالحرارة . والمفترض عامة هو أن هذه الحرارة هي حرارة الاحتراق أو الالتهاب ، لكن يمكن أن تكون الاشارة الى الحرارة المتولدة عن انفصال البروتون والنيترون في نواة الذرة ، فتطلق قوة حرارة هائلة في الطبيعة ، بها تتغير السماء والأرض الحاضرتين الى سماء جديدة وأرض جديدة . اننا في الواقع لا نعلم كيف سيتم هذا ، وكل مانذكره هو مجرد تخمين في ضوء معرفتنا بالعلم الحديث ... نحن اليوم في مركز يساعدنا على فهم مثل هذه الفصول الكتابية ، كوصف بطرس للسموات الجديدة والأرض الجديدة ، لدرجة لم تكن ميسورة للناس منذ جيل مضى .

« التغيير الثالث الذي يذكره بطرس هو التغيير الذي يجري في الأرض . « **وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها** » . **كل ما لا يتفق مع الحياة الجديدة في العالم الجديد سيفنى** . هذا ما يسميه بعضهم بنهاية العالم ، ولكن العالم لن ينتهي أبداً . انه سيتغير الى عالم أفضل .

« عملية التغيير ، ستنتج سماوات جديدة وأرضا جديدة ، كما يظهر من هذا الكلام : « فبما أن هذه كلها تنحل أي اناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى . منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب الذي به تنحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب » (٢ بطرس ٣ : ١١ ، ١٢) .

« عجيب أن يكون كاتب ، كتب منذ نحو ألفي سنة ، بوحي الهي ، أن يستخدم

كلمة « تنحل » التي أصبحت محملة ومشحونة بمعنى عصري حديث ، عن طريق العلم المعاصر .

« كلمة « منحل » هي نفس الكلمة التي استخدمها يسوع حين وقف أمامه لعازر وهو خارج من قبره ، مربوطا بأكفان الموت . قال يسوع « حلوه ودعوه يذهب » (يوحنا ١١ : ٤٤) . وعندما « تنحل » أشياء الطبيعة ، ستفك من أكفان المرض والموت والفقر . وستطلق كل الطبيعة لتذوب في حالة الوجود الجديدة المجيدة .

« كل واحد منا قد أذاب قرصا في كأس ماء . ترى ماذا حدث ؟ صار سائلا عوضا عن كونه جامدا . غير منظره لكنه لم يغير مادته . اتخذ صورة أخرى لوجوده . هذا يحدث كلما تناولت قرصا من الأسبرين .

« ستحدث اذابة ، أو سيحدث انحلال من هذا النوع – لافناء ولامحو ، بل تغيير إلى أشكال وصور وحالات جديدة . يمكن أن يكون الوسيط الكيميائي للتغيير نارا ، كما في الانشطار النووي . ستحدث تغييرات جيولوجية ، وحيوانية ، وكيميائية ، وفلكية ، انما أهم من ذلك بكثير ، هو الترتيب الجديد للأشياء . ستحدث تغييرات خلقية وروحية لأنه سيخلق عالم جديد « يسكن فيه البر »[1] .

لكن متى وكيف سنبلغ هذا العالم الجديد ؟ .. يقول بيلي غراهام :

« ان خلاص المجتمع ، سوف يتحقق بالقوى والقدرات التي يطلقها رجوع يسوع المسيح ، كما ورد في الإشارات الرؤيوية . وسيتم بطريق ملكوت الله وحسب مبادئه[2] .

« نجد تعبيرا يتكرر مرارا في الكتاب المقدس ، إذ يشير الكتّاب الى « **ذلك اليوم** » أو « **اليوم** » أو « **الأيام الأخيرة** » .

« لقد كان كتّاب الكتاب المقدس يتطلعون الى يوم ذروة يسمونه « ذلك اليوم » ...

« الى أي يوم كان أولئك الناس يتطلعون ؟ ما هو هذا اليوم ، يوم الذروة في

---

(١) العالم يحترق ، بيلي غراهام ، ص ٣١١ – ٣١٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

التاريخ ، اليوم الذي يتكلم عنه الكتاب المقدس ، ويشير اليه كل كتّاب العهد الجديد ؟ ... كان كتّاب العهد الجديد ، وهم يتكلمون عن « ذلك اليوم » و« ساعة الصفر » ، يقصدون مجيء المسيح ثانية في مجده الى الأرض[1] .

« يعلم الكتاب المقدس أن مجيء المسيح ثانية سيكون فجائيا ومثيرا وعلى غير انتظار . « لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق ان يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء » (١ تسالونكي ٥ : ٢) ... ان مجيء المسيح ثانية سيكون في سلسلة من الحوادث تمتد فترة طويلة من الزمن[2] . وتلك هي القيامة[3] .

« وأخبر يسوع تلاميذه ان هناك علامات يجب أن يلاحظوها ، لكنه حذرهم في مناسبتين ، من محاولة تحديد وقت معين ، فقال : « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلايعلم بهما أحد ولاملائكة السموات إلا أبي وحده » (متى ٢٤ : ٣٦) . « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه » (أعمال ١ : ٧) . ومع أنه حذرهم من محاولة تحديد موعد رجوعه في وقت معين بالضبط ، إلا أنه أكد لهم ان هناك علامات موجودة في كل الكتاب المقدس ، كما هي ظاهرة في كلامه هو ، تبين لكل من لهم « عيون لتبصر » أن الوقت قريب . « ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب » (لوقا ٢١ : ٢٨) ...

« قال يسوع سيأتي جيل في المستقبل تدل صفاته على أن النهاية قريبة . بمعنى آخر يوجد جيل يمكن أن ترمز اليه بأنه « جيل س » ، سيأتي في وقت معين في التاريخ ، تتجمع فيه كل العلامات . وأولئك الذين تجددت قلوبهم بيسوع المسيح ، واستنارت عقولهم بالروح القدس ، يستطيعون أن يقرأوا علامات « ذلك اليوم » ، وأن يحذروا الناس ، كما فعل نوح . **ويبدو اليوم أن هذه العلامات تتقارب وتتجمع لأول مرة منذ صعد المسيح الى السماء »**[4] ... **« إن مجيء المسيح صار الآن أقرب مما كان حين**

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ و٢٤٨ .

(٢) العالم يحترق ، بيلي غراهام ، ص ٢٦٢ و٢٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

آمنا . ربما يصبح الكثير من هذه الحوادث أكثر ظهورا وجلاء قبل أن ينتهي هذا الجيل »[1] .

ثم يُعدد بيلي غراهام بعض علامات اليوم الموعود فيذكر منها : الانهيار الفكري ، الانهيار الخلقي ، الارتداد عن الدين ، ازدياد الاثم ، ظهور مستهزئين ، اضطهاد عام ، ازدياد الثراء الفاحش الى جانب الموت جوعا ، الاستعداد لهرمجدون ، انتشار العلم والمعرفة وازدياد معرفة نبوات الكتاب المقدس ، مؤتمرات السلام ، مجيء طاغية عالمي ، تبشير كل أنحاء العالم .

فعن « الاستعداد لهرمجدون » يقول غراهام :

« سوف تسمعون بحروب وأخبار حروب » (متى ٢٤ : ٦) . يشير الكتاب المقدس الى أن الحروب ستصبح أكثر انتشارا ، وأشد تدميرا ، وأوفر حدوثا كلما زدنا اقترابا من النهاية .

« لا شك ان شعوب العالم اليوم تقوم باعداد المسرح لمشهد من أفظع وأرعب المشاهد في رواية النزاع البشري ، وان العالم يسرع نحو حرب شاملة اشد تدميراً من كل ماعرف من قبل . وتعرف هذه الحرب في الكتاب المقدس بـ « معركة هرمجدون » (رؤيا ١٦ : ١٤ – ١٦ ، ويوئيل ٣ : ٩ – ١٤) ...

« يُعلّم الكتاب المقدس ، أن الإنسان متمرد على القانون ، ثائر على الشرائع ، لدرجة أنه سيحشد جيوشه يوما ما ، ضد الله نفسه . وستحدث المعركة الأخيرة العظمى ، هرمجدون « فجمعهم الى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون » (رؤيا ١٦ : ١٦) . هذه ستكون الحرب الأخيرة ، والمعركة الفاصلة ، وآخر جهد يبذله الانسان الساقط ضد شريعة الله . ماذا سيكون جواب الله ؟ هل سيكون اظهار الرحمة ؟ اظهار التسامح ؟ كلا ! بل سيكون موقف الدينونة . لقد قدم الله محبته ورحمته وغفرانه للبشر . قال الله للعالم كله من خلال الصليب : « اني احبكم » فلما ترفض محبة الله عمدا وباصرار ، لا يبقى سوى الدينونة »[2] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ و٢٨٩ .

(٢) العالم يحترق ، بيلي غراهام ، ص ٢٨٢ و٢٩٨ .

وعن « مجيء طاغية عالمي » ، يقول غراهام :

« هناك اشارات كثيرة طريفة في الكتاب المقدس ، عن حكومة عالمية مستقبلة يرأسها ديكتاتور طاغية يسمى في الكتاب « ضد المسيح » . ولا يسمح المجال بالافاضة في هذا الموضوع هنا . وواضح أن قبول العالم لحكم شخص واحد لابد أن تسبقه فترة إعداد . عُقد مؤخرا مؤتمر للسلام في واشنطن ، وأشار متكلم بعد آخر الى ضرورة والى امكانية اقامة حكومة عالمية ...

« لقد اتضح في العقد الأخير بأنه لاتستطيع أن تعيش أية أمة لذاتها بمعزل عن سائر شعوب الأرض ، لأن مايؤثر في بلد ، يؤثر في الجميع . وهناك اتجاه ظاهر في كثير من الأمم الناشئة نحو الدكتاتورية ، وهذا يعني انهيار الديمقراطية . كثيراً ما فشلت في أن تعمل بقوة وفاعلية ، الحكومة التي يحكمها جماعة من القادة ، ويعزى السبب في ذلك جزئيا الى اختلاف الآراء . فإن الاختلافات والمناقشات والأبحاث التي لانهاية لها ، تبطل مشورة الكثيرين .

« نقرأ في الكتاب المقدس : « لأن الله وضع في قلوبهم أن يصنعوا رأيه وأن يصنعوا رأياً واحداً ويعطوا الوحش ملكهم حتى تكمل أقوال الله » (الرؤيا ١٧ : ١٧) . وهناك فصل آخر في كلمة الله يكشف هذه الحقيقة : « لأن سر الاثم يعمل فقط الى أن يرفع من الوسط الذي يحجز الآن . وحينئذ سيستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه . الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة . وبكل خديعة الاثم في الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الله حتى يخلصوا . ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب . لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سرّوا بالاثم » (٢ تسالونكي ٢ : ٧ – ١٢) . هذا الفصل يبين صريحا أن هناك قوة فوضوية آثمة تعمل عبر العصور ، ويظهر أثرها بشكل واضح قرب نهاية الدهر حين يمسي الناس « يسرون بالاثم » ، وسيظل الروح القدس الذي يحجز الآن هذا العمل الشرير ، يحجز ويمنع فقط الى أن يؤخذ المؤمنون .

« ثم بعد ذلك يسمح لهذا الرجل « السوبرمان » الذي هو تجسد الشيطان ، ويسمى في الكتاب المقدس « ضد المسيح » سيسمح له أن يسيطر على العا لم . ويُعَلِّم الكتاب المقدس ان العالم سوف يصل الى مرحلة ، يقيم فيها حكومة عالمية ، ويظهر

طاغيـة أو رئيس عالمي يأخذ زمام السـلطـة . وستشتغـل آلات التصوير وتعرض شاشات التلفزيون ، وتذيع أجهزة الإذاعة ، أنه قد انتخب رجل السلام ، الحاكم العالمي العام .

« وكلمة « الوحش » في رؤيا ١٣ تفيد بأن هذا الانسان سيكون ذا قوة طاغية وقدرة فائقة تلزم العالم بتنفيذ ارادته . والتعبير « وحش » لا يعني أن يكون هذا الانسان مكروها يشمئز منه الجميع ، بل بالعكس **يصور لنا الكتاب المقدس بأن الجميع سيتعجبون منه ويخافون منه ويسجدون له** . انه سيسيطر على هذا العالم بصورة منظورة بارعة لم ير العالم مثيلا لها من قبل . وسيبطل مؤقتا الحرب التي ظلت تدمر الأرض . وسيبتكر وسائل اقتصادية رائعة تنتج نتائج باهرة فورا . سيعود الرخاء الى العالم ويكثر المال عند الجميع في كل مكان ، وسيحل الرجاء محل الخوف الذي ساد بشكل مفزع في كل نواحي العالم . وسيقف العالم مبهوتا متعجبا من نبوغ ذلك الانسان وقدرته الفائقة ، مما يدعو ملايين من البشر أن يسجدوا له ويعبدوه كإله . وسيجند كل البشرية ، ويأمر بأن يختم رعاياه بسمة على جباههم ، قبل أن يتيسر لأحد أن يشتري طعامه (رؤيا ١٣ : ١٧) . **وسيساعده عصر الآلات الألكترونية والحاسبة على ضبط حياة كل انسان على وجه البسيطة** . سيكون هو التجسيد الحقيقي للشر . وسيكون حلمه الوحيد ، ومشتهاه الوحيد ، وطموحه الوحيد محو الفكر عن الله ذاته من على وجه الأرض . سيجدف على الله ويعلن نفسه فوق كل اله عرفه العالم .

« نشرت مجلة هاربر في عام ١٩٠٢ صورة مدهشة لهذا الحاكم المقبل . قالت : « سوف يقوم (الرجل) . ويكون قويا في فعله ، رائعا جذابا في شكله ، جميلا في مظهره ، وسيحقق انتصارات دائمة . سيلاشي البرلمانات ويمحو الديماغوغيات ، ويحقق للحضارات ذروة مجدها ، فيعيدها الى امبراطورية واحدة ، ويجعلها تتماسك معا بنشر صورته ، واعمال نجاحه في شتى الميادين . سيجمع الشرائع والدساتير في قانون واحد ، ويطلي المسيحية بطلاء خارجي لاخفاء حقيقتها . وينظم العلوم والمعارف في أكاديميات وضيعة لاناس محتقرين ، ويضع نظاما ثقافيا عجيبا ، فتأتي شعوب الأرض إليه شاكرة

وتؤلهه وتمجد هذه الذات الباغية المحظوظة » [١] .

لكن ما هي محصلة ذلك كله . يقول بيلي غراهام في نهاية كتابه « العالم يحترق »[٢] أن من أوصاف السماء الجديدة ذلك الوصف البديع الذي نجده على الصفحات الأخيرة للكتاب المقدس مشيرا بذلك إلى ماجاء في الاصحاح الحادي والعشرين من رؤيا يوحنا :

« ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لايوجد فيما بعد . وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها . وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا هو ذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا والله نفسه يكون معهم إلها لهم . وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت . وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شيء جديدا » (٢١ : ١ – ٥) .

كأنَّ كتاب بيلي غراهام كله يدور حول هذا النص .

لكنَّ ما هو أهم من هذا ذلك التطابق المدهش بين مخطط بيلي غراهام والمخطط البهائي .

فقبل نحو ستين سنة من كتاب غراهام يقول الداعية البهائي جون أسلمنت في كتابه بهاء الله والعصر الجديد :

« إن البشرى التي تزفها البهائية تكشف للناس عن مشاهد فضل الله العظيم ولطفه العميم في التقدم الباهر المقبل الذي قدر للعالم الانساني . وهذا الفضل وتلك النعمة ليست في الواقع الا هذا الظهور الأعظم الأبهى الذي تجلى للإنسانية فحقق وعود جميع الظهورات الالهية السالفة . **وليس هدفه إلا بعث الانسانية بعثا جديدا وتجديدها وخلق « سماوات جديدة وأرض جديدة »** وهذه نفس المهمة التي من أجلها ضحى

---

(١) العالم يحترق ، بيلي غراهام ، ص ٢٨٤ – ٢٨٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

السيد المسيح وجميع الرسل أرواحهم ... »[١] .

ويقول عبد البهاء كذلك في أحد مكاتيبه : « يا أحباء الله وأبناء ملكوت الله إن **السماء الجديدة قد أتت ، وإن الأرض الجديدة قد جاءت ، والمدينة المقدسة أورشليم الجديدة قد نُزّلت من السماء من عند الله على هيئة حورية حسناء بديعة في الجمال فريدة بين ربات الحجال مقصورة في الخيام مهيأة للوصال ، ونادى ملائكة الملأ الأعلى بصوت عظيم رنان في آذان أهل الأرض والسماء قائلين هذه مدينة الله ومسكنه مع نفوس زكية مقدسة من عبيده ، وهو سيسكن معهم فإنهم شعبه وهو إلههم** ، وقد مسح دموعهم وأوقد شموعهم وفرّح قلوبهم وشرح صدورهم ، فالموت قد انقطعت أصوله ، والحزن والضجيج والصريخ قد زالت شؤونه ، وقد جلس مليك الجبروت على سرير الملكوت وجدد كل صنع غير مسبوق إن هذا لهو القول الصدق ، **ومن أصدق من رؤيا يوحنا القديس حديثا ؟** هذا هو الألف والياء ، وهذا هو الذي يروي الغليل من ينبوع الحياة ، وهذا هو الذي يشفي العليل من درياق النجاة ، من يؤيّد بفيض من هذا الملكوت فهو من أعظم الوارثين للمرسلين والقديسين ، فالرب له إله وهو له إبن عزيز ، فاستبشروا يا أحباء الله وشعبه ويا أبناء الله وحزبه ، وارفعوا الأصوات بالتهليل والتسبيح للرب المجيد ، فإن الأنوار قد سطعت وإن الآثار قد ظهرت وإن البحور قد تموجت وقذفت بكل درّ ثمين »[٢] .

وحتى معركة « **هرمجدون** » لم يغفل عبد البهاء عنها ، فهو يقول في خطاب له في كاليفورنيا في تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩١٢ :

« إننا على أبواب معركة (هرمجدون) المشار اليها في رؤيا يوحنا ، الفصل السادس عشر ، ولنا من الوقت سنتان إليها حين ستشعل شرارة واحدة كل أوربا . فالقلق الإجتماعي في جميع الأقطار مقرونا بالشكوك الدينية التي تسبق العصر الألفي السعيد سوف تلهب جميع أوربا كما جاءت النبوءة في سفر دانيال ورؤيا يوحنا

(١) منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، جون أسلمنت ، ص ٢٥٢ .

(٢) من مكاتيب عبد البهاء – ١ – ص ١٣٣ .

اللاهوتي . وفي سنة ١٩١٧ سوف تسقط ممالك وسوف تجتاح المصائب كل بلاد العالم »[1] .

وإلى هذا وذاك ، فإن من العلامات التي تكون في يوم النهاية ، بحسب ما تراه لوره هملتون[2] ، القضاء على بابل العظيمة وفق ما جاء في الاصحاح الثامن عشر من سفر رؤيا يوحنا ، وهي ترى من « **الأرجح أنها مدينة بابل القديمة على نهر الفرات التي يجدد بناؤها في الأيام الأخيرة والتي تكون عاصمة مملكة ضد المسيح السياسية ومركز العالم التجاري . ان اشعياء يدعو ضد المسيح ملك بابل** » (اشعياء ١٤ : ٤) ... « **فمدينة بابل لم تزل مأهولة منذ ايام نمرود الى يومنا هذا** ...

« إن الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات هي موقع جنة عدن التي فيها أحرز الشيطان على الإنسان نصرته الأولى ، وهي أيضا موقع مدينة بابل القديمة التي بنيت في العصيان على الله . **ولذلك يعتقد كثيرون من علماء الكتاب أنه في الأيام الأخيرة سيجدد بناء بابل عاصمة لضد المسيح ومركزا لحركات الشيطان المعادية** ...

« **ثم ان ارميا واشعياء النبيين سبقا فتنبآ عن خراب بابل** (اشعياء ص ١٣ وارميا ص ٥٠ و٥١) . **ولنلاحظ أنه خراب تام حتى « انها لاتسكن بل تصير خربة وبالتمام** » (ارميا ٥٠ : ١٣ ؛ ٥٠ : ٣٩ ؛ ٥١ : ٢٩ و٦٣ و٦٤) .

« والاصحاح الثامن عشر من هذا السفر يصرح بأن **خرابها يكون فجائيا** ، « في ساعة واحدة » . اذن فكل هذه النبوات تصف لنا **خرابا شاملا** لم يتم بعد . ويظهر من اشعياء (١٣ : ٦) **ان هذا الخراب سيحدث « في يوم الرب »** ، وزكريا في رؤياه يشير الى مدينة مستقبلة ...

« أما خراب بابل فقد كان على هذه الصورة :

« ١ – **فجأة** « في ساعة واحدة » (رؤيا ١٨ : ٨ و١٠ و١٧ و١٩) .

« ٢ – **بدفع** (رؤيا ١٨ : ٢١) .

« ٣ – **حرقا بالنار** (١٨ : ٨ و٩ و١٨ ؛ انظر اشعياء ١٤ : ١٩ وارميا ٥٠ : ٤٠) .

(١) منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، جون أسلمنت ، ص ٢٤٣

(٢) مبشرة انجيلية قدمت تفسيرا مختصرا لسفر الرؤيا تحت اسم « كشف المستقبل » ، وهذه المقتطفات مأخوذة من كتابها هذا ، ص ٥١ – ٥٣ .

« ٤ – **بسبب زلزلة عظيمة** (رؤيا ١٦ : ١٧ – ١٩) .

« وقد تكرر ذكر سقوط بابل مرتين « سقطت سقطت بابل العظيمة » (رؤيا ١٨ : ٢) لأنه من المحتمل أن يكون هنالك بابلان بابل الواحدة بابل « السر » وهي نظام ديني (ص ١٧) ، والأخرى مدينـة تجارية هي بابل الحقيقـة . فالأولى يخربها العشرة الملوك والثانية يخربها الله نفسه .

« وسقوط بابل كما يتضح من (ص ١٨) ينظر اليه من وجهتين ، وجهة بشرية ووجهة الهية .

« ١ – الوجهة البشرية (ع ٩ – ١٩) :

« سيبكي وينوح عليها ملوك الأرض » (رؤيا ١٨ : ٩ و١٠) .

« يبكي تجار الأرض وينوحون عليها » (١٨ : ١١ – ١٧) .

« كل ربان وكل الجماعة في السفن ... القوا ترابا على رؤوسهم وصرخوا باكين ونائحين قائلين ويل ويل » (رؤيا ١٨ : ١٧ – ١٩) .

« ٢ – الوجهة الالهية (رؤيا ١٨ : ٢٠ – ٢٤) :

« بينما كان الناس يبكون وينوحون كانت السماء ممتلئة فرحا وحمدا وأصوات التهليل بقيت مسموعة (١٩ : ١ – ٦) . هذه هي المرة الأولى والوحيدة ترد فيها التهليلات في العهد الجديد ؛ وقد تكررت أربع مرات ومعناها « احمدوا الرب » .

وتقول لوره هملتون في مطلع كتابها أن من أسباب وجوب دراسة سفر الرؤيا على كل مسيحي « **لأنه آخر ما كتب من كلام الله الى أهل هذا العصر** » . بينما تقول ف. نويل بالمر في مقدمتها لهذا الكتاب : « اذن فباسم الرب المبارك نمد يد التحية الى اخواننا الساكنين ماوراء البحار عالمين **بكل خشوع ان كثيرا مما « لابد أن يكون عن قريب » ربما فوجيء العالم به في جيلنا هذا** » .

فهـل كان مصـادفة أن يعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش عن نظامه العالمي الجديد مع بداية هجوم الحلفاء على العراق في مطلع عام ١٩٩١ حين كان يجلس إلى جانبه المبشر الانجيلي بيلي غراهام ؟ .

- ١٦ -

إلى أين المسير

لقد فعلت تلك الحركات فعلها في صفوف المسلمين والمسيحيين ، وربما في صفوف بعض أديان الهند والشرق الأقصى ، وتركت آثارا عميقة في هذه الصفوف وتلك ، لكنها كانت على الدوام بعيدة عن أهدافها النهائية بعد السماء عن الأرض .

فالقضاء على الأديان والسيطرة على العالم ، هكذا دفعة واحدة ، قد لايكون له من رصيد في غير أحلام اليقظة يمارسها إنسان غير سويّ .

فبحسب المرء دليلا أن التاريخ الإنساني شهد الكثير من التوّاقين إلى السيطرة على العالم ، لكن مثل هذه السيطرة لم تتحقق لأحد أبداً .

وربما كان ذلك مصداقا لقول القرآن الكريم :

﴿ ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لفسدتِ الأرضُ ﴾ (البقرة ٢٥١) .

﴿ ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضهم ببعض لهُدِّمَت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكَرُ فيها اسمُ اللهِ كثيرا ﴾ (الحج ٤٠) .

وسيبقى هذا التدافع أبداً الضامن لبقاء الحياة الانسانية على الأرض .

أما الذين رسموا برامجهم وصمموا معتقداتهم على أمل التوصل إلى السيطرة على العالم في الزمان الأخير ، وعلى أمل أن يتوقف التاريخ حينئذ عن المسير ، فهم يفتقرون بالتأكيد إلى أي دليل من عقل أو منطق أو علم يتيح لهم إثبات شيء من جِدِّيَّةِ الأمل .

وأما النبوءات التي يقيمون عليها دعواهم فربما تعنيهم وحدهم .

يؤكد كارل بوبر أنه : « لا يمكننا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الانساني » ، وان هذا معناه : « أننا يجب أن نرفض إمكان قيام تاريخ نظري ؛ أي إمكان قيام علم تاريخي إجتماعي يقابل علم الطبيعة النظري ، ولا يمكن أن تقوم نظرية علمية في التطور

التاريخي تصلح أن تكون أساسا للتنبؤ التاريخي »[1] .

فبرغم كل الضجيج الإعلامي ، وبرغم كل الروايات التي يعرضونها على مسرح العالم ، نرى الأدلة الماثلة تدحض دعواهم ، أو هي على الأقل لاتدعو إلى القلق على المصير النهائي ، لكنْ ربما أدى مشروعهم إلى بعض الخسائر والأضرار التي تصيب البشرية .

وقد يكون من الأليق أن لايخوض المرء في تفنيد مزاعمهم .

إنما يتعين تَعقُّبهُم والكشف عنهم لتلافي الخسائر والأضرار قدر الإمكان .

فأياً كان شأن القوى التي تقف خلف ذلك المشروع اليوم ، فإن من المؤكد أن القوة البشرية تبقى في الجانب الآخر المقابل . وستظل هذه القوة البشرية ، إذا ماعززتها معنويات عالية ، القوة الأساس في أي صراع ، فهي تملك قدرات متنوعة ، لاحدود لها ، لاسيما وهي تضم الغالبية العظمى من شعوب الأرض .

أما المعنويات العالية فهي ليست بعيدة المنال ، بل هي اقرب منالاً من أي سلاح آخر .

وأما السلاح النووي ، الذي يشهره دعاة الحكومة العالمية ، فيبدو في منتهى الضآلة ، في مواجهة هذه القوى البشرية مجتمعة ، إذ للسلاح النووي حدود ، ربما كما قال أرنولد توينبي : « قد تصرع الضربة القاضية ، لا العدو وحده ، ولكنها قد تصرع أيضا : المنتصر ، والحكم ، وحلقة الملاكمة ، والنُّظّارة ؛ جميعا » .

وأما قوة الشعوب فلاحدود لها .

ولئن كانت اليد الخفية تعمل بمنتهى البراعة على تمزيق هذه الشعوب ، وزرع الصراعات بينها ، فمن العسيرالتصور أن خطراً مريعاً داهماً لن يجمعها .

إن محاولات تدمير القوة المعنوية للشعوب ، لئن أعطت نتائج بارزة في دائرة معينة ، فانها في دوائر أخرى أنتجت ردود فعل قلبت السحر على الساحر .

يقول أرنولد توينبي ، وهو من دعاة وحدة الأديان والحكومة العالمية : « وإذا كان

(١) بؤس الايديولوجيا ، كارل بوبر ، ترجمة عبد الحميد صبره ، ص ٨ .

لهذه السوابق التاريخية[١] أي معنى عندنا ، وهي إشعاعات الضوء الوحيدة التي يمكن أن نلقيها على الظلمات التي تكتنف مستقبلنا ، فإنها - أي السوابق التاريخية هذه - تنذر بأن الإسلام إذا دخل عالم بروليتاريا الحضارة الغربية الحاضرة قادر في النهاية على منافسة الهند والشرق الأقصى وروسيا على الغنمية ، وقادر على التأثير في المستقبل بأساليب عدّة تسمو على فهمنا وإدراكنا »[٢] .

ثم يتحدث أرنولد توينبي عن الفراغ الروحي الذي أحدثه الاستعمار الغربي في بعض المناطق التي خضعت لسيطرته ، ويقول : « إلا أن الفراغ الروحي في نفوس الوطنيين لا يزال في وهدة عميقة ، والقول أن « الطبيعة تكره الفراغ » قول حق على الصعيدين المادي والروحي ، والحضارة الغربية التي فشلت في ملء الفراغ الروحي ، وضعت تحت تصرف أية قوة روحية أخرى ترود الميدان ، شبكة لامثيل لها من وسائل المواصلات المادية .. وفي منطقتين من المناطق الاستوائية : أفريقيا وأندونيسيا كان الإسلام هو القوة الروحية التي استغلت الفرصة المواتية التي هيأتها له ، على الصعيد الروحي ، الحضارة الغربية المادية التي سبقته . وإذا نجح الوطنيون أبناء تلك المناطق ، باستعادة وضعهم الروحي ، يستطيعون بواسطته أن يستعيدوا « أنفسهم » ؛ فقد يثبت التاريخ أن روح الإسلام هي التي ملأت فراغهم العقائدي بقيم جديدة »[٣] .

ثم يقول : « صحيح أن الوحدة الاسلامية نائمة .. ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ اذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية ونادت بزعامة معادية للغرب ، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية ، لا حصر لها ، في ايقاظ الروح النضالية للاسلام .. حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف ، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام ... »[٤] .

---

(١) يقصد انتصار بعض المستضعفين ، الذين يحملون قيماً روحية وخلقية ، على بعض القوى السياسية والعسكرية .

(٢) الإسلام والغرب والمستقبل ، آرنولد توينبي ، ص ٦٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

ثم يختتم توينبي بحثه بالقول : « فإذا سبب الوضع الدولي الآن حربا عنصرية ، يمكن للاسـلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى ... وأرجو أن لايتحقق ذلك » .

ويقول غوستاف لوبون شيئا قريبا من ذلك :

« ... والاسلام من أشد الأديان تأثيرا في النفوس ، يعرف كيف يدخل فيها ايماناً ثابتاً لا تزعزعه الشبهات ... ومع ما أصاب حضارة العرب من أفول كالحضارات التي ظهرت قبلهـا ، لم يمسَّ الزمنُ دينَ الإسـلام الذي له من النفوذ اليوم ماكان له في الماضي ، والذي مايزال ذا سلطان كبير على النفوس ، مع أن الأديان الأخرى التي هي أقدم منه ، تخسر كل يوم شيئا من قوتها . وبالدعوة وحدها اعتنقت الاسلام الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول . وبلغ من انتشار الاسلام في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ، أن زاد عدد المسلمين فيها على خمسين مليونا ، ويزيد عددهم يوما فيوما مع أن الانجليز الذين هم سـادة الهند في الوقت الحاضر ، يجهِّزون البعثات التبشيرية إلى الهند تباعاً لتنصير مسلميها على غير جدوى . ولم يكن الاسلام أقل انتشاراً في الصين التي لم يَفتَح العرب أيَّ جزء منها قط »[1] .

لقد أقام الغرب إسرائيل في قلب العالم الإسـلامي لتكون عائقا أمام أية نهضة إسلامية ، لكن لعلنا نلاحظ الآن أن الأذى الذي أصاب الغرب من جراء ذلك أكبر مما أصاب الشرق ، فهو قد ساعد الصهيونية على احتلال عقول الغربيين وأفئدتهم ، وعلى تخريب عقائدهم ، في حين هب المسلمون من جرائه يعتصمون بدينهم .

فالذين يدركون أن عجلة التاريخ تدور بلا توقف يستطيعون تصور النتائج على المدى البعيد . أما الذين يعتقدون أن عجلة التاريخ يمكن ان تتوقف لألف سنة ، أو حتى للحظة واحدة ، فلابد أنهم كأهل الكهف ، وقد يستيقظون بعد فوات الأوان .

وهكـذا .. فالخطوات الأولى التي قد يخطوها مشـروع وحدة الأديان والحكومة العالمية ، في ظل وسائل التعمية والتمويه ، شيء ، والخطوات الأخيرة التي تجري بعد زوال البراقع شيء آخر .

(١) نقلا عن « قراءة في وثائق البهائية » ، بنت الشاطىء ، ص ١٧٩ .

- ١٧ -

نظائر البهائية

ولا بد لكي تكتمل الصورة الحقيقية للبهائية من أن نستعرض ، في هذه المقدمة ، جانباً من الحركات الموازية لها . ففي وقت واحد تقريبا ظهرت ثلاثة أديان بين المسلمين ، وثلاثة أخرى بين المسيحيين ، تحمل جميعها سمات مشتركة عديدة ، تدل على وحدة الصانع ، الذي ربما كان ذاك المقصود بعبارة بهاء الله في وصيته الى أولاده : **« يا أغصاني إن في الوجود قوة عظيمة مكنونة وقدرة كاملة مستورة فكونوا متجهين وناظرين اليها وللإتحاد معها لا إلى الإختلافات الظاهرة منها »**[1] .

ففي حين ظهرت البدعة البهائية في ايران ، ظهرت في الهند البدعة القاديانية التي ادعى مؤسسها **« ميرزا غلام أحمد »** في حوالي العام ١٨٨٠ أنه المسيح المنتظر وأنه نبي ورسول صاحب شريعة ، وظهر في المناطق الإسلامية من الصين فيما بين سنتي ١٨٦٠ و ١٨٧٠ م **« ماهوا لونج »** الذي ادعى النبوة وأنشأ لنفسه فرقة من المسلمين[2] وظهر في فرنسا **« دين الإنسانية »** الذي أنشأه **أوغست كونت** (١٧٩٨ – ١٨٥٧م)[3] ، وظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية بدعة **« شهود يهوه »** ، التي ادعى مؤسسها **« روصّل »** ، في حوالي العام (١٨٧٢م) أن يهوه أوكل اليه أمر نقل رسالته الى العالم وراح يبشر بقرب المجيء الثاني للمسيح وبدء عصره الألفي السعيد . وظهر **« جون نلسون داربي »** (١٨٠٠ – ١٨٨٢م) ، وهو ايرلندي عاش في القرن التاسع عشر ، وتعلم في كلية « ترينتي » في دبلن وكان في وقت ما قسيسا في كنيسة انكلترا ، فعلّم أن

---

(١) كتاب عهدي – مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله ، ص ١٩٩ .

(٢) أشار إلى هذا النبي جولد تسيهر في كتابه « العقيدة والشريعة » ص ٣٦٦ ، ونوه بأن المعلومات التي لديه عن هذه الفرقة لا تزال ناقصة وغامضة ، إلا أنه أكد على أن الفرقة كانت لاتزال باقية إلى أيامه .

(٣) تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث ، أندريه كريسون ، ص ٣٧١ .

لله مخططين ، وأن عند الله مجموعتين من الناس يتعامل معهما وأن اسرائيل هي مملكة الله على الأرض وأن الكنيسة المسيحية كانت مملكة الله في السماء . وقام بسبع زيارات للولايات المتحدة وكندا بعد العام ١٨٦٧ . وقد أدت زياراته المشفوعة بتأثيره في حركة ندوة الكتاب المقدس والنبوءة إلى تعجيل انتشار هذه العقيدة وقبولها السريع في دوائر الأصوليين الأميركيين ، وقد انطوت تعاليمه على عنصر « صهيوني مسيحي » مهم[1] . وظهر **سايروس أنجيرزون سكوفيلد** ، الذي ولد عام ١٨٤٣ م في كلنتون في ولاية « متشغن » بالولايات الأمريكيـة المتحدة ، فحمل نظرية داربي وطورها ونشرها على نطاق واسع في الولايات المتحدة لتكون أساس **الحركات الأصولية الانجيلية** التي كانت بؤرة للنشاط الصهيوني .

وهكذا ، فقد ظهرت هذه الدعوات في أماكن متباعدة من العالم ، لكن في وقت واحد تقريبا ، لاتفصل بين الواحدة والأخرى منها سوى سنوات قليلة اقتضتها طبيعة الظروف فيما يبدو .

ويتطابق ظهور هذه الحركات مع بداية التحرك الصهيوني النشط .

لقد بدت بريطـانيا ، بوجه خاص ، ظهيرا لهذه الأديان الجديدة ، لكن الذي يفسـر عنـاية بريطـانيـا بها ربما كان التغلغل الصهيوني في كنائسها وأجهزتها الادارية والسياسية والأمنية ، أكثر من مصالحها الوطنية المباشرة ، فمثل هذه الحركات والأديان كانت تظهـر إلى الوجود بـين الحـين والحين قبـل أن تكون لبريطـانيـا قوة تذكر أو طموحات على مستوى هذه المشروعات[2] .

---

(١) « ماهي الصهيونية المسيحيةالأصولية ؟ » ، ص ١٨ .

(٢) نشير هنا ، من جملة الأديان المصطنعة ، الى دين أنشأه في فرنسا بعض رجال الثورة الفرنسية من أمثال فولتير وجان جاك روسو ، وقد كانا معروفين بصهيونيتهما (الصهيونية غير السياسية لريجينا الشريف ص ٨١) . وقد أشار أبو الفضل الكلبايكاني الى هذا الدين في كتابه « الدرر البهية » منوها بأن « أسـاسه أن يعبدوا الله وحده وجعلوا الكنائس محلا للعبادات ، وكان دستور ايمانهم بسيطا حاويا لقضيتين كبيرتين ، الأولى الاعتراف بوجود الباري جل وعلا والثانية الاذعان بخلود النفس أي بقاء الروح جوهرا مدركا قائما بنفسه بعد الموت ، وشرائعهم الأدبية أيضا مؤسسة على أصلين كبيرين الأول محبة الله تعالى ، والثاني محبة الخلق ، وجعلوامناسكهم مشتملة على صلوات =

بدأ النفوذ الصهيوني في بريطانيا مع **كرومويل** ، الذي أعلن أن الوجود الصهيوني في فلسطين هو الذي سيمهد للمجيء الثاني للمسيح[1] .

ثم أخذ زخم الحركة الصهيونية يتعاظم في بريطانيا مع مطلع القرن التاسع عشر ، ومع انطلاق نفوذ **آل روتشيلد** في حوالي العام ١٨٢٠ ، حتى اذا حل منتصف القرن التاسع عشر ، كان هؤلاء قد أصبحوا سادة أوربا . وقد برز النفوذ الصهيوني بوجه خاص في بريطانيا على يد اللورد **بالمرستون** ، الذي كان من أشد المتحمسين لفكرة توطين اليهود في فلسطين ، والذي عين وزيرا للخارجية عام ١٨٣٠ واستمر حتى عام ١٨٤١ ، ثم عين مجددا وزيرا للخارجية عام ١٨٤٨ واستمر حتى عام ١٨٥٥ ، حين تولى رئاسة الوزارة واستمر فيها حتى عام ١٨٦٥ ، وقد عبّر مرارا عن اعتقاده بأن بعث الأمة اليهودية سيعطي القوة للسياسة الانكليزية .

كما برز زخم الحركة الصهيونيـة على يد **اللورد شـافتسـبري** ، نسيب بالمرستون (زوج حماته) ، ففي عام ١٨٣٨ ، وبناء على الحاح شافتسبري نفذ اللورد بالمرستون قرارا سابقا بفتح قنصلية بريطانية في القدس وعين فيها وليام ينغ ، وهو انجيلي متدين وصديق للورد شافتسبري ، ليكون أول نائب قنصل في القدس . وقد فهم أن للعامل اليهودي دورا في هذا القرار . وقد أصدر بالمرستون في عام ١٨٣٩ تعليماته إلى القنصل البريطـاني في القدس وليـام يونغ بمنح اليهود في فلسطـين الحمـاية البريطـانية لضمان

= وأذكار وتسبيحـات رتبها لهم بعض فلاسفتهم ، وقرروا لديانتهم هذه بعض شعائر بسيطة أيضـا كوضع أطباق من الأثمار والرياحين على المذابح واستعمال الموسيقى بالآلات والأصوات في الجامع وبعدما أكملوا وأتقنوا أركان هذه الديانةوأسسوها وشـادوها بزعمهم على أساس متين عين وزير الأمور الداخلية جماعة من كبار الكتاب والخطباء وأرسلهم الى جميع بلاد فرنسا ليدعوا الناس الى قبول هذه الديانة الجديدة ، فجدّوا كل الجد في ادخال ديانتهـم في كل مدن فرنســا وانتشرت مقاصدهم الى بلاد أخرى . قال نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسي في كتاب زبدة الصحائف في سياحة المعارف بعد نقل هذه الحادثة [وقد اتبعت هذه الديانة بعض أنفار في باريس وغيرها ولكن لم يلتفت اليهم ثم بعد برهة يسيرة انقرضوا وطفي خبرهم] » (مختارات من مؤلفات أبي الفضائل ، ص ١٠٧) .

(١) النبوءة والسياسة لغريس هالسل ، ترجمة محمد السماك ، ص ١١٩ .

سلامتهم وصيانة ممتلكاتهم وأموالهم . وبتوجيه من بالمرستون قامت صحيفة « غلوب Globe » اللندنية الناطقة بلسان وزارة الخارجية البريطانية بنشر سلسلة من المقالات في نهاية عام ١٨٣٩ تدعو فيها إلى تكوين دولة يهودية مستقلة في فلسطين ، حال توفر عدد كاف من المهاجرين اليهود يسمح باقامة دولة لهم فيها[١] .

كانت تعليمات بالمرستون إلى ينغ تنص بالتحديد على أن من بين مهامه حماية كل اليهود المقيمين في فلسطين ، كما تتضمن اعترافا باليهود كأمة وارتباطهم بفلسطين ، قبل أن يوضع البرنامج الصهيوني اليهودي بزمن طويل .

وكان دعم بالمرستون للاستيطان اليهودي في فلسطين جزءا متمما لنزعاته الصهيونية ، وفي هذا الاطار الدولي كان دعمه لخطة اللورد شافتسبري الداعية لاعادة اليهود بشكل جماعي الى فلسطين يظهر أحاسيسه السياسية[٢] .

ومنذ عام ١٨٣٣ بدأ مجلس العموم البريطاني بإقرار مشروع قانون يجيز انضمام اليهود إلى البرلمان ، حتى بلغ عدد موافقاته على هذا المشروع عشرا ، لكن مجلس اللوردات كان يرفض المشروع ويرده إلى أن أضطر أخيرا إلى قبوله ، فاحتل البارون روتشيلد مقعدا في المجلس في ١٨٥٨/٧/٢٦[٣] .

وفي عام ١٨٤٥ اقترح ادوارد بتفورد من مكتب المستعمرات في لندن « اقامة دولة يهودية في فلسطين تكون تحت حماية بريطانيا العظمى على أن ترفع الوصاية عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم » وقال : « **إن دولة يهودية سوف تضعنا في مركز القيادة في الشرق بحيث نتمكن من مراقبة عملية التوسع والسيطرة على أعدائنا والتصدي لهم عند الحاجة** »[٤] .

وفي عام ١٨٣٥ كان قد أنشيء **المجلس اليهودي الانكليزي** ، واعترفت الحكومة

---

(١) مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، د . أمين عبد الله محمود ، ص١٩ و٢٠

(٢) الصهيونية غير اليهودية ، لريجينا الشريف ، ص ١١٨ — ١٢٠ .

(٣) حكومة العالم الخفية ص ١٩٠ .

(٤) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ، ترجمة محمد السماك ، ص ١٢٢ .

الانكليزية به رسميا . و في عام ١٨٣٨ انتخب موسى مونتفيوري ، وهو عديل روتشيلد اليهودي الفرنسي ووكيل أعماله في بورصة لندن ، وأحد كبار أغنياء اليهود الانكليز ، رئيسا للمجلس المذكور[١] .

وفي عام ١٨٤٨ تولى **دزرائيلي** ، وهو يهودي اعتنق النصرانية[٢] ، زعامة المحافظين في بريطانيا ، وكان قد انتخب عضوا في البرلمان عام ١٨٣٧ ، ثم في ١٨٥٢ و١٨٥٨ تولى وزارة الخزانة في حكومتي لورد دربي ، ثم في ١٨٦٧ اختير رئيسا للوزراء .

وكان بسمارك يطلق على دزرائيلي لقب « **يهودي لندن القديم** »[٣] .

وخلال هذه المراحل كانت الصهيونية تسعى إلى التغلغل في الأجهزة الروسية ، فعلى إثر الحلف المقدس الذي عقده بتاريخ ٢٦ ايلول ١٨١٥ كل من قيصر روسيا اسكندر الأول وملك بروسيا فردريك وليم الثالث وامبراطور النمسا فرانسيس الأول ، أعطى آل روتشيلد أوامرهم لبعض المجموعات من المتهودين بالسيطرة على روسيا فظهرت مجموعة مسيحية كبيرة متبنية لعقيدة مشابهة لليهودية[٤] ، انتشرت بسرعة عجيبة في القرى والمدن ، جاذبة إليها الزراع والتجار على السواء ، وأعلنت أنه حان الوقت للرجوع إلى العهد القديم للمحافظة على ايمان الآباء اليهود مما أقلق السلطات المركزية فلجأت إلى اجراءات غير معتادة لوقف انتشار الانشقاق ، وكان أن وافقت لجنة الوزراء سنة ١٨٢٣ على المشروع الآتي : « يجب إدخال رؤساء المذهب المتهود ومعلميه في الخدمة العسكرية ، ومن لا يصلح للخدمة يرسل إلى سيبريا . وينبغي طرد كل اليهود من المقاطعات التي ظهرت فيها هذه الحركة » . لكنه « بالنسبة لليهود كانت نتائج الاجراءات غير ذات قيمة ، فعدد اليهود الذين شملهم الطرد من المقاطعات المتأثرة

---

(١) الموسوعة الفلسطينية ، ج ٤ ، ص ٦٣٧ ، ج ٣ ص ٤٢٣ . يهود دمشق ، يوسف نعيسه ، ص٤٤ .

(٢) بنيامين دزرائيلي (١٨٠٤ – ١٨٨١) منحته الملكة فيكتوريا لقب « اللورد بيكنسفيلد » كان يهوديا اعتنق النصرانية وهو في الثالثة عشرة من عمره .

(٣) السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ، زياد أبو غنيمة ، ص ١٤٦ .

(٤) تاريخ اليهودية في روسيا ، س . هـ . دونباو ، ص ٤٠١ ومابعد – حكومة العالم الخفية ، ص ١٣٠ ومابعد .

لم يكن بذي بال » ، إلا أن الروتشيلديين كانوا قد قرروا حينئذ الثورة وإعدام القيصر ، فمات مسموما في كانون الأول ١٨٢٥[1] . ثم ظهرت حركة أخرى سميت بالنهلستية كان عمادها الطلبة الذين درسوا في الخارج ، وخاصة في سويسرا ، فانتشرت بين الشبيبة الروس على نطاق واسع . لقد بدت هذه الحركة في ظاهرها حركة تحررية ، لكنها كانت في الحقيقة حركة مناوئة للكنيسة الأرثوذكسية على وجه الخصوص . وقد انتهت الاضطرابات التي أثارتها إلى اغتيال القيصر اسكندر الثاني في شهر آذار (مارس) ١٨٨١ م[2] .

وفيما بين القيصر اسكندر الأول والقيصر اسكندر الثاني ، اغتيل أيضا القيصر نقولا الأول مسموما في عام ١٨٥٥ بيد طبيبه الخاص ماندت على إثر خيانة من وزير ماليته اليهودي كانكرين[3] .

يشير يفغيني يفسييف[4] إلى نشاط « **الاتحاد الإسرائيلي العالمي** » داخل روسيا القيصرية ، فهذا الإتحاد تأسس في باريس عام ١٨٦٠ برعاية المليونير المصرفي اليهودي روتشيلد ، وفي تقديرات أخرى أن الاتحاد المذكور تأسس عام ١٨٤٠ إلا أن نشاطه البارز بدأ عام ١٨٦٠ ، وقد قامت اللجنة المركزية للاتحاد بتأسيس ٤٠ مركزاً ومجلساً محلياً في المناطق المتاخمة لروسيا . وكانت هذه المجالس المحلية القائمة على جانبي الحدود تكوّن سلسلة متصلة الحلقات من مراكز المراقبة على طول الحدود وهي تحتضن كل الطرق وتراقبها ، وتؤمن لنفسها حرية اجتياز الحدود ، وقد تم تكليف المجالس المحلية بوظائف اقتصادية وسياسية أهمها استخدام عصابات التهريب وتغذية الأمزجة المعادية لروسيا بين اليهود الروس ، وجذب الأشخاص ذوي المراكز الاجتماعية المختلفة للتعاون مع الاتحاد الاسرائيلي العالمي من خلال الاعتماد على خدمات الحاخامات ، وعن طريق

---

(١) كذلك .
(٢) تاريخ الجمعيات السرية ، عبد الله عنان ، ص ١٦٠ - ١٦٥ .
(٣) حكومة العالم الخفية ، ص ١٤١ .
(٤) رئيس اللجنة الشعبية الاجتماعية السوفييتية المناهضة للصهيونية اغتيل في موسكو بتاريخ ١٩٩٠/٢/١٠ ، وكان عمره ٥٨ عاما .

المساعدات المادية ونشر التعليم ...[١] .

ويشير دزرائيلي في كتابه « كوننغربي » الذي نشره في بداية حياته العملية إلى أن « **الدبلوماسية الروسية ينظمها اليهود** »[٢] .

وهكذا ، ففي ظل هذه الأجواء لم يكن غريبا أن يظهر ضابط مخابرات روسي (هو **كنياز دالكوركي** ، الذي كان يعمل مترجما في السفارة الروسية بطهران ثم أصبح سفيرا) على مسرح الأحداث في ايران مع ظهور البهائية . فالتوافق الذي جرى بين الدور البريطاني ودور هذا الضابط الروسي لا يفسره غير الدور الصهيوني .

في هذه الظروف ظهرت البهائية في ايران ، وكان دعم بريطانيا وروسيا لها .

وإلى جانب تلك الحركات الموازية للبهائية ، تواترت دعوات أخرى تحمل التوجهات ذاتها من رجال فكر وسياسة أحيطوا بهالة عظيمة من النورانية .

فبرتراند راسل ، مثلا ، الذي يعلن الإلحاد ويدعو اليه ، نراه يكرس حياته للدعوة إلى اقامة الحكومة العالمية بالمواصفات ذاتها التي طرحتها البهائية ، إنما باستثناء الطابع الديني والروحاني .

وأرنولد توينبي ، الذي يرى الدين أحد المنتجات البشرية ، يُكرِّس نفسه أيضا للدعوة إلى إقامة الحكومة العالمية ، ولكن على أساس الدين . معتمدا على نظرية الفيلسوف اليهودي **برغسون** في إنتاج الأنبياء تحت عناوين صوفية ، على نمط بعض أنبياء بني اسرائيل[٣] .

وعلى خطى برتراند راسل وأرنولد توينبي سار كثيرون ممن ورد ذكرهم في هذا الكتاب أو لم يرد ، فالقائمة طويلة .

---

(١) الصهيونية في الاتحاد السوفييتي ، هاني مندس ، ص ١٥٠ .

(٢) السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ، زياد أبو غنيمة ، ص ١٤٦ .

(٣) أرنولد توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

القاديانيــــة

مؤسسهـــــا :

يقول ميرزا غلام أحمد ، مؤسس القاديانية : « كان أبي عرافا حاذقا ، وكانت له يد طولى في هذا الفن ، فعـلمني من بعض كتب هذه الصناعة ، وأطال القول في الترغيب لكسب الكمال فيها »(١) .

ويقول في نسبه : « اسمي غلام أحمد واسم أبي غلام مرتضى ، واسم أبيه عطا محمـد ، وقومي مغـول برلاس ، ويظهـر من الأوراق المحفـوظـة أن آبـائي جـاؤوا من سمرقند »(٢) ويقول في مقام آخر : « والظاهر أن أسرتي من المغول ... ولكن الآن ظهر علي من كلام الله أن أسرتي حقيقة أسرة فارسية ، وأنا أؤمن بهذا ، لأنه لايعرف أحد حقائق الأسر مثل مايعرفها الله تعالى »(٣) ويقول : أنا قرأت من بعض الكتب في سوانح آبائي وأجدادي أنهم من قبيلة مغول ، وهكذا سمعت من أبي ، ولكن الله أوحى الي أنهم ليسوا من الأتراك بل هم من بني فارس ، وأيضا أخبرني الله أن بعض جداتي كن من بني فاطمة وآل البيت »(٤) . فسئل كيف تقول انك من المغول ، ثم تنحرف وتقول انك من بني فارس ؟ وبأي دليل ؟ فقال : « لادليل عندي بأني من بني فارس سوى الهام الله في ذلك »(٥) ثم عاد فقـال : « ان محي الدين بن العربي تنبـأ عني في كتـابه « فصوص الحكم » حيث قال : « يولد في آخر الزمان ولد يدعو الى الله ، يكون مولده بالصين ،

---

(١) « التبليغ الى مشائخ الهند » ص ٥٩ – القاديانية لظهير ص ١٢٧ .

(٢) « كتاب البريه » ص ١٣٤ – « القاديانية » ، لإحسان الهي ظهير ص ١٢٥ .

(٣) حاشيـة « أربعـين » نمره ٢ ص ١٧ ، لغلام أحمد – « القاديانية » ، احسـان الهي ظهير ، ص ١٢٥ .

(٤) « ضميمة حقيقة الوحي » ص ٧٧ ، للغلام – القاديانية لظهير ، ص ١٢٥

(٥) « تحفة كولره » ، ص ٢٩ ، للغلام – القاديانية لظهير ، ص ١٢٦ .

ونعته لغة بلده ، فأنا هو المقصود ، لأني أنا صيني الأصل »[١] . وفي مرة أخرى قال : « أنا فاطمي من بني فاطمة وأسرتي من أولاد إسحق »[٢] .

ويتحدث عن أبيه فيقول : « ان أبي كان له كرسي في ديوان الحكومة ، وكان من أوفياء الحكومة الانكليزية ، حتى ساعد الحكومة في ثورة ١٨٥٧م مساعدة طيبة ، ومدها بخمسين جنديا ، وخمسين فرسا من عنده ، وخدم الحكومة العالية فوق طاقته ، ولكن بعد ذلك بدأ الزوال والانحطاط لأسرتي حتى بقيت أسرتي كأسرة مزارع فقير »[٣] .

تدرّج دعوى القادياني :

بدأ غلام أحمد بالاعلان عن نفسه ، في عام ١٨٨٥ م ، كمجدد للاسلام ، وادعى في ٤ مارس (آذار) سنة ١٨٨٩ أنه تلقى أمرا من الله بأخذ البيعة من الناس ، على أنه مجدد العصر المأمور من الله للقيام بهذه المهمة ، واستطاع أن يجمع حوله عددا من المريدين والأتباع . ثم في عام ١٨٩١ م ادعى أن قيامه بدعوته هو القيامة وأنه المسيح الموعود والمهدي المنتظر المعهود ، وفي نفس السنة ادعى أنه مسيح موعود ، ولكنه نبي متبع . وبعد ذلك أعلن سنة ١٩٠١م أنه نبي مستقل وأفضل من جميع الأنبياء والمرسلين[٤] . وقد عرف أهل البصائر قبل ادعائه النبوة أنه يريد هذا ، ولكنه أنكر أول الأمر أشد الانكار ، وقال : « أنا أعتقد كل مايعتقده أهل السنّة ، كما أنا أعتقد أن محمدا خاتم النبيين ، ومن يدعي النبوة بعده هو كافر ، كاذب ، لأني أؤمن أن الرسالة بدأت من آدم وانتهت الى رسول الله ﷺ[٥] . « ان من يدعي النبوة بعد محمد

---

(١) « حقيقة الوحي » ، ص ٢٠٠ ، للغلام – القاديانية لظهير ص ١٢٦ .

(٢) « تحفة كولره » ، ص ١٢٥ – القاديانية ، لظهير ص ١٢٦ .

(٣) « تحفة قيصرية » ، ص ١٦ ، للغلام – القاديانية لظهير ص ١٢٦ .

(٤) البهائية والقاديانية ، للدكتور أسعد السحمراني ، ص ١٣٨ .

(٥) اعلان الغلام بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨٩١ م ، المندرج في « تبليغ رسالت » ج ٢ ص ٢ – القاديانة . لظهير ص ١٣٨ .

هو أخو مسيلمة الكذاب ، وكافر ، وخبيث »[١] . « نحن نلعن من يدعي النبوة بعد محمد ﷺ »[٢] .

ثم قـال : « أنـا لست بنبي ولكن الله جعـلني محدثا وكليا لكي أجدد دين المصطفى »[٣] . وتدريجيا بلغ الى أن قال : « أنا لست بنبي ، ولكني محدِّث ، والمحدَّث نبي بالقوة ، وليس نبياً بالفعل »[٤] ثم قال : « ان المحدث نبي ناقص ... وكأنه جسر بين الأنبياء وبين الأمم »[٥] ثم قال : « أنا لست بنبي أضاهي محمداً ﷺ أو جئت بشريعة جديدة ، بل كل مافيه أنا نبي متبع »[٦] . ثم : « اني أنا هو المسيح ، الذي أخبر عنـه الرسـول ﷺ»[٧] . وأخيراً : « والله ، الذي في قبضتـه روحي ، هو الذي أرســلني وسماني نبيا ... وأظهر لصدق دعواي آيات بينات بلغ عددها ثلاثمئة ألف بينة »[٨] .

قوله في الألوهية والحلول :

يقول ميرزا غلام أحمد : « قال لي الله : أنت من مائنا ، وهم من فشـل (أي الجبن)[٩] ، ويقـول : « خـاطبـني الله بقـوله : اسمع يـاولدي »[١٠] وقال : « قال لي الرب : أنت مني وأنا منك ظهورك ظهوري »[١١] ، وأيضا : « ياشمس ياقمر ، أنت مني وأنا منك »[١٢] .

---

(١) « أنجام آتم » ، ص ٢٨ ، للغلام ــ القاديانية ، لظهير ، ص ١٣٩ .

(٢) اعلان الغلام المندرج في « تبليغ رسالت » ، ج ٦ ص ٢ ــ القاديانية ، لظهير ، ص ١٣٩ .

(٣) مرآة كمالات الاسلام ، ص ٣٨٣ ، للغلام ــ القاديانية ، لظهير ص ١٣٨ .

(٤) « حمامة البشرى » ص ٩٩ ، للغلام ــ القاديانية ، لظهير ص ١٣٨ .

(٥) « ازالة الأوهام » ، ص ٥٢٩ ، للغلام ــ القاديانية ، لظهير ، ص ١٣٨

(٦) « تتمة حقيقة الوحي » ص ٦٨ ، للغلام ــ القاديانية ، لظهير ، ص ١٣٨ .

(٧) « ازالة الأوهام » ، ص ١٨٣ ، للغلام ــ القاديانية ، لظهير ، ص ١٣٩ .

(٨) « تتمة حقيقة الوحي » ، ص ٦٨ ، للغلام ــ القاديانية ، لظهير ، ص ١٣٩ .

(٩) « أنجام آتم » ، ص ٥٥ ، للغلام ــ القاديانية ، لظهير ، ص ١٠٠ .

(١٠) « البشرى » ج١ ، ص ٤٩ ، للغلام ــ القاديانية لظهير ، ص ١٠٠ .

(١١) « وحي مقدس » ، ص ٦٥٠ ، للغلام ــ القاديانية لظهير ، ص ١٠٠ .

(١٢) « حقيقة الوحي » ، ص ٧٣ ، للغلام ــ القاديانية لظهير ، ص ١٠٠ .

وقال : « إن الله نزل فيّ ، وأنا واسطة بينه وبين المخلوقات كلها »[1] .

قوله في توالي الرسل :

يذهب غلام أحمد مؤسس القاديانية مذهب البهائيين في القول بتوالي الرسل ، وعدم ختم النبوة أو الرسالة ، وذلك ليبرر ادعاءه النبوة والرسالة ، فهو يقول في ذلك : **« إن من نعـم الله أن يجيء الأنبيـاء وأن لا ينقطع سـلسـلته وهذا قانون الله لاتستطيعون أن تجابهوه »**[2] .

ويقول ابن الغلام ، وخليفته الثاني : « نحن نعتقد بأن الله لايزال يرسل الأنبياء لاصلاح هذه الأمة وهدايتها على حسب الضرورة »[3] .

ويقول أيضا : « هل يفهمون بأن خزائن الله قد نفدت .... ففهمهم هذا خطأ لأنهم لايعرفون قدرة الله ، وإلاّ فأين النبي الواحد ، بل أنا **أقول سوف يجيء آلاف من الأنبياء** »[4] . ومرة سئل : هل يمكن أن يجيء الأنبياء في المستقبل ؟ . فقال : « نعم ، يجيء الأنبياء ، وإلى يوم القيامة ، لأنه مادام بقي الفساد في الدنيا لابد وأن يجيء الأنبياء »[5] .

قوله في نبوته ومعجزاته :

يقول ميرزا غلام أحمد مؤسس القاديانية :

« أحلف بالله الذي في قبضتـه روحي ، هو الذي أرسـلني وسماني نبيا، وناداني بالمسيح الموعود ، وأنزل لصدق دعواي بينات بلغ عددها ثلاث مائة ألف بينة »[6] .

---

(١) « كتاب البريه » ، ص ٧٥ ، للغلام ـ القاديانية لظهير ، ص ١٠٠ .

(٢) « خطاب سيالكوت » ، ص ٢٢ للغلام ـ القاديانية لظهير، ص ١٠٣ .

(٣) من مقال محمود أحمد ، ابن الغلام ، في جريدة « الفضـل » القاديانية ، الصـادرة في ١٤ مايو ١٩٢٥ .

(٤) أنوار الخلافة ، لمحمود أحمد ، ابن الغلام ، ص ٦٢ ـ ظهير ص ١٠٢

(٥) « الفضل » في ١٩٢٧/٢/٢٧ م ـ القاديانية ، لظهير ، ص ١٠٢ .

(٦) « تتمة حقيقة الوحي » ، ص ٦٨ ، للغلام ـ القاديانية لظهير ، ص ١٠٤ .

وقول : « هو الذي أرسل رسوله في القاديان (اسم قريته) ، وان الله يحفظ القاديان ويحرسهــا من الطـاعون ولو يستمر سبعين سنـة لأنها مسكن رسـوله وفي هذا آية للأمم »[1] .

ويقول : « إن الله أنزل لاثبات رسالتي آيات لو وزعت على ألف نبي لثبتت بها رسالتهم ، ولكن الشياطين من الناس لايصدقون هذا »[2] .

وقال : « وآتاني مالم يؤت أحدا من العالمين »[3] . وقال : « أنا وحدي أعطيت كل ما أعطي لجميع الأنبياء »[4] . وقال : « ايماني بالالهامات التي تنزل عليّ كالايمان بالتوراة والانجيل والقرآن »[5] .

وكتبت جريدة « الفضل » القاديانية : « إن غلام أحمد كان نبياً ورسولاً بالمعنى الذي يراد به الأنبياء والرسل السابقون »[6] .

ويقول جلال الدين شمس ، وهو أحد كبار دعاة القاديانية : « ان مرتبة وحي غلام أحمد هي عين مرتبة القرآن والانجيل والتوراة »[7] .

قوله في كونه المسيح :

يقول ميرزا غلام أحمد :

« ان المقصود من كون المسيح عيسى بن مريم أن يكون مشابها له ، فأنا مشابه لعيسى في أشياء كثيرة ، حتى وأتشابه معه في الولادة ، فكانت في ولادته ندرة وفي ولادتي ندرة أيضا ، لأني حينما ولدت ولدت معي بنت ، وهذا من النوادر في الخلق

---

(١) « دافع البلاء » ، ص ١٠ و ١١ ، للغلام – القاديانية لظهير ، ص ١٠٤ .

(٢) « عين المعرفة » ص ٣١٧ ، للغلام – القاديانية ، لظهير ، ص ١٠٤ .

(٣) « ضميمة حقيقة الوحي » ، ص ٨٧ ، للغلام – القاديانية لظهير ، ص ١٠٥ .

(٤) « در ثمين » ، ص ٢٨٧ ، للغلام – القاديانية لظهير ، ص ١٠٥ .

(٥) « تبليغ رسالت » ، ج ٦ ص ٦٤ – القاديانية لظهير ص ١٠٧ .

(٦) « الفضل » ١٣ـ١ سبتمبر ١٩١٤ م – القاديانية لظهير ، ص ١٠٤ .

(٧) « عاقبة منكري الخلافة » ص ٤٩ ، لجلال الدين – ظهير ، ص ١٠٧ .

الانساني لأنه في كثير من الأحيان لايولد الا مولود واحد في وقت واحد »[١] .

ويقول : « أقسم بالله الذي أرسلني ، والذي لا يفتري عليه الا الملعونون ، أنه أرسلني ، وجعلني مسيحا موعودا »[٢] .

« دعواي أني أنا المسيح الموعود الذي أخبر عنه في جميع الكتب السماوية بأنه يظهر في آخر الزمن »[٣] .

« اتفقت كاشفات كبار الأولياء على أن المسيح يظهر قبل القرن الرابع عشر ، أو على رأس القرن الرابع عشر (الهجري) ، ولن يتجاوز هذا الزمان . والظاهر أنه لم يعلن أحد غيري لهذا المنصب في القرن الرابع عشر ، فلذا أنا هو المسيح الموعود »[٤] .

« أنا مسيح موعود ، ويمكن أن يجيء مسيح آخر في دمشق »[٥] .

« أنا لا أنكر ولن أنكر امكان مجيء المسيح الآخر الذي ينطبق عليه ظواهر الأوصاف التي وردت في الأحاديث والتي لم تنطبق علي ظواهرها ، **ولعله حقيقة ينزل مسيح في دمشق »[٦] .**

قوله في وحدة الأديان :

« إن الله أراد أن يجعل جميع الملل على مذهب واحد ، وجعل هذا العمل نائباً سماه المسيح الموعود »[٧] .

---

(١) « تحفة كولره » ص ١١٠ ، للغلام ــ القاديانية لظهير ، ص ٢٠٦ .

(٢) إعلان الغلام المندرج في « تبليغ رسالت » ، مجموعة اعلانات الغلام ، ج ١٠ ، ص ١٨ ــ القاديانية ، احسان الهي ظهير ، ص ١٩٩ .

(٣) « تحفة كولره » ص ١٩٥ ، للغلام ــ احسان الهي ظهير ، ص ١٩٩ .

(٤) « ازالة أوهام » ص ٦٨٥ ، للغلام ــ احسان الهي ظهير ، ص ١٩٩ .

(٥) « ازالة أوهام » ص ٧٢ و ٧٣ ، للغلام ــ احسان الهي ظهير ص ٢١٠ .

(٦) مكتوب الغلام إلى الشيخ عبد الجبار ، المندرج في « تبليغ رسالت » ج٢ ص١٥٩ لقاسم القادياني ــ القاديانية ، احسان الهي ظهير ، ص ٢١١ .

(٧) « مرآة المعرفة » ص ٨٢ ، للغلام ــ القاديانية ، لظهير ، ص ٢١٩ .

« لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد ، وانني ذلك الرجل »[1] .

« إن الكمالات التي أوتِيَتْ للأنبياء عليهم السلام بشكل متفرق ، كلها تجمعت في شخص محمد ، ثم أوتيتُ كلها ظلياً »[2] .

ويقول القاديانيون في منشوراتهم الحديثة ، التي يوزعها مركزهم في مسجد عباد ، الواقع على الطريق بين قرطبة واشبيلية في اسبانيا ، على ربوة تبعد /٥/ كم عن قرطبة ، أنهم لايرون فرقا بين الأديان السماوية إلا بالأفكار التي ررعها متعصبو هذه الأديان[3] .

قوله في الطاعة للحكومات :

يقول غلام أحمد : « إن الله تعالى قال ﴿ أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر ﴾ فالمراد من أولي الأمر هنـا الملك المعظم ، ولذا أنا **أنصح مريديَّ وأشياعي بأن يُدخِلوا الانكليز في أولي الأمر ويطيعوه من صميم قلوبهم** »[4] .

ويقول : « أنا طبعت شروط البيعة لكي تكون دستورا لفرقتي ولكل من يتبعني ، وسميتها « تكميل التبليغ مع شروط البيعة » وأرسلت نسخة منها إلى الحكومة ، لتعرف الحكومة بأني أكدت لمتبعيَّ أن يكونوا أوفياء طائعين لحكومة بريطانيا »[5] .

ويقول موضحا أكثر : « ثبت من محاضراتي المسلسلة طوال سبعة عشر سنة بأني

---

(١) « براهين أحمدية » ج ٥ ص ٩٠ ، للغلام — القاديانية والاستعمار الانكليزي ، عبد الله سلوم السامرائي ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١٤٣ .

(٢) « ملفوظات أحمدية » ، للغلام ، مجلد ٤ ، ص ١٤٢ — عبد الله سلوم السامرائي ، ص ١٤٢ .

(٣) جريدة « المسلمون » ، لندن ، العدد ٧٩ ، ١٩٨٦/٨/٩ — البهائية والقاديانية ، الدكتور أسعد السحمراني ، ص ١٥١ .

(٤) القاديانية والاستعمار الانكليزي ، لعبد الله سلوم السامرائي ، ص ٢٦١ . ويلاحظ هنا التشويه الذي أدخله القادياني على نص الآية ، وأصلها ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكُم ﴾ — النساء ٥٩ .

(٥) عريضـة الغلام إلى نائب الملك في الهند المندرجة في « تبليغ الرسـاله » ج ٧ ص ١٦ ، لقاسم القادياني ـــ القاديانية ، احسان الهي ظهير ، ص ١٢١

وفيّ مخلصٌ للدولة الانكـليزية ، من صميم القلب والروح ، وإطاعة الحكومة وحب النـاس عقيدتي ، وهذه هي العقيدة التي أدخلتهـا في شروط البيعة لمتبعيَّ ومريديَّ ، وصرحت عن هذه العقيدة تحت المادة الرابعة في رسالة شروط البيعة التي توزع على المريدين والمتبعين لي »[١] .

وقد خطب ابن الغـلام وخليفتـه ، في حفـل خاص ، بمنـاسبـة دخول الجيش الانكليزي العراق ، فقال : « إن علماء المسلمين يتهموننا بتعاوننا مع الانكليز ويطعنوننا على ابتهاجنا على فتوحاته ، فنحن نسأل لماذا لا نفرح ؟ ولماذا لانسرّ ؟ وقد قال إمامنا : **اني أنا مهدي وحكومة بريطانيا سيفي** فنحن نبتهج بهذا الفتح ونريد أن نرى لمعان هذا السيف وبرقه في العراق وفي الشام وفي كل مكان ، ويقول : إن الله أنزل ملائكته لتأييد هذه الحكومة ومساعدتها »[٢] ، ويقول : « إن مئات من القاديانيين تجندوا في جيش الانكليز لفتح العراق وأراقوا دماءهم في سبيله »[٣] .

قوله في إبطال الجهــاد :

اتضح أن القاديانيين قاتلوا في صفوف الجيش البريطاني للاستيلاء على العراق ، ومع هذا يقول مؤسس القاديانية :

« إن الله خفف شدة الجهاد ، أي القتال ، بالتدريج ، فكان يقتل الأطفال في عهد موسى ، وفي عهد محمد ﷺ ألغي قتل الأطفال والشيوخ والنسوان ، **ثم في عهدي ألغي حكم الجهاد أصلا** »[٤] .

« اليوم ألغي حكم الجهاد بالسيف ، ولاجهاد بعد اليوم ، فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويسمي نفسه غازياً ، يكون مخالفا لرسول الله ، الذي أعلن قبل ثلاثة عشر قرنا الغاء الجهاد في زمن المسيح الموعود ، **فأنا المسيح الموعود ، ولاجهاد**

---

(١) « ضميمة كتاب البريه » ، ص ١٩ ، للغلام – احسان الهي ظهير ص ١٢١ .

(٢) جريدة « الفضل » القاديانية – ٧ ديسمبر ١٩١٨ – ظهير ص ٣١ .

(٣) جريدة « الفضل » القاديانية – ٣١ أغسطس ١٩٢٣ – ظهير ص ٣١ .

(٤) « أربعين » ، نمره ٤ ، ص ١٥ ، للغلام – احسان الهي ظهير ، ص ١١٨ .

بعد ظهوري الآن ، فنحن نرفع علم الصلح وراية الأمان »[1] .

« إن هذه الفرقة ، الفرقةالقاديانية ، لا تزال تجتهد ليلاً ونهاراً لقمع العقيدة النجسة ، عقيدة الجهاد من قلوب المسلمين »[2] ..

« إن الأمر قد خرج عن أن يتهيأ الامر للجهاد فاننا نرى الاسلام أضعف الأقوام ، مابقيت فيهم قوة الحرب ، ومايلتقي الجمعان إلاّ وهم يُغلَبون ، فظهر أن الوقت وقت الدعاء لاوقت الملاحم وقتل الأعداء . وهذه حقيقة نزولي من السماء فإني لا أُغلِب بالعساكر الأرضية بل بملائكة من حضرة الكبرياء ، ولو كانت إرادة الله أن تحارب الكفارلأعطاكم أزيد مما أعطاهم ، وترون أن فنون الحرب كلها أُعطيت للكفرة من الحكمة الالهية ، فليس لكم أن تستّروا ماكشف الله أو تفتحوا ما أغلق ، ولاتكونوا كمن أغضب ربه وحنق »[3] .

« أتمسك بخمسة مبادىء ، اثنان منها مايلي : الجهاد حرام ، وطاعة الانكليز واجبة ... »[4] .

« أَلّفت كتابا بالعربية والفارسية عن محاربة فكرة الجهاد ووزعته في جميع البلاد العربيــة والشــام ومصر وبغداد وأفغانستان ، وأتأكد أنها تعطي تأثيرها عاجلاً أو آجلا »[5] .

« أخذت على عهدتي منذ اثنين وعشرين عاما أني سوف أرسل الكتب التي تحارب فكرة الجهاد إلى البلدان الاسلامية »[6] .

---

(١) « أربعين » ، ص ٤٧ ــ القاديانية لظهير ، ص ١١٨ .

(٢) عريضــة الغلام الى الحكومة ، المندرجة في « ريو يو اف ريليجنز » نمرة ٥ سنة ١٩٢٢ م ــ القاديانية ، احسان الهي ظهير ، ص ١١٩ .

(٣) « مجلة البشرى » ، العدد ٩ ــ ١٢ في عام ١٣٦٤ هجري ــ الملاح ، النحلة الأحمدية ، ص ٢٩ ــ القاديانية والاستعمار الانكليزي ، عبد الله سلوم السامرائي ، ص ٢٠٠ و ٢٠١ .

(٤) آغا شورش كشميري : خونة الاسلام ص ٥ ــ القاديانية والاستعمار الانكليزي ، عبد الله سلوم السامرائي ، ص ٢٠١ .

(٥) « تبليغ الرسالة » ، للغلام ، ج ٨ ، ص ٦٢ ــ السامرائي ، ص ٢٠٢ .

(٦) « تبليغ الرسالة » للغلام ، ج ١٠ ص ٦٢ ــ السامرائي ، ص ٢٠٢ .

« وقد ألَّفت في منع الجهـاد ووجوب طاعـة أولي الأمر الانكـليز من الكتب والاعلانات والنشرات لو جمع بعضها على بعض لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا ، وكان هدفي دائمًا أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة ، وتُمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد »[1] .

لقد ظللت منذ حداثة سنِّي ، وقد ناهزت اليوم على الستين ، أجاهد بلساني وقلمي ... لألغي فكرة الجهاد ، التي يدين بها بعض جهّالهم والتي تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة (الانكليزية) . وأرى أن كتاباتي قد أثّرت في قلوب المسلمين »[2] .

« لقد ألّفت عشرات من الكتب ... أثبت فيها أنه لايحل الجهاد أصلا ضد الحكومة الانكليزية التي أحسنت الينا ، وقد أنفقت على طبع هذه الكتب أموالا كثيرة ، وأرسلتها إلى البلاد الاسلامية ، وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثّرت تأثيراً عظيماً في أهل هذه البلاد »[3] .

« لقد نشرت خمسين ألف كتاب ورسالة واعلان في هذه البلاد وفي البلاد الاسلامية ... وكان نتيجة ذلك أن أقلع ألوف من الناس عن فكرة الجهاد التي كانت من وحي العلماء الجاحدين »[4] .

« لقد آن أن تُفتح أبواب السماء ، وقد عُطِّل الجهاد في الأرض ، وتوقفت الحروب كما جاء في الأحاديث – إن الجهاد للدين حرام في عصر المسيح – فيحرم الجهاد من

(١) « المتنبىء القادياني » للمفتي محمود ، ص ٨ – السامرائي ، ص ٢٠٢ .

(٢) « المتنبىء القادياني » للمفتي محمود ، ص ٨ – السامرائي ص ٢٠٢ .

(٣) الميرزا غلام أحمد : من الرسالة المقدمة الى الحكومةالانكليزية – « المتنبىء القادياني » للمفتي محمود ، ص ٨ – السامرائي ، ص ٢٠٢ .

(٤) الميرزا غلام أحمد : ستارة قيصر – « المتنبىء القادياني » للمفتي محمود ، ص ٩ – السامرائي ، ص ٢٠٢ .

هذا اليوم . وكل من يرفع السيف للدين ويَقتل الكفار باسم الغزو والجهاد يكون عاصياً لله ورسوله »[١] .

« إن الفرقة الاسلامية ، التي قلدني الله إمامتها وسيادتها ، تمتاز بأنها لاترى الجهاد بالسيف ولاتنتظره ، بل إن الفرقة المباركة لا تستحله سراً كان أو علانيةً وتُحَرِّمه تحريماً باتا »[٢] .

« كل جاهل ظالم إذا أعياه الاستدلال أهوى بيده إلى السيف أو البندقية ، فلايمكن البتة أن يكون من عند الله الدين الذي لايستطيع الانتشار بطريق من الطرق إلاّ بقوة السيف »[٣] .

القاديانية واسرائيل :

يقولُ غلام أحمد :

« أفليس من الضروري ياترى أن يبعث من بين هذه الأمة أيضا فرد يتجلى في صيغة الرسل ومِلَل النبيين ويرث أنبياء بني اسرائيل ويكون ظِلَّهم »[٤] .

وقد زار بشير الدين محمود ، وهو ابن غلام أحمد وخليفته الثاني ، فلسطين في عام ١٩٢٤ م ، وأعلن هناك أن اليهود سوف يملكون هذه المنطقة ، وقابل المندوب السامي الانكليزي في فلسطين ، واتفق معه على مخططات جديدة في المستقبل . وبعد هذه المقابلة ضُم إلى بعثة جلال الدين الشمس ، مسؤول البعثة القاديانية في الشام وفلسطين ، رجلين من العرب : محمد العربي الطرابلسي وعبد القادر صالح ، وهما كانا يهوديين أصلا ، ولكنهما أعلنا الاسلام لتحقيق المطامع الاستعمارية »[٥] .

وقد أشير في أحد منشورات القاديانيين ، التي يتحدثون فيها عن مراكزهم خارج

---

(١) « الخطبة الالهامية » ، الميرزا غلام أحمد ، ص ٤٦ و ٤٧ ــ السامرائي ص ١٩٥ .

(٢) « ترياق القلوب » ، الميرزا غلام أحمد ، ص ٣٢٢ ــ السامرائي ، ص ١٩٥ .

(٣) « سفينة نوح » ، الميرزا غلام أحمد ، ص ٨٤ و ٨٥ ــ السامرائي ص ١٤٧ .

(٤) « سفينة نوح » ميرزا غلام أحمد ، ص ٥٥ ــ القاديانية والاستعمار الانكليزي ، لعبد الله سلوم السامرائي ، ص ١٤٤ .

(٥) القاديانية والاستعمار الانكليزي ، عبد الله سلوم السامرائي ، ص ٢٤٣ .

باكستـان ، تحت عنوان « المركز الاسـرائيلي » ، إلى « أن المركز الاسـرائيلي يقع على « ماؤنت كارمال » في حيفا ، ونحن نملك هناك مسجداً وبيتاً للمركز ، ومكتبة عامة للمطالعة ، ومكتبة خاصة لبيع الكتب ، ومدرسة . ويصدر المركز مجلة شهرية باسم « البشرى » التي ترسل إلى ثلاثين بلدا عربيا مختلفا ، وقد ترجم أكثر مؤلفات المسيح الموعود (غلام أحمد) إلى العربيـة بطريق هذا المركز . وإن مركز القاديانية تأثر من تقسيم فلسطين من عدة وجوه ، وان المسلمين الذين بقوا في اسرائيل أخذوا من المركز الفوائد الجمة ، ومركزنا لايضيع أي فرصة لخدمتهم . وقبل مدة زار وفد المركز رئيس بلدية حيفا ، وبحث معه عدة مواضيع ، وأبدى رئيس البلدية استعداده لبناء مدرسة لنا في « كبابير » ، الذي يسكن فيه القاديانيون بكثرة ، كما وعدنا برد الزيارة في كبابير ، وجاء بعد ذلك برفقـة أربع شخصيات معروفة في حيفا عندنا ، فاستقبلتهم جماعتنا وطلبة المدارس ، وأقاموا احتفالا خاصا للترحيب بهم ، وقبل الرجوع وقعوا على سجل الزيارات وسجلوا تأثراتهم ، ويمكن للقارئين أن يعرفوا مكانتنا في اسرائيل بأمر بسيط بأن مبلغنا جوهدري محمد شريف ، حينما أراد الرجوع من اسرائيل إلى باكستان سنة ١٩٥٦م أرسل اليه رئيس دولة اسرائيل بأن يزوره قبل مغادرته البلاد ، فاغتنم المبشر هذه الفرصة وقدم اليه القرآن المترجم إلى الألمانية ، الذي قبله الرئيس بكل سرور . وقد نشرت تفاصيل اللقاء في الصحف الاسرائيلية ، كما أذيعت أيضا في الاذاعة »[1] .

طعنه في مخالفيه من المسلمين والمسيحيين والهندوس :

دأب ميرزا غلام أحمد على توجيه السباب والشتائم إلى مخالفيه وخصومه من المسلمين والمسيحيين والهندوس ، والطعن في أديانهم وأنبيائهم . ولاسيما منهم السيد المسيح عليه السلام .

قال مرة : « لايوجد في الدنيـا شيء أنجس من الخنزير ، ولكن العـلماء الذين يخـالفونني هـم أنجس من الخـنزير ، أيهـا العـلمـاء يا آكلي الجيفـة ، وأيتهـا الأرواح النجسة »[2] . وقال : « أيها الأشقياء المفترون ... لا أدري لم لاتستعمل هذه الفرقة

---

(١) « القاديانية » ، احسان الهي ظهير ، ص ٤٧ .

(٢) « أنجام آتم » ص ٢١ ، للغلام القادياني ــ القاديانية ، لظهير ص ١٤٠ .

الوحشيـة الحياء ، لتسْوَدَّ وجوههم »[١] . ويشتم مخالفيه ويصفهم بقوله : « بعضهم كالكلاب ، وبعضهم كالذئاب ، وبعضهم كالخنازير »[٢] . ويقول : « لم يقتنع عبد الحق بفتوحاتنـا ، فتكون له الرغبة في أن يصير ولد الحرام »[٣] . وخاطب مرة أحد مخالفيه : « غول ، لئيم ، فاسق ، شيطان ، ملعون ، نطفة السفهاء ، خبيث ، مفسد ، مزور ، منحوس ابن الفاحشة »[٤] . وخاطب المنظر الشهير الشيخ ثناء الله الأمرتسري قائلا : « يا كلب ، يا آكلي الجيفة »[٥] .

ويخـاطب أحد مشـــايخ الطـرق في الهند بقوله : « كذاب ، مزور ، خبيث ، عقرب ، يا أرض كولره (مسكن هذا الشيخ) لعنة الله عليك ، صرت ملعونة لأجل الملعون ، شيخ الضلالة ، غول شقي »[٦] . ومرة خاطب جميع الأمة بقوله : « تلك كتب ينظر اليها كل مسلم بعين المحبة والمودة ، وينتفع من معارفها ، يقبلني ويصدق دعوتي ، إلاّ ذرية البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لايقبلون »[٧] . ويسبُّ عالما كبيرا من علماء المسلمين أيضا بهذه الشتيمة : « رقصت كرقص بغية في مجالس »[٨] . ويسب أحد رجال الدين النصراني ويقول : « هذه علامة ابن الحرام ، انه لاينهج طريقا مستقيما »[٩] ، ويشتم عامة رجال الدين الهندوسي بقوله : « إنهم أبناء الحرام ورذيلو الطبائع »[١٠] . ولعن أيضـا ألف لعنة على رجل الدين المسيحي (تبليغ رسالت) ثم تناول نبي الله عيسى عليه السلام بقوله : « إن عيسى ما استطاع أن يقول لنفسه أنه

---

(١) « أنجام آتم » ص ٥٨ ، للغلام القادياني – القاديانية لظهير ص ١٤٠ .
(٢) « خطبة الهامية » ص ١٥٠ ، للغلام .
(٣) « أنوار الاسلام » ، ص ٣٠ ، للغلام – ظهير ، ص ١٤٠ .
(٤) « أنجام آتم » ، ص ٢٨١ ، للغلام – ظهير ، ص ١٤٠ .
(٥) حاشية « أنجام آتم » ، ص ٢٥ – ظهير ص ١٤٠ .
(٦) « نزول المسيح » ، ص ٧٥ و ٧٦ ، للغلام – ظهير ، ص ١٤١ .
(٧) « مرآة كمالات الاسلام » ص ٥٤٧ ، للعلام – ظهير ، ص ١٤٢ .
(٨) « حجة الله » ، العربي ، ص ٨٧ – ظهير ، ص ١٤٢ .
(٩) « أنوار الاسلام » ، ص ٣٠ ، للغلام – ظهير ، ص ١٤٢ .
(١٠) « آريه وهرم » ، ص ٥٤ ، للغلام – ظهير ، ص ١٤٢ .

صالح ، لأن الناس كانوا يعرفون أن عيسى رجل خمّار وسيء السيرة »[١] . ويقول : « إن عيسى كان يميل إلى المومسات لأن جداته كنّ من المومسات »[٢] . ويقول : « إن عيسى كان سبّاباً سيء الخلق وكان يغضب لأشياء بسيطة لعدم ضبط النفس ... وأيضا يلاحظ بأن عيسى كان متعودا على الكذب »[٣] . ويقول : « إن عيسى كان محروماً عن الصفة الرجولية التي هي من الصفات المحمودة العليا في الانسان »[٤] . وقال : « إن عيسى كان ساحراً ، وكل ماظهر عنه كان بسبب هذا السحر »[٥] .

(١) حاشية « ست بچن » ، ص ١٧٢ ، للغلام ـ ظهير ، ص ١٤٣ .
(٢) « ضميمة أنجام آتم » ، حاشية ص ٧ ، للغلام ـ ظهير ، ص ١٤٣ .
(٣) « ضميمة أنجام آتم » ، حاشية ص ٥ ، للغلام ـ ظهير ، ص ١٥٠ .
(٤) « مكتوبات أحمدية » ، ج ٣ ، ص ٢٨ ، مجموعة مكاتيب الغلام القادياني ـ القاديانية ، لظهير ، ص ١٥٠ .
(٥) « ازالة الأوهام » ، ص ٣٠٩ ، للغلام ـ ظهير ، ص ١٥٠ .

مسيح الصهيونية المنتظر

كما ابتدأت البهائية والقاديانية معتمدتين على عقيدة « المهدي » ثم جنحتا بعيدا عن هذه العقيدة ، كذلك ابتدأت حركة شهود يهوه والحركات الأصولية الانجيلية معتمدة على عقيدة « المسيح المنتظر » لتنتهي إلى مسيح آخر يتطابق مع الأهداف الصهيونية .

فالمخطط الصهيوني يهدف إلى اقامة حكومة عالمية يكون على رأسها ملك من نسل داوود يسمونه المسيح المنتظر .

فمن أهم العقائد اليهودية عقيدة الماشيح ، أو المسيح ، وهو عندهم ملك من نسل داوود سيأتي في نهاية التاريخ أو سبت التاريخ[1] . الذي يعني نهاية فترة خلق العالم ، التي تمتد ستة آلاف سنة ، وبداية العصر اليهودي أو العصر الألفي السعيد ، الذي يمتد ألف سنة تنتهي بنهايتها دورة هذا العالم[2] .

وكلمة « المسيح » معناها الممسوح « بزيت البركة » ، لأنهم كانوا يمسحون به الملوك والأنبياء والكهنة والبطارقة ، وكان اليهود في مبدأ الأمر يرون المسيح ملكاً فاتحاً مظفراً من نسل داوود ، يسمونه ابن الله ، ويعتقدون أنه سيجيء ليعيد مجد اسرائيل ويجمع أشتات اليهود بفلسطين ، ويجعل أحكام التوراة نافذة المفعول ، ولكنهم أحيانا أطلقوا كلمة المسيح على من يعاقب أعداءهم وإن لم يكن من نسل داوود ، كما أطلقها اشعيا على قورش ، ولما طال انتظارهم للمسيح الفاتح الغازي ، ولم يجيء ، فكروا أحيانا بأن يجيء المسيح مصلحاً اجتماعياً عادلاً وديعا . ويتضح من الوصف الذي أورده

(١) الايديولوجية الصهيونية للدكتور عبد الوهاب محمد المسيري ، ص ٤٦ .

(٢) يقول الأب الدكتور متري هاجي أثناسيو في كتابه « فضح بدعة شهود يهوه » الصادر في دمشق عام ١٩٩١ ، ص ١٤٨ : « يعتقد اليهود أن زمن العالم ستة آلاف سنة وهو بمثابة ستة أيام التي خلق الله سبحانه العالم فيها ، باعتبار كل يوم بمثابة ألف سنة ، ثم في نهايتها يبدأ يوم الرب وهو ألف سنة السابعة التي هي فترة ملك المسيح » .

بعضهم أن المسيح المنتظر ليس إنساناً عادياً بل هو إنسان سماوي ، وكائن معجز خلقه الله قبل الدهور ، ويبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله ، وعندما يرسله الله يمنحه قوته ، وهو يحمل لقب « ابن الانسان » أي أنه سيظهر في صورة الإنسان ، وان كانت طبيعته تجمع بين الله والانسان[1] .

وقد برزت فكرة المسيح المنتظر في الفكر اليهودي في وقت متأخر . ومراجعة الكتاب المقدس تشير إلى أن هذه الفكرة لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرهم في بابل ثم خضوعهم إلى الفرس ، وهذا التوقيت دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلّص مستعارة من الزرادشتية التي كان الفرس يدينون بها[2] .

ومسألة المسيح المنتظر لدى اليهود تقترب إلى حد كبير من عقيدة انتشرت لدى المذاهب البروتستانتية الغربية ، التي ظهرت مع بداية حركة الاصلاح الديني في القرن السادس عشر ، وهي تقضي بتحقيق النبوءات التوراتية الخاصة بعودة المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة الله في الأرض ، التي ستدوم ألف عام والتي يجب أن تسبقها عودة اليهود إلى فلسطين .

وقد كانت هذه العقيدة حافزا على تعزيز الدعوة الى هجرة اليهود إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم فيها كمقدمة لظهور المسيح المنتظر ، حتى بلغ الأمر بأحدهم ، وهو العالم الفرنسي فيليب جنتل دي لانجالير (١٦٥٦ – ١٧١٧) أن تقدم بخطة لتوطين اليهود في فلسطين على أن يعطى الخليفة العثماني روما بدلا منها . وقد وصفت الحركة البروتستانتية بأنها بعث « عبري » أو « يهودي »[3] .

لقد كانت هذه العقيدة أساسا لحركات عديدة ، في صفوف المسيحيين ، شبيهة بالبهائية والقاديانية اللتين برزتا ضمن صفوف المسلمين ، وهي جميعها تصب في مجرى المخططات الصهيونية .

فهذه الحركات قد تختلف فيا بينها في أشياء كثيرة ، لكنها تلتقي على هدف واحد

(١) مقارنة الأديان ، د . أحمد شلبي ، ج١ ، ص ٢١٠ .
(٢) كذلك ، ص ٢١١ .
(٣) الصهيونية غير اليهودية لريجينا الشريف ، ص٢٩ و٣٨ و٦١ .

هو إقامة الحكومة العالمية التي تتطابق مواصفاتها عندهم مع مواصفات حكومة مسيح الصهيونية المنتظر .. إقامتها على أنقاض الأديان وأشلاء الأمم والشعوب .

وقد وجدت هذه العقيدة صداها لدى العديد من ساسة أوربا ، ولاسيما منهم **نابليون بونابرت** ، الذي وصفه وايزمان بأنه « **أول الصهيونيين الحديثين غير اليهود** » . فقد وجه نابليون خلال حملته على مصر عام ١٧٩٩ بياناً إلى اليهود دعاهم فيه إلى استلام فلسطين منه وإقامة دولتهم فيها[١] .

على أن نابليون بونابرت ، وقف بعدئذ موقفا مناوئا من اليهود وراح يكيل لهم عبارات التنديد[٢] ، إثر فشله في احتلال عكا وباقي فلسطين وتقديمها على طبق من ذهب إلى الصهيونية .

وتقضيّ العقيدة البروتستانتية الخاصة بالمسيح المنتظر بأن السيد المسيح سيعود إلى الأرض عقب معركة كبرى تجري في موقع في فلسطين اسمه « **هرمجدّون** » (Armageddon) ، ورد ذكره مرة واحدة في الأناجيل حينما قال يوحنا في رؤياه « فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى في العبرانية هرمجدّون » (الاصحاح ١٦ : ١٦) ، وهم يقولون بأن هذا الموقع كائن في **مرج ابن عامر**[٣] .

وفي هذه المعركة سينتهي الفساد ، وسيقيم السيد المسيح مملكة الله على الأرض التي سيحكمها بنفسه مدة ألف عام تكون فترة سلام ، وهذا ماسمي بالعصر الألفي السعيد .

« والواقع أن « النبوءة الألفية » ، كما تسمى ، ليست وقفاً على البروتستانتيين ، وإنما هي ذات تاريخ طويل في العقلية الأوربية . ويؤرخ لذلك نورمان كوهين في كتابه « مطاردة الألفية » فيردها إلى أصولها اليهودية أولا ، ثم انتقالها إلى العهد الجديد في رؤيا يوحنا التي تصف عددا من الأحداث المستقبلية . ويصف يوحنا بإشارات رمزية ظروف رجعة السيد المسيح (ع) ومايرافقها ، ولكن الصورة التي استولت على الذاكرة الأوربية

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٢) حكومة العالم الخفية ، ص ٩٨ .

(٣) كشف المستقبل ، لوره ب هملتون ، ص ٤٣ .

هي ظهور الوحش الذي ينشر الدمار حتى يعود السيد المسيح (ع) إلى الأرض ، فيقضي على الوحش ويمد السلام . وقد سبق لهذه الرؤية أن عكست في كتاب دانيال الذي تنبأ بظهور مخلص لليهود ، هو في زعمهم المسيح الحقيقي ، الذي يعطي اليهود السيطرة الكاملة على العالم . ويحلل كوهين هذه التصورات في ضوء المواقف الدفاعية لليهود أمام السيطرة الرومانية ، والشعور المسيحي بالتحدي الاسلامي ... وحصل أمر مشابه لدى المعاصرين ، حينما أنجزت هوليود فيلما عن نبوءات نوسترا داموس ، الذي يتحدث عن ظهور رجل في الشرق الأوسط يمتلك طاقة عسكرية عجيبة ويمد سلطانه على أوربا ، ولكنه حينما يرسل الصواريخ عابرة القارات على أمريكا تواجهه أمريكا بصواريخ مشابهة وتقضي عليه ويسود السلام ... ولم يتوقف مسلسل التنبؤات عند القرون الوسطى بل رافق العقلية الغربية في أوج انفتاحها على العقل وايمانها بالدليل القائم على الحجة والبرهان وتخليها عن الصوفية والعرفان . ويعرض فرانك كيرمود ، الناقد البريطاني المعروف ، في الفصل الأول من كتابه « الاحساس بالنهاية » للكتب التي تناولت الموضوع واستقصبته ، فيقول : ان تصورات النهاية قد أثرت في فلسفات عديدة كالهيغلية والماركسية . وغير بعيد عن هذه التصورات تحليل فرانسيس فوكوياما[1] لسقوط الايديولوجيا الماركسية وانتصار القيم الغربية الذي يراه نهاية للتاريخ بمعنى أن تطور العقلانية الغربية قد وصل إلى السقف الذي لن تتجاوزه أوربا ذاتها أو العالم بأكمله . وهذا يعطي للتنبؤات مكانها من العقلانية الغربية فتصبح النهاية بمعنى انسداد أفق التطور الانساني ، ولكن فوكوياما لايتكلم عن الظروف التاريخية التي يحدث فيها هذا الانعطاف التاريخي ، ويسلّم ابتداء بأن القيم الأوربية الأمريكية متفوقة على ماسواها . ومن الطريف أن بعض النبوءات المسيحية تتكلم عن ظهورامبراطور مسيحي يفرض سلطانه على العالم ، وقد رشح لهذه المهمة عدد من الأباطرة في التاريخ الألماني في القرون الوسطى ، وربما يكون فوكوياما ، وهو المستشار في البيت الأبيض ، يتكلم وفي عقله المستر بوش[2] .

(١) كان أحد العاملين بوزارة الخارجية الأمريكية حين كتب أطروحة « نهاية التاريخ » ــ حرب الخليج والنظام العالمي الجديد ص ٣٥ .

(٢) من مقال للكاتب ع . ح . في مجلة « العالم » الصادرة في لندن باللغة العربية ، العدد ٣٩٠ ، ١٩٩١/٨/٣ .

من جهة أخرى ، فقد قال الصهيوني باروخ ليفي بتاريخ ١٩٢٨/٦/١ :

« إذا اعتبرنا الشعب اليهودي وحدة لاتتجزأ ، فسيكون هو نفسه المسيح المنتظر وسيطرته على العالم ستتحقق باندماج الأديان والأجناس ، والغاء الحدود بين الدول والممالك ، ومن ثم انشاء جمهورية عالمية تمنح اليهود الحقوق المدنية في سائر أنحاءالأرض [1] .

ويقول فؤاد محمد شبل في أحد تعليقاته على كتاب أرنولد توينبي « مختصر دراسة للتاريخ » :

« يؤمن اليهود بتجسد « ياهوى » (وهو أقدس أسماء الرب في اليهودية) في شخصية بشرية هي المسيح المنتظر . وتتولى هذه الشخصية تشييد دولة عالمية تضم العالم بأسره وعاصمتها أورشليم ، وتجعل من اليهود الجنس المسيطر باعتبارهم شعب الله المختار . وهذا هو مادفع اليهود إلى معارضة عيسى عليه السلام لأنه نادى بملكوت الله في السماء لا على الأرض »[2] .

هذا ، وقد سبقت الإشارة إلى علامات وشرائط ظهور مسيحهم المنتظر ، كما أوضحها المبشران الانجيليان بيلي غراهام ولوره ب . هملتون (ص٩٧ ومابعد) .

موعد ظهور مسيح بني صهيون واقامة الحكومة العالمية :

لقد حددوا لظهور مسيحهم هذا ، مواعيد عديدة ، انقضت جميعها بدون أثر ، فكانوا في كل مرة يعيدون حساباتهم لتحديد موعد جديد ، وهكذا .

وربما يكون الموعد المحدد حاليا لإظهار مسيحهم ، في حوالي العام ٢٠٠٠م .

فقد نقلت جريدة عال همشمار الإسرائيلية عن الدكتور فاليري ايمليانوف المتخصص في مسائل الصهيونية والماسونية والمدرس في معهد اللغات الشرقية في

(١) اليهود لزهدي الفاتح ، ص ١٠١ .

(٢) حاشية فؤاد محمد شبل ، مترجم كتاب « مختصر دراسة للتاريخ » لأرنولد توينبي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

موسكو[١] : « إن الصهيونيين حددوا عام ٢٠٠٠ كموعد للسيطرة على العالم وأنه بظهور البنائين الأحرار أي الطابور اليهودي الخامس فإنه سيتم على أيديهم تقويض معابد وجمعيات ومؤسسات الشعوب الأخرى وكل سلطانها »[٢] .

وعن سبب تحديد عام ٢٠٠٠ لتحقيق السيطرة الصهيونية على العالم فإن ايمليانوف يعتمد على ماجاء في التوراة والتلمود وكذلك على دساتير الماسونية والمؤتمرات الصهيونية التي تبين خطة الثلاثة آلاف سنة التي وضعها سليمان لتحقيق السيطرة العالمية كما يدعون . وهذه الخطة تنتهي عام ٢٠٠٠ ، ويستدل على ذلك من التقاويم الماسونية التي تعتبر سنة ألف قبل الميلاد هي سنة تأسيس الحركة الماسونية العالمية[٣] .

وقال البهائيون من جهتهم شيئا مماثلا عن العام ٢٠٠٠ ، فقد جاء في تصريح لفرناندو سانت ، وهو أحد أعضاء بيت العدل الأعظم البهائي ، لجريدة « المسلمون » الصادرة في لندن (العدد ٨١ ، ١٩٨٦/٨/٢٣) بأنه في عام ٢٠٠٠ فان السلام الأصغر سيحصل والبلاد المختلفة ستتوحد أولا بشكل امارات كونفدرالية وبعد ذلك ستتكون الأمة العالمية الواحدة التي يحكمها البهائيون[٤] .

يقول نورمان كوهن في كتابه « مطاردة الألفية » أن إحدى النبوءات تقول أن المسافة الزمنية الفاصلة بين ارتفاع السيد المسيح وعودته تعادل عمر اثنين وأربعين جيلا من الأجيال الفاصلة بين النبي ابراهيم (ع) والسيد المسيح (ع) . وقد وصل

---

(١) هو عضو في الجمعية الفلسطينية الروسية التابعة لأكاديمية العلوم السوفييتية ، ومحاضر في جمعية المعرفة السوفييتية ، يجيد اللغات العربية والانكليزية والفرنسية والألمانية والعبرية إضافة للغته الروسية ، عمل دبلوماسيا في السفارة السوفييتية في كل من سورية ولبنان بين عام ١٩٥١ و١٩٥٣ — جريدة البعث ، عدد ٤٧٢٤ تاريخ ١٩٧٨/٧/١٤ — شهادات ماسونية لحسين عمر حماده ، ص٢٠ — الماسونية ، لسعيد الجزائري ، ص ٢٦١ .

(٢) جريدة الأخبار الأردنية ، العدد ٦٤٧ تاريخ ١٩٧٩/٢/١ — شهادات ماسونية لحسين عمر حماده ، ص ٢٤ .

(٣) جريدة البعث ، العدد ٤٧٢٤ تاريخ ١٩٧٨/٧/١٤ — شهادات ماسونية لحسين عمر حماده ، ص ٢٤ .

(٤) البهائية والقاديانية للدكتور أسعد السحمراني ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ١٢٤ .

« جوشيم » (ت ١٢٠٢م) إلى أن العودة المرتقبة ستتم في حدود عام ١٢٠٠م ، وهو رقم وصل اليه من ضرب عدد الأجيال المذكورة بمتوسط عمر يقارب ثلاثين عاما ، وكانت هناك حسابات أخرى لعدد ممن تولوا تفسير النبوءات ، فقدروا أرقاما تتراوح من نهاية القرن العاشر الميلادي وحتى منتصف القرن السابع عشر[1] .

وكان شراح « الكابال » ، وهو التراث الصوفي اليهودي ، يتوقعون ظهور المسيح المنتظر في عام ١٦٤٨م ، لكن ذلك العام كان عام مذبحة كبرى ليهود أوربا الشرقية على يد الكوزاك بقيادة « بوغدان تشميلينكي » والتتر بقيادة « خان كريميه » . وقد قدر ديفيد باكان عدد اليهود الذين قتلوا مابين عامي ١٦٤٨ و١٦٤٩ بثلاثمئة ألف ، وعلق على ذلك بقوله : فبأية سخرية توقع الكابال عودة المسيح في سنة ١٦٤٨ ؟[2] .

على أن هذه الحوادث لم تمنع ساباتاي زيفي من استغلال النبوءة الكابالية ، فأعلن نفسه ، في نهاية عام ١٦٤٨ ، المسيح المنتظر . ولما كانت الأحداث قد تفاقمت في ذلك العام ولم يتحقق الخلاص المتوقع حين ظهور المسيح ، فقد علق زيفي أمله على ماسمعه من والده ، الذي كان يعمل في شركة انكليزية ، من أنه وفقا للحسابات المسيحية التي تعتمد على كتاب « القيامة » ستكون سنة ١٦٦٦ بداية العصر الألفي السعيد ، وبدأ ساباتاي زيفي نشاطه الخلاصي بخلع السلطان العثماني ، الذى كان يسيطر على الأرض المقدسة فلسطين وقبل يومين من ابتداء سنة ١٦٦٦ ، سافر ساباتاي الى القسطنطينية لاتمام عمله المسيحاني ، فاعتقل لحظة وصوله ، وأرسل الى قلعة أبيدوس في غاليبولي ، إلا أن مؤيديه حولوا السجن إلى ملتقى ليهود العالم كافة ، الذين هرعوا إليه جماعات يعبرون له عن ولائهم ، وأصبح الزعيم الروحي لمئات الآلاف من الناس .

يضيف ديفيد باكان قائلا : « وضع الأتراك مخططا ، وللمفارقة بناء على نصيحة مستشار يهودي لدى السلطات ، لجعل الحركة الساباتية غير فعالة ، فخيروا ساباتاي بين الموت أو اعتناق الاسلام علنا . وفي نوفمبر ١٦٦٦ ، في نهاية السنة المرتقبة

---

(١) من مقال للكاتب ع . ح . في مجلة العالم الصادرة في لندن ـ العدد ٣٩٠ في ١٩٩١/٨/٣ .

(٢) فرويد والتراث الصوفي اليهودي ، لباكان ، ص ٧٨ .

للخلاص ، أصبح ساباتاي مسلما ، وبات اسمه : محمد أفندي ، وعيّن مساعدا لدى السلطان براتب كبير[1] .

أما الحاخام يهودا القلعي ، الذي كان حاخاما للطائفة اليهودية في سملين عاصمة الصرب ، فقد توصل في عام ١٨٣٩ ، بناء على حسابات أجراها بموجب علم الكابالاه ، إلى نتيجة مفادها أن عام ١٨٤٠ سيكون عام الخلاص اليهودي والعودة الى أرض الميعاد تمهيدا لمجيء المسيح المنتظر[2] .

ويشير الأب الدكتور متري هاجي أثناسيو ، في كتابه « فضح بدعة شهود يهوه » إلى أن وليم ميللر المعمداني الأمريكي (١٧٨٢ – ١٨٤٩) الذي أسس جماعة المجيئيين المسمين بالسبتيين ، وقاد حركة منظري المسيح سنة ١٨٢٢ ، حدد المجيء الثاني للمسيح في عام ١٨٤٣ (ص٢٠) وقد اجتاحت عقيدته حينئذ السواحل الشرقية للولايات المتحدة وباع الكثير من أتباعها كل ممتلكاتهم ليلقوا المسيح في العام الذي حدده[3] .

أما روصّل مؤسس بدعة شهود يهوه ، فقد حدد عام ١٨٧٢ موعدا لعودة المسيح ، ثم حملته مخيلته المجنحة سنة ١٨٧٦م على الظن أنه قد تم المجيء الثاني للمسيح قبل سنتين (١٨٧٤م) ، ولكن بصورة سرية غير منظورة ... ولما لم يحدث مجيء المسيح غير المنظور أضاف أربعين سنة ، التي تفصل عماد يسوع في سنة ٢٩ عن هدم القدس سنة ٧٠ ، فكان الموعد الجديد لديه ١٩١٤م ، لكن ذلك صادف نشوب الحرب العالمية الأولى ولم يظهر المسيح ، فنصب روصّل نفسه النبي السابق لتلك العودة ، وحسب ذاته في مصاف بعض رسل الانجيل (بولس و يوحنا) –[4] .

ثم تنبأ كنور ، أحد زعماء شهود يهوه ، بأن نهاية العالم الشرير وبدء الملك الألفي السعيد سيكون في أيلول من عام ١٩٧٥ ، وهي نهاية الـ ٦٠٠٠ سنة للتاريخ البشري

---

(١) المرجع السابق ص ٨٧ – ٨٨ .
(٢) مشاريع الاستيطان اليهودي ، الدكتور أمين عبد الله محمود ، ص ٦٥ .
(٣) ماهي الصهيونية المسيحية الأصولية ، ص ٢٠ .
(٤) فضح بدعة شهود يهوه ص ٢٠ .

(أزمنة الأمم) وبدء العالم الجديد مع المسيح تحت ادارة نخبة من الـ ١٤٤٠٠٠ شهود يهوه[(١)] .

ويقول الأب الدكتور أثناسيو : إن الشهود يزعمون أن نهاية العالم وشيكة الوقوع ، ويقسمون التاريخ البشري الى ثلاثة عهود :

١ — العهد الأول : يبدأ بالخلق (عام ٤١٢٧ ق.م.) وينتهي بالطوفان (عام ٢٤٧٣ ق. م.) . وقد وضع تحت ادارة الملائكة التي باءت بالفشل الذريع .

٢ — العهد الثاني : يمتد من الطوفان (عام ٢٤٧٣ ق.م.) وينتهي بحلول مملكة الله على الأرض عام ١٩١٤ ب . م . وقد ساد فيه عهد الشيطان وسيطرته المستعبدة . إنها نهاية العالم ؟ .

٣ — العهد الثالث : يبدأ بعام ١٩١٤ ، وفي هذه السنة ينتهي العالم ، ثم يبدأ حالاً الملك الألفي للمسيح ، الذي يمتد إلى عام ٢٩١٤ . انه عهد سلام وهناء وسعادة ، وقد وضع تحت إدارة المسيح .

ثم يعقب الأب الدكتور أثناسيو على موعد نهاية العالم ، وبداية العصر الألفي السعيد الذي حدده شهود يهوه ، بأن هذا الموعد قد نقل من عام ١٩١٤ إلى ١٩١٨ ثم إلى ١٩٢٥ . ونظراً لتكذيب الحوادث لنبوءات الشهود ، فهم لايزالون ينقلونه ، حتى أن أحد مؤسسيهم لم يعد يجرؤ على تحديد موعد آخر ، فقال ان المسيح قد جاء بشكل غير منظور (خفي) ومعه بدأ ملكه الألفي ... (ص ١٣٨) .

أما نوسترا داموس ، المتنبيء اليهودي ، المتوفى عام ١٥٦٦ عن ٧٢ عاما فيحدد للمعركة الفاصلة موعدا يدور حول العام ٢٠٠٠ ، ويتنبأ في خلال ذلك بدمار روما والفاتيكان وبالقضاء على البابوية وبقتل البابا بعد تعريضه للاهانات ، فهو يقول في بعض نبوءاته ، كما هي مثبتة في كتاب « نبوءات نوسترا داموس » صفحة ٣٤٦ ومايليها :

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

٢ – ٩٣

« قريبا جدا من نهر التيبر ، تهدد الهة الموت
بعد فيضان عظيم بقليل
يقع البابا في الأسر ويسلم للاهانات
يحرقون القصر والفاتيكان

٣ – ٤١

سينتخب المجلس أحدب
لم ير أحد من قبل مسخا بهذه البشاعة
الضربة التي يوجهها طائرا تزيل سلطة البابا
يتم اعتبار الخونة مخلصين

٧ – ٣٧

عشرة رجال سيرسلون لاغتيال رأس الكنيسة
أحدهم يتخلى عن هذه المهمة ويبذر الشقاق في السفينة
يتبلبل قائدهم كثيرا ، يغضب أحدهم ويهدد
هذا في جزر هيروليدين ، يتجه أسطولهم نحو مملكة الأموات

٢ – ٢٧

الكلمة الالهية ستضرب من أعالي السماء
لايعود يستطيع إسماع كلامه
يخنقون الوحي إلى حد
أنهم يدوسون بالأرجل بشتى الأشكال

٥ – ٥٧

سيخرج من هيكل الحرية الوثني
ذلك الذي سيصد الجيش ، عبر المضيق
بين صخرتين سوف تؤخذ الغنيمة
وتنهار شهرة من كان في ايكس

٣ – ١٧

سيرى الناس جبل أفانتين يحرق ليلا

فجأة تظلم السماء في الفلاندر
حين يدمر القائد نظامه السياسي الخاص به
يقترف رجال الكنيسة الفضائح

٨ — ١٥

نحو الشمال تعزيزات كبرى من الحشود البشرية
تضرب أوربا والعالم أجمع تقريبا
خلال الكسوفين ، تقوم بمطاردة مهمة
وتدخل هنغاريا في الحياة وفي الموت

٤ — ٦٧

في العام الذي يشتعل فيه الزمن والحرب معا
سيكون ثمة مسار كبير للمقذوف في الهواء الجاف
يحترق المكان الكبير (يقصد روما) بنيران آتية من بعيد
يرى الناس القحط والعاصفة ، تحصل حروب وغزوات

٨ — ١٦

في روما ، حيث كلي القدرة بنى هيكله
سيكون طوفان كبير ومفاجيء
بحيث ما من مكان وما من أرض ستسمح باتقائه
ستمر المياه من فوق أولمب فيزول

٨ — ٩١

في البلد الذي يشكل الرون مدخلا اليه
وحيث تحقق تقريبا توحيد المسيحيين
سيمضي شكلا الاضطهاد في معاكسة المسيحيين
لكن من سيارسونهما سيعاقب معظمهم الطوفان

١ — ٨٤

سيربدُّ القمر في الظلمات العميقة
في حين ستمر الشمس بلون الصدأ
المسيح الدجال المختفي طويلا في الظلمات

يمسك عندئذ الحديد في الجرح الدامي
١٠ – ٧٢
في العام ١٩٩٩ وسبعة أشهر
سيأتي في الجو قائد كبير مخيف
ليعيد للحياة فاتح الأنغوموا الكبير
من قبل ومن بعد ، ستبلغ الحرب أوجها
س – ٤٧
قائد الهون سيأخذ الكرسي الرسولي
يشهر المسيح الدجال حربه الجديدة
على فرنسا التي سيحاصرها
والأسود مع سمو الأمير
لن يتحمل أن يضغطوا عليه كثيرا
يبقى جنوده تحت السلاح ثلاث سنوات

* * *

هذا ، ومن المرجح أن الموعد القادم الذي حدده نوسترا داموس أو البهائيون لن يكون أصدق من المواعيد الكثيرة التي حددها الآخرون من قبل . فسيظل موعد قيام الحكومة العالمية يُمدد أو يؤجل ، وستظل المعادلات الرياضية التي يستخدمونها لحساباتهم تخضع للتعديل والتحوير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لذلك فبعضهم لم يعد يجرؤ على تحديد تاريخ معين لظهور المسيح المنتظر . فالمبشر الانجيلي فالويل يقول ردا على سؤال يتعلق بطلب تحديد موعد عودة المسيح ، بحسب مانقلته غريس هالسل في كتابها « النبوءة والسياسة » : لقد حذرنا الرب من تحديد تواريخ ، وقال الإله : « لا أحد يعرف اليوم ولا الساعة » . انني أعتقد أن كل مجموعة دينية أو كل زعيم ديني حدد تواريخا قد أساء الى الرب وأحرج نفسه . يمكن أن يكون في ٥٠ سنة . أنا لا أعرف ولكن لا أعتقد أن الوقت طويل هكذا . أعتقد أننا واصلون الى المأزق . إن كل التاريخ يصل الى الذروة وأنا لا أعتقد أنه بقي أمامنا ٥٠ سنة أخرى . إنني لا أعتقد أن أطفالي سيعيشون حياتهم كاملة » .

وتنقل هالسل عن أحد الانجيليين الأميركيين قوله : « إننا نحن المسيحيين نؤخر وصول المسيح من خلال عدم مساعدة اليهود على مصادرة مزيد من الأرض من الفلسطينيين » ... « ان على اليهود أن يمتلكوا كل الأرض التي وعدهم الله بها قبل أن يتمكن المسيح من العودة . ولكن لن يطول الوقت قبل تحقيق الفداء الكامل » ... « وقبل الفداء الروحي على الله أن يتعامل مع أمته ، إسرائيل » . إن عبارة الفداء ، كما هي مستعملة اليوم في اسرائيل ، تنطبق على مصادرة أراضي العامة في اسرائيل الكبرى (أرض اسرائيل) سواء من خلال الشراء الشرعي ، أو الشراء القسري ، أو المصادرة » (ص ١٥٧) .

أما بيلي غراهام فيحدد مجيء المسيح على النحو الآتي :

« يُعَلِّم الكتاب المقدس أن مجيء المسيح ثانية سيكون فجائيا ومثيرا وعلى غير انتظار . « لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق ان يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء » (١ تسالونكي ٥ : ٢) ... إن مجيء المسيح ثانية سيكون في سلسلة من الحوادث تمتد فترة طويلة من الزمن[1] . وتلك هي القيامة[2] .

« وأخبر يسوع تلاميذه ان هناك علامات يجب أن يلاحظوها ، لكنه حذّرهم في مناسبتين ، من محاولة تحديد وقت معين ، فقال : « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولاملائكة السموات إلا أبي وحده » (متى ٢٤ : ٣٦) . « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه » (أعمال ١ : ٧) . ومع أنه حذرهم من محاولة تحديد موعد رجوعه في وقت معين بالضبط ، إلا أنه أكد لهم ان هناك علامات موجودة في كل الكتاب المقدس ، كما هي ظاهرة في كلامه هو ، تبين لكل من لهم « عيون لتبصر » أن الوقت قريب . « ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب » (لوقا ٢١ : ٢٨) ...

« قال يسوع سيأتي جيل في المستقبل تدل صفاته على أن النهاية قريبة . بمعنى آخر يوجد جيل يمكن أن ترمز اليه بأنه « جيل س » ، سيأتي في وقت معين في التاريخ ،

---

(١) العالم يحترق ، بيلي غراهام ، ص ٢٦٢ و٢٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

تتجمع فيه كل العلامات . وأولئك الذين تجددت قلوبهم بيسوع المسيح ، واستنارت عقولهم بالروح القدس ، يستطيعون أن يقرأوا علامات « ذلك اليوم » ، وأن يحذروا الناس ، كما فعل نوح . ويبدو اليوم أن هذه العلامات تتقارب وتتجمع لأول مرة منذ صعد المسيح الى السماء »[١] ... « إن مجيء المسيح صار الآن أقرب مما كان حين آمنّا . ربما يصبح الكثير من هذه الحوادث أكثر ظهوراً وجلاءً قبل أن ينتهي هذا الجيل »[٢] .

« لا شك ان شعوب العالم اليوم تقوم باعداد المسرح لمشهد من افظع وأرعب المشاهد في رواية النزاع البشري ، وان العالم يسرع نحو حرب شاملة اشد تدميرا من كل ماعرف من قبل . وتعرف هذه الحرب في الكتاب المقدس بـ « معركة هرمجدون » (رؤيا ١٦: ١٤ – ١٦ ، ويوئيل٣ : ٩ – ١٤) ...

« يُعلّم الكتاب المقدس ، أن الانسان متمرد على القانون ، ثائر على الشرائع ، لدرجة أنه سيحشد جيوشه يوما ما ، ضد الله نفسه . وستحدث المعركة الأخيرة العظمى ، هرمجدون « فجمعهم الى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون » (رؤيا ١٦ : ١٦) . هذه ستكون الحرب الأخيرة ، والمعركة الفاصلة ، وآخر جهد يبذله الإنسان الساقط ضد شريعة الله .

هذا ، ويَرُدُّ شهود يهوه على من يعترض عليهم لأنهم بدّلوا موعد نهاية العالم الذي حددوه مرات عديدة ، بقولهم : « يدّعي بعض المقاومين بأن شهود يهوه أنبياء كذبة . وهؤلاء الخصوم يقولون ان التواريخ حُدِّدَتْ ، ولكن لم يحدث شيء ... نعم ، كان على شعب يهوه أن يُعَدِّلوا توقعاتهم من حين لآخر . وبسبب اشتياقنا رجونا أن يكون النظام الجديد أبكر مما اقتضاه جدول مواعيد يهوه ... وعلاوة على ذلك فإن الحاجة إلى تعديل فهمنا بعض الشيء لا تجعلنا أنبياء كذبة »[٣] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ و٢٨٩ .

(٣) مجلة برج المراقبة ١٩٨٦/١١/١ – الرد على شهود يهوه ، جورج بسّام فرجو ، دار منهل الحياة ، بيروت ١٩٩٢ .

شهــود يهــوه

انطلقت بدعة شهود يهوه ظاهريا من المسيحية ، تماما كما انطلقت البهائية ظاهريا من الاســـلام ، وأقامت دعواهـا بالدرجة الأولى على التوراة وبالدرجة الثـانيـة على الانجيل ، وأكثر كتّابها من الاستشهاد بالكتابين ، بعد اعطائهما تفسيرات وتأويلات لا ضابط لها غير مخالفة تلك التي تواضعت عليها الكنيسة المسيحية طوال ألفي عام ، ثم شنت على المسيحية خاصـة وعلى الأديان عامة ، حربا غاية في الشراسـة ، تجاوزت مافعلته البهائية التي لجأت إلى المداراة والمداهنة في كثير من الأحيان . رغم أن موقفيهما حيـال الأديان هو من حيث النتيجة سيّان . لكن يبدو أن شهود يهوه في الولايات المتحدة لم يكونوا يتوقعون ردود الفعل العنيفة التي واجهتها البهائية في ايران وفي البلدان الإسلامية .

وإذ تفضح كتابات شهود يهوه غاياتهم بوضوح شديد ، فاننا سنستعرض بعضها فيا يأتي (نقلا عن كتاب « فضح بدعة شهود يهوه » للأب الدكتور متري هاجي أثناسيو) ، بدون تعليق :

« إذن فهذه المسيحيـة المنظمـة جزء غير منفصـل من هيئة الشيطان ومملكته ، ويجب أن تزول لكي يتسنى لملكوت الله أن يسود في العالم » . (الملكوت رجاء العالم ، ص ٢٤) .

« إن الأديان جميعها من الشيطان وملائكته الأشرار الذين يمطرون الناس وابلا من الأديان والتعـاليم التي هي من وحي الشيطـان لتحقير اسم الله وتعييره وبلبلة أذهان الناس ، وان ابليس وسائر الشياطين يجرون الجنس البشري في طريق التمرد والعصيان على الله ويدهورونهم الى ضـــلالات الأديان المختلفة الأشكال والألوان (فرح كل شعب ص١٦ – ٢٥) .

« إن الدين الواحد الباقي بعد الغربلة هو الدين الصحيح الذي يعتنقه شهود يهوه (برج المراقبة ت ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١٨٧) .

« إن الصهيونية حركة الهية لأنها تنفذ عهدا قطعه الله على نفسه لليهود بعودتهم إلى فلسطين واقامة دولة اسرائيل » (ملايين من الأحياء ، لرذرفورد ، وهو أحد مؤسسي شهود يهوه ، وخليفة مؤسسها الأول روصّل) .

« إن أورشليم الأرضية ستبنى ثانية على خراباتها القديمة ، وان نظامها سيعاد كما في البداية ... سيكون هذا لانقلاب المجتمع الانساني والحكومات ليعد العالم لسيادة أكبر . وفي مدة الاضطراب هذه يرجع اسرائيل الجسدي الذي طرد » (نظام الدهور الالهي ، ص ٣٣١) .

« وقال يسوع ان عودة بني اسرائيل الى فلسطين من أقوى الأدلة على نهاية أزمنة الأمم وحضور الرب ... ان البراهين على هاتين النقطتين ومايتولد عنهما من الأدلة عن حضور الرب يجدها الراغب في كتاب « ملايين من الأحياء » ... وفي هذا الكتاب يجد القارىء أننا اليوم في زمن نهاية العالم ، وأن اليهود يرجعون في الوقت المعين لأجل بناء فلسطين كما أنبأ الرب » (قيثارة الروح ص ٣٠٣) .

« وإذا كان يهوه قد وعد ابراهيم ونسله ببلاد فلسطين حين انتهاء أزمنة الأمم عندما يأتي « الذي له الحق » فأصبحنا الآن نتوقع بعض الدلائل لرضى الله على اسرائيل بارجاع ذلك الشعب لامتلاك بلاد فلسطين وقد أشار يسوع الى هذه القضية بعلاقتها مع حضوره في نهاية العالم ، عندما قال : « وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » (لوقا ٢١ : ٢٤) فحضور الرب قد بدأ عام ١٨٧٤ . وفي عام ١٨٧٨ بدأ أول دليل على رجوع رضى الله عن اسرائيل . وهذا قد بدا جليا بما بذله دزرائيلي ، كبير وزراء المملكة البريطانية من الجهد بالنيابة عن اليهود ولأجلهم . وبعد ذلك بأعوام قلائل بدت للوجود حركة سميت « الصهيونية » وشرعت في اعادة شعب اسرائيل الى بلادهم .

« وفي غضون الحرب العامة ، أي في تشرين الثاني ١٩١٧ ، وهورأس السنة اليهودية ١٩١٨ ، أعلنت الدولة الانكليزية ارادتها في أن ينشىء اليهود في فلسطين حكومة خاصة بهم . ووافقت على ذلك دول أخرى . وفي ربيع عام ١٩١٨ شرع اليهود في تعمير فلسطين . والآن أصبح من الأمور اليقينية ... أن الألوف من اليهود قد رجعوا الى فلسطين وهم يشترون الأرض ويبنون البيوت ويحسنون حالة البلاد ، كما سبق

الرب فأخير تماما . تلك هي حقيقة أخرى مجسمة أو دليل عرضي على حضور الرب في نهاية العالم » (الخليقة ص ٣٩٤) .

« رفع الله غضبه عن اليهود وأصبحوا من سنة ١٩١٤ أصحاب السلطة التي تدير دفة العالم » (الحياة لرذرفورد ص ١٧٣ من الترجمة الفرنسية) .

« وحيث أن ارتباطهم (شهود يهوه) مع الاله القدير وخضوعهم بأمانة واخلاص لله وملكوته ، كان من المتعذر عليهم المساهمة في الانتخابات المحلية أو القومية أو الدولية . انهم معفيون من القيام بهذه الأعمال بموجب شريعة الله القدير الذي يأمرهم بحفظ أنفسهم بلا دنس من العالم .

« وهناك سبب آخر يصدهم عن المساهمة في أمور هذا العالم وهو معرفتهم أن ابليس هو الحاكم الخفي لهذا العالم (ليكن الله صادقا ، ص ٢٧٩) .

« ومن المتعذر عليهم (على شهود يهوه) المساهمة في الانتخابات المحلية أو القومية أو الدولية والاشتراك في السياسة ، انهم معفيون من القيام بهذه الأعمال بموجب شريعة الله الذي يأمرهم بحفظ أنفسهم بلا دنس من العالم .. وهناك سبب آخر يصدهم عن المساهمة في أمور هذا العالم ، وهو معرفتهم أن ابليس هو الحاكم الخفي لهذا العالم ، وأنهم اذا صادقوا هذا العالم صاروا أعداء الله ... وبحيازتهم حقوق الاعفاء هذه يتحررون من القيام بمطالب الحكومات المفروضة على ذوي الضمائر المعارضة في ميادين القتال وساحاته أو غيرها (الاستعداد لروذرفورد ، ص ٢٨١ – ٢٨٢) .

« ومن الضروري أن يعترف الكل بأن حكام هذا العالم لم يكونوا في الماضي عند رضى الانسان ، وهم في الحاضر مثلهم في الماضي .. ان السلطة الحاكمة العليا التي بسطت رداءها على شعوب الأرض في الستة آلاف سنة الماضية هي سلطة غير رشيدة ولاقويمة » . (الحكومة لروذرفورد ص ٣٤) .

« ان الشيطان هو اله هذا العالم ، وان قادة العالم والزعماء هم نوابه على الأرض . وانه لاتوجد أمة واحدة على الأرض تستطيع بحق أن تدعي أن يهوه الهها » (النصر المكرس لمجد يهوه ص ٧) .

« قليلون هم الذين يعلمون أن أرباب الحكم ورجال الادارة مسيرون بتأثير قوات

خبيثة شريرة أعلى من البشر ، لها خاضعون ... وليست هذه القوات سوى الملائكة الأشرار ، هيئة ابليس القوية ومنظمته الخفية » (هرمجدون عالم الله الجديد ص ١٠) .

« والحكام السياسيون وقواتهم المحاربة ، المدنية والعسكرية ، سيقتلون بأيدي القوات السماوية . ولايكون لهم مناحة مهيبة ولا دفن وقور في ضرائح تذكارية فخمة . وانما تترك جثثهم فرائس للطيور المكنّسة وجه الأرض » (سلام بين الناس حسني النية ص ١٧) .

« ويعلم شاهد يهوه حق العلم أن حيدانه يمنة أو يسرة عن خطة التبشير التي تعاقد مع الله على اتباعها المضطرد ، واشتباكه في خدمة سيد آخر ، واقدامه على القيام بواجبات مفروضة من أية سلطة مدنية ، وامتناعه عن مواصلة التبشير نزولا على أوامر أو نواه استبدادية صادرة ، كل هذه الأمور معدودة في نظر الله نكثا للعهد جزاؤه الموت » (ليكن الله صادقا ص ٢٧٩) .

« ان أرواح الشياطين جمعوا ملوك كل الأرض لحرب يوم الله الأعظم القدير . وحدث التجمع في هرمجدون فمعركة هرمجدون تمهد للملك الألفي للمسيح على الأرض . والحكم الصادر ضد الشعوب ينفذ في معركة هرمجدون ، وحينئذ تبدأ مملكة العدالة والسعادة الألفية » (ليكن الله صادقا ص٣٠٢) .

« ألا فليعلم القاصي والداني أن شهود يهوه لايؤدون التحية لأي علم من أعلام الأرض » (ليكن الله صادقا ص ١٤٣) .

« هذا هوالسبب الذي من أجله لايقدر المسيحي أن يعضد العالم ويكون في الوقت ذاته مسيحيا . فهو لا يستطيع الاشتراك في حرب لأن الرب قد أمره بأن لايفعل ذلك . وبما أن مملكة الله ليست من هذا العالم الشرير فمن الواجب على أتباعه أن يصبروا الى أن تتأسس مملكته » (الخليقة ص ٣٠٣) .

الحركات الأصولية الانجيلية

في كتابها « النبوءة والسياسة – الانجيليون العسكريون في الطريق الى الحرب النووية » ، قدمت الصحفية الأمريكية غريس هالسل بحثا مستفيضا عن الحركات الانجيلية في الولايات المتحدة الأمريكية ، فألمحت إلى بعض عقائد هذه الحركات ، التي تتلخص في أن اليهود هم شعب الله المختار ، وأن اسرائيل هي مملكة الله على الأرض وأن الكنيسة المسيحية هي مملكة الله في السماء ، وأن السيد المسيح سيعود إلى الأرض في نطاق حرب عالمية نووية تنطلق من موقع في فلسطين اسمه « **هرمجدّون** » ليقود المؤمنين به لافناء أعدائهم .

كذلك ألمحت غريس هالسل إلى النفوذ الواسع الذي تتمتع به هذه الحركات ورؤساؤها من المبشرين على الرأي العام الأمريكي فذكرت أن دراسة لمؤسسة « نلسن » نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٥ أظهرت أن ٦١ مليون أمريكي (٤٠٪ من المشاهدين) يستمعون بانتظام الى هؤلاء المبشرين ، وذكرت من هؤلاء المبشرين « **بات روبرتسون** » و« **جيمي سواغارت** » و« **جيم بيكر** » و« **أورال روبرتس** » و« **جيري فولويل** » و« **كينين كوبلاند** » و« **ريتشارد دي هان** » و« **ريكس همبرد** » .

وقالت هالسل : « لقد ذكرت سبعة من الذين يقدمون البرامج الدينية ، يبشرون بنظرية هرمجدّون في الاذاعة والتلفزيون . ومن بين /٤/ آلاف أصولي انجيلي ، يشتركون سنويا في مؤتمرات الاذاعات الدينية الوطنية هناك ثلاثة آلاف من التدبيريين منهم يعتقدون أن كارثة نووية فقط يمكن أن تعيد المسيح إلى الأرض » ... « إن هذه الرسالة تُبث عبر ١٤٠٠ محطة دينية في أمريكا . ومن بين ٨٠ ألف قسيس يذيعون يوميا من خلال ٤٠٠ محطة راديو فان الأكثرية الساحقة منهم من التدبيريين » .

وقالت : « إن كريسويل هو مثل روبرتسون وسواغرت وبيكر وغيرهم من

الانجيليين التلفزيونيين الذين ذكرت ، يجعلون من تأييد اسرائيل نوعا من العبادة . إنه يؤمن بأن علينا أن نخوض معركة هرمجدّون وأن المسيح يعود بذلك فقط الى القدس وان اسرائيل اليوم تتبارك من الله بأنها هي نفسها صهيون التوراتية » .

وتضيف هالسل : « في السادس من فبراير ١٩٨٣ صرح فولويل لصحيفة كوريو تايمس تلغرام ، في تكساس ، أنه يفضل أن يصادر الاسرائيليون أجزاء من العراق وسورية وتركيا والعربية السعودية ومصر والسودان وكل لبنان والأردن والكويت . وفيما يتعلق بحدود الانتداب على فلسطين ، فهي كلها تخص اليهود وقال فولويل في هذه المقابلة : « لقد بارك الله أميركا لأننا تعاونا مع الله في حماية اسرائيل التي هي عزيزة علينا » (ص ١٢٧) .

وتنقل هالسل عن أحد الانجيليين الأميركيين قوله : « اننا نحن المسيحيين نؤخر وصول المسيح من خلال عدم مساعدة اليهود على مصادرة مزيد من الأرض من الفلسطينيين » ... « ان على اليهود أن يمتلكوا كل الأرض التي وعدهم الله بها قبل أن يتمكن المسيح من العودة . ولكن لن يطول الوقت قبل تحقيق الفداء الكامل » ... « وقبل الفداء الروحي على الله أن يتعامل مع أمته ، اسرائيل » . ان عبارة الفداء ، كما هي مستعملة اليوم في اسرائيل ، تنطبق على مصادرة أراضي العامة في اسرائيل الكبرى (أرض اسرائيل) سواء من خلال الشراء الشرعي ، أو الشراء القسري ، أو المصادرة » (ص ١٥٧) .

أخيرا فان غريس هالسل تؤكد بوجه خاص على ايمان الرئيس ريغان بعقائد الحركات الانجيلية ، وتبرز العديد من أقواله وتصريحاته التي تثبت ايمانه بمعركة هرمجدّون .

في مقال نشرته جريدة الواشنطن بوست بتاريخ ١٩٨٤/١٠/٢١ وصفت قضية هرمجدون بقولها :

« إن العصر الحالي محكوم بالشيطان . وان الوقت قد اقترب عند نهاية العالم ، حينما تغزو جيوش السوفييت وايران والعرب والأفارقة والصين دولة اسرائيل . وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة ذرية . وسيموت الملايين من الاسرائيليين .أما المتبقي منهم

فانه سيتم انقاذه لكي يقبل يسوع كمسيح له « ... » فان المؤمنين بالمسيحية والمتصرين من اليهود ، سوف يتم رفعهم جسديا من على الأرض ، ليتوحدوا في السماء مع المسيح . ثم يعود المسيح إلى الأرض بجيش من القديسين لمعاقبة غير المؤمنين ، وتحطيم القوى المعادية له في معركة الخير والشر المسماة هرمجدون ، والواقعة في سهل المجدل في فلسطين . وستنتهي هذه المحنة بقبول اليهود للمسيح كمنقذ لهم ، وبزوغ فجر عصر الألف عام السعيد تحت حكم المسيح »[1] .

ويقول أتباع هذه النظرية ، ان تفاصيلها موجودة في التوراة ... وانها على وشك الحدوث ... بسبب تصاعد ونمو القوة السوفييتية ، واعادة ميلاد اسرائيل في عام ١٩٤٨ ، واعادة توحيد القدس في عام ١٩٦٧ ، ومن هؤلاء السناتور الديمقراطي من ولاية ألاباما « هوارد هيلفن » ، الذي قال : « ان حديث هرمجدون قد ورد في محادثة الرئيس ريغان معه في ١٩٨١/١٠/٢٨ ... وأضاف : « ان الرئيس ريغان يعتقد بأن السوفييت سوف يتورطون في مسألة هرمجدون »[2] .

وتنقل نشرة مجلس كنائس الشرق الأوسط « ماهي الصهيونية المسيحية الأصولية ؟ » (ص ٢٤) نص محادثة السناتور هويل هفلين مع الرئيس ريغان ، فيقول « رحنا نتكلّم عن الكتاب المقدس قليلا . تحدثنا عن كون الكتاب المقدس يذهب إلى أن **معركة هرمجدّون ستبدأ في الشرق الأوسط** . كان الرئيس يحدثني عن الأسفار المقدسة وكنت أحدثه قليلا عن الأسفار المقدسة . وهو يتأول الكتاب المقدس وهرمجدّون بما يعني أن روسيا سوف تتورط في المعركة » .

وفي تشرين الأول ١٩٨٣ أبلغ الرئيس الأميركي **ريغان** زعيم اللوبي الاسرائيلي توم داين رأيه بمعركة هرمجدون ، فقال : « أتعلم أنني ألتفت إلى قدامى أنبياء العهد القديم وإلى العلامات المنبئة [بمعركة] هرمجدّون ، ثم أجدني متسائلا هل نحن الجيل الذي سوف يشهد تلك الواقعة . لا أدري إن كنت قد لاحظت أية من هذه النبوءات

---

(١) « البعد الديني في السياسة الأمريكية » ، د. يوسف الحسن ، ص ١٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٢ و١٧٣ .

مؤخرا ، ولكن صدقني أنها تصف حقا الأيام التي تمر بنا »[1] .

وقد كرر الرئيس ريغان هذا الموقف في مقابلة له مع مجلة (People) الأمريكية ، الصادرة في السادس من كانون الأول ١٩٨٣ ، وأعيد نشر هذه المقابلة في وثائق البيت الأبيض ونشرته الأسبوعية . و كرر الرئيس في العام الأخير لانتخابات اعادته للرئاسة ، هذه المقولة ، وأعلن أن نهاية العالم قادمة ، وقادمة حالا . وقد أدى ترديده لهذه النظرية المخيفة إلى قيام البيت الأبيض باصدار بيان في تشرين الأول ١٩٨٤ يشير فيه إلى أنه : رغم اعتقاد الرئيس ريغان بهرمجدّون فذلك لن يعيق اقتناعه الحازم بالسلام ، ورغبته في البحث عن اتفاق التحكم في الأسلحة النووية »[2] .

لقد أثار الحديث عن هرمجدون الذرية حفيظة مجموعات دينية كاثوليكية وتبنّت هذه المجموعات ، بالتعاون مع المعهد المسيحي (Cristic Institute) بيانا واعلانا تلفزيونيا واذاعيا واسع النشر والبث ، ينتقد موقف الرئيس ريغان في هذه المسألة ، ويطالب المرشحين للرئاسة بالتنكر للنظرية اللاهوتية « هرمجدون » ، التي يدعو لها الرئيس ريغان والقس جيري فولويل ، والتي تقود الى الاعتقاد بأن الحرب النووية لا مهرب منها ، ويقول الاعلان أيضا : « لقد قال الرئيس ريغان ان نهاية العالم باتت وشيكة ، وكررها في أكثر من ١١ مناسبة ، سواء حينما كان حاكما لكاليفورنيا أو رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية . وقالها في منزله ، وفي البيت الأبيض ، وعلى العشاء ، وعند الغداء ، وعلى الهواء ، ومن خلال أسلاك التليفون ، ولرجال الدين والسياسة وقيادات وجماعات الضغط ، وقالها لرجال مكتبه وللشيوخ ... وحتى لمجلة « الناس »[3] .

ويقول الصحافي الصهيوني وليم سفاير في مقال له : « ان الرئيس تحدث أمام مجموعة من القيادات اليهودية في مدينة نيويورك قائلا : « ان اسرائيل هي الديمقراطية

---

(١) « ماهي الصهيونية المسيحية الاصولية » ، ص٢٤ — « البعد الديني في السياسة الأمريكية » ، د. يوسف الحسن ، ص١٧٢ .

(٢) « البعد الديني في السياسة الامريكية » ، المصدر السابق ص١٧٣ .

(٣) جريدة نيويورك تايمس ، عدد ١٩٨٤/١٠/٢٤ — « البعد الديني في السياسة الامريكية » ، المصدر السابق ، ص١٧٣ .

المستقرة الوحيدة التي نستطيع الاعتماد عليها في البقعة التي يمكن أن تحدث فيها هرمجدون »[1].

قال ريغان ذات مرة ان حزقيال رآى في العهد القديم المذبحة التي ستدمر عصرنا . ثم تحدث ريغان بتركيز لاهب عن ليبيا لتحولها الى الشيوعية ، وأصر على أن في ذلك اشارة الى أن يوم هرمجدون لم يعد بعيدا[2] .

وقد دأبت ادارة الرئيس ريغان على دعوة أبرز المبشرين بنظرية هرمجدون (فولويل وليندسي) لشرح أفكارهم والقاء محاضراتهم أمام مجلس الأمن القومي ووزارة الدفاع الأمريكية[3] .

ويبدو أن معلم الرئيس ريغان ، في هذا المجال ، هو القس الصهيوني جيري فولويل ، فقد ذكر الأخير في مقابلة له مع جريدة « لوس أنجلس تايمز » : « نحن نعتقد أن روسيا ، بسبب حاجتها الى النفط ، الذي تعاني من نقص فيه الآن ، سوف تتحرك نحو الشرق الأوسط ، وبخاصة ضد اسرائيل ، بسبب حقد السوفييت على اليهود . وفي هذا الوقت فان أبواب الجحيم سوف تفتح . وانني أؤمن بأنه في هذا الزمن سيحدث بعض من محرقة ذرية على الأرض » .

أما لندسي ، فهو صاحب الكتاب الشهير « كوكب الأرض العظيم الراحل » الذي طبع منه ١٥ مليون نسخة ، الذي يقول : « نحن الجيل الذي سيرى هرمجدون ... وان أهم علامات المجيء الثاني للمسيح ومعركة هرمجدّون ، التي تحدد معظم التفسيرات مكانها في جبل المجدل في فلسطين ، هي قيام اسرائيل واحتلالها القدس »[4].

وقد تحدث الرئيس الأميركي جورج بوش في عام ١٩٨٣ ، حين كان نائبا لرئيس

---

(١) « البعد الديني في السياسة الأمريكية » ، د. يوسف الحسن ، ص ١٧٤ .

(٢) « النبوءة والسياسة » ، لغريس هالسل ، ص٤٨ .

(٣) « النبوءة والسياسة » ، لغريس هالسل ، ص٥٢ ـ « البعد الديني في السياسة الأمريكية » ، د. يوسف الحسن ، ص١٧٤ .

(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، للدكتور يوسف الحسن ص ١٧٤ .

الجمهورية ، بعد حضوره حفلا تكريميا في جامعة الحرية التابعة لجيري فولويل ، في الاحتفال المقام في واشنطن العاصمة ، في ذكرى مايسمى ضحايا الابادة الجماعية لليهود (المحرقة) ، وأمام مئات من القيادات اليهودية ورجال الاعلام والكونغرس ، تحدث عما يعتقد أنه ضمانة لعدم تكرار عمليات اضطهاد اليهود ، فقال : « أعتقد بكل أمانة أننا برجال من أمثال جيري فولويل ، فان شيئا فظيعا كالابادة الجماعية لليهود ، لن يحدث ثانية »[1] .

وتحدثنا غريس هالسل عن مراحل نشوء العقائد الانجيلية في العصر الحديث ولاسيما منها معركة هرمجدّون ، ويلاحظ من ذلك أن هذه الدعوة تتطابق زمنيا مع ظهور البهائية والقاديانية وشهود يهوه مثلما تتطابق مع موعد انطلاق النشاط الصهيوني في القرن التاسع عشر .

فهي تقول : « ان انتشار هذه النظرية في هذه البلاد (الولايات المتحدة الأمريكية) يعود في معظمه الى جهود « سايروس أنجيرزون سكوفيلد » الذي ولد في ١٩ آب ١٨٤٣ في « كلينتون » في ولاية « متشغن »

وتقول : « ان نظام الايمان عند سكوفيلد لم يبدأ معه ، انما يعود الى جون نلسون داربي » ، وهو ايرلندي عاش في القرن التاسع عشر وتعلم في كلية « ترينتي » في « دبلن » ، وكان في وقت ما قسيسا في كنيسة انكلترا . لقد علّم أن لله مخططين ، وأن عند الله مجموعتين من الناس يتعامل معهما ، وأن اسرائيل كانت مملكة الله هنا على الأرض ، وأن الكنيسة المسيحية كانت مملكة الله في السماء .

« لقد قام داربي بعدة زيارات الى كندا والولايات المتحدة وأثر في « جايمس بروكس » راعي كنيستين كبيرتين من الكنائس المسيحية في « سانت لويس » بولاية « ميزوري » ومن هناك بدأ سكوفيلد .

« لقد وضع « سكوفيلد » و« داربي » النبوءة في المركز الرئيسي لمفهومهما عن المسيحية ، وجعلا منها قلب نظامهما الديني . ومع بداية عام ١٨٧٥ عقد

(١) واشنطن بوست في ١٩٨٤/١١/٢٧ ـ البعد الديني في السياسة الأمريكية للدكتور يوسف الحسن ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

« سكوفيلد » عدة مؤتمرات حول النبوءة في الكتاب المقدس . ومع تركيزه على ماكان يعتقـد أنه مخطط الله على الأرض من أجل اسرائيـل ومخطط الله في السماء من أجل خلاص المسيحيـين ، رأى « سكوفيلد » ادخال ملاحظات تفسر نظامه الايماني في مرجع انجيلي .

« وفي عام ١٩٠٩ طبع أول مرجع انجيلي لسكوفيلد وأصبح أكثر الكتب المتداولة حول المسيحية . وكانت تباع منه ملايين النسخ (ص ١٢) .

وتلمح هالسل الى بعض عقائد الانجيليين التدبيريين ، فتقول :

« ان معظم محطات التلفزيون الرئيسية الانجيلية تعلّم ماقاله « هول لندسي » في كتبه المشهورة ، وهو أن هذه الكرة الأرضية سوف تصبح في حياتنا آخر كرة أرضية عظيمة . ان الله يعرف أن ذلك سيحدث . إنه يعرف ذلك منذ البداية . ولكن الله أخفى مخططـه عن بلايين البشـر الذين عاشـوا قبـلنـا . أما الآن ، واستنـادا الى لندسـي ، فان الله يكشف عن مخططه إلى لندسـي وإلى الآخرين مثـل « جيري فـالويـل » و« جيمي سـواغرت » و« بـات روبرتســون » الذين يبشـرون بنظـريـة « هرمجدّون » ..

« إن نظام الإيمان عند لندسي وفالويل وسواغارت وروبرتسون ، وعند حوالي ٤٠ مـليون أصـولي انجيلي ، يتمركز حول أرض صهيون الانجيـلية وحول دولة إسرائيـل الصهيونية الحديثة التي يعتبرونها واحدة ونفس الشيء » .

« يخبرنا لندسي أن علينا أن نمر في سبع مراحل زمنية ، تتضمن واحدة منها معركة هرمجدون الرهيبة ، حيث يكشف عن أسلحة نووية مدمرة تماماً وجديدة ، وحيث أن الدم سـوف يسيـل كالأنهـار العـاتيـة . إن كل مرحـلة من هذه المراحل تدعى « التـدبيريـة » . والمبشـرون بهذا الاعتقـاد ، مثـل « جيري فـالويل » و« جيمي سواغارت » ، يصـورون نظامهم الإيماني على أسـاس أصولية أورثوذكسية تقوم على تفسير لفظي للكتاب المقدس . غير أن هذه الأرثوذكسية لا يزيد عمرها على ١٥٠ سنـة . وليس ممكنـاً أن تطبق بدقة كلمـات « لفظيـة » و« أصـولية » ، على معتقد مسيحي يطالب بالحرب وينفي صلاة المسيح على جبل الزيتون « مبارك أولئك الذين يصنعون السلام » (ص١٢) .

ويميز مجلس كنائس الشرق الأوسط ، في نشرة صادرة عنه عام ١٩٨٨ ، بين ثلاثة تيارات متميزة ، على الأقل ، داخل الحركات الانجيلية الأمريكية : أولا ، الجناح التقدمي المتمثل في مجلات مثل « سوجورنرز » و« ذي أذر سايد » ، وهو عبارة عن فرقة صغيرة ولكنها ذات نفوذ ، تؤمن بخبرة « **الولادة الثانية** » ، وباعتبار الكتاب المقدس كلمة الله المعصومة مع تأويله تأويلاً حرفياً ينطوي على التبشير بعودة المسيح الوشيكة ، ويضيفون إلى ذلك برنامجاً قوياً من العدالة الاجتماعية . ثانياً ــ الجناح الأوسط ، أو المؤسسو الانجيلية ، وهي الفرقة العظمى وربما شكلت ٦٥٪ من كل الانجيليين الأمريكيين . وأهم هيئة تمثيلية لهم هي الرابطة الوطنية للإنجيليين التي تضم بين جناحيها ما ينوف على ٣٠ طائفة لكل منها رسالتها التبشيرية وبرنامجها ومؤسساتها (Servise Agencies) . ثالثاً ــ الجناح الأصولي ، ويشكل حوالي ٢٥٪ من المجموع وهو أيضاً أبرز التيارات الثلاثة ، إذ يسيطر سيطرة تشبه الاحتكار على التبشير الإذاعي والتلفزيوني ، وهو الأسرع نمواً في العالم المسيحي الغربي .

ويقدر المجلس عدد الانجيليين في الولايات المتحدة بستين مليون نسمة ، ويشير إلى أنهم ارتقوا في السنوات القليلة السابقة إلى مراكز قيادية استراتيجية تتراوح بين رئاسة الجمهورية وعضوية الكونغرس وإدارة الشركات الكبرى . ويضيف أن الفرع الأصولي من الحركة الانجيلية الأمريكية هو الأكثر محافظة في لاهوته وهو الأنشط بين الأجنحة الثلاثة . ومعظم المسيحيين الأصوليين ، وإن لم يكن كلهم ، يسلمون بالمذهب السابقي في اللاهوت ، ولذلك ربما وجد المرء النزعة « الصهيونية المسيحية » أشد نشاطاً في صفوف هذه الفرقة .

جميع الانجيليين الغربيين ، تقريباً ، يؤمنون بعودة المسيح وبعصره الألفي السعيد ، وتغلب عليهم عقيدة « القدرية » التي هي عبارة عن محاولة لتفسير تاريخ علاقة الله بالبشر بأحوال وأحقاب مخصوصة . يقول س. أي. سكوفيلد ، وهو من أكابر الناطقين بلسان هذا المذهب : « كل قدر دور من الزمان يمتحن فيه البشر حسب ما أوحاه الله من وحي مخصوص » . ويزعم المذهب الحديث في القدرية أن الله قد جعل في التاريخ مسارين متوازيين : أحدهما يعمل من خلال اسرائيل والثاني من خلال الكنيسة . ويُجمع منظروا القدرية في معظمهم على سبعة أقدار تدل على تطور علاقة الله بالبشر .

والقدَر الحالي هو سادس هذه الأقدار ، وهو « دور الكنيسة والنعمة » وينتهي بعودة المسيح لإقامة مملكته الألفية (أي التي تدوم ألف سنة) ، وذلك هو الدور السابع . وعندها سوف « تختطف » الكنيسة من التاريخ وتستأنف إسرائيل دورها الأصيل كأداة لله في الأيام الأخيرة . وسوف تحدث إعادة مسيحانية لعرش داود لمدة سبعين أسبوعا بعد اعادة بناء أورشليم (القدس) ، وذلك حسب الفقرتين الكتابيتين الأساسيتين اللتين تستعملان لتسويغ هذه العقيدة (دانيال ٧ – ٩ ، ورؤيا ١٦) .

وهناك ثلاثة مواقف متمايزة تمايزا أساسيا بالنسبة الى اعتقاد العقيدة الألفية . « فالسابقية » هم القائلون بأن عودة المسيح شخصيا الى الأرض سابقة على إقامة الملكوت الذي سيحكمه بنفسه لمدة ألف سنة يعلن فيها الانجيل على الخلائق كلها . أما « اللاحقية » فيقولون إن عودة المسيح لإقامة ملكوته لاحقة لإعلان الانجيل على الخلائق كلها . لم تزل هذه هي النظرية التقليدية المتعارفة لدى معظم الانجيليين الغربيين منذ الاصلاح البروتستانتي ولكنها قد بدأت تتراجع أمام السابقية في السنوات القليلة الماضية . أما الموقف الثالث ، وهو « اللاألفية » فيتأول العقيدة الألفية تأولا رمزيا ولايقبل بالتأويل الحرفي .

وينقسم السابقيون الى مذهبين متميزين . فأما « السابقية التاريخية » فيزعمون أن عودة المسيح وإقامة الملكوت الألفي إنما هو موقف تاريخي في المسيحية ويستشهدون بإيريناوس ويوستينوس وغيرهما ممن قالوا بهذا القول . وأما « السابقية المستقبلية » أو « القدرية » فهو مذهب محدث برز أصلا في القرن التاسع عشر بأعمال جون نلسون داربي (١٨٠٠ – ١٨٨٢م) وس. أي. سكوفيلد ، وكثير غيرهم . وقد تطورت عقيدة « الصهيونية المسيحية » في كنف المذهب المستقبلي من السابقية ، وإن كان ثمة نفر غير قليل ممن يجتازون الى الصف التاريخي وغيره من المذاهب الانجيلية .

ويعتقد القدرية السابقية أن التاريخ سيتزايد فساده المتسارع حتى يحكم « المسيح الدجال » العالم . وهذه الفكرة مستلهمة من سفر دانيال ٩ ، وتشير إلى تجلٍّ جديد للشيطان الذي سيحاول أن يحكم العالم بوساطة حكومة عالمية واحدة ربما اعتبرت الأمم المتحدة عند بعضهم أو حلف شمال الأطلسي عند آخرين . ويذهب السابقية في تأويلهم للرؤيا ١٦ : ١٦ الى أن المسيح الدجال سيُقضى عليه في معركة هرمجدّون .

ويتلازم الاعتقاد بالمسيح الدجال مع الاعتقاد بفساد الحياة على الأرض وبحلول زمن الشدائد ، أو حكم الارهاب الذي يتزله المسيح الدجال بكل من لاينقادون الى طاعته . ويؤدي توقيت زمن الشدائد الى تفرّق المذاهب بين قائل باختطاف الكنيسة من التاريخ قبل زمن الشدائد أو بعده أو إبّانه . ويستشهد السابقية بدانيال ٧ و٩ ، والرسالة الأولى إلى التسالونيكيين ٤ — ٥ ، والرؤيا ٦ — ٢٠ في معرض احتجاجهم بالأصول الكتابية على دعواهم .

ومن أهم مروجي العقيدة القدرية السابقية جون نيلسون داربي ، الذي ترك كنيسة ايرلندا ليؤسس جمعية بليموث بريذرن . فقد برز منسقا لعقيدة القدرية السابقية في نسق متماسك وابتدع عقيدة « اختطاف » الكنيسة ، استنادا إلى رسالة بولس الأولى إلى التسالونيكيين ٤ : ٥ — ١١ . وقد تحول داربي الى داعية من دعاة القدرية السابقية ، وقام بسبع زيارات للولايات المتحدة وكندا بعد العام ١٨٦٧ . وقد أدت زياراته المشفوعة بتأثيره في حركة ندوة الكتاب المقدس والنبوءة إلى تعجيل انتشار هذه العقيدة وقبولها السريع في دوائر الأصوليين الأميركيين ، وقد انطوت تعاليمه على عنصر « صهيوني مسيحي » مهم[1] .

وقد كانت ذروة نشاطات الأصوليين الانجيليين تتجلى في المؤتمر العالمي الذي عقدوه في بازل بسويسرا في الفترة مابين ٢٧ و ٢٩ آب/ أغسطس ١٩٨٥ ، في القاعة نفسها التي اجتمع فيها تيودور هرتزل بمندوبي المؤتمر الصهيوني الأول قبل ٨٨ عاما ، ثم المؤتمر العالمي الثاني الذي عقدوه في القدس في الفترة مابين ١٠ و١٥ نيسان ١٩٨٨ ، فكان البيانان الصادران في نهاية المؤتمرين يعبران عن تقديس دولة اسرائيل وشعبها أكثر من تقديس السيد المسيح ذاته ، كما يبديان الإهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين أكثر من الإهتمام بعودة المسيح .

ويرى مجلس كنائس الشرق الأوسط ، في نشرته « ماهي الصهيونية المسيحية الأصولية » أنه : « من السابق لأوانه أن يميز المرء الآن المنحى الذي سوف ينحوه الصهيونيون المسيحيون في عصر مابعد ريغان . ثم إن تراجع بات روبرتسون عن ترشيح

---

(١) ماهي الصهيونية المسيحية الأصولية ، نشرة صادرة عن مجلس كنائس الشرق الأوسط .

نفسه للرئاسة فضلا عن الفضائح الحديثة التي تورط فيها بعض المبشرين التلفزيونيين ، تشير إلى أنه ربما كان ثمة « انكفاء » من قبل اللوبي الموالي لإسرائيل ورغبة في استعادة الكاثوليك والكنائس التابعة للتيار السائد في البروتستانتية . فالضغوط التي مورست مؤخرا على الكنيسة الكاثوليكية إبان زيارة البابا للولايات المتحدة (ايلول ١٩٨٧) وعلى بعض الطوائف البروتستانتية تشير إلى إمكان وجود خطة كهذه » (ص ٢٥) .

وترى النشرة أن أغلبية علماء الكتاب المقدس لايجدون إلا أدلة غير كافية لهذه العقائد في الكتاب المقدس وأدلة أضعف منها في تاريخ المسيحية ، فليس ثمة أساسا كافيا لاعتبارها عقيدة كتابية ، وليس ثمة من عقيدة قدرية سابقية في الكتاب المقدس ، وإنما هي تجديف على الايمان المسيحي .

وتضيف النشرة : « إن تاريخ الحركات الألفية ، منذ أيام السجال على المونتانيين في القرن الثاني للميلاد وصولا إلى المبشرين التلفزيونيين الأميركيين اليوم حافل بمفاهيم سقيمة من سوء تفسير الكتاب المقدس وبغير ذلك من أنصاف الحقائق التي لابد للكنيسة من اطّراحها . إن كنائس الشرق الأوسط لتنهض بعبء التصدي لهذا التسرب الغربي الذي يعرض للخطر تاريخها الطويل في الشهادة للمسيح والايمان الحي في عالم اسلامي في معظمه . إلا أنه لابد لكنائس الغرب من أن تقر بأن مقاومة الصهيونية المسيحية هي من واجبها أيضا ، وتنضم إلى مسيحيي الشرق الأوسط في صوغ تفسير صحيح لانجيل يسوع المسيح والدور المسيحي في مجتمعات الشرق هذه » .

الماسونيـــة

قال إحد الماسونيين في خطاب له في مصر عام ١٩٥٢ ، أن تاريخ الماسونية ، بحسب ماتدين به المحافل الماسونية في مصر ، يعود إلى ستة آلاف عام إلا خمسين عاما[1] ، على وجه التحديد التاريخي ، وقد وضحت في بناء هيكل سليمان حين استعان كبار مستشاريه ، بأنواع مختلفة من البنائين ، وكان لكل طبقة منهم أسرار لا يعرفها غيرهم ؛ ويتحدثون بالاشارة والرموز واللمس[2] .

ومن الثابت أن الماسونية تدور في فلك وحدة الأديان والحكومة العالمية ، أو ربما كان ذلك أساس وجودها .

فبعض الوثائق الماسونية يقول : **« إن هدف الماسونية هو تكوين جمهورية لادينية عالمية »**[3] .

« من أسرار اتحادنا هو تأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية خفية »[4] .

« إن الماسونيين يتخذون من خطة تمكين اليهود من الاستيلاء على العالم أساسا لأعمالهم »[5] .

وجاء في الدستور الأول الذي وضعه الدكتور أندرسون في سنة ١٧٣٢ م للمحفل الماسوني الأكبر في انكلترا :

---

(١) يبدو أن هذا التاريخ حدد ليتطابق مع نظرية الخلق اليهودية ، ومع الموعد الذي حددوه لقيام حكومة المسيح المنتظر وهو عام ٢٠٠٠م

(٢) دائرة المعارف الماسونية ، حنا أبو راشد ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(٣) المؤتمر الماسوني العالمي المنعقد في باريس سنة ١٩٠٠ ــ أسرار الماسونية ، للجنرال جواد رفعت أتلخان ، ص ٢٧ .

(٤) البيان الماسوني الصادر عام ١٧٤٤ ــ أسرار الماسونية ــ الجنرال أتلخان ، ص ٢٧ .

(٥) تاريخ الماسونية الحرة ص ٨ ــ أسرار الماسونية ، الجنرال أتلخان ، ص ٢٧ .

« البنّاء (الماسوني) ملزم بحكم صفته أن يتبع قانون الأخلاق ، وإذا استطاع أن يفهم الفن حقا ، فلن يغدو قط ملحدا غبيا أو فاسقا زنديقا . وقد كان البناؤون في العصور القديمة يلزمون اعتناق دين هذا البلد أو هذه الأمة مهما كان . وأما الآن فقد رؤي حضهم على اعتناق ذلك الدين الذي يتفق فيه جميع الناس ، تاركين آراءهم الخاصة جانبا ، أعني أن يكون المرء فاضلا صادقا ذا عفة وشرف . ولهذا صار البناء مهدا للاتحاد وسبيلا لبث الصداقة الخالصة بين الناس » .

وقد اعتبر البعض إشارة الدكتور أندرسون إلى دين يتفق فيه جميع الناس دعوة إلى نبذ النصرانية[1] .

ويقول البنّاء (الماسوني) راغون في كتابه : « إن البنّاء هو الذي يستطيع دون غيره أن يصوغ هذا القانون الإنساني الذي يفضي نشاطه المضطرد في سبيل إنشاء تناسق إجتماعي عظيم ، إلى مزج جميع الأجناس ، والطبقات المختلفة ، والأخلاق ، والقوانين ، والعادات واللغات ، والأزياء ... وستغدو دعوته الفاضلة قانونا إنسانيا لكل الضمائر »[2] .

ويقول بنّـاء آخر هو كلافل : « لتمح من بين النـاس فروق الجنس والمراتب ، والمذاهب والآراء والوطن ، ليمح التعصب ، وليقض على وباء الحرب ، وبالجملة ليجعل من الجنس البشري أسرة واحدة يوحدها الحب والإخلاص والعمل والعلم . هذا هو العمل العظيم الذي أخذه البنّاء الحر على عاتقه »[3] .

ويشار إلى أن شعار الماسونية في اسرائيل يحمل معنى وحدة الأديان فهو يتضمن فضلا عن الفرجار والمثلث التقليديين نجمة داوود وصليبا وهلالا[4] .

وبعض المحافل الماسونية كان يدعو إلى وحدة الأديان[5] .

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، لمحمد عبد الله عنان ص ٩٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
(٣) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، محمد عبد الله عنان ، ص ١٠٣ .
(٤) الماسونية والماسونيون في الوطن العربي ، حسين عمر حماده ، ص ٧٦ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

وكشأن جميع دعاة الحكومة العالمية ووحدة الأديان ، فإن المحافل الماسونية تنهى أتباعها عن مزاولة أي عمل سياسي ، وفي هذا الإطار أصدر المحفل الأكبر البريطاني في ٥ ديسمبر ١٩٢٣ ، قبيل إجراء الانتخابات البريطانية تقريرا « يحظر في الاجتماعات البنائية المناقشة في كل أمر ذي صبغة سياسية ، ويجب ألا يستخدم البناء لأي غرض شخصي أو سياسي متعلق بالانتخابات ، وأن كل محاولة يقصد بها زج البناء إلى غمار المعركة الانتخابية يعتبر خروجا خطيرا على نظم البناء »[1] .

يقول الماسوني حنا أبو راشد في مقدمته لدائرة المعارف الماسونية التي تؤرخ للحركة الماسونية منذ عام ٤٠٠٤ ق.م. إلى عام ١٩٦١ م :

« تحتم عليكم الماسونية المثالية ، بأن تحترموا الحكومة ، وأن تخضعوا لشرائعها ، وألاّ تدخلوا في مؤامرة ما ، بل إذا مست الحاجة ، فقدموا للحكومة الحاكمة ، المساعدة والعضد . ثم تجنبوا المجادلات في أمر الدين والسياسـة ... إن الماسوني المثالي إنما هو مواطن عالمي لا ينتسب إلى مكان معين رغم احتفاظه بوطنه ... وبحسبها (الماسونية) اليوم أنها الفكرة العالمية التي تنتهي إليها مجهودات البشرية في استشراف التوحيد العالمي ، عن طريق التقـريب بين الشعور والتفكـير ... وكان الإخوة البنـاؤون لا يبتدئون في أشغالهم إلا بعد تقديم بعض الفروض الدينية . وبالنظر لاختلاف نزعاتهم ومعتقداتهم كثرت أسماء آلهتهم ، **فاتفقوا إذا صـلوا أن تكون صـلواتهم باسم « مهندس الكون الأعظم » اشارة الى أن هذا الكون بناء عظيم فخالقه مهندس أعظم »** . (ج١ ، ص ١٠ — ٣٨) .

« المـاسـونيـة تجهـل مبدئيا ، فوارق الدين والجنس ، كما أن دينها العقل المحرر ، وجنسيتها الانسـانية الشـاملة بمعناها الواسع السمح ... والدول الماسونية ، في العالم الحر ، متضامنة الأطراف ، مهما تباعدت أشباحها ، ومهما تنازعت سلطاتها ، **وهي تلتقي وهيئة الأمم على صعيد واحد ، هو ميثاق حقوق الانسان ، وليد الماسونية »** (ج١ ص ٨٠) .

« وهكذا الماسونية في حبها للإنسانية : يجعلها تتألم لاضطهاد الشعوب ولسيطرة

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، محمد عبد الله عنان ، ص ١٠٦ .

القوي على الضعيف ، ويجعلها تمجّ أنواع التنافس والحروب وتنشد السلام والاخاء بين الأمم ، وتطلب نفاذ التحكيم الدولي عند اختلافها ، إلى أن يسود بينها حكم العدل ...

« كان الماسون ، من الدعاة لعصبة الأمم ...

« وهم الآن من العاملين في هيئة الأمم ...

« ولما كان البناؤون الأحرار ، يريدون من هيئة الأمم المتحدة ، أن تكون أقرب إلى العدل ، مما نراه فيها من التقاعس ، وأقدر على السيطرة الفعلية ، برفع لوائها على الدول المخالفة للميثاق ، وتنفيذ أحكامها فيها ...

« وفي غير العدالة ، التي تنشدها الهيئة ، لايصل العالم إلى أمله البعيد ، من توحيد بني الانسان ، في جماعة تجهل الفوارق والحدود ...

« إن مانراه اليوم في الأمم ، من الاتجاهات السلمية ، ومن المساعي الصادقة ، في وقف التسلح ، والتجنيد إلى حد ما ، ومن الميول الحقة ، إلى ايجاد سلطة عليا فوق الأمم ، تحكم في علاقتها الدولية ، ومن ازدياد اشتباك المصالح الدولية ، وانتشار العلم بينها ، والتسابق على امتلاك الأجواء ، في الابتكار والاختراع ، واحلال سلطان الحق والعدل في الضمائر ...

« كل هذا دليل البقاء ، حتى لو انفجرت ذرات الفناء ...

« على أننا واصلون مع الزمن ، الى **اتحاد الأمم ، تمهيدا لتوحيد النوع الانساني** ، في نظم تضمحل فيها الكراهية والعصبية ، ولايبقى في الوجود غير الحب والاخاء ، واستواء الانسان ، على عرش الحرية ، وهو المثل الأعلى ، على الأرض ... (ج١ ص٨٠ - ٨٢) .

ومع كل هذه الأهداف المعلنة للماسونية ، يقول الماسوني حنا أبو راشد في كتابه « دائرة المعارف الماسونية » : « **إن الماسونية لاتخاطر بإنشاء برامج اجتماعية ، لأنه من المحتم أن تظهر يوما ما رجعية ، مهما اعتبرت وقت إنشائها ، محققة لأعلى معاني الكمال والنظام ...**

« ولو فعلت الماسونية هذا الأمر لكان قاضيا على وجودها ، ويكون مثلها في ذلك مثل جمع المذاهب الاجتماعية » (ج١ ص١٦٩) .

وعن توحيد اللغات يقول الماسوني حنا أبي راشد : « أما عدد اللغات ، والألسنة المختـلفة ، الموجودة على هذا الكوكب الأرضي ، فنحو من ألفي لغة ولسـان ، وهذا التبلبل اللساني هو أصل انفصال جموع هذه الأجناس ، عن بعضها بعضا ، بعد أن كانت الأجناس ، من أصل واحد . **وتسعى اليوم ، هيئة الأمم ، الى خلق لغة عالمية للتفاهم** » (دائرة المعارف الماسونية ، ج١ ، ص ٨٠) .

ومما يذكر أن عباس أفندي عبد البهاء حين سئل : أليس من المستحسن بقائي في الديانة التي درجت عليها طوال حياتي ؟ أجاب : « ينبغي أن لاتنفصل عنها ، فاعلم أن الملكوت ليس خاصا بجمعية مخصوصة ، فإنك يمكنك أن تكون بهائياً مسيحياً وبهائياً ماسونياً وبهائياً مسلما »[1] .

أما شوقي أفندي ، خليفة عبد البهاء ، فقد منع البهائيين منعا باتا من الانتساب إلى المحافل الماسونية ، وقال في أحد خطاباته : « إن الانتساب إلى جمعية الماسون مخالف لروح تعاليم ديننا وان الوقت قد حان للبهائيين المنتسبين إلى مثل هذه المؤسسات أن ينفصلوا عنها ويبتعدوا منها . وقد مارست المحافل الروحانية الملية البهائية حقها الصريح في هذا المضمار أيضا وقررت فصل من ثبت انتسابه لمثل تلك الجمعيات المخالفة »[2] .

وقد أشار تحقيق صحفي أجرته مجلة الكفاح العربي إلى أن البهائيين يلعبون دوراً يزداد نفوذا في شبكات المنظمات الماسونية في أنحاء العالم استناداً إلى الباحث المحقق الأميركي مارك بوردمان ، المتخصص بمتـابعـة الحركة البهـائيـة في الولايات المتحدة والعالم[3] .

---

(١) خطابات عبد البهاء : ٩٩ – قراءة في وثائق البهائية للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، ص ١٨٧ .
(٢) مختصر المبادىء البهائية ، ص ٨٨ و٨٩ .
(٣) الكفاح العربي ، العدد ٧٤٧ ، ١٩٩٢/١١/٢٣ ، ص ٥ .

أندية الروتاري

أنشـىء نادي الروتاري الدولي في شيكـاغو عام ١٩٠٥ . ويقول مدير نادي الروتاري في ليماسول : « مع أن الروتاري أنشىء عام ١٩٠٥ في شيكاغو ، إلا أنه من يعلم فيما إذا كانت اللقاءات الروتارية لم تبدأ في العهد اليوناني القديم » .

ويتمنى جان مينو ، أستاذ العلوم السياسية بجامعة مونتريال ، في كتابه « الضغوط الدولية » ألاّ ننسى ذكر الروتاري كهيئة « تدعو لإنشاء حكومة عالمية تعمل على نشر حقوق الإنسان وتعميقها في الوعي العالمي »[1] .

---

(١) الروتارية والروتاريون ، حسين عمر حماده ، ص ١٤ و١٥ .

– ١٨ –
بعض دعاة وحدة الأديان والحكومة العالمية

(١)
في الفلسفة اليونانية

مع انتشار الاضطرابات السياسية في بلاد اليونان وما أعقبها من غزو الاسكندر الأكبر للمشرق ، في أواسط القرن الرابع قبل الميلاد ، انتشرت لدى اليونانيين الأفكار التي تدعو إلى المواطنة العالمية ، وقد تجلى ذلك بوجه خاص لدى **الرواقيين** أتباع المدرسة التي أسسها زينون في العام ٣٠٠ قبل الميلاد في رواق بوكيلي ، الذي استمدت المدرسة منه اسمها[١] . لقد كانت ظاهرة التأثر بالنزعات الشرقية أوضح ماتكون لدى مذهب **الرواقية**[٢] .

فالناس عند الرواقيين قد يختلفون في الأمور غير الجوهرية ، لكنهم يشتركون في طبيعتهم الجوهرية وفي عقلهم ، ومن ثم فإن الناس جميعا على صعيد واحد حيث أنهم مخلوقات عقلية ويجب أن يكونوا دولة واحدة . وانقسام البشرية إلى دول متحاربة مسألة لاعقلية وبلا معنى . والحكيم ليس مواطنا لهذه الدولة أو تلك ، إنه مواطن العالم[٣] .

وقد وجدت هذه الدعوة صداها لدى **الكلبيين**[٤] ، وهم أتباع مدرسة فلسفية يونانية نشأت في القرن الرابع قبل الميلاد ، كانوا يشترطون للإنضمام إلى زمرتهم أن يعدل المريد عن خيرات الدنيا ، وأن ينزل عن مكانته الاجتماعية ، فيلبس لباس عامة الشعب ، ويرسل شعر الرأس واللحية . ولما تغير الزي الشعبي بتأثير المقدونيين ،

(١) الموسوعة الفلسفية ، ص ٢٣٠ .
(٢) خريف الفكر اليوناني ، عبد الرحمن بدوي ، ص ١٠ .
(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ، وولتر ستيس ، ص ٢٨٥ .
(٤) ايمانويل كانت ، فلسفة القانون والسياسة ، عبد الرحمن بدوي ، ص ٢٠٨ .

احتفظوا هم بزيهم ، فكان دلالة عليهم . وكانوا يحملون العصى بأيديهم والجراب فوق ظهورهم ويطوفون في التماس قوتهم كالشحاذين المحترفين أو كرهبان الهنود وليس لهم من مأوى سوى المعابد وغيرها من الأمكنة العامة . وكان فيهم كثير من الشذوذ ، مثل أن يقف الواحد منهم عريانا تحت المطر في برد الشتاء ، أو يمكث في شمس الصيف المحرقة ، ليظهر قوة احتماله ، وما إلى ذلك ، وكانوا يغشون المجالس ويتطفلون على الموائد ، فيجابهون الحضور بنقائصهم في قول جريء إلى حد البذاءة ، ولا يستحون ولا يفرقون بين المقامات ، بل يدعون أنهم في كل ذلك يؤدون مهمة كلفهم بها الإله تزوس ، هي ملاحظة العيوب والتشهير بها ، ويتخذون من اسمهم تشبيها فيقولون انهم حراس الفضيلة ينبحون على الرذيلة ، كما ينبح الكلب الحارس عند الخطر . وكان الكلبيون بالإجمال أقل أهل زمانهم شعورا بالوطنية وحرصا عليها ، وأكثرهم ميلا للانسانية يستحبون الدول الكبرى كدولة الفرس ودولة الاسكندر ، دون الأوطان الضيقة أي المدن اليونانية وعصبياتها . وهذا اتجاه جديد سار فيه الرواقيون ، وهو متلائم مع القول بالماهيات منفصلة ليس بينها علاقات توضع في أحكام : فماهية الانسان لاتتضمن علاقة وطنية أو سياسية ، ولاترجع إلى أية ماهية أخرى ، فهي مطلق لايحتمل الإضافة ، وهي الحقيقة ، وما عداها فهو عرف لا وزن له عند الحكيم[1] .

كذلك كان **هرقليطس** (٥٤٠ - ٤٧٥ ق.م) صاحب دعوة إلى دين عالمي ودولة عالمية[2] .

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص ٢١٢ و ٢١٣ .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص ١٩ .

(٢)

مانـي والمانويـة

المانوية حركة دينية أسسها ماني بن فاتك ، الذي ولد في مملكة بابل حوالي العام ٢١٥م . كان أبوه فاتك فارسيا ينتمي إلى شيعة ثنائية ، فأنشأه عليها . قرأ ماني الكتب الدينية على اختلافها ومنها كتب الغنوصيين ، ولما بلغ الرابعة والعشرين ادعى النبوة وشرع يعظ ثم قصد إلى الهند وأعلن هناك « أمل الحياة » . ولما ارتقى شـابور عرش فارس (٢٤١م) استدعاه وأذن له أن يعظ في أنحاء المملكـة ، ولكن مذهبـه لقي معارضـة شديدة لخروجه على الزردشتية ، فأمر به الشاه بهرام بن شابور فأعدم سنة ٢٧٢م .

قال ماني بما قال به زرادشت من أن للعالم مبدأين ، أحدهما نور والآخر ظلمة . ولكنـه رمى إلى وضع دين جديد تتحد فيـه سـائر الأديان ، وقال : « لقد اندمجت الكتب القديمة في كتبي ، فتـألفت منهـا حكمة كبرى لا نظير لها في كل ما أعلن للأجيال السابقة » . هذا الدين الجديد تغلب عليه المسيحية ، وقد قال ماني انه رابع ثلاثة تقدموه : المسيح وزرادشت وبوذا ، ترجموا عن حكمة واحدة ، ويمتاز هو عليهم بأنه وعظ وكتب بينما هم اقتصروا على الوعظ . وهو يقدم المسيح على الاثنين الآخرين ، ويقول عن نفسه انه « الفارقليط » الذي قال عنه يسوع : « حينما أذهب أرسل لكم المعزي » أي الروح القدس . فهو يصل تعليمه بالمسيحية ، ويدعي أنه جاء بالوحي الذي وعد به يسوع تلاميذه ، وأنه خاتم المرسلين . ولكنه كان يتصرف في الأناجيل على مايروقه حذفا وإثباتا ، وكان يأخذ عن الأناجيل المنحولة التي كانت شـائعة في أيـامـه ، ويذهب إلى أن المسـيح لم يولد ، بل جاء رجلا كاملا ، وأنه لم يمت على الصـليب بل الذي صـلب الشيطان . وكان يرفض العهد القديم ويتهكم على أنبياء اسرائيل ، ويحمل على اليهود ، وكل ذلك مأخوذ عن الغنوسيين .

كانت المانوية منظمة في « كنيسة » على رأسها « الإمام » مقره بابل ، ويليه اثنا

عشر معلما تشبها بالحواريين الاثني عشر ، يليهم اثنان وسبعون أسقفا ، فجماعة الكهنة والشمامسة . وكان لها « سران » يمنحان للصديقين : المعمودية والقربان . وكانت لها طقوس وأعياد . انتشرت في الشرق حتى الصين ، وفي الغرب حتى البحر المتوسط ، فكانت آخر البدع الغنوسية وأقواها وأدومها ، ثبتت إلى القرن الثالث عشر ، وكانت لها فيه هبة هائلة تهددت المسيحية في ايطاليا وفرنسا . وكانت كتبها معروفة بالسريانية منذ القرن الرابع . ونقل عبد الله بن المقفع كتب ماني[١] .

ويقول النديم في الفهرست أن ماني كان « ينتقص سائر الأنبياء في كتبه ، ويُزري عليهم ويرميهم بالكذب ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم ، بل يقول في مواضع من كتبه انهم شياطين »[٢] .

وتنطوي تعاليم ماني على الكثير من الرؤى المطابقة لرؤيا يوحنا فيتحدث عن شخصين شبيهين بضد المسيح وبالمسيح المنتظر ، كما يتحدث عن الحرب العظيمة التي تنتهي بانتصار معبد الصلاح ، أي جمع الصالحين ، وباجتماع جماعة المصلين المتبعثرة من جديد ، ثم يتم تجديد المعبد وإنقاذ الكتب المقدسة المعرضة للخطر ويتم انتصار المانوية « وسيأتي الجيل الجديد ، ويحوز بقوة على ممتلكاته » وسيحضر الملك العظيم ويتولى السلطة ، وسيقدم الجيل الجديد له الطاعة[٣] .

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص ٢٥٨ – ٢٦٠ .

(٢) ماني والمانوية ، جيو وايدنغرين ، ترجمة الدكتور سهيل زكار ، ص ٢٦٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٣)
أبو نصر الفارابـي

هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، عاش فيما بين ٢٦٠ و٣٣٩ هجري (٨٧٣ - ٩٥٠ م) . يلقب بالمعلم الثاني ، على اعتبار أن أرسطو كان يلقب بالمعلـم الأول . والفـارابي فيلسوف وحكيم ورياضي وطبيب وموسيقي ، أتقن المنطق وأتقن اللغات التركية والفارسية واليونانية والسريانية وأحكم العربية .

يقول الدكتور عمر فروخ في كتابه « عبقرية العرب في العلم والفلسفة » : « إن الكنيسة لم تكن ترهب شيئا رهبتها أن تتسرب آراء الفارابي وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد الى البلاد النصرانية ... وقد اهتم علماء اليهود بدراسة فلسفة الفارابي واعترفوا بما فيها من عمق في النظريات الفلسفية والفائدة لمن تتلمذ عليها . ويقول لاندو في كتـابه « الإسـلام والعرب » : « ولعله لم يكن بين الفلاسفة في العصور المتأخرة فيلسوف واحد غير مدين للفارابي وآثاره . ولكثير من الأفكار والنظريات التي أنشأها خلفاؤه جذور في فلسفته .. ولقد أوصى موسى بن ميمون الأندلسي (أكبر فلاسفة اليهود تحت الحكم الاسـلامي في الأندلس) بدراسة كتابه « السياسة المدنية » بهذه الكلمات : « أنا لا أوصيك بأن تقرأ أيما كتاب في علم المنطق غير تلك الكتب التي وضعها الفيلسوف أبو نصر الفارابي » .

وحّد الفارابي بين آراء أفلاطون وأرسطوطاليس الفلسفية ، ولكنه لم يكتف بهذا الحد بل سار شوطا طويلا ، فحاول أن يوفق بين الفلسفة والإسلام . ونقل البيهقي في كتـابه « تاريخ حكمـاء الاسـلام » عن ابن سينا : « انه طالع كتاب مابعد الطبيعة لأرسطو أكثر من أربعين مرة ولم يفهمه ، حتى وقع أخيراً على كتاب للفارابي « في أغراض ما بعد الطبيعة » ، فلما قرأه ، فُتح له ماكان مغلقا منه ، واتضح له ما كان مغمضا ، فشكر الله تعالى على ذلك ، وصام وتصدق بما عنده » .

يقول ابن خلدون في مقدمته : « ان أرسطو سمي بالمُعلّم الأول لأنه هذب وجمع

ماتفرق من مباحث المنطق ومسائله ، فأقام بناءً متماسكا وجعله من أول العلوم الحكيمة وفاتحتها ، وسمي الفارابي بالمعلم الثاني ، لما قام به من تأليف كتاب يجمع ويهذب ماترجم قبله من مؤلفات أرسطو خاصة . فمنذ أيام الفارابي أحصيت كتب أرسطو ، وثبتت على صورة لم تتغير في مجملها ، وصارت تفسر وتشرح على طريقة الفارابي » .

ويقول عبد المنعم ماجد في كتابه « تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى » : « على يد الفارابي وصلت الفلسفة الأرسطوطالية الى أقصى ماتصل اليه من ازدهار ، وان كان قد اهتم أيضا بفلسفة أفلاطون »[1] .

ويبدي بطرس غالي[2] ، في كتابه « الحكومة العالمية » اهتماما خاصا بالفارابي ، فيقول عنه :

« قسم المجتمع الانساني الى مجتمعات كاملة وغير كاملة . وقسم الكاملة إلى ثلاثة أنواع ، وهي : العظمى ، والوسطى ، والصغرى .

« وعرف العظمى بأنها : « اجتماعات الجماعة في المعمورة » ثم قال : « الاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل . والأمة التي تتعاون مدنها كلها على ماتنال به السعادة هي الأمة الفاضلة . وكذلك المعمورة الفاضلة إنما تكون إذا كانت الأمم التي فيها يتعاونون على بلوغ السعادة .

« عرف الفارابي المجتمع الفاضل ، ولكن لم يوضح أسلوب تأليفه ، ولم يضع قواعد تنظيمية على نحو ماعرفنا عن المفكرين الاوربيين الذين بسطنا بعض آرائهم . وكل ماعني به في تلك الحكومة التي سماها « المعمورة الفاضلة » هو أمر الرئيس . فاقترح أن يكون شخصا واحدا « لا يرأسه انسان آخر أصلا ، وهو الإمام وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ، وهو رئيس الأمة الفاضلة ، ورئيس المعمورة في الأرض كلها » .

ويلخص د . غالي آراء الفارابي حول الحكومة العالمية بما يلي :

« ١ — يجب أن يقوم بين الشعوب اتحاد ، لأنها جميعا في حاجة الى بعضها .

---

(١) من مقال الدكتور علي عبد الله الدفاع — المجلة العربية — عدد جمادى الثانية ١٤٠٠ هجري .
(٢) أمين عام هيئة الأمم المتحدة حاليا .

٢ – يكون هذا الاتحاد تحت رياسة شخص واحد .

٣ – اذا لم يوجد شخص واحد يصلح للملك تكون الرياسة لجماعة تتكامل في مجموعتهم هذه الصفات .

٤ – ليست العبرة بالنظم والقوانين ، ولكن العبرة بالصفات والأخلاق التي يكون الرئيس مطبوعا عليها[1] .

(١) « بطرس غالي والحكومة العالمية » د . نبيل السمان ، ص ٨٨ و ٨٩ .

(٤)
إخــوان الصفـــا

نلاحظ عند إخوان الصفا اتفاقا شبه كامل مع البهائيين في أشياء كثيرة . ولا سيا في مسألتي وحدة الأديان والحكومة العالمية .

ويتلخص من الاشارات التاريخية أن جماعة « اخوان الصفا » نشأوا فـي العراق ، ولعلهم نشأوا في البصرة . إلاّ أن ذلك كله من باب الظن لا من باب اليقين . وأما الزمن الذي نشأوا فيه فلايمكن تحديده البتة . إننا قد عرفنا شيئا من أمرهم في القرن الهجري الرابع ، ولكن من الممكن أن يكونوا قد نشأوا قبل ذلك بزمن طويل . وجدير بالذكر أن نفرا من الدارسين أحبوا أن يستخرجوا تاريخ إنشاء جماعة إخوان الصفا من رسـائلهم بالاستناد إلى أشعار مشهورة وردت فيها كأبيات لابن الرومي (ت ٢٨٣ هجري ، ٨٩٩م) وأبيات لأبي الفتح البستي (ت ٤٠٠ هجري ، ١٠٠٩م) . إلا أن ذلك قد يدل على تاريخ كتابة الرسائل ، ولكن لاصلة له البتة بتاريخ نشأة الجماعة . أضف الى ذلك كله أن هذه الرسائل ليست « وحدة تأليفية » ، وإن كانت « وحدة فكرية » ، ولا سيا إذا نحن علمنا أنهم ألفوا رسائلهم ليقرأها الذين لايستطيعون حضور مجالسهم (٤ : ٢٢١) .

وكذلك دار نفر من الدارسين حول اشتقاق اسم « الجماعة » واقترحوا نظريات غريبة . ومع العلم بأن التركيب الاضافي « اخوان الصفا » قد ورد أكثر من مرة في الشعر الجاهلي ، فإن « جماعة إخوان الصفا » اختاروا اسمهم بلا ريب من باب الحمامة المطوقة في كتاب « كليلة ودمنة » .

ويقولون : « واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أنه ينبغي لك أن تتيقن بأنك لاتقدر أن تنجو وحدك مما وقعت فيه من محنة هذه الدنيا ... لأنك محتاج في نجاتك وتخلصك ... إلى معاونة اخوان لك نصحاء ... فاعتبر بحديث الحمامة المطوقة

المذكورة في كتاب كليلة ودمنه وكيف نجت من الشبكة لتعلم حقيقة ماقلنا »[1] .

يقول الأستاذ دي بور أن اخوان الصفا « وضعوا لأنفسهم مذهبا ، وزعموا أن الشريعة دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، فأرادوا تطهيرها بالفلسفة ، معتقدين أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية ، فقد حصل الكمال ، لذلك ألفوا رسائلهم وكتموا أسماءهم ، وبثوا فيها من كل فن « بلا إشباع ولاكفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات » ، وقارئها يحس هذا ، ويجد أنها تقمش من كل مذهب ، وتمزج الدين بالفلسفة مزجاً غير سائغ ، فالآيات والأحاديث تُحشى بين العبارات الفلسفية حشواً ويُستشهد بها في غير موضعها ، غير أن لهذه الرسائل شأنها الفلسفي من حيث تعبيرها عن العصر الذي كتبت فيه وأنها لعامة المثقفين ، ولها شأنها التاريخي والأدبي »[2] .

يدور اخوان الصفا في فلك وحدة الأديان والحكومة العالمية .

فهم يتصورون أن هناك اجتماعا أكبر من الأمة يمكن تحقيقه في شكل دولة عالمية يشملها دين واحد وشريعة واحدة . وفي هذا يقول الاخوان : « **فأما جملة العالم بأسره ، الحي الناطق ، المشتملة عليه الصورة الانسانية ، فهذا أيضاً اذا شمله دين واحد ، وعبادة واحدة ، كمثل جسم واحد ، وإنسان واحد ، وقد صار كله تحت أمر رسول واحد ودين واحد** »[3] ، ويتكرر نفس المعنى في قولهم : « **إن عالم الانسان بجملته إذا شمله دين واحد وشريعة واحدة ، كان كإنسان واحد** »[4] .

ويقولون : « ... وبالجملة ينبغي لاخواننا ، أيدهم الله تعالى ، أن لا يعادوا علما من العلوم أو يهجروا كتابا من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، **لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها** » (ج٤ ، ص١٠٥) .

---

(١) اخوان الصفا ، للدكتور عمر فروخ ، ص ١٨ و١٩ .

(٢) « تاريخ الفلسفة في الاسلام » ، دي بور ، ص ١٥٥ ، الحاشية .

(٣) الرسالة الجامعة ، الجزء الثاني ، ص ١١٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٩ . وتكرر نفس المعنى في نفس الجزء ، ص ٢٣٣ ـ الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا ، د .فريد حجاب ، ص ٣٦١ .

« واعلم ياأخي أن دولة أهل الخير أولها من قوم علماء وحكماء وخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على دين واحد ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا ألا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضا ويكونون كرجل واحد في جميع أمورهم وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة لا يبتغون سوى وجه الله ورضوانه جزاءً وشكورا »[1] .

وفي رسالتهم « تداعي الحيوانات على الانسان » ، يقول الملك : « فلم تختلفون في الآراء والمذاهب والديانات والرب واحد ؟ » فيرد عليه الزعيم الفارسي : « لأن الديانات والآراء والمذاهب إنما هي طرقات ومسالك ومجار ووسائط ووسائل والمقصود والمطلوب واحد من أي الجهات توجهنا فثم وجه الله »[2] .

ويصفون أحد رموزهم بقولهم : « الخبير الفاضل الذكي العابد المستبصر الفارسي النسبة العربي الدين الحنفي الإسلام العراقي الأدب العبراني المخبر المسيحي المنهاج الشامي النسك اليوناني العلوم الهندي التعبير الصوفي الاشارات الملكي الأخلاق الرباني الرأي الالهي المعارف »[3] .

يقول اخوان الصفا بتوالي الرسل والأنبياء إلى يوم القيامة ، بل انهم يقولون بأن بإمكان أي إنسان ، بشيء من الجد ، أن يتلقى الوحي الالهي .

فالأنبياء عند الاخوان ليسوا الأفراد الذين نصت عليهم الأديان فقط ، بل ان منهم من لم تنص عليه الأديان ، أو من نصت على رفضه . فالأنبياء عندهم :

آ ـ الذين نصت عليهم الكتب المنزلة كنوح وابراهيم وموسى وداوود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

ب ـ الحكماء القدماء الموحدون الربانيون ، وكذلك العلماء والفلاسفة . هؤلاء يمكن أن يعدوا في الأنبياء وأن يضعوا الشرائع (٣: ٣٥٩ -٤٢٣) (٤ : ١٨٨ - ١٨٩ - ٢٢٨) - ط مصر ١٩٢٨ .

---

(١) من الجزء الأول ، الرسالة الرابعة ـ فروخ ص ١٧٢ .
(٢) رسالة تداعي الحيوانات على الانسان ، ص ٢٥٠ .
(٣) رسالة تداعي الحيوانات على الانسان ، ص ٢٦١ .

فالأنبياء ليسوا سوى علماء ، ولكنهم أرقى منهم درجة واحدة ، وذلك لأن النبوة هي أعلى درجة وأرفع رتبة ينتهي اليها حال البشر مما يلي رتبة الملائكة ... أما البشر فأفضلهم العقلاء ، وأخيار العقلاء هم العلماء ، وأرفعهم منزلة هم الأنبياء . ثم بعدهم في الرتبة الفلاسفة والحكماء . والفريقان — الأنبياء والفلاسفة — قد اجتمعا واتفقا على أن الأشياء كلها معلولة ، وأن الباري هو علتها ... (٤ : ١٧٨ وما بعدها) . ولذلك ترى أن اخوان الصفا يجمعون بين موسى وعيسى ومحمد وسقراط وزرادشت وعلي والحسين وبين أنفسهم هم أيضا في طبقة واحدة (٤ : ٨٣ — ٨٦) . فالمرء يجب أن يكون غير متعصب لمذهب على مذهب . ثم ان الله وهب لهم (لاخوان الصفا) الهداية وندبهم لهداية الناس (٣ : ٤٧ — ٢٩٠ — ٣٥٢ — ٩١ ٩٢) . وهكذا يبدو لهم بوضوح أن النبوة لم تنقطع ، وأن وصول البشر الى هذه المرتبة ممكن أبدا الى يوم القيامة (٤ : ١٨٨ الخ) وأن ذلك ضروري أيضاً .

وأما أعلى رتبة ينالها الإنسان من جهة نفسه وأشرف درجة يبلغها بصفاء جوهرها فهو قبول الوحي الذي به يعلو الانسان على سائر أبناء جنسه وبه يغلبهم بما يدركه من المعارف الحقيقية بالقوة الناطقة ... والوحي هو إنباء عن أمور غائبة عن الحواس يقدح في نفس الانسان من غير قصد منه ولا تكلف ... على ثلاثة أوجه .

آ — في المنام عند ترك النفس استعمال الحواس .

ب — في اليقظة عند سكون الجوارح وهدوء الحواس .

ج — باستماع صوت من غير رؤية شخص باشارات دائمة .

ويبني اخوان الصفا قبول الوحي عن الملائكة (العقل الفعال أو نفوس الصالحين الذين ماتوا) على زكاء النفس وصفاء جوهرها . قالوا (٤ : ١٧١) « فعلى هذا القياس نقول في قبول الانسان الهام الملائكة والوحي . وذلك أن كل إنسان تكون نفسه أصفى جوهرا وأذكى فهما ... كان قبول نفسه الهام الملائكة والوحي والانباء أمكن وفهمه لمعانيها أسهل ، مثل نفوس الأنبياء ، ثم بعدهم نفوس الصديقين ، ثم بعدهم نفوس المؤمنين المصدقين الأخيار الفضلاء الأبرار ، ثم الأمثل فالأمثل والأقرب فالأقرب » .

وقد جعل اخوان الصفا قبول الوحي من عمل النفس ونسبوه الى القوة المتخيلة (٤ : ١٤٤ وما بعدها) .

وجعلوا قبول الوحي في طاقة كل انسان ، ولكن على درجات متفاوتة .

ويرى اخوان الصفا أن معنى الدين في لغة العرب هو الطاعة من جماعة لرئيس واحد (٤ : ٢٤) ... فالدين الحقيقي عندهم أن ينقاد كل مرؤوس لطاعة رئيسه لا يعصيه فيما يأمره به وينهاه عنه فيما فيه صلاح للجميع (٣ : ٤٢٤) وهو ضروري في سياسة الناس (٤ : ٣٢ – ٣٣) .

واخوان الصفا يحثون الانسان على أن يبحث عن دين بلاعيب ، ولا يعذرونه اذا تمسك بدينه ومذهبه اذا رأى ماهو خير منهما (٤ : ٣٧ – ٣٨) .

أما الدين عندهم فهو دين الاسلام (٤ : ٥٩) ...

ولكن الدين ظاهر وباطن ، وأصل وفرع . فالأصل في الدين هو الاعتقاد في الضمير والسر ، ثم الفرع المبني عليه القول والعمل في الجهر والاعلان (٣ : ٤٢٢) .

التمييز بين الدين والشريعة :

يختلف الدين من الشريعة في نظر اخوان الصفا ، تماما كما في نظر البهائيين . فالدين أمر الهي وهو اطمئنان في الانسان واعتقاد بالله وبأحوال الدنيا والآخرة ، ولذلك لايجوز الاكراه في الدين لأن الاكراه لايمكن أن يغير شيئا في عقيدة الناس الباطنة (٤ : ٤٧٦) .

ثم ان الدين واحد عند جميع الأنبياء . ولكن للدين شرائع متعددة بتعدد الأنبياء ، أو على الأصح – كما يرى اخوان الصفا – بتعدد البيئات التي يوجد فيها هؤلاء الأنبياء . والشريعة أو « شريعة الدين » أمر وضعي دنيوي به يكون ثبات الدين ودوامه بين الناس ، ولذلك جاز اكراه الناس على اتباع الشريعة ولم يجز اكراههم على الأخذ بالدين . فالعمل بالشريعة اذن ليس شيئا أكثر من العمل بظاهر الدين مجاراة للناس ، سواء كان الانسان يعتقد بما يعمل أم لايعتقد به (٤ : ٤٧٦) .

وللشريعة عندهم اسم آخر هو « الناموس » . والناموس (أو الشريعة) من وضع البشر . أما الغاية من وضع الناموس فذات شقين : شق ديني وشق دنيوي ولكنها (أي الغاية) على كل حال غامضة كما يقول اخوان الصفا (٤ : ١٠٠ – ١٣٧ – ١٣٨ – ١٦٨ – ١٨٦ و٣ : ٤٨) .

أما اختلاف الشرائع فلايضير الدين عندهم (٤ : ٢٤ – ٢٩) لأن كل شريعة تكون بحسب بيئة أهلها المقصودين بها وبحسب زمانهم . والشريعة تكون لأتباعها بمثابة مدينة (دولة) روحانية ، يعيشون فيها عيشة روحية . وكلما كان عدد أتباع الشريعة أكثر كانوا هم أشد سروراً وفرحا (٤ : ١٨٧)[١] .

وعلى الرغم من أن اخوان الصفا نشأوا في البدء نشأة اسلامية ، فإن تفاصيل عقيدتهم تجعلهم مختلفين عن المسلمين اختلافا أساسيا . وتكفي الاشارة إلى اعتقادهم أن « الشريعة المحمدية » ناقصة وإلى قولهم إن من يعرف الله حق معرفته غير محتاج إلى الرسل (٤ : ٢١) وإلى اعتقادهم أن العبادة الحقيقية يجب أن تكون تسبيحا وتقديسا فقط لا فروضا ، والشرائع في اعتقادهم من وضع البشر لابوحي من الله[٢] .

والعلم عند اخوان الصفا جزء أساسي من الدين[٣] .

وبعد أن يتلقى المتعلم علوم اللسان والشعر والتاريخ ، وهي علوم ليست من علوم الدين ، وبعد أن يتلقى أيضا علوم الدين ومذاهب الكلام ، يجب عليه أن يشرع في دراسة الفلسفة مبتدئاً بعلوم الرياضيات . وهنا نجد اخوان الصفا يعالجون كل شيء على طريقة الهنود وأصحاب المذهب الفيثاغوري الجديد ؛ فيتلاعبون بالأعداد ، بل بالحروف الهجائية تلاعبا صبيانيا . وقد استفادوا فائدة خاصة من أنهم وجدوا عدد حروف الهجاء العربية ثمانية وعشرين حرفاً ، أي ٤×٧ ؛ وبدل أن يسيروا في دراستهم للأشياء على أساس الواقع المشاهد ، فانهم أطلقوا لخيالهم العنان في جميع العلوم ، طبقا لقياسات لغوية ولعلاقات بين الأعداد .

وهم في علم الحساب ، لايبحثون في العدد ، من حيث هو ؛ وانما يبحثون في دلالته وخصائصه ؛ وكذلك لايحاولون التعبير عن الأشياء تعبيراً رياضياً عددياً ، بل هم يعللون الأشياء بما يتفق مع نظام الأعداد . وعلم العدد عندهم علم إلهي ، فهو أشرف من العلم بالمحسوسات ، لأن المحسوسات إنما كونت على مثال الأعداد والمبدأ

---

(١) اخوان الصفا ، عمر فروخ ، ص ١١٧ – ١١٩ .
(٢) فروخ ، ص ٢٣ .
(٣) فروخ ، ص ٧ .

المطلق لكل وجود مادي أو ذهني هو الواحد ؛ ولذلك فعلم العدد قوام لكل فلسفة ، في أولها ووسطها وآخرها [1] .

وعند اخوان الصفا أن الحقيقة لاتوجد خالصة من الشوائب ، حتى ولا في الديانات الأخرى للأمم ؛ وكانوا يرون أن ثمة ديناً عقلياً فوق الأديان جميعاً ، وهم حاولوا أن يستنبطوا هذا الدين استنباطاً عقلياً ميتافيزيقيا . وقد أدخلوا بين الله وبين العقل الفعال ، الذي هو أول مخلوقاته ، الناموس الالهي الذي يشمل كل شيء ، كمبدأ ثالث ؛ وهو وضع محكم لإله رحيم لا يريد بأحد شرا .

ويصرح اخوان الصفا بأن الاعتقاد بأن الله يغضب ويعذب بالنار ونحو ذلك ، أمور لايقبلها العقل ، ويقولون أن هذه الاعتقادات تؤلم نفوس معتقديها ؛ ويرون أن النفس الجاهلة الآثمة تلقى جهنمها في هذه الدنيا وفي نفس الجسم الذي تعيش فيه ، والبعث هو مفارقة النفس للجسد . أما القيامة الكبرى ، في اليوم الآخر ، فهي مفارقة النفس الكلية للعالم ، ورجوعها إلى الله ، وهذا الرجوع إلى الله هو غاية الأديان جميعا [2] .

---

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام ، دي بور ، ص ١٦٤ .

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام ، دي بور ، ص ١٧٣ .

(٥)
بعض الصوفية

ذهب بعض الصوفية من القائلين بالاتحاد ، اتحاد الخالق والمخلوق ، إلى القول تبعا لذلك بوحدة الأديان ، كلها ، سماوية وغير سماوية ، فالأديان عند هؤلاء متساوية لأن الوجود واحد ، والوجود هو الله ، فكلها إذاً من الله ، وبالنسبة إلى الله تنتفي كل تفرقة[1] .

ومن هؤلاء الصوفية ابن عربي والحلاج والصدر الرومي والعفيف التلمساني وابن سبعين وأبو يزيد البسطامي وأبو بكر الشبلي وجلال الدين الرومي والسهروردي وغيرهم .

محي الدين ابن عربي
(٥٦٠ هـ - ٦٣٨ هـ)

يقول محي الدين بن عربي :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي — إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة — فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائفٍ — وألواح توراةٍ ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت — ركائبه فالحب ديني وإيماني

وفي تعقيبه على كتاب ابن عربي ترجمان الأشواق ٤٣/٤٤ يقول الدكتور نصر أبو حامد زيد : « وانتهى ابن عربي إلى عقيدة الحب الشاملة والدين العالمي المفتوح »[2] .

(١) شطحات الصوفية للدكتور عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ـ الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ ، ص ١٦ .

(٢) فلسفة التأويل ، ص ٤١٢ .

عبد الكريم الجيلي

(ت ٨٣٢ هـ - ١٤٢٨ م)

يقول عبد الكريم الجيلي :

أسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ... وما لي عن حكم الحبيب تنازع
فطوراً تراني في المساجد راكعا ... وإني طورا في الكنائس راتع
إذا كنت في حكم الشريعة عاصيا ... فإني في علم الحقيقة طائع[1]

ابن الفارض

(١١٨١ - ١٢٣٥ م)

ويقول ابن الفارض في إحدى قصائده :

في مجلس الأذكار سمعُ مطالعٍ ... ولي حانة الخمار عين طليعة
وما عَقد الزنّار حكما سوى يدي ... وإن حُلّ بالإقرار بي فهي حَلّت
وإنْ نارَ بالتنزيل محراب مسجد ... فما بار بالإنجيل هيكل بِيعَةِ
وأسفار توراة الكليم لقومه ... يناجي بها الأحبار في كل ليلةِ
وإن خرّ للأحجار في البدّ عاكف ... فلا وجه للإنكار بالعصبيةِ
فقد عبَدَ الدينار معنى منزّه ... عن العار بالإشراك بالوثنيةِ
وقد بلغ الإنذار عني من بغى ... وقامت بي الأعذار في كل فرقةِ
وما زاغت الأبصار من كل ملةٍ ... وما راغت الأفكار في كل نِحلةِ
وما اختار من للشمس عن غرة صبا ... وإشراقها من نور إسفار غرتي
وإن عبَدالنارالمجوس وما انطفت ... كما جاء في الأخبار في ألف حِجة
فما قصدوا غيري وإن كان قصدهم ... سواي وإن لم يظهروا عقد نيّةِ
رأوا ضوء نوري مرة فتوهمو ... ه ناراً فضلّوا في الهدى بالأشعة

(١) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل ، ص ٩٣ - ٩٦ . - حقيقة البابية والبهائية للدكتور محسن عبد الحميد ، ص ٢١٠ .

الحـــــلاج

أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوي

(٨٥٨ ـ ٩٢٢ م)

يقول الحلاج(١) :

تفكـرت في الأديـان جـدّ محقــق فـألفيتهـا أصـلا له شعب جمّـــا

فـلا تطـلبن للمـرء دينـا ، فـإنه يصـدّ عن الأصـل الوثيق وإنمـا

يطـالبه أصـل يعـبر عنـــده جميـع المعـالي والمعـاني فيفـهـما

ويقول على سبيل اللغز الذي حَلُّه كلمة « اتحاد » (٢) :

يـاغـافلاً لجهـالة عن شـانـي هـلاّ عرفت حقيقتي وبيـانـي

فعبـادتي لله ستـة أحـــرف من بينهـا حرفـان معجومـان :

حـرفـان ، أصـليٌّ وآخـرُ شـكـلهُ في العجـم منسـوب إلى ايمـانـي

فـإذا بـدا رأس الحـروف أمـامهـا حرفٌ يقوم مقام حرف ثـان

أبصرتـني بمكـان موسـى قـائمـا في النــور فـوق الطـور حـين تراني

ويقــول(٣) :

ألا أبـلغ أحبـائي بـأنـي ركبت البحـر وانكسـر السـفينـه

عـلى دين الصـليب يكـون موتي ولا البـطحـا أريـد ولا المـدينـه

---

(١) ديوان الحلاج ، الدكتور كامل مصطفى الشيبي ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ٥٣ .
(٢) كذلك ، ص ٥٧ .
(٣) كذلك ، ص ٦٠ .

(٦)
جمعية الشعلة البافارية
(النورانيون)

جمعية « الشعلة » التي أسسها في بافاريا بألمانيا آدم فيسهاوبت[1] عام ١٧٧٦م هي إحدى الجمعيات السرية التي شغف أصحابها بالفلسفات القديمة ، ولاسيا منها المانوية ، أقامها مؤسسها على طريقة عبد الله بن ميمون القداح ، كما استقى بعض نظمها من اليسوعيين الذين تربى في معاهدهم رغم أنه كان عدوا لهم .

« وهناك رواية أخرى هي أن فيسهاوبت تلقّى وحيَه من تاجر بولندي يدعى كيلمر ، وأن كيلمر هذا قد تجول في المشرق حينا وأنفق في مصر عدة أعوام ، ثم عاد إلى أوربا ليحشد الأنصار لتعاليم سرية مانوية وقف عليها في المشرق ، فعرج أثناء عودته على مالطه ، وهناك التقى بكاليوسترو (يوسف بلسامو) وأثار بدعوته اضطراباً في الجزيرة واضطر فرسانها إلى إبعاده عنها ، فسافر إلى أفنيون وليون حيث استمال بعض التلاميذ من طائفة « الشعلة » الفرنسية . ثم سافر بعد ذلك الى ألمانيا فالتقى بفيسهاوبت ولقنه تعاليمه السرية فانقطع فيسهاوبت أعواما لدرسها وتنظيم مذهبه . وفي

(١) كان آدم فيسهاوبت اكليروسيا جزوتيا وأستاذا للاهوت والقانون الديني في جامعة أنغولد شتات ولكنه ارتد عن المسيحية ليحتنق المذهب الشيطاني . وفي عام ١٧٧٠ استأجره آل روتشيلد لمراجعة وإعادة تنظيم البروتوكولات القديمة على أسس حديثة . والهدف من هذه البروتوكولات هو التمهيد للسيطرة على العالم . وقد أنهى فيسهاوبت مهمته في الأول من مايس عام ١٧٧٦ . ويقوم هذا المخطط الذي رسمه فيسهاوبت على تدمير جميع الحكومات والأديان الموجودة ، ويتم الوصول إلى هذا الهدف عن طريق تقسيم الجوييم (غير اليهود) إلى معسكرات متنابذة تتصارع إلى الأبد حول عدد من المشاكل التي تتولد دونما توقف اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية ، ويقتضي المخطط تسليح هذه المعسكرات بعد خلقها ، ثم يجري تدبير حادث في كل مرة يكون من شأنه أن تنقض هذه المعسكرات على بعضها بعضا فيضعفون أنفسهم ويحطمونها ويحطمون الحكومات الوطنية والمؤسسات والقواعد الدينية (أحجار على رقعة الشطرنج ، ص ١٠) .

أول مايو (أيار) سنة ١٧٧٦ أسس طائفته باسم « الشعلة »[١] واتخذ اسم « سبارتاكوس » .

يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه « تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة » أن أشد ضروب الغموض تحيط بأصل كيلمر هذا ، بيد أنه يوجد ثمة مايدل على أنه يهودي من دعاة الكابالا الذين كانوا يحركون السحرة والمتآمرين في الخفاء من وراء الجمعيات السرية التي ينتمون اليها ، ويرى دي كانتليه مؤرخ الجمعيات السرية أن كيلمر هو نفس التوتاس الذي يصفه فيجييه في كتابه « تاريخ الخوارق » ، « بأنه تلك العبقرية الشاسعة التي تكاد تكون سماوية ، والتي حدثنا عنها كاليوسترو في منتهى الخشوع والإعجاب . ولم يكن التوتاس هذا شخصا خياليا ، فقد جمع مجلس التحقيق في رومة كثيرا من الأدلة على وجوده دون أن يعرف متى وجد وأنى ذهب لأنه كان يختفي اختفاء الطيف ويتبدد كالسحاب » . ويضيف كانتليه إلى ذلك أن التوتاس كان أرمينياً وأنه استخرج مذهبه المشتق من تعاليم المانوية من مصر والشام وفارس ، فإذا صحت هذه الرواية فقد يكون كيلمر أو التوتاس هذا داعية من دعاة إحدى الجمعيات السرية الشرقية ... بل إن في مذكرات « الشعلة » ذاتها ما يشير إلى بعض التعاليم المانوية ، أضف إلى ذلك أن مراتب « الشعلة » وأساليب فيسهاوبت تشبه مراتب ابن ميمون وأساليبه شبها عجيبا ...

ويزعم فيسهاوبت أنه استقى كل شيء بالدرس المستفيض والبحث العميق في الكتب القديمة ، وأن نظم الشعلة كلها وأساليبها وتعاليمها إنما هي من ابتكاره ، وأنه هو المستأثر بإدارتها وتوجيهها ، ويؤكد ذلك في مذكراته في فرص عديدة .

ويشير في مذكراته إلى أنه كتب إلى زميل له يرمز إليه بكاتو : « احرص قبل كل شيء على الأصل وعلى العلامة المبتكرة (0) ماستطعت »[٢] . ثم يقول في موضع آخر : « إن ذروة الغموض والخفاء يجب أن تكون في جدة الشيء وكلما كان العالمون به

---

(١) ويسمي الأميرال وليام غاي كار ، في كتابه « أحجار على رقعة الشطرنج » (ص ١١) المنظمة التي أسسها فيسهاوبت في عام ١٧٧٦ بـ « جماعة النوارنيين » ، أي حملة النور .

(٢) ربما كان يقصد كلمة « النقطة » التي اتخذها « الباب » اسما له.

قليلين كلما كان خيراً وأفضل » .

وفي كتاب ميرابو عن المملكة البروسية ما يلقي بعض الضياء على منشأ « الشعلة البافارية » . فميرابو يمتدح الجمعية ويذكر فيسهاوبت بالاسم ويوضح كيف أن الجمعية نشأت في مهد البناء الحر (المحفل الماسوني) على النحو الآتي :

« انتهى محفل تيودور في ميونيخ حيث كان يوجد قليل من الرجال ذوي الرؤوس والألباب ، بأن سئم وعود البناء الحر الخلابة ، وعراكه المستمر ، ولذلك قرر الزعماء أن يؤسسوا على أنقاض محفلهم جمعية سرية أخرى أسموها « جمعية الشعلة » واشتقوا نظمها من نظم جمعية يسوع ، في حين أنهم يقصدون بتطبيقها الى غايات مناقضة » .

وينسب ميرابو هذه الواقعة الى سنة ١٧٧٦ ، وهو نفس العام الذي أسس فيه فيسهاوبت جمعيته الجديدة .

ويتوافق ظهور فيسهاوبت وجمعيته مع موعد وطريقة ظهور الشيخ أحمد الأحسائي في الشرق وحركته الشيخية التي مهدت لظهور البابية والبهائية .

يشرح فيسهاوبت غاية الشعلة بقوله : « الجمع بين جميع البشر من جميع الأنحاء برابطة خالدة لتحقيق مثل أعلى لجميع البشر من جميع الطوائف وجميع الأديان رغم تباين آرائهم وأهوائهم ، وحملهم جميعا على تقديس هذه الرابطة وحب هذا المثل الى حد أنهم يعملون جميعاً كرجل واحد » .

ويلخص المؤرخ الفرنسي هنري مارتن مبادىء « الشعلة » بقوله : « إن فيسهاوبت قد صـاغ من سخرية روسو الانسـانية من بدعة المِلْكية والمجتمع نظرية عامة ، ولم يحسب حسابا لقول روسو باستحالة سحق الملكية والمجتمع متى أنشئا ، بل اختار أن تكون غاية الشعلة إلغاء الملكية ، والسلطة الاجتماعية ، والقومية ، والرجوع بالجنس الانساني إلى الحالة السعيدة التي كان فيها ، أسرة واحدة لم تكن ذات حاجات خاصة وعلوم عقيمة ، وحينما كان كل أب كاهناً وقاضيا . ولسنا ندري كاهن أي دين إذ نجد بالرغم من إشـاراتهم الكثيرة إلى إله الطبيعة مايدل على أن فيسهاوبت مثل ديدرو وهولباخ لم يكن له إله سوى الطبيعة ذاتها . وقد كان طبيعيا أن تشب من تعاليمه فلسفة

مافوق الهجلية ، ونظم الفوضى التي عصفت حديثا بفرنسا والتي تبدو عليها مسحة أصلها الأجنبي » .

ومما يقوله فيسهاوبت في إحدى رسائله : « إن أول مرحلة في حياة الجنس البشري بأسره هي الوحشية ، هي الطبيعة الخشنة التي تكون الأسرة فيها المجتمع الوحيد ، وفيها يخمد الجوع والعطش بسهولة ... فيها يتمتع الإنسان بأبدع وأثمن النعم أعني المساواة والحرية بأوسع معاني التمتع . وفي هذه الحياة كانت الصحة حالته الطبيعية ... وكان البشر سعداء لم يتنوروا بعد إلى الحد الذي يفقدون فيه سلام العقل وإلى حيث يعانون من أسباب شقائنا النكدة أعني شهوة السلطان ... والحسد ... والمرض ، وكل نتائج الخيال » .

ثم يقول فيسهاوبت : « لما ازدادت الأسر ، وأخذت أسباب العول في القلة ، غاضت الحياة البدوية ، وأنشئت الملكية ، واجتمعت الأسر بعضها إلى بعض ، وأخذت تنافس بعضها بعضا . وهنا كان مصرع الحرية ، ومصرع المساواة ، وهنا شعر الإنسان بحاجات جديدة . ثم انضوى البشر تحت وصاية الملوك انضواء القصر ، ويجب أن يبلغ الإنسان رشده ، وأن يتحرر من هذه الوصاية ليحكم نفسه بنفسه . ثم يتساءل : « ما هو وجه الاستحالة في أن يبلغ الجنس البشري غاية الأهلية لرعاية نفسه ؟ ولماذا يقاد إلى الأبد مخلوق يستطيع أن يسير من تلقاء نفسه ؟ » .

ثم يدعو إلى الإستقلال عن الملوك وعن الناس الآخرين عموما فيقول : « فمن يحتاج إلى آخر فهو متوقف عليه ونازل عن حقوقه . وعلى ذلك فقلة الحاجة هي أول خطوة في سبيل الحرية ، ولعل المتوحشين وصفوة المتنورين هم بذلك الأحرار من البشر فقط . إن فن تحديد الحاجات البشرية بالتدريج هو في نفس الوقت فن العمل على تحقيق الحرية » .

ويصف فيسهاوبت شر القومية والوطنية في قوله : « لما نشأت الشعوب والأمم لم يبق العالم بعد أسرة كبيرة ، ومملكة واحدة ، بل مزقت علاقته الطبيعية الكبرى ... وحلت القومية مكان الحب البشري ... وغدت فضيلة أن يمجد الإنسان وطنه دون اعتبار لأي كائن آخر لم يوجد في حظيرته . وتطبيقا لهذا المبدأ السخيف يُحتقر الأجانب ويُحمل عليهم . وقد سميت هذه الفضيلة « بالوطنية » ... ثم وثب من

الوطنية التمركز وروح الأسرة والأثرة ، أخيراً ... فاسحق الوطنية يعرف الناس بعضهم بعضا بحيث يغيض توقف بعضهم على بعض وتعظم صلة الاتحاد ... » . ثم يشير إلى الوسائل التي يمكن أن تحقق بها هذه المثل في قوله : « إن هذه الوسائل هي مدارس سرية للحكمة هي من أقدم العصور محفوظات الطبيعة والحقوق البشرية ، وعلى يدها سوف ينجو الانسان من عثرته ، وتختفي الملوك والأمم من الأرض بغير ما عنف ، ويصبح الجنس البشري أسرة واحدة ، والعالم مأوى العقلاء ، والأخلاق وحدها هي التي تحدث هذا التغيير بطريق غير محسوسة ، فيصبح كل أب هو المعلم والسيد الحر لأسرته ، ويصبح العقل وحده قانون الناس . وهذا هو سرٌ من أعظم أسرارنا » .

ومع هذا كله كان نظام الجمعية يحتّم على الأعضاء التعهد « بالامتناع عن مهاجمة الدولة أو الدين أو الأخلاق » .

فهو بدل أن يهاجم التعاليم المسيحية صراحة يلجأ إلى استخدام التأويل والفلسفة لينقض تلك التعاليم في حين يبدو في الظاهر أنه يتمسك بها ويدافع عنها .

فيقول مثلا : « إذا كان يسوع يحث على احتقار الغنى فذلك لأنه يريد أن يعلمنا كيف نحسن استخدامه ، ويهيء السبيل لشيوع الأرزاق الذي ابتدعه » . ثم يقول : « إن أحداً لم يحسن إخفاء مغزى تعاليمه السامي ، ولم يظفر أحد بتوجيه الناس إلى طريق الحرية مثل سيدنا العظيم يسوع النصراني . وقد كان يخفي هذا المغزى السري ، لأن يسوع كانت له تعاليم سرية » .

ويشرح فيلو (البارون فون كينجه أحد زعماء الشعلة) في إحدى رسائله لكاتو (سفاك) ضرورة ابتكار طريقة إرضاء المتعصبين وأحرار المفكرين معا فيقول : « يجب علينا إذا أردنا أن نعتمد على هذين الفريقين من البشر وأن نؤلف بينهما ، أن نبتكر تفسيراً للنصرانية ، نجعله سراً للبناء الحر ثم نحوله إلى وسيلة لتحقيق مقاصدنا » .

ويضيف : « نقول إذاً : أراد يسوع أن يغرس ديناً جديدا ، ولكن ذلك لكي يعود الدين الطبيعي والعقل كل إلى مكانته الأولى . وعلى ذلك فقد أراد أن يدمج كل البشر في جمعية عالمية كبرى ، وأن يجعلهم بنشر الخلق الحكيم ، والعرفان ، ومحاربة التحامل والبغض ، أقدر على حكم أنفسهم . وهكذا كانت تعاليمه السرية ترمي إلى توجيه الناس إلى الحرية العامة والمساواة بغير ما ثورة » .

كان فيسهاوبت يقول : « يجب أن نحتاط مع المبتدىء في مسألة كتب الدين والدولة . وقد رأيت أن أخص بها المراتب العليا » .

وكتب الى (كاتو) يقول : « تقضي الظروف أن أبقى مستتراً عن معظم الأعضاء مادمت حيا ، وأراني مضطراً أن أنفذ كل شيء على يد خمسة أشخاص أو ستة » .

وبلغ من تكتم الشعلة أن أحداً من الناس سوى نفر من دعاة المراتب العليا لم يعلم أن فيسهاوبت هو رئيس الجمعية قبل مصادرتها وضبط أوراقها في سنة ١٧٨٦ .

ويشرح فيسهاوبت أسلوبه في العمل فيقول : « يليني اثنان مباشرة أنفث فيهما كل عقلي ، ويلي كلا منهما اثنان آخران ، وهلم جرا ، بهذه الوسيلة أستطيع أن أحرك وأثير ألف رجل بأيسر أمر ، وبهذه الطريقة يجب أن يصدر الانسان أوامره وأن يعالج شؤون السياسة » .

نشرت وثائق الشعلة البافارية في ثلاثة أسفار بأمر مختار بافاريا بين سنتي ١٧٨٧ و١٧٩٤ ، وهي تحتوي على صور الأوراق والمراسلات التي ضبطتها الحكومة البافارية في منزل عضوين من أعضاء الشعلة هما سفاك وباسوس عقب مطاردتهما وحل الجمعية تنفيذا لقانون الحكومة البافارية الذي قضى بحل جميع الجمعيات السرية . وفي هذه الوثائق التي لم ينازع أحد في صحتها يشير فيسهاوبت مراراً وتكراراً إلى غايات التقويض والهدم التي تستهدفها جمعيته في عباراتٍ شاملةٍ غامضة .

وعقب حل الجمعية في بافاريا أقام رؤساؤها علاقات جديدة في فرنسا فكان لهم دور كبير في تغذية الثورة الفرنسية[1] .

ويشير الجنرال وليام غاي كار ، في كتابه « أحجار على رقعة الشطرنج » إلى الدور الكبير الذي لعبه جماعة فيسهاوبت في تنظيم وتوجيه العديد من المحافل الماسونية .

كما يشير إلى أن من أهداف حركة فيسهاوبت :

١ – إلغاء جميع الحكومات الوطنية المنظمة .

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، محمد عبد الله عنان ، ص ١٢٧ وما بعد .

٢ ــ إلغاء الإرث .

٣ ــ إلغاء الملكية الخاصة بصورة مطلقة .

٤ ــ إلغاء الشعور القومي والوطني .

٥ ــ إلغاء المسكن العائلي الفردي ، والحياة العائلية ، وفكرة كون الحياة العائلية الخلية التي تبنى حولها الحضارة .

٦ ــ إلغاء جميع الأديان الموجودة والمؤسسات على سطح الأرض تمهيدا لإحلال الايديولوجية النورانية ، تلك العقيدة الشيطانية الطاغية ، محل الأديان بالقوة .

وعندما تتحقق المؤامرة ، بعد المرحلة النهائية من المراحل المذكورة ، تتكون حكومة العالم ، وسيد العالم المطلق رئيس الكنيس اليهودي ، وتتشكل حكومته من الكنيس اليهودي ومن عدد من أصحاب الملايين والعلماء الذين أثبتوا تفانيهم في سبيل العقيدة الشيطانية . أما بقية الانسانية فتشكل مجموعة بشرية واسعة تخضع لقواعد هذه الحكومة وتنمو حسب قواعد الإخصاب أو التلقيح الصناعي[1] .

وينقل صاحب كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » بهذه المناسبة قول اللورد برتراند راسل في الصفحات ٤٩ ــ ٥١ من كتابه « تأثير السلم على المجتمع » ان الانسان في العالم المستقبل سوف ينتظم بصورة لا يشترك معها سوى نسبة ٣٠ بالمئة من الإناث و٥ بالمئة من الذكور في توليد النسل الإنساني وسوف يتعدد نوع النسل ومقداره بحسب حاجيات الدولة[2] .

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، ص ٢٥ و٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٧)
الزعيم الايطالي « مازيني »
والجنرال الأمريكي ألبرت بايك

يقول الجنرال وليام غاي كار ، في كتابه « أحجار على رقعة الشطرنج »[1] أنه في عام ١٨٣٤ اختار النورانيون (أعضاء جمعية الشعلة البافارية) الزعيم الثوري الايطالي الشهير « مازيني » ليكون منفذ برنامجهم لإثارة الاضطرابات في العالم .. واستمر هذا المنصب في يدي مازيني حتى مات عام ١٨٧٢ .

وقد جيء إليه في عام ١٨٤٠ بالجنرال الأمريكي ألبرت بايك[2] الذي لم يلبث أن وقع تحت تأثير مازيني ونفوذه . وكان الجنرال بايك شديد النقمة آنئذ لأن الرئيس الأمريكي سرح القوات الهندية الملحقة بالجيش ، والتي كانت تحت قيادته ، بسبب ارتكابهم فظائع وحشية تحت قناع الأعمال الحربية ، فتقبل الجنرال بايك فكرة الأممية العالمية تحت سيطرة حكومة واحدة ، حتى أنه أصبح فيا بعد أحد الرؤساء الروحيين للمؤامرة العالمية . وعمل في الفترة بين عامي ١٨٥٩ و١٨٧٠ في وضع مخطط عسكري مفصل لحروب عالمية ثلاثة وثلاث ثورات كبرى ، اعتبر أنها جميعا سوف تؤدي خلال القرن العشرين إلى وصول المؤامرة إلى مرحلتها النهائية .

قام الجنرال بايك بمعظم عمله في قصره المكون من ثلاث عشرة غرفة الذي أنشأه في بلدة لينل روك عاصمة ولاية أركنساس في الولايات المتحدة الأمريكية . وعندما أصبح النورانيون ، ومعهم المحافل الماسونية (التي أنشأها أولئك أو وجهوها) موضعا للشبهات والشكوك بسبب النشاط الثوري الواسع الذي قام به مازيني في كل أرجاء أوروبا ، أخذ الجنرال بايك على عاتقه مهمة تجديد وإعادة تنظيم الماسونية حسب أسس

---

(١) صفحة ١٨ وما بعد .

(٢) أحد مشاهير القادة العسكريين الأمريكيين خلال القرن التاسع عشر .

مذهبية جديدة . فأسس ثلاثة مجالس عليا ، مركز الأول منها في شارلستون في ولاية كارولينا الجنوبية في الولايات المتحدة الأمريكية ، والمركز الثاني في روما ، والمركز الثالث في برلين . وعهد إلى مازيني بتأسيس عشرين مجلسا آخر تابعا لها موزعة على المراكز الرئيسية في كل أرجاء العالم « وأصبحت تلك المجالس منذئذ وحتى الآن مراكز القيادة العامة السرية للمؤامرة العالمية » ...

كان مخطط الجنرال بايك بسيطا وشديد الفعالية في الوقت نفسه ، كما برهنت الأحداث .. ويقتضي تنظيم الحركات العالمية الثلاث :

آ ـ الشيوعية .

ب ـ النازية (المشتقة من نظريات نيتشه) .

ج ـ الصهيونية السياسية .

وكذلك الحركات العالمية الأخرى ، للتمهيد والإعداد لإشعال نيران ثلاثة حروب كونية وثلاث ثورات كبرى .. فالهدف من الحرب العالمية الأولى هو إتاحة المجال للإطاحة بحكم القياصرة في روسيا ، وجعل تلك المنطقة معقل الحركة الشيوعية ، وتم التمهيد لهذه الحرب بواسطة الخلافات بين الامبراطوريتين البريطانية والألمانية ، هذه الخلافات التي ولّدها في الأصل عملاء النورانيين في تلك الدولتين . أما الحرب العالمية الثانية فقد مهدت لها الخلافات بين الفاشيين وبين الحركة الصهيونية السياسية . وكان المخطط المرسوم لهذه الحرب أن تنتهي بتدمير النازية وازدياد سلطان الصهيونية السياسية حتى تتمكن أخيراً من إقامة دولة إسرائيل في فلسطين . **كما كان من الأهداف المرسومة لهذا المخطط أن يستر بناء الشيوعية العالمية ويدعمها حتى تصل إلى مرحلة تعادل القوى مع العالم المسيحي الغربي . ويقتضي المخطط إذ ذاك إيقافها عند هذا الحد حتى يبدأ العمل في تنفيذ المرحلة التالية ، وهي التمهيد للحرب العالمية الثالثة بين الصهيونية السياسية وبين العالم الإسلامي . ويقضي المخطط المرسوم بأن تقاد هذه الحرب وتوجه بصورة يحطم فيها العالم العربي ومن ورائه الإسلام ذاته** ، وبأن تجد أمم العالم الأخرى نفسها مجبرة على الانقسام إلى معسكرين حول هذا الخلاف وأن يلتحم هذان المعسكران ببعضهما بدورهما ، حتى يصل العالم بأسره إلى درجة الإعياء المطلق : الجسماني والعقلي والروحي والاقتصادي .

ومنذ عام ١٨٧١ ، وعلى التحديد في ١٥ آب ١٨٧١ ، أخبر الجنرال بايك مازيني ، أن هؤلاء الذين يعملون للوصول إلى السيطرة المطلقة على العالم سوف يسببون بعد نهاية الحرب العالمية الثالثة أعظم فاجعة على الإطلاق عرفتها الإنسانية في تاريخها . ويورد مؤلف كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » مقتطفات من رسالة الجنرال بايك المحفوظة في المتحف البريطاني في لندن ، على النحو الآتي :

« سوف نربط الحركات الفوضوية بالحركات الإلحادية وسوف نعمل لإحداث كارثة إنسانية عامة سوف تبين بشاعتها اللامتناهية لكل الأمم نتائج الإلحاد المطلق[1] . وسيرون فيه منبع الوحشية ومصدر الهزة الدموية الكبرى . وعندئذ سيجد مواطنو جميع الأمم أنفسهم حيال تلك الأقلية من دعاة الثورة العالمية فيهبّون للقضاء على أفرادها محطمي الحضارات ... وستجد الجماهير المسيحية ، آنئذ ، فكرتها اللاهوتية قد أصبحت تائهة غير ذات معنى ، وستكون هذه الجماهير بحاجة متعطشة إلى أية عقيدة وإلى من تتوجه إليه بالعبادة ، فتلاقي عندئذ النور الحقيقي ... من عقيدتنا نحن التي ستصبح ظاهرة عالمية وستقدم آنئذ وأخيرا إلى الجماهير بصورة علنية .. وسيكون تولد هذه الظاهرة نتيجة لرد الفعل العام لدى الجماهير تتبع مباشرة تدمير المسيحية والإلحاد معا وفي وقت واحد ... » .

وقد وقعت رسالة أخرى من الجنرال بايك ، غير الرسالة التي أرسلها إلى مازيني ، في أيدٍ غريبة . وكانت هذه الرسالة موجهة إلى المجالس الماسونية التي كان قد نظمها . وجاء ضمن هذه الرسالة التي كتبها يوم ١٤ تموز ١٨٨٩ .. يجب أن نقول للجماهير أننا نؤمن بالله ونعبده ، ولكن الإله الذي نؤمن به لاتفصلنا عنه الأوهام والمخاوف النفسية .. ويجب علينا نحن الذين وصلنا إلى مراتب الإطلاع العليا ... أن نحتفظ ببقاء عقيدتنا الدينية التي يعتبر فيها الشيطان إلها .. أجل ، إنه إله ، ولكن الله أيضا إله آخر ، لأنه لايمكن بصورة مطلقة إلاّ وجود إلهين متقابلين ، وإلهين فقط .. لذلك فإننا نعتبر فيها الشيطان وحده كفرا محضا ، أما الحقيقة الفلسفية النقية ، فهي أن الله والشيطان إلهان متساويان ... ولكن الشيطان هو إله النور والخير ، وهو الذي مازال منذ الأزل يكافح لأجل الانسانية ضد الله إله الظلام والشر .

(١) يقصد المؤلف بالإلحاد المطلق الشيوعية بصورة خاصة .

(٨)
عمانوئيل كانت

عمانوئيل كانت ، فيلسوف ألماني ، ولد عام ١٧٢٤ وتوفي عام ١٨٠٤م أصدر كتابه « نحو السلام الدائم » في عام ١٧٩٥م ، وهو في كتابه هذا يبدو كداعية لوحدة الأديان و الحكومة العالمية ، تحت ستار الدعوة إلى السلام العالمي .

ويعقب برتراند راسل على كتاب كانت هذا بقوله : « ومن الأفكار الرئيسية التي اقترحها في هذا الكتيب قيام حكومة نيابية واتحاد عالمي بين الدول . وهما فكرتان ما أحزانا بأن نذكرهما في عصرنا هذا »[1] .

لقد رأى كانت قوة تمسّك الدول بسيـادتها واستقلالها ، لهذا ميَّز بين ما يمكن تحقيقه ، وماهو مثل أعلى . ووجد أن مايمكن تحقيقه هو **الاتحاد بين دول مستقلة ذات سيادة** وتظل كذلك داخل هذا الاتحاد . أما الدولة الاتحادية الشاملة فهي مثل أعلى ، لا يمكن ــ الآن على الأقل ــ تحقيقه[2] .

يضع كانت برنامجا من مرحلتين لإقامة السلام الدائم : مرحلة تمهيدية ، ومرحلة نهائية .

ففي المرحلة التمهيدية يقترح عدة بنود يلخصها كما يأتي :

« ١ ــ ينبغي ألا تعتبر أية معاهدة صلح على أنها كذلك اذا ماكان أطرافها قد احتفظوا ، ضمنا ، اللجوء الى حرب جديدة .

« ٢ ــ لايجوز لأية دولة مستقـلة أن تستحوذ على دولة أخرى لا بالميراث ولا بالمبادلة ولا بالشراء ولا بالهبة .

---

(١) « حكمة الغرب » ، جزء ٢ ، ص ١٦٩ .

(٢) « أمانويل كانت ــ فلسفة القانون والسياسة » ، عبد الرحمن بدوي ، ص ٢٣٣ .

« ٣ ـ يجب أن تزول الجيوش النظامية كلياً مع الوقت . (وهذا أحد أهم الشروط اللازمة لإقامة الحكومة العالمية كما سيلاحظ) .

وهنا يضيف كانت :

« قد تعتبر الدول الأخرى ، أيضاً ، أن تكديس الثروات من قبل دولة ما هو بمثابة تهديد بالحرب ، الأمر الذي يضطر الدول المهددة إلى القيام باعتداءات وقائية ، (لأننا إذا ما نظرنا إلى القوى الثلاث الآتية : قوة الجيوش ، وقوة الأحلاف ، وقوة المال ، تبين أن هذه الأخيرة ربما كانت هي التي تشكل أفتك أداة من أدوات الحرب لولا الصعوبة التي تكتنف أهميتها) » .

« ٤ ـ لايحق للدولة اعتماد الاقتراض لتمويل نزاعاتها الخارجية .

« ٥ ـ لايحق لأي دولة من الدول أن تتدخل بالقوة في دستور دولة أخرى ونظام حكمها .

« ٦ ـ لايحق لأي دولة في حال حرب مع دولة أخرى أن تسمح لنفسها بأعمال عدائية من النوع الذي يجعل الثقة مستحيلة بينهما ، بعد استتباب السلام .

وفي المرحلة النهائية من برنامجه لإقامة السلام بين الدول يقترح ثلاثة بنود :

« ١ ـ **يجب أن يكون الدستور المدني لكل دولة دستوراً جمهوريا .**

وهنا يميز كانت مابين الحكم الجمهوري والحكم الديمقراطي فيقول :

« ومن هذه الجهة يكون شكل الحكم إما جمهورياً وإما استبداديا . الجمهورية هي النظام السياسي الذي يقر الفصل بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية . أما النظام الاستبدادي فيقوم على التنفيذ الكيفي ، الاعتباطي ، من قبل رئيس الدولة للقوانين التي استنّها هو نفسه ، وبالتالي يحسب في ظل هذا النظام ، أن الإرادة العامة مطبقة من خلال إرادة الحاكم الخاصة .. بين هذه الأشكال الثلاثة للدولة يمثل الشكل الديمقراطي ،بالمعنى الحقيقي للكلمة ، النظام الاستبدادي حتما ، لأن الديمقراطية تقيم سلطة تنفيذية حيث يقرر الجميع على واحد ، بل ضد واحد (الواحد الذي لايوافق) لهذا السبب لاتكون إرادة الجميع حقا ، الأمر الذي يجعل الارادة العامة متناقضة مع نفسها ومع الحرية .

« لايعتبر أي شكل من أشكال الحكم على أنه كذلك إذا كان غير تمثيلي ، إذ لايجوز أن يجتمع للشخص الواحد حق التشريع وحق التنفيذ كيلا يصبح منفذاً لإرادته الشخصية ...

« بالمقابل ، الديمقراطية تجعل هذا النظام مستحيلا (النظام التمثيلي) لأن كل واحد في ظلها يريد أن يكون السيد . بناء على ما تقدم نستطيع التأكيد أنه كلما كان عدد أهل السلطة في الدولة (أي عدد الحاكمين) قليلا ، كلما اتسعت صفتهم التمثيلية ، وكلما ازداد توافق دستور الدولة مع امكانية قيام النظام الجمهوري مما يتيح لهذا الدستور الأمل بالارتقاء نحو النظام الجمهوري عبر اصلاحات متتالية توصله في النهاية إلى مصافه » .

« ٢ ـ يجب أن يتأسس حق الشعوب على اتحاد دول حرة .

ويقول كانت في إطار هذا الاقتراح الأخير :

« إن العقل ، هذا المصدر الأعلى لكل تشريع قانوني ، يعلن من فوق منبره الرفيع عدم التسليم بكون الحرب تشكل السبيل إلى استخلاص الحق ، ويدين هذه الوسيلة إدانة مطلقة ، ويفرض بالمقابل ، الحالة السلمية كواجب فوري . لكن لايمكن إقامة هذا الوضع وضمان استمراره من دون اتفاق متبادل بين الشعوب ، لهذا السبب لابد من عقد تحالف من نوع خاص يمكن تسميته بـ « **تحالف السلام** » وهو غير معاهدة الصلح ، ويختلف عنها بكونه يهدف إلى إنهاء جميع الحروب إلى الأبد ، بينما تقتصر معاهدة الصلح على انهاء حرب واحدة .

« إن الدولة الساعية إلى « تحالف السلام » لاترمي إلى اكتساب مزيد من القدرة لها من ورائه ، بل فقط الى حفظ وضمان حريتها ، وكذلك حفظ وضمان حرية الدول الأخرى المتحالفة معها ، من دون أن تلتزم هذه الأخيرة بالانصياع (كما يحصل للأفراد في الحال الطبيعية) لقوانين الدول المعنية وموجبات هذه القوانين . إن إمكانية تحقيق فكرة الاتحاد هذه ، التي ينبغي لها أن تتسع تدريجيا لتشمل جميع الدول ، أمر قابل للتصور إذ لو حصل ، من حسن الحظ ، أن انتظم أحد الشعوب القوية والمستنيرة في جمهورية (ومن طبع الجمهورية أن تنزع ، تلقائيا ، إلى السلام الدائم) لنشأ بفضل ذلك قطب للتحالف الاتحادي تتمكن الدول الأخرى من الانضمام إليه توخياً لتأمين

حريتها انسجاما مع فكرة حق الشعوب ، ولأمكن توسيع هذا الواقع التحالفي رويداً رويدا ، فيشمل مشتركين من النوع نفسه ...

« بنظر العقل لايتوفر للدول التي تقيم علاقات متبادلة فيما بينها أي وسيلة للخروج من حال اللاشرعيةالتي تؤلف مصدر اندلاع الحروب إلا التخلي ، كما يفعل الأفراد ، عن الحرية المتوحشة (الفوضوية) بغية الامتثال للموجبات العامة التي تفرضها القوانين ، ومن ثم تشكيل « **دولة الأمم** » التي تتنامى باستمرار بطريقة حرة ، وتتسع لتشمل ، في نهاية المطاف ، جميع شعوب الأرض . لكن بما أن الدول لا ترغب قطعا بهذه الوسيلة ، بسبب المفهوم الذي تكونه هذه الدول لنفسها عن حق الشعوب ، وبما أنها ترفض ، مسبقا ، ماهو صحيح في الواقع . ونظرا لعدم تكوُّن مفهوم ايجابي لمسألة « الجمهورية العالمية » لايتبقى ثمة (إذا لم نرد خسارة كل شيء) سوى البديل السلبي المتمثل في قيام اتحاد دائم مستمر التوسع ، يستطيع وقايتنا من الحرب وترويض تلك الاستعدادات العدائية والمناقضة للحق ، مع العلم أن خطر تفجر هذه الميول العنيفة يظل ماثلا .

« ٣ ـ يجب أن يقتصر الحق العالمي على ابتكار شروط حسن الوفادة العالمية .

وهو يقصد بهذا الشرط الثالث حق كل انسان في زيارة أي بلد ، فلايعامل فيه على أنه عدو . وليس حق الضيافة أو الاقامة الذي يتطلب اتفاقية خاصة .

ذلك عن الحكومة العالمية .

أما عن وحدة الأديان ، فيعقب كانت على عبارة « تنوع الأديان » بقوله : « يالها من عبارة مستغربة ، لكأننا نقول بمناقبيات متنوعة . من الممكن جدا أن يكون ثمة تنوع في أنواع الاعتقاد ، لا في الدين ، انما يكون ذلك بالنسبة إلى الوسائل التي اعتمدت في نشر الدين ، وهي أمور تتعلق بالأبحاث التاريخية المعمقة . ويمكن أيضا أن نتكلم عن التنوع في الكتب الدينية (مثل الزاندافستا والفيدا والقرآن ... الخ) لكن في الحقيقة لا يوجد سوى دين واحد صالح لجميع البشر ولجميع الأزمنة . خلاصة القول أن مايسمى بالأديان المختلفة ليس سوى طرق مختلفة ونسبية ومتنوعة بتنوع الأمكنة والأزمنة للتعبير عن الدين ونشره بين البشر » (ص ٦٨) .

(٩)
أوغست كونت
(١٧٩٨ - ١٨٥٧ م)

أوغست كونت فيلسوف فرنسي ، مؤسس الفلسفة الوضعية ، حاول تأسيس دين جديد عماده الانسانية وليس الله ، وأقام لهذا الدين طقوسا وعبادات ومعابد وهيئات كهنوت يرئسها حبر أعظم هو « **بابا الإنسانية** » ، ونصّب نفسه « **كاهن الإنسانية الأعظم** » ثم أتبع ذلك بنظام اجتماعي وسياسي ينتهيان إلى دولة عالمية واحدة وحيدة .

كان كونت يرى أنه : « إذا أردنا تحقيق مجتمع يسوده النظام من أجل التقدم ، فيجب أن نُنمّي لديه ، وإلى أقصى حد ، ديانةً ملائمة . ولنفهم من ذلك حالة خاصة من الحب ، مقرونة بحالة خاصة من الإيمان ، بحيث يستطيع الكل أن يولّد لدى الفرد روحاً من الخضوع لقوانين الكون التي لايمكن التغلب عليها ، وأن يقدم له في نفس الوقت هدفا لنشاطه وموضوعا لمحبته .

« هذه الديانة أين نجدها اذن ؟ ليس في الماضي : فالفتشية والشرك الوثني والتوحيد مذاهب قد ماتت ؛ وليس في الماورائيات : فالعلل والجوائز والمصائر ، كل هذه المسائل المطلقة تستعصي على إدراكنا . إن البشر بحاجة إلى ديانة عقلانية وجديدة . وقد اعتقد أ. كونت أنه اكتشف عناصرها في تعاليم علم الاجتماع ، وسماها « **ديانة الإنسانية** » .

« أدرك كونت استحالة الانتقال المباشر من الوضع الاجتماعي الحالي إلى الحالة المثلى التي تصورها ، لذلك رسم إجراءات انتقالية مؤقتة تستغرق قرنا . ولابد هنا من عمليتين : ١ — السير بالغرب نحو الحالة الفلسفية والدينية والسياسية الوضعانية ؛ ٢ — بعدئذ ، هداية الشعوب المتخلفة : الموحدين المسلمين ، المشركين الصفر ، الفتشيين السود .

« وباكتمال نشر دين أوغست كونت في أرجاء العالم كلها ، ستحيا الإنسانية بلا إله ولا ملك ، منطلقة في نظام سرمدي .

« وكإجراء لازم لكل دين أقام كونت تقويماً جديداً تسمى الأشهر فيه بأسماء عظماء الرجال الممثلين للتواريخ الكبرى في الإنسانية : موسى (الحكم اللاهوتي الأولي) ، هوميروس (الشعر القديم) ، أرسطو (الفلسفة القديمة) ، أرخميدس (العلم القديم) ، قيصر (الحضارة الحربية) ، القديس بولس (الكاثوليكية) ، شارلمان (الحضارة الاقطاعية) ، دانتي (الملحمة الحديثة) ، غوتنبرغ (الصناعة الحديثة) ، شكسبير (الدراما الحديثة) ، ديكارت (الفلسفة الحديثة) . فريدريك (السياسة الحديثة) ، بيشا (العلم الحديث) . وفي أيام الآحاد من كل شهر ، إحياء ذكرى أسماء ليست أقل أهمية . آحاد شهر ديكارت مثلا ستخصص للقديس توما الاكويني ، باكون ، لايبنتز ، د. هيوم . وستخصص أيام الأسبوع لشخصيات أقل أهمية : مثلا ، أول أسبوع في شهر بيشا ، سيحتوي على أعياد كوبرنيك ، كيبلر ، هويغنز ، جاك برنولي ، برادلي ، فولتا ، غاليله . ويحتفل في كل سنة بعيد الأموات العام ، وكل سنة كبيسة بعيد النساء القديسات [1] .

لقد أقام أعياداً لقدّيسي الكنيسة المسيحية لكنه أغفل المسيح ذاته .

أما الإسلام ، وأما رسوله محمد ﷺ ، فيبدو أنه لم يكن يعلم عنهما شيئا ، أو ربما أعمته قضيته عن رؤيتهما .

ويلاحظ أن ظهور ديانة أوغست كونت في فرنسا ، عقب فشل الدين الذي استحدثه فلاسفة الثورة الفرنسية ، يتوافق مع ظهور البابية والبهائية في ايران ، والقاديانية في الباكستان ، والأصولية الانجيلية في بريطانيا ، وشهود يهوه في الولايات المتحدة الأمريكية .

---

(١) « تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث » ، أندريه كريسون ، ص ٣٧١ وما بعد .

(١٠)
لودفيغ فيورباخ
(١٨٠٤ – ١٨٧٢ م)

فيلسوف مادي ألماني ملحد ، تقوم فلسفته على توحيد الانسان ، فهو إلهه وهو غايته ، وهو من منطلق إلحاده يريد أن يبني وحدة الانسانية ووحدة الأديان . وهذا هو باطن البهائية . فهو يقول :

« إن المبدأ الأسمى والأخير للفلسفة هو اذن وحدة الانسان مع الانسان . كل العلاقات الأساسية (مبادىء العلوم المختلفة) ليست سوى أنواع وأنماط مختلفة لهذه الوحدة »[1] .

« ...الفيلسوف الانساني يقول بالعكس : حتى في الفكر ، حتى من حيث أنا فيلسوف ، أنا إنسان متحد بالبشر »[2] .

« الاعتزال (الوحدانية) محدودية وحدّ . الاشتراك (الجماعة) حرية ولا محدودية . الانسان لذاته هو انسان (بالمعنى العادي) . الإنسان مع الإنسان ، وحدة الأنا والأنت ، هذا هو الله »[3] .

« الإنسان هو جوهر الدولة الأساسي . الدولة هي جملة (كل) الجوهر الإنساني المحققة والمنضجة والمصرحة . في الدولة ، صفات الإنسان وفاعلياته الجوهرية تتحقق في « حالات – دول » خاصة ، كي تكون من جديد معادة إلى الهوية في شخص رئيس الدولة . رئيس الدولة يجب أن يمثل بلا تمييز كل « الحالات – الدول » . كلها أم

(١) « مبادىء فلسفة المستقبل » ، لودفيغ فيورباخ ، ص ٣٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٤

ضرورية بالتساوي ومبررة بالتساوي . رئيس الدولة هو ممثل الانسان الكلّي »[1] .

« إن موضوع اللاهوت ليس شيئا آخر سوى موضعة جوهر الذات الإنسانية »[2] .

« هكذا فالله ليس إلا مشتقا من الانسان ، لا بالعكس »[3] .

(١) المرجع السابق ، ص٢٠٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٩

(١١)
راما كريشنــا
(١٨٣٦ - ١٨٨٦ م)

يقول مصطفى الزين في تقديمه لكتاب « الحقائق الروحية الكبرى ـ مختارات من راما كريشنا » :

« يعتبر راما كريشنا من أضخم العقول التي أنجبتها الهند على مدى تاريخها الحضاري وحتى عصرنا الحاضر . كما أن الكثيرين من الفلاسفة الغربيين والمشارقة ينظرون إليه نظرتهم إلى أئمة التصوف الإسلامي أو القديسين المسيحيين ، كجلال الدين الرومي والقديس بولس وسواهم ... ولكنه بالنسبة إلى المؤمنين به وبتعاليمه ، فهو فوق مرتبة القديسين والمتصوفين لأنه بلغ ، في نظرهم ، مرحلة الاتحاد بالله ، وأصبح تجسيداً له على الأرض ...

« فكريشنا هو أحد آلهة الهندوك . ولفظة « راما » تعنيَ باللغة السنسكريتية الاتحاد أو الحلول . فيكون المعنى اللفظي لراما كريشنا : « المتحد بالله » ، أو الإنسان الذي حلت فيه روح الله .

« ولد راما كريشنا في شهر أيار عام ١٨٣٦م ... وتوفي في الخامس عشر من شهر آب ١٨٨٦ (ص ٤ - ٧) .

وفي مقالة سوامي « هيسوا رانندا » عن راما كريشنا والتجربة الروحية ، في مطلع الكتاب ذاته ، يقول ان راما كريشنا تمكن من إدراك الحقيقة الكونية الشاملة ، لا بواسطة الممارسات الروحية ، بل عن طريق الاشراق الروحي ، إلا أن راما كريشنا ، قبل أن تحدث له حالة الاشراق هذه ، قد مرّ بمراحل عديدة من الضيق النفساني الذي لا يحتمل إلى حد أن عروقه كانت تتفصد وينضح جسده كله بالدم . كما أنه في احدى نوبات الضيق هذه قد صمم على الانتحار، فتناول خنجرا محاولا قطع شرايين عنقه .

وعندما وصل به الضيق إلى هذا الحد ، وفيما هو يهمّ باقتراف فعلته هذه ، حدثت له الحالة الاشراقية ، وظهرت أمام عينيه « الآلهة الأم » ، فاذا به يذوب في أحضانها ويتحد بها ويصبح تجسيدا لها على الأرض ... ويضيف سوامي قوله : « وقد بدأت أولى حالات الضيق النفسي في حياة راما كريشنا عندما اعتنق المسيحية ، وراح يحاول فهم شخصية المسيح . ولما عجز عن ذلك اعتنق الاسلام محاولا فهم ماتنطوي عليه تعاليمه . إلا أنه ترك الاسلام أيضا وعاد إلى جذوره الروحانية الهندية وإلى أسطورة « الآلهة الأم » حتى إذا ماتجلت له هذه في رحلته الروحية الطويلة وأبصر الحقيقة الكونية الشاملة انزاحت عن عقله جميع الحجب ، وسقطت أمام عينيه جميع الستائر ، وأدرك أن جميع الأديان تقود الانسان في النهاية إلى الله ، شرط أن يكون هذا الانسان مخلصا وعميقا في إيمانه » .

وفي الفصل السادس عشر من الكتاب ، وتحت عنوان : « وحدة الأديان » ينقل مصطفى الزين بعض أقوال راما كريشنا حول ذلك :

« إن الله واحد في جميع الديانات والمذاهب ، ولكن أسماءه فقط تختلف . فالماء الذي هو نفسه في أي مكان من العالم تطلق عليه أسماء مختلفة باختلاف الشعوب . ففي اللغة البنغالية يسمونه « جال JAL » ، وفي اللغة الهندية اسمه « باني PANI » أما البريطانيون فيسمونه « ووتر WATER » الخ ... إن عدم تمكن البشر من فهم لغات بعضهم البعض يجعل عملية التفاهم بينهم أمرا في غاية التعقيد والصعوبة . فإذا ماتجادل أحدهم مع الآخر ليبرهن له أن الماء هو « جال » أو « باني » أو « ووتر » فإن هذا الجدال يكون أمراً في منتهى العقم والسخرية . كذلك ، فان نفس الشيء يمكن أن يقال عن الناس الذين يتجادلون ويتخاصمون باسم الدين » (ص ٦٩) .

« لو سألتني أي دين يجب أن تعتنق لقلت لك : اعتنق الدين الذي يعجبك . لأن جميع الأديان هي نفسها في النهاية . والجاهل وحده يتعصب لدين معين منها . إن جميع الأديان أشكال مختلفة لجوهر واحد . (ص ٦٩) .

« على الانسان أن يكون مسيحيا بتقواه ومسلما بتعبده وهندوكيا بمحبته الكونية لجميع المخلوقات (ص ٧٥) .

(١٢)
هنـري برغسـون
(١٨٥٩ - ١٩٤١ م)

فيلسوف فرنسي ، عين في عام ١٩٠٠ أستاذا بالكوليج دي فرانس ، وانتخب عام ١٩١٤ عضواً بالأكاديمية الفرنسية ، تقوم فلسفته على الحدس فكانت أنموذجا من الفلسفة اللاعقلانية . وقد لوحظ أن مقولة عبد البهاء عباس في موازين المعرفة كانت تتطـابق مع قول برغســون في الحدس . وهي نظرية تعود إلى الأفلاطونيـة الحديثـة والغنوصية ، وربما كانت ترتكز إلى تقاليد الدين اليهودي ومفهوم النبوة عند اليهود .

ويبدو أن برغسون كان على شيء من الاستحياء في حديثه عن وحدة الأديان والحكومة العالمية ، فهو أراد من قارئه أن يفهم الغاية أو يصل إلى هذه النتيجة من تلقاء ذاته ، أو هو ربما يكون بسلوكه الطريق الصوفي لبناء الوحدة الانسانية ووحدة الأديان قد لجأ إلى استعمال اللغة الصوفية الغائمة التي تخشى الافصاح والوضوح خشيتها من مصير كمصير الحلاج . فهو يقول :

« فالمجتمع المغلق هو المجتمع الذي يتماسك أفراده فيما بينهم ، غير حافلين بسائر الناس ، مستعدين دوما لهجوم أو دفاع ، مقتصرين أخيراً على موقف القتال ، وذلك هو المجتمع الانســاني الأول . ولهذا المجتمع خلق الانســان ، كما خلقت النملة لقرية النمل ... لكن لئن كانت الطبيعة قد زودتنا بالعقل ، فجعلتنا بذلك أحراراً في اختيار الطراز الاجتماعي الذي نشــاء ، فقد فرضت علينا أن نعيش جماعة . وثمة قوة اتجاه دائمة ، هي من النفس بمثابة الثقالة من الجسـم ، تضمن التحام الجماعة ، بتوجيهها إرادات الأفراد في اتجاه واحد ، وذلك هو الإلزام الأخـلاقي . وقد بينـا أنه يتسع في المجتمع الذي ينفتح ، إلا أنه قد وجد في الأصــل لمجتمع مغلـق . وبينـا أن المجتمع لايستطيع أن يعيش ، وأن يتفادى بعض ما للعقل من فعل هدام ، وأن يصون كل فرد

من أفراده ، ويبث فيه الثقة اللازمة ، إلا بدين هو وليد الوظيفة الخرافية . إن هذا الدين الذي أسميناه سكونياً ، وهذا الإلزام الذي يقوم على الضغط هما قِوام المجتمع المغلق .

« والانتقال من المجتمع المغلق إلى المجتمع المفتوح ، أعني من المدينة إلى الإنسانية ، لايكون بالتوسع أبدا . لأنهما ليسا من طبيعة واحدة . إن المجتمع المفتوح هو الذي يشمل ، مبدئيا ، الانسانية بكاملها ، تحلم به من حين الى حين نفوس صفوة ، وفي كل مرةٍ يتحقق شيء منه في مبدعات تسمح الواحدة منها ، لما تحدثه في الإنسان من تغييرٍ ضعيفٍ أو عميق ، بالتغلب على صعوبات كانت إلى ذلك الحين لاتغلب . ولكن ، في كل مرةٍ أيضا ، تنغلق الدائرة بعد أن انفتحت الى حين ، وينسكب قسم من الجديد في قالب القديم ، ويغدو التطلع الفردي ضغطاً اجتماعياً ، ويغشى الإلزام كل شيء . وبعد فهل تتم هذه التقدمات في اتجاه واحد ؟ الواقع أننا متى أسميناها تقدمات ، نكون قد سلّمنا بأن اتجاهها واحد ، وكل تقدم منها يكون عندئذ خطوة إلى الأمام[1] .

« لقد كانت الغاية من كتابنا هذا هي البحث عن أصول الأخلاق والدين ، ولقد وصلنا إلى بعض النتائج . ولنا أن نقف عندها إن شئنا . ولكن ، لما كانت نتائجنا هذه تنطوي في أعماقها على تمييزٍ أساسي بين المجتمع المغلق والمجتمع المفتوح ، وكانت ميول المجتمع المغلق تبدو لنا مقيمة راسخة الجذور في المجتمع الذي ينفتح ، وكانت غرائز الخضوع التي نراها اليوم ، متجهة كلها في القديم نحو غريزة القتال ، كان علينا أن نتساءل إلى أي حد يمكن لهذه الغريزة الأصلية أن تعطل أو تحول ، وأن نجيب ببعض النظرات الاضافية عن هذا السؤال الذي يطرح علينا بطبيعة الأمر ... نعم إن كل هذه الأمور قد تكون سبباً في ايقاد نار الحرب . ولكن المخطط الذي أتينا على رسمه يشير إلى الأسباب الجوهرية : كزيادة السكان ، وفقدان الأسواق ، والحرمان من المحروقات والمواد الأولية . وإزالة هذه الأسباب أو تخفيض وطأتها ، هي المهمة الأولى للمنظمة الدولية التي ترمي إلى القضاء على الحروب . وأخطر هذه الأسباب ازدياد السكان ... ولئن كنا نرسم الخطوط الأولى للحل ، فما ذلك إلا لنشير إلى أن حل المشكلة ليس متعذراً في نظرنا ، وعسى أن يجد لها من هم أكثر خبرة منا حلاً أصلح ...

---

(١) « منبعا الأخلاق والدين » ، هنري برغسون ، ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

« هذا ، وما عسانا فاعلين تجاه مشاكل أخرى لاتقل عن هذه خطراً ، كاقتسام المواد الأولية ، وحرية نقل المنتجات ، أي حين نواجه مطالب متعارضة يعدها كل من الجانبين أموراً حيوية ؟ . إنه لخطأ فادح أن يظن أن في وسع منظمة دولية أن تحقق السلم النهائي ما لم تتدخل بالقوة في تشريع الأمم المختلفة ، بل وفي شؤونها الادارية ولها إن شاءت أن تحترم سيادة الدول ، ولكن هذا المبدأ لابد أن ينحرف لدى تطبيقه على الحالات الجزئية . على أننا نعود فنقول : إن هذه الصعوبات كلها يمكن تذليلها إذا وطّد قسمٌ كافٍ من البشرية عزمه على تذليلها . غير أن علينا أن نضع نصب أعيننا دوما ، حين نطالب بالقضاء على الحروب ، مايترتب على هذا من أمور .

« والآن ، أفلا يمكن أن نختصر الطريق ، أو أن ندمث الصعوبات جملةً واحدةً ، بدلاً من الاحتيال عليها واحدةً واحدة . لندع جانبا المشكلة الرئيسية ، مشكلة السكان التي ينبغي أن نحلها لذاتها مهما كلف الأمر . أما المشاكل الأخرى فمردها خاصة إلى الاتجاه الذي سارت فيه حياتنا منذ أخذت الصناعة تنمو نموها العظيم . إننا ننشُد الدعة والهناء والرفاه . إننا ننشد التسلية واللهو . فما عسانا فاعلين إذا أصبحت حياتنا أشد قسوة وشظفا ؟ . نعم ، مما لاشك فيه أن الصوفية أصل لكل الانقلابات الروحية ، وأن الانسانية اليوم أبعد ماتكون عنها . ولكن من يدري ؟ ، لقد لحنا في الفصل السابق علاقةً بين صوفية الغرب وحضارته الصناعية . ولعل من الواجب علينا أن ننفذ في الأمر أكثر من ذلك . وكلنا يشعر أن المستقبل القريب سيكون في جُلّه رهين التنظيم الصناعي ، والشروط التي تفرضها هذه الصناعة أو تقبلها . وقد رأينا أن على هذه المشكلة تتوقف مشكلة السلم العالمي ، وأن عليها كذلك يتوقف السلام الداخلي . فهل نتخوف أم نستبشر ؟ . لقد كان من المسلم به خلال مدة طويلة أن الصناعة والآلة تحققان السعادة للنوع البشري . أما اليوم فلايعز على الناس أن يلقوا عليهما تبعة ما يكابدون من آلام . ويقولون ان الانسانية ماكانت يوما أكثر منها اليوم ظمأً إلى اللذة والترف والثراء ، حتى لكأن قوة لاتقاوم تدفع بها أبداً إلى أن تروي أشَدَّ رغباتها غلظة . ونحن لانستبعد هذا ...

« لقد كنا نتحدث عن نشدان الدعة والرفاه الذي أصبح الشغل الشاغل للانسانية ... ولقد رأينا التسابق على الدعة يتسارع شيئاً بعد شيءٍ في حلبة تندفع اليها

جماهير ماتنفك كثافتها تتزايد . حتى لقد أصبح هذا التسابق اليوم تهافتا . ولكن ، أفلا ينبغي لهذه الحُمَيّا أن تفتح أعيننا ؟ . ترى ألم يكن ثمة حُمَيّا أخرى ماهذه إلا خلف لها ، قد أتمت في اتجاه معاكس ، نشاطاً هي متممة له ؟ ...

« فالحقيقة أنه لابد اليوم من مدخرات جديدة من الطاقة الكامنة التي يجب أن تكون الآن روحية . وينبغي أن لانكتفي بالقول ، كما قلنا من قبل ، أن الصوفية تنادي الآلية ، بل يجب أن نضيف إلى قولنا هذا أن الجسم الذي تضخم ينتظر الآن تتمة روحية ، وأن الآلية بحاجة إلى صوفية . ولعل أصول هذه الآلية صوفية أكثر مما يظن ، وهي لن ترتد إلى اتجاهها الحق ، ولن تكون خدماتها متناسبة مع قوتها ، إلا إذا استطاعت الانسانية التي انحنت بتأثيرها نحو الأرض ، أن تتوصل ، بتأثيرها أيضاً ، إلى الانتصاب ثانية والرنو إلى السماء ...

« وإذا انبثقت عبقرية صوفية جرت وراءها هذه الانسانية التي كبر جسمها كبراً عظيما ، وتغيرت بهذا الجسم صورة روحها ، تريد أن تجعل من الانسانية نوعاً جديدا ، أو قل تريد أن تخلصها من ضرورة أن تكون نوعا ... إن نسمة الحياة الكبرى التي هبت على هذه السيارة ، قد دفعت بالتنظيم إلى أبعد حدٍ تسمح به هذه الطبيعة ، الطيعة المتمردة معا[1] .

« وغدا يكون الطريق حراً في نفس هذا الاتجاه الذي فيه النسمة ، فأدت بالحياة إلى حيث وقفت . وينادي يومئذ البطل ، فلانتبعه جميعا ، ولكن نشعر أن من الواجب علينا أن نفعل . ونعرف عندئذ الطريق ، ونوسعه إذا مررنا فيه . وعندئذ يستبين للفلسفة سرُّ الالزام الأسمى . إنها رحلة بدئت ، ثم كان لابد أن توقف ؛ فإذا استؤنف سيرها ، فما ذلك إلا إرادة شيءٍ أريدَ من قبل ...

« على أنه ماينبغي أن نعتمد كثيراً على ظهور شخصيةٍ كبيرةٍ ممتازة . فهبها لم تظهر ، فإنّ ثمّة مؤثرات أخرى سوف تُحول انتباهنا عن النزهات التي تلهينا ، والسراب الذي نقتتل حوله[2] .

---

(١) « منبعا الأخلاق والدين » ، هنري برغسون ، ص ٣١٠ ــ ٣٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٦ .

« وإذن ، فالمسألة هنا ليست مسألة أخوةٍ نبني فكرتها بناءً ، ونجعل منها مثلاً أعلى ، ولاهي تقوية تعاطفٍ فطري يعطف الانسان على الانسان . وأنا أشك في أن تكون هذه الغريزة قد وجدت فعلا في غير أذهان الفلاسفة التي انبعثت فيها لدواعي التناظر . لقد ظنوا ، حين رأوا العائلة والوطن والانسانية كأنها دائرة آخذة بالاتساع ، أن الانسان يحب الانسان بفطرته ، لحبه وطنه وعائلته . والحقيقة أن الأسرة والمجتمع هما وحدهما الجماعتان اللتان أرادتهما الطبيعة ، وهما وحدهما تقابلهما غرائز . ولربما كانت الغرائز الاجتماعية تحمل الجماعات على أن يحارب بعضها بعضا ، لا أن تتحد فيما بينها لتؤلف الانسانية . وهب العاطفة العائلية أو الاجتماعية قد اتسعت عرضا واستعملت خارج حدودها الطبيعية ، فإنها لاتذهب بعيدا ، خلافاً لحُبِّ الانسانية حباً صوفيا . ليس هذا الحب امتداد غريزة ، ولاهو مشتق من فكرة . ليس هو من الحس ولاهو من العقل ، بل هو هما معا على نحو ضمني ، وهو أكثر منهما معا بالفعل . ذلك أن هذا الحب هو أصل العاطفة ، وأصل العقل ، وأصل سائر الأشياء ، وهو متحد بحب الله لخلقه ، هذا الحب الذي خلق كل شيء ، ولذلك فانه يُسلِّم سرَّ الخلق إلى كل من يستطيع أن يسأله اياه . إنه من جوهر ميتافيزيائي ، لا أخلاقي فحسب . إنه يريد ، بعون الله ، أن يكمل خلق النوع الانساني ، ويجعل من الانسانية ما كان يمكن أن تكونه لو استطاعت أن تتكون نهائيا بغير عون الانسان نفسه . أو نقول بكلمات أخرى تعبر عن هذا الشيء نفسه كما سنرى : إن اتجاهه هو اتجاه هذه الوثبة ذاتها ، وقد انتقلت بكاملها إلى أناس ممتازين ، يريدون حينئذ أن يفرضوها على الانسانية كافة ؛ ويريدون أن يحققوا التناقض فيحيلوا هذا الشيء المخلوق الذي هو النوع الانساني إلى جهد خالق ، وأن يوجدوا الحركة مما هو توقف بالتعريف .

« فترى هل ينجح ؟ .. إذا كان على الصوفية أن تبدل الانسانية ، فإن هذا لايكون إلا بأن تنقل إليها جزءا من ذاتها بالتدريج ؛ والصوفيون يشعرون بهذا أتمَّ شعور . والعقبة الكبرى التي يصطدمون بها هي العقبة التي حالت دون خلق إنسانيةٍ إلهية . فإن على الإنسان أن يكسب قوته بعرق جبينه : والانسانية ، بتعبير آخر ، نوع حيواني خاضع للقانون الذي يسيطر على عالم الحيوان ، ويقضي بأن يتغذى الحي بالحي . ولما كان غذاؤه تنافسه عليه الطبيعة عامة ، وأبناء جلدته خاصة ، كان لابد له أن يبذل

جهدا للحصول عليه . وماوجد عقله إلا ليزوده بأسلحة وأدوات تعينه في هذا النضال وهذا العمل . فكيف يتاح للانسانية ، والحالة هذه ، أن توجه انتباهها نحو السماء وهو في جوهره مشدودٌ إلى الأرض ؟ إذا كان شيءٌ من هذا في الإمكان فلن يكون إلا بأن تستعمل معا أو تباعاً طريقتان مختلفتان كل الاختلاف : أولاهما أن يقوى العمل العقلي إلى حد كبير وأن يذهب به إلى أبعد مما أرادت له الطبيعة فتحل محل الأداة البسيطة مجموعة واسعة من الآلات تستطيع أن تحرر النشاط الانساني ، وأن يدعم هذا التحرير تنظيمٌ سياسيٌ واجتماعيٌ يكفل للآلية وظيفتها الحقيقية . وتلك وسيلة خطرة لأن الآلية إذا نمت قد تنقلب على الصوفية . حتى أنها لاتنمو نموها الأتم إلا ردٌّ فعلٍ ظاهري على هذه الصوفية غير أن ثمة مخاطرات لابد منها . إن الفعالية العالية مفتقرة إلى فعالية أدنى منها فينبغي لها أن تستحث هذه الفعالية أو أن تدعها تعمل على الأقل ثم تدافع عن نفسها إذا اقتضى الأمر . وتبين التجربة أنه إذا كان هناك اتجاهان متعاكسان ولكنهما متتامان ، ثم تضخم أحدهما حتى جار على مكان الثاني ، فإن الثاني إذا عرف كيف يحتفظ بنفسه يفيد من ذلك أيما فائدة لأن دوره لابد آتٍ .. وعندئذ يستغل ماعمله غيره بل وما وُجِّه ضده . ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الطريقة لم يمكن أن تستعمل إلا بعد هذا بكثير ، وبانتظار ذلك كان هنالك طريقة أخرى مغايرة كل المغايرة ، وهي ألاّ يُرجى للوثبة الصوفية أن تنتشر انتشاراً عاماً مباشرا ، وهذا بداهةً غير ممكن ، بل تنقل ، ولو ضعفت ، إلى عدد صغير من الممتازين ينتظمون معا في جماعةٍ روحية . وقد تتكتل هذه الجماعات أو يبرز في كل منها أشخاص موهوبون فتنشأ بهم جماعات أخرى . وهكذا تبقى الوثبة الحيوية ، وتستمر إلى يوم تتغير فيه الظروف المادية التي فرضتها الطبيعة على الانسانية تغيراً عميقا ، فيمكن أن يحدث في الناحية الروحية تبدلٌ عميق . وتلك هي الطريقة التي اتبعها كبار الصوفيين ... والحقيقة أن مايريده كبار الصوفيين هو أن يبدلوا الانسانية تبديلا أساسيا فيبدأون بأن يكونوا هم القدوة . ولاتكون الغاية قد بلغت مالم ينته إلى ماكان ينبغي أن يوجد نظرياً في الأصل ، أعني انسانية إلهية »[1] .

---

(١) « منبعا الأخلاق والدين » ، هنري برغسون ، ص ٢٥٠ — ٢٥٦ .

ويختم برغسون كتابه « منبعا الأخلاق والدين » بالفقرة الآتية :

« وإنها لفرح حقا ، تلك البساطة في المعيشة التي يشيعها في العالم يومئذ حدس صوفي ذائع . وإنه لفرح أيضاً ذلك الفرح الذي ينجم عن رؤية الملأ الأعلى في تجربةٍ علميةٍ موسعة . وإذا لم يتحقق اصلاح روحيٌ على هذا القدر من الكمال ، كان لابد من اللجوء إلى الوسائل المسكينة ، والخضوع « لتنظيم » ماينفك يجتاح كل شيء ، والاحتيال على العوائق التي تضعها طبيعتنا في وجه حضارتنا عائقا بعد عائق . وعلى أي حال ، سواء أوقع الاختيار على الوسائل الكبرى أم الصغرى ، فانه لابد لنا أن نعزم أمرنا . إن الانســانيـة تئِن . وقد كاد أن يسحقها عبء ماحققته من تقدم . وهي لاتدري أن مستقبلها متوقفٌ عليها . فعليها هي إذن أن تعرف أولاً هل تود الاستمرار في البقاء ، وعليها هي بعد ذلك أن تعرف هل تود البقاء فحسب أو تود إلى ذلك أن تبذل الجهد اللازم لأن تتحقق ، حتى على سيارتنا العصيّة هذه ، الوظيفة الأساسية للكون ، هذه الآلة التي تصنع آلهة » .

وفي كتابه هذا « منبعا الأخلاق والدين » يقول برغسون : « في السياق الذي يمضي به العلم ، يقترب اليوم الذي سيكون فيه أحد الخصوم ، بسبب سرٍ يحتفظ به كاحتيـاط ، ممتلكاً الوسيلة لإزالة الخصم الآخر . وقد لايبقى أثر للمهزوم على وجه الأرض » .

وفي مقطع آخر يقول برغســون في صدد الآلام الأبدية لشخص بريء : « آه كلا ! الأفضل قبول أن لايكون أي شيءٍ موجوداً ، الأفضل ترك الكوكب الأرضي ينفجر »[1] .

---

(١) « منبعا الأخلاق والدين » ، ص ٧٥ و ٣١٨ ـ الفكر والحرب جان غيتون ، ص ١٣٧ .

(١٣)
برتراند راسل
(١٨٧٢ - ١٩٧٠)

يكاد الفيلسوف البريطاني اللورد برتراند راسل أن يكون كرس كل وقته وجهده وعلمه لإقامة الحكومة العالمية ، التي دعت البهائيةُ إليها ، ولإضفاء الغطاء الفلسفي على مشروعها .

ومع أن المعروف عنه أنه أحد دعاة السلام ونزع السلاح ، وأنه حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٠ ، وأنه فُصِل من عمله في جامعة كامبرج بسبب ميوله السلمية التي تتنافى مع سياسة بريطانيا ؟ ، فهو يبرر الحرب ويبرر استخدام السلاح النووي لإقامة الحكومة العالمية ، ولإخضاع البشرية لسلطتها بعد قيامها ، ولفرض الطاعة على مواطني تلك الدولة .

ففي عام ١٩٣٨ ، قبل اختراع السلاح النووي ، قال في كتابه « السلطان » ص ١٧٢ ، ماترجمته : « إن دولة عالمية أصبحت الآن إمكانية تكنيكية ، وقد يمكن بناؤها من قبل الجانب المنتصر في حال نشوب حرب عالمية خطيرة حقا ، أو وهذا محتمل أكثر ، بواسطة أشد الدول المحايدة قوة »[1] .

ثم بعد اختراع القنبلة الذرية واستخدامها في الحرب العالمية الثانية ضد اليابان ، قال : « هناك طرق مختلفة ، يمكن بواسطتها أن يُحَقَّقَ مثل هذا العالم ، فإلى حين امتلاك كلا الطرفين القنبلة الهيدروجينية ، كان بالامكان تحقق ذلك نتيجة حرب نووية ينتصر فيها أحد الطرفين ويفرض إرادته دون وجود مقاومة ناجحة ، وهذا الاحتمال لم يعد يوجد بعد الآن »[2] .

---

(١) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ٩١ ، الحاشية .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

وفي مجال آخر يقول : « فإن كان للعالم أن ينهض من عثرته ، فلابد من التفكير الواضح والشعور الطيب ، ولايَبْعُد ألاّ يتعلم الانسان أيهما إلا بفعل الكارثة الكبرى . إلا أنني أرجو ألاّ يكون ذلك . وأرجو أن يتعلم الانسان الحكمة بدرس أخفَّ من ذلك إيلاما . ولكن كيفما كانت وعورة الطريق ، فاعتقادي أن الحكمة الجديدة ، التي يتطلبها العالم الجديد ، سيتعلمها الانسان عاجلاً أو آجلا ... »[1] .

وبعد أن يفترض راسل قيام الحكومةالعالمية ، سئل : هل تتخيل أن السلطة العالمية تستخدم الأسلحة النووية ضد حكومة قومية رفضت الامتثال إلى مقررات إحدى دوائرها (أي دوائر الحكومة العالمية) ؟ .. فأجاب : « هذا سؤال عسير للغاية ، ولا أود أن أعطي فيه رأياً محدداً نهائيا . واخال أنه لابأس حتى في استخدامها الأسلحة النووية إذا كان ذلك ضروريا ، ولكن المشكلة هي أن الأسلحة النووية لاتؤذي فقط البلاد التي تقذف عليها ، بل إنها تؤذي جميع أقطار العالم بدون استثناء »[2] .

وفضلا عن التهديد باستخدام السلاح النووي لإخضاع مواطني الدولة العالمية ، وفرض الطاعة عليهم ، فإنه يهدد أيضا باستخدام سلاح الفقر والمجاعة والأوبئة لإرغامهم على الطاعة ، فهو يقول : « وهناك عقبةٌ سيكولوجيةٌ كأداء ، تقف في وجه إنشاء الحكومة العالمية . وهذه القضية تكمن في عدم وجود عدو خارجي يخشى منه . فالتماسك الاجتماعي يدعم عادة بوجود خطر عام ، أو عداوة عامة ... وأظن أنه سيكون من الضروري ، كجزء ضروري من التربية ، أن يذكّر الناسُ بالأخطار التي ماتزال محدقة ، كالفقر وسوء التغذية والأوبئة ، وأن يجعل الناس مدركين أنه إذا ما انعدمت هذه الطاعة للحكومة العالمية ، فان الحرب العلمية يمكن أن تصبح محتملة الوقوع مرةً أخرى »[3] .

وتتسع طموحات راسل ، لتتجه إلى إقامة دولة كونية ، تشمل بالاضافة إلى الكرة الأرضية ، القمر والكواكب فيقول : « وهذه الانجازات التكنيكية (غزو الفضاء

---

(١) « العقل والمادة » ، لبرتراند راسل ، ص ٣٠ .

(٢) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ص ٤٧ .

(٣) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ١٠٢ .

واختراع الأسلحة النووية) جعلت من الممكن تكنيكيا إقامة حكومة عالمية قادرة على ممارسة سلطتها في كل مكان وجعلت المقاومة المسلحة مستحيلة في الواقع ... وهذا الوضع الجديد يعود بشكل رئيسي إلى ثلاثة عوامل علمية ، أولها وأشدها أهمية هو التدمير الشامل الذي تحدثه الأسلحة النووية الحديثة ، وثانيها السرعة المطردة ، التي يمكن بواسطتها الوصول إلى الأهداف ، وثالث هذه العوامل تكاليفها الباهظة ، كل ذلك يزيد من الحجم المحتمل لدولةٍ مستقرة . **وحتى الآن مازال الحجم المحتمل مقتصرا على سطح الأرض ، ولكنه قد يمتد قريبا جدا الى القمر والكواكب ...** »[1] .

ويتحدث برتراند راسل عن مواصفات الحكومة العالمية ، التي يطمح إليها ، فيقول :

« إذا ما أردنا أن تقوم سلطة عالمية بوظائفها ، فإن عليها أن تمتلك **قوة تشريعية وتنفيذية وعسكرية لاتقاوم . إن قوة عسكرية لاتقاوم** هو الشرط الأشد أهمية مما عداه والأشد صعوبة في التحقيق ... إن على جميع الدول الاتفاق على تخفيض قواتها المسلحة الوطنية إلى المستوى الضروري لعمليات الشرطة الداخلية ، ويجب ألاّ يُسمح لأية دولةٍ بالاحتفاظ بأسلحةٍ نوويةٍ أو أي وسائل أخرى للدمار الشامل . وعلى السلطة العالمية أن تمتلك القوة اللازمة لكي تستخدمها داخل أية دولة ، وأن تصنع مثل هذه الأسلحة على النحو الذي تراه ضروريا ... ومن أجل منع تطور الولاءات القومية في أي جزء من القوات الدولية ، سيكون من الضروري أن تكون أية قطعة عسكرية كبيرة نسبيا تتألف من قوميات مختلفة . ولذلك يجب ألا تكون هناك قطعات أوربية أو قطعات آسيوية أو أفريقية أو أمريكية ، وإنما يجب أن يكون هناك مزيج متوازن قدر الامكان في كل مكان . **ويجب أن تُعطى مناصب القيادة العليا ، قدر الامكان ، لأشخاص من الدول الصغيرة** التي لايراودها أي أمل في السيطرة على العالم ... إن دستور الهيئة التشريعية يجب أن يكون فيدرالياً بطبيعة الحال . كما يجب أن تحافظ كل دولةٍ ، على انفراد ، على استقلالها الذاتي في كل مالايتعلق بالحرب أو السلم[2] وهناك في أي

(١) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ١٠٧ .

(٢) يبدو أن برتراند راسل يتحدث عن شكل شبيه باتحاد الدول ذات السيادة الذي قام على أنقاض الاتحاد السوفييتي ، أو شبيهٍ بالولايات المتحدة الأمريكية .

دستور فيدرالي صعوبة تنشأ ، عندما تكون الولايات ذات أحجام مختلفة جدا ، فهل يكون لكل ولاية الصوت نفسه ، أم أن من الواجب أن تكون قوة التصويت متناسبة مع عدد السكان ؟ .. في أمريكا ، كما يعلم الجميع ، جرى تبنّي تسويةٍ بارعة . فهناك مبدأ ينطبق على مجلس الشيوخ ، ومبدأ آخر على مجلس النواب . وأعتقد مع ذلك أن مبدأ مختلفا سيكون أفضل في تأسيس تشريع عالمي . ففي رأيي أنه يجب أن توجد اتحادات ثانوية ، يكون عدد سكانها متساويا . وهذه الاتحادات يجب أن تكون قدر الامكان متجانسة بعض الشيء ، وأن تكون لها مصالح مشتركة عديدة . وحيثما جرى دمج عدد من الدويلات في واحد من هذه الاتحادات الثانوية ، فإن على السلطة العالمية أن تأخذ زمام العلاقات الخارجية فقط لهذه الاتحادات ، وليس زمام العلاقات بين الدويلات المختلفة في اتحاد واحد ، مالم يكن هناك خطر نشوب حرب ، أو حدوث تصرف غير دستوري .

« أما كيف يجب أن تتشكل هذه الاتحادات ، فان هذا يختلف دون شك ، تبعاً للزمن الذي أصبح فيه الدستور ساري المفعول . فاذا ماطبق هذا الدستور في الوقت الراهن ، يمكن للمرء أن يقترح ترتيبات على النحو التالي : ١ – الصين ؛ ٢ – الهند وسيلان ؛ ٣ – اليابان وأندونيسيا . ٤ – العالم الاسلامي من الباكستان حتى المغرب ؛ ٥ – أفريقيا الاستوائية ؛ ٦ – الاتحاد السوفييتي وتوابعه ؛ ٧ – أوربا الغربية ، بريطانيا ، ايرلندا ، أستراليا ونيوزيلاندا الجديدة ؛ ٨ – الولايات المتحدة وكندا ؛ ٩ – أمريكا اللاتينية . وهناك بعض الدول التي لاينطبق عليها هذا التقسيم ، وتسبب بعض المصاعب ، نذكر منها على سبيل المثال : يوغوسلافيا ، وجنوب أفريقيا وكوريا . إن من المستحيل أن نحزر مقدماً ماذا سيكون الترتيب الأفضل لهذه الدول في وقت من الأوقات . إن أي اتحاد يجب أن يمثل فيه الدستور العالمي ودستورٌ آخر لكل اتحاد ثانوي يضعه الاتحاد العالمي . وتقوم الحكومة العالمية بتقديم المساعدة للاتحادات الثانوية في حال قيام اتحادٍ ما بعمل غير دستوري . والمبدأ نفسه يجب أن يطبق على العلاقات بين الاتحادات الثانوية وبين الدويلات القومية التي تتشكل منها .

ترى ما الذي يجب أن تكون عليه قوة السلطة التشريعية العالمية ؟ .. من الواجب قبل كل شيء ألاّ تكون أية معاهدة سارية المفعول مالم تكن مدعومة بالسلطة

التشريعية ، التي يجب أن تكون لها القوة اللازمة لاعادة النظر بالمعاهدات القائمة ، إذا ما اقتضت ذلك الظروف الجديدة . والسلطة التشريعية يجب أن يكون لها حق الاعتراض على أنظمة التعليم المغالية في القومية ، بما يمكن أن يعتبر خطرا على السلام . كما أن هناك حاجة لسلطة تنفيذية أعتقد أنها يجب أن تكون مسؤولة أمام السلطة التشريعية . والوظيفة الرئيسية لهذه السلطة ، باستثناء الإشراف على القوات المسلحة ، يجب أن تنحصر في الاعلان عن أي خرق للدستور العالمي ، من قبل أية دولة قومية أو مجموعة من الدول ، وايقاع العقاب بسبب هذا الخرق ، إذا ما كان ذلك ضروريا .

« ثمة مسألةٌ واحدةٌ أخرى على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية ، وهي مسألة القانون الدولي . ففي الوقت الحاضر يتمتع القانون الدولي بقوةٍ محدودة جدا . ولذا فان من **الجوهري أن تكون لمؤسسة شرعية كمحكمة لاهاي نفس السلطة التي تتمتع بها المحاكم الوطنية . وأعتقد أنه يجب أن يوجد قانون جنائي دولي لمحاكمة الذين يرتكبون جرائم شائعة في بلادهم** . ففي محاكمات نورمبرغ ، كان من المستحيل الشعور بعدالة الأحكام التي حكم بها ، نتيجة لاحراز النصر في الحرب ، على الرغم من أنه كان من الواضح أيضا وجوب وجود أسلوب مشروع لعقاب بعض أولئك الذين أدينوا على الأقل »[1] .

يلاحظ أن برنامج راسل هذا يتطابق إلى حد كبير مع رسالة أصدرها « شوقي أفندي » ، الخليفة الثاني لبهاء الله ، بتاريخ ١١/٣/١٩٣٦م ، سبق أن أشرنا اليها ، وأدرجنا بعض مقاطع منها في الصفحة (٢٢) وقد حرصنا على إدراج النصوص ، كما هي ، لبيان مدى التطابق والتضافر بين أطراف المخطط .

وفي مجال آخر يقول برتراند راسل :

« ومن غير الممكن ضمان السلم في العالم ، أو البت بالمسائل العالمية طبقا لقانون دولي ، ما لم تتنازل الدول عن سيادتها المطلقة في علاقتها الخارجية وتدع الفصل في مثل هذه الأمور في أيدي أداة حكومية عالمية تشريعية وقضائية معا . فلايكفي وجود محكمة لاهاي ، لكي تفصل في الأمور تبعا لقانون دولي موضوع ، ولكن من

(١) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ٩٤ ـ ٩٦ .

الضروري أيضا وجود هيئة قادرة على تنفيذ هذا القانون ، هيئة لها من القوة مايمكنها من نقل ملكية أراض من دولة إلى أخرى إذا رأت أن هذا النقل عادل ... »[1] .

وهو يفسر مسألة نقل ملكية الأراضي بقوله :

« لن يكون هنـاك نظام دولي حتى تتطابق حدود الدولة ، قدر الإمكان ، مع حدود الأمة ... وتقابل هذا المبدأ مصاعب جمة في الحالات التي يعيش فيها أفراد الأمم المختلفة جنباً إلى جنبٍ في منطقة واحدة ، كما هو الأمر في البلقان . وهناك صعوبات أخرى في بعض الأماكن ، التي تجعل لها الأسباب الجغرافية أهمية دولية عظمى ، كقناة السويس وقناة بنما . **وفي مثل هذه الحالات يجب أن تخضع رغبات السكان المحلية للمصالح الكبرى** . وعلى العموم فالاستثناءات قليلة جدا للمبدأ الذي يقول بأن حدود الأمة يجب أن تتطابق وحدود الدولة »[2] .

ولعل هذا مايفسر اتحاد دول وتمزق أخرى ، في الآونة الأخيرة .

ويضيف راسل في تعيين حدود الأمة :

يجب ألا يكون تعريف الأمة حسب اللغة أو الأصل التاريخي العام . ولو أن هذه الأمور كثـيراً ماتسـاعد على تكوين أمةٍ من الأمم ... والذي يكوِّن الأمة : شعور وغريزة ، شعـور بـالتمـاثـل ، وغريزة الانتماء إلى جمـاعة أو قطيع ... والشعور الذي يصاحب هذه الغريزة هو نوع راق من الشعور العائلي ... مثل هذا الشعور يجعل أمراً يسيراً تكوين أمةٍ في دولة . ولايشق علينا إطاعة أوامر حكومة وطنية ... وهناك حاسة غريزية لاشعورية تهدف إلى غاية مشتركة بين أفراد الأمة الواحدة ... وهـذه الغريزة الجماعية على أي الأشكال تكشف مايكوِّن الأمة ، **وما يجعل هاما أن تكون الحدود الموضوعة للأمم هي بعينها الحدود الموضوعة للدول**[3] .

ويضيف راســـل :

« وعلى السلطة الدولية أن يكون لها أسطول وجيش يكونان الوحيدَين الموجودَين

(١) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٦٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ — ٦٨ .
(٣) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٦٦ و ٦٧ .

في العالم ... وإني أعتقد أن رجائي معقول ، فلو وجدت هذه الحكومة الدولية ، التي تملك هذا الجيش وهذا الأسطول ، بحيث لايوجد غيرهما في الوجود ، فستصبح الحاجة إلى العودة لتنفيذ أوامرها مؤقتة فقط ، وستظهر بعد وقت قصير فوائد القانون ، بعد هذه الفوضى ، وستتمتع الحكومة العالمية بسيطرة هائلة ، ولن تحلم أية دولة بالخروج على ارادتها »[1] .

ويقول أيضـــــا :

« يلوح بشكل لايقبل الشك أن الانسان العلمي لايمكن أن يعيش طويلا ، ما لم تصبح جميع أسلحة الحرب الرئيسية ، وجميع أجهزة الحكـم ، في أيدي سلطة مفردة ، تستطيع نتيجة لاحتكارها ، امتلاك قوة لاتقاوم ، وتستطيع اذا ماتعرضت لتحدٍّ من التحديات ، أن تمحق أي عصيان خلال بضعة أيام ، دون أن تلحق كبير أذى ، إلاّ بالعصاة المتمردين . وهذا ، كما يبدو واضحاً ، شرطٌ لاغَناءَ عنه مطلقاً لاستمرار وجود عالم تتملكه المهارة العلمية »[2] .

ويستعرض برتراند راســل تصريحاً أدلى به هارولد ماكميـلان في مجلس العموم البريطاني ، حينما كان وزيراً للدفاع وناطقا باسم الحكومة البريطانية عام ١٩٥٥ ، يقول فيه : « ان هدفنا بسيط وسجلنا واضح ، فيما يتعلق بمسألة نزع السلاح كلها . إن نزع السلاح الفعلي يجب أن يستند على أسسٍ بسيطةٍ وحيوية . إنه يجب أن يكون شاملا ، وأعني بذلك أن يشتمـل على جميع الأســلحــة الجديدة والقديمة : التقـليدية وغير التقليدية . كما أن الرقابة على الأسلحة يجب أن تكون لها سلطة دولية ، أو اذا أردنا ، أن تكون لها سلطة تعلو على الدول وتتمتع بقوة حقيقية . إن أعضاء مجلس العموم الأجلاء قد يقولون ان هذا بمثابة رفع لمهام الأمم المتحدة ، أو أية سلطة أخرى ، بحيث تصبح شيئا أشبه بحكومة عالمية . ولتكن كذلك ، فهي لن تكون أسوأ إذا ما اتخذت هذه الصفـة . فعلى المدى البعيد أرى أن هذا هو الطريق الوحيد لإنقاذ الجنس البشري » .

يُعقِّب راسل على هذا التصريح بأنه يُعتبر مشروعا بعيداً وطوباويا ، ويضيف قائلا :

---

(١) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٧٠ .

(٢) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ٨٩ .

« إذا ما أردنا أن تقوم سلطة عالمية بوظائفها ، فإن عليها أن تمتلك قوة تشريعية وتنفيذية وعسكرية لاتقاوم . إن قوة عسكرية لاتقاوم هو الشرط الأشد أهميةً مما عداه ، والأشد صعوبةً في التحقيق »[1] .

يقول « أرنولد توينبي » ، في معرض تقديمه لكتاب برتراند راسل « هل للانسان مستقبل » : « ويقترح لورد راسل إنشاء حكومةٍ عالميةٍ ، لها سلطة فعالة ، سلطة تجعل الحرب مستحيلة في المستقبل . بيد أن أي مشروعٍ لدستورٍ عالمي ، قد يبدو أكثر جمالاً في الواقع ، هذا إذا نجحنا فعلا في إنشاء حكومةٍ عالميةٍ ، بصورة من الصور . ذلك أننا جدُّ متشبثين بالسيادة القومية ، لذا سنبذل أقل جهد في هذا السبيل . وسنبذل هذا الجهد المحدود بالتقسيط ، ولن نبذله إلاّ في آخر لحظة . ومع هذا ، فمن العسير تحقيق هذا القدر المتواضع .. وهنا نجد أن أهم نقطة يعرضها لورد راسل قد تكون ذات طابع سلبي ، وهو يصرٌّ على أن من العبث اقتراح أية ترتيبات من شأنها تغيير ميزان القوى الحالي ، وعلى هذا الأساس وحده قد تتاح فرصة قبول أية مقترحات عن طريق المجانين » .

كأنهم جميعا يلوٌحون بمعركة « هرمجدون » ، إن لم يستسلم العالم لهم ! .

راسل والأمم المتحدة :

يرى اللورد راسل أن هيئة الأمم المتحدة ليست صالحة للقيام بمهمة الحكومة العالمية ، أو حتى بمهمة السعي لإنشاء الحكومة العالمية ، وهو في الحقيقة كان ينظر إلى الأمم المتحدة في ظروف مختلفة عن ظروفها الراهنة ، كان الصراع الدولي في أشده ، وكانت الأمم المتحدة أحد ميادين هذا الصراع ، فهو يقول :

« إن الأمم المتحدة عاجزةٌ ، ليس فقط لأنها تستبعد من عضويتها بعض البلدان ، وإنما بسبب حق الفيتو أيضا . فهي لاتستطيع أن تتطور لتصبح حكومةً عالميةً ، في الوقت الذي يظل فيه حق الفيتو ساريا . إلاّ أنه من جهة أخرى يصعب محو حق الفيتو في الوقت الذي يحتفظ فيه التسلح الوطني بقوته الراهنة . وبالنسبة لهذا

(١) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ٩١ — ٩٣ .

الأمر ، كما يبدو ماثلا في المسألة الألمانية ، يجب أن يتقرر موضوع نزع السلاح ، قبل أن يصبح بالإمكان ايجاد أي حلٍ مقبول .

« إن وجود نقائص في منظمة الأمم المتحدة هو الذي يجعل وجود لجنة تنسيق فرعية هيئة أفضل من المنظمة للبدء بمشروعات التوفيق بين الدول . وبوسع المرء أن يتأمل أنه إذا ماعملت مثل هذه المنظمة ، في الوقت الذي تكون لها فيه قدرةٌ استشاريةٌ فقط ، إذا ماعملت بحكمة ، فقد تحصل في الوقت المناسب على سلطة أخلاقية تجعل اقتراحاتها يصعب مقاومتها »[1] .

ويقول أيضـــا :

« إن الحجة الرئيسية في صالح الحكومة العالمية ، هي أنها إذا ماشكلت على النحو الملائم ، يمكن أن تمنع الحرب ، ومع ذلك ، فقد يكون من السهل اقامة منظمة تعلو على القوميات ، ويمكن أن ندعوها بالحكومة العالمية ، ولكنها لن تمنع الحرب بشكل فعّال . إن مثل هذه الحكومة ستقابل معارضة أقل بكثير من الحكومة التي تكون فيها جميع القوات المسلحة التي يعتد بها ، تحت سلطتها . ومادام هذا شرطٌ جوهريٌ لوجود منعٍ طويل الأمد للحرب ، فإنني لن أُشَرِّف بإطلاق اسم الحكومة العالمية ، أية منظمة أخرى أقل فعالية منها »[2] .

برتراند راسل واقتصاد الحكومة العالمية :

يقول برتراند راسل :

« إن أهمية السلطة الاقتصادية عظيمة جدا في الواقع ، ولكنها ليست إلاّ شكلاً واحداً من أشكال السلطة ، ولا أستطيع أن أقول أنها أكثر أهمية من السلطة العسكرية أو أكثر أهمية من قوة الدعاية »[3] .

وحين سئل عما إذا كان يعتقد بوجوب الحد من السلطة الاقتصادية ، أجاب :

---

(١) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ١١٦ .

(٢) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ٩٧ .

(٣) « برتراند راسل يتحدث عن مشكل العصر » ، ص ١٤٢ .

« أعتقد بوجوب الحد من كل أنواع السلطة ، وخاصة السلطة التي تستطيع بها إجاعة أقطار كبيرة »(١) .

ويبرر ذلك بالقول :

« فحب السلطة يدفع المليونير العظيم ، الذي يملك من المال أكثر مما يستطيع إنفاقه ، إلى الاستمرار في جمع الثروة ليسيطر أكثر فأكثر على إيرادات العالم »(٢) .

يوضح اللورد راسل برنامجه الاقتصادي للحكومة العالمية ، فيقول :

« والنظام الاقتصادي الذي نرجو أن نراه في أقرب وقت هو ذلك الذي تكون فيه الدولة المتسلم الوحيد للأجر الاقتصادي ، على حين يحلُّ محلَّ الرأسمالية الخاصة أو الفردية الحكم الذاتي للهيئات التي تتكون من الذين يقومون بالعمل نفسه حقيقة »(٣)

وفي مجال آخر يقول :

« والنظام الديمقراطي الحقيقي ، هو الذي يعهد بادارة السكك الحديدية إلى الأفراد الذين يعملون بها ، وهؤلاء ينتخبون المدير العام ، ومجلسا للمديرين إذا كان ذلك ضروريا ... والنقابات البريطانية على مايُخَيَّلُ إليَّ ، قد ضلت وأخطأت في نظرها إلى الرأسمالية والعمال على أنهما قوتان دائمتان ينبغي عن طريق تنظيم العمال المساواة بينهما في القوة ، وهذا الرأي ساذج وبسيط . أما المثال الذي أرغب في ذكره فيتضمن قهر الديمقراطية ، ويتضمن كذلك الحكم الذاتي في المجال الاقتصادي ، كما جرى ذلك على الصعيد السياسي ، وانتزاع السلطة الموجودة في أيدي الرأسماليين . فالانسان الذي يعمل في السكك الحديدية ، يجب أن يكون له صوت في حكومة السكك الحديدية ، تماما كما للانسان الذي يشتغل في الدولة حق التصويت في ادارة دولته . وتركيز المبادرة العملية في أيدي أصحاب الأعمال شر مستطير يحرم العمال من مشاركتهم المشروعة

---

(١) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ، ص ١٤٣ .

(٢) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ .

بالاهتمام بالمشكلات الكبرى لحرفهم »[١] .

وفي مجال الملكية الخاصة يرى اللورد راسل :

« على الدولة أن تتثبت من أن الأرض التي يشغلها الفرد لاتزيد عن الخدمة العامة التي يؤديها للمجتمع ، وأن نصيبه من إنتاج الأرض لايزيد عن مكافأة عادلة على أعماله . وربما كانت الطريقة الوحيدة لتحقيق هذه الأهداف هي **ملكية الدولة للأرض** ، لأن بمقدور المُلاّكِ وأصحاب رؤوس الأموال بواسطة الضغط الاقتصادي استغلال هذه القوة ضد من لايملك شيئا »[٢] .

« ليست هناك عدالة في الملكية الخاصة للمواد الأولية الجوهرية وأعتقد أن علينا أن ندرج في قائمة الملكية الخاصة غير المرغوب فيها ، ليس ملكية المواد الأولية الجوهرية من قبل الأفراد أو الشركات ، وانما من قبل الدول أيضا . **إن المواد الأولية التي لايمكن للصناعة أن تمضي بدونها يجب أن تمتلكها سلطة دولية** ، وتمنح إلى دول منفصلة بما يتناسب مع مبدأي العدالة والحاجة لاستخدامها . والدول التي ليست لديها هذه الحاجة يجب أن تقدم لها المساعدة لكي تستخدمها »[٣] .

« ولايمكن الدفاع عن الملكية الخاصة للأراضي ورأس المال على أنها وسيلة اقتصادية لإمداد المجتمع بما يحتاج إليه ، ولكن الاعتراضات الرئيسية على ذلك هي أنها تعيق حياة الرجال والنساء وتغرس الغريزة التملكية القاسية في نفوسهم ، وتقود الناس إلى شغل جزء كبير من تفكيرهم ووقتهم بالحصول على السلع المادية المحضة ، فتضع بذلك عقبة ضخمة أمام تقدم الحضارة والنشاط الابداعي .. ويجب ألا يكون الاقتراب من نظام خالٍ من هذه الشرور جميعا فجائيا ، بل علينا أن نتقدم خطوة فخطوة نحو الحرية الاقتصادية والادارة الذاتية للصناعة ، وليس هناك في الواقع أية صعوبة خارجية في خلق نوع المؤسسات التي كنا نفكر فيها ، فلو أن العمال المنظمين رغبوا في ايجادها لما استطاع شيء أن يعترض سبيلهم »[٤] .

---

(١) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٢) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٦٢ .

(٣) « هل للإنسان مستقبل » ص ١٥٠ .

(٤) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٣٥ .

وهكذا ، يبدو اللورد راسل عاملا أكثر من العمال ، لايرتضي لهم مايرتضونه لأنفسهم ، ويبدو اشتراكيا أكثر من الاشتراكيين . وهو مع كل هذه القيود التي يضعها على حق الملكية وعلى إدارة المشروعات الاقتصادية ، فانه يريد تجارة عالمية حرة ، خالية من أية قيود ومن أية رسوم جمركية . فهو يقول :

« وقد تتنازع الدول على ثلاثة أمور اقتصادية رئيسية : **التعرفات الجمركية ، وهي وهم** . استغلال الأجناس الأقل شأنا ، وهو جريمة . والفخر والاعتزاز بالقوة والتملك ، وهي حماقات طفل صغير . أما بصدد الضرائب ، فالجدل حولها مألوف ، ولن أردده . والسبب الوحيد الذي يجعل هذا الجدل غير مقنع ، هو وجود العداوة بين الأمم . فلن يقترح امرؤٌ وضع تعرفة جمركية بين انكترا واسكتلندا أو بين لانكشير ويوركشير . ومع ذلك فان الحجج التي تدعم التعرفات بين الأمم ، هي بعينها الحجج التي يمكن استغلالها لفرض تعرفات بين مدن الأمة الواحدة . **فمن البديهيات أن تصبح التجارة الحرة العالمية ذات فائدة للجنس البشري ، وستنباها غداً إذا لم توجد البغضاء والريبة بين الأمم ، وحول ضمان السلام العالمي نجد أن حرية التجارة بين الدول المتحضرة ليست على درجة من الأهمية مثل تجارة الباب المفتوح** في ملحقاتها فالرغبة في فتح الأسواق الكبيرة من الأسباب الكامنة للحرب[1] ... فمفهوم التجارة الذي فرضه علينا المنتجون الذين يخافون المنافسة الأجنبية بالشركات والاحتكارات وبالاقتصاديين المسمِّين بداءِ الوطنية .. هذا النظام في جملته نظامٌ باطلٌ تماماً »[2] .

وهكذا ، فإذ يرى اللورد راسل أن الرغبة في فتح الأسواق الكبيرة من الأسباب الكامنة للحرب ، فانه يريد لهذه الأسواق أن تفتح أبوابها بدون حرب . فهو هنا يخشى الحرب ، أو هو في الحقيقة يهدد بالحرب ، لحمل الأمم على فتح أبوابها أمام تجارة سلطته العالمية . وهذا التفسير أكثر انسجاما مع موقفه من شن الحرب النووية لإقامة الحكومة العالمية .

ويتابع اللورد راسل برنامجه الاقتصادي ، فيدعو إلى زيادة أوقات الفراغ ويقول

(١) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٧١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

أنه : « يجب السماح لكل من يريدون ذلك ، العمل ساعات قليلة وبأجر قليل ، ليكرسوا فراغهم لأي اتجاه آخر يجتذب اهتمامهم . ولاشك أن الأكثرية التي تختار هذا الطريق ستقضي أوقاتها في المتعة المطلقة ، كما يقول معظم أغنيائنا في الوقت الحاضر »[1] . وتُذكّرنا هذه العبارة ، بعبارة مشابهة وردت في بروتوكولات حكماء صهيون تقول : « ولكي نُخرّب صناعة الأمميين ونساعد المضاربات سنشجع حب الترف المطلق الذي نشرناه من قبل »[2] . وعبارةٍ أخرى تقول : « ولكي نبعدها (الجماهير) عن أن تكتشف بأنفسها أي خط عمل جديد ، سنلهيها أيضا بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة وهلُمَّ جرّا »[3] .

الدين والقومية والوطنية والأحزاب السياسية في نظر برتراند راسل :

يعلن برتراند راسل الحرب على الدين والقومية والوطنية والأحزاب السياسية ، بلا هوادةٍ ، تماما كالبهائيين . والواضح من ذلك أنه يريد أناسا لارابط بينهم .. يريد أفراداً لاسندَ لهم ولاحول ولاقوة ، يقفون فرادى مشتتين في مواجهة حكومةٍ عالميةٍ عاتية .

ففي مسألة الدين ، نراه يعلن الإلحاد ويدعو إليه بشدة . وهو إذا كان يخالف البهائية من هذه الناحية ، ولايدعو إلى وحدة الأديان ، فالخلاف بينهما ظاهري بحت ، إذ كلاهما يهدف من حيث النتيجة إلى اخراج الناس من أديانهم إلى مقام الخضوع الكامل للحكومة العالمية .

فحين سئل راسل ، هل كانت لك ذات يوم حوافز دينية ؟ . أجاب :

« أجل عندما كنت مراهقا ، لقد كنت حينئذ شديد التدين ، وكان اهتمامي ينصب على الدين أكثر من أي شيء آخر ، اللهم باستثناء الرياضيات . إلا أن اهتمامي بموضوع الدين أدّى بي (وهذا مايبدو أنه ليس كثير الحدوث) إلى التأمل في قضية ما اذا كان هناك من سبب للايمان بالدين . وأخذت لبحثي ثلاث قضايا بدت لي أكثر القضايا الجوهرية أهمية ، وهي : الله ، والخلود ، والارادة الحرة . وبدأت بدراسة

---

(١) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٣٠ .

(٢) البروتوكول السادس .

(٣) البروتوكول الثالث عشر .

وتمحيص هذه القضايا ، ولكن بترتيب عكسي . فلما بدأت بالتفكير في قضية الإرادة الحرة ، خلصت تدريجيا إلى أنه ليس هناك من سبب للايمان بأية قضية من هذه القضايا الثلاث »[1] .

وقال أيضا :

« أما بشأن قضية الخلود ، فقد بدا لي حينئذ ، أن من الواضح جدا أن العلاقة بين الجسد والعقل ، مهما كان نوعها هي أكثر وثوقا مما يظن عامة ، وأن ليس هنالك من سبب للاعتقاد بأن العقل يستمر حينما ينهار الدماغ ويعطب .

« أما بشأن قضية الله ، فان هنالك الكثير من الحجج التي تقام دليلا على وجود الله ، وقد كنت أعتقد ولا أزال أنها جملة وتفصيلا ، حجج غير سليمة وأن مامن أحد يقدر على التسليم بهذه الأدلة وقبولها ، إلا الذي يرغب في الايمان بالأحكام التي تنتهي اليها والنتائج التي تؤدي اليها »[2] .

وحين سئل ، هل تعتقد أن للدين تأثيراً نافعاً أم أن له تأثيراً سيئاً ؟ ، أجاب :

« أعتقد أن معظم تأثيره في التاريخ كان مؤذياً ... وعلى العموم فانني أعتقد أن الدين قد تسبب في قسط كبير من الأذى وبخاصة اذ كرس نزعة المحافظة الجامدة وقدّسها وثبّت العادات والأعراف القديمة وأباح التعصب والبغضاء وكرسهما . فما خالط الدين من التعصب وبخاصة في أوربا قد وصل ذات يوم إلى مدى رهيب النتائج »[3] .

أما في القومية والوطنية فيقول :

« من الناحية السياسية ، فإن القومية في رأيي شر مستطير ... ولا أعتقد أن هنالك أية كلمة طيبة يمكن أن تقال في تحبيذ النزعة القومية في الميدان السياسي »[4] .

(١) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ، ص ١٨٥ .
(٢) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ، ص ١٨٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٨ .
(٤) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ، ص ٦٨

« أما الشعور القومي ففيه دائما عنصرية خفية أو نوع من العداء للأجانب ، وماكان لهذا الشعور الوطني أن يوجد في أية أمة حرة تمام الحرية من ضغط خارجي من النوع العدائي »[1] .

« وأعتقد أن القومية – ماعدا التوترالقائم بين الشرق والغرب وخطر الحرب بينهما – هي أعظم الأخطار التي يواجهها الانسان في الزمن الراهن »[2] .

وفي مجال آخر يقول :

« وينبغي أن يحدث تبدل جذري في التعليم ، إذ يجب ألاَّ يُعَلَّم الصغار بعد الآن المغالاة في تقدير مزايا دولهم والافتخار بمواطنيهم الذين أبدوا مهارة في قتل الأجانب ... »[3] .

لكن برتراند راسل ، حامل جائزة نوبل للسلام ، مع هذا يبرر القاء القنبلة الذرية على السكان الآمنين في هيروشيا ، في ١٩٤٥/٨/٦ بداعي أن ذلك كان أقل سوءا من انتصار النازيين ، في حين أن النازيين كانوا قد هزموا تماما قبل إلقاء القنبلة على اليابان ، فهو يقول :

« إن الخلفية السياسية لعمل علماء الذرة ، كانت إصرارهم على هزيمة النازيين . فقد ساد الاعتقاد ، وأظنه على صواب ، بأن إحراز النازيين للنصر سيكون كارثة مفجعة . كما اعتقد في البلدان الغربية أيضا أن الألمان لابد أن يكونوا على وشك صنع قنبلة ذرية ، وأنهم إذا ما نجحوا في صنعها قبل الغرب ، فمن المحتمل أن يكسبوا الحرب . وعندما انتهت الحرب ، اكتشف العلماء الأمريكيون والبريطانيون بكثير من الدهشة أن الألمان لم يكونوا قريبين من النجاح في مقايسهم أبدا . وكما يعلم الجميع فقد هُزم الألمان قبل أن يُصنع أيُّ سلاح نووي . بيد أنني لا أعتقد أن علماء الذرة في الغرب يمكن أن يُلاموا بسبب اعتقادهم أن العمل في صنع القنبلة كان ملحا وضروريا ، فحتى اينشتاين كان من هذا الرأي ، ومع ذلك فعندما انتهت الحرب الألمانية رأت

(١) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٦٧ .
(٢) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ، ص ٧٨ .
(٣) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ١٥١ .

الغالبية العظمى من هؤلاء العلماء الذين ساعدوا على صنع القنبلة الذرية أنه يجب أن لاتستخدم ضد اليابانيين الذين كانوا على شفى الهزيمة ، ولم يكونوا على أية حال خطرا على العالم كذلك الذي مثله هتلر »[1] .

وهكذا ، فقد استساغ برتراند راسل كل تلك الأخطاء التي أدت الى إبادة سكان هيروشيما المدنيين الآمنين ، ولم يذرف دمعة واحدة عليهم ، ولم يفكر حتى في لوم أولئك الذين استخدموا السلاح الذري بناء على ظنون مجردة عن أية موثوقية ، إن صح أن الأمر كان مجرد ظنون أو أخطاء غير مقصودة .

ومن هنا كان لابد لنا من أن نحمل على محمل الجد تهديدات برتراند راسل ، وأمثاله ، باستخدام السلاح النووي ، أو مايسمى بمعركة هرمجدون ، لفرض الحكومة العالمية على شعوب الأرض ، فمثل هؤلاء لايحملون أي شعورٍ إنساني .

أما في الأحزاب السياسية ، فيقول برتراند راسل :

« فأفراد الجماعة المتعصبة يحسون بشعور مريح يشعرهم بأنهم أصدقاء مترابطون . فمصدر هياجهم وانفعالهم واحد ، وتستطيع أن ترى ذلك في أي حزب سياسي ، حيث يتوفر دائما جمع من المتعصبين للحزب ، يشعر الواحد منهم بألفة شديدة وترابط أشد مع الآخرين ، وعندما ينتشر هذا الترابط ويتوفر له هدف يحول الى جمع آخر كل الكره ، فان التعصب ينمو ويترعرع »[2] .

وفي نطاق التربية والتعليم يعرض برتراند راسل توجيهاته على النحو الآتي :

« ... إن التاريخ يجب أن يدرّس من وجهة نظر دولية ، بالتأكيد تأكيداً صغيراً على الحروب ، والتأكيد بشدة على الانجازات السلمية ، سواء كانت تتعلق بالمعرفة أو الفن أو الاكتشاف أو المغامرة . إن على سلطات التربية والتعليم في دولة ما ، ألاّ يُسمح لها من قبل الحكومة العالمية باثارة الشعور الشوفيني ، أو بالدعوة إلى العصيان المسلح ضد الحكومة العالمية ، وباستثناء هذه الحدود ، يجب أن تتوفر حرية أعظم في التربية

---

(١) « هل للانسان مستقبل » ، برتراند راسل ، ص ٢٥ .

(٢) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ، ص ١٠١ .

والتعليم مما هو متوفر في الوقت الرهن . ويجب على المدرسين أن يتقبلوا الآراء غير الشائعة ما لم تسبب هذه الآراء خطر الحرب ، والتأكيد الكامل في ميدان تعليم التاريخ أو المواد الاجتماعية ، يجب أن يتركز حول الانسان وليس الدول ، كل منها على حِدَة أو مجتمعة ...

« إذا ماقضينا على خطر الحرب ، فستكون هناك فترة انتقال تظل أفكار البشر وعواطفهم خلالها متأثرة بالحرب . وخلال فترة الانتقال هذه يجب أن نتوقع أن جميع الفوائد من انهاء الحرب لايمكن الحصول عليها . فسيكون هناك غلو في الشعور بالمنافسة ، ولن ينسجم الجيل القديم على الأقل مع العالم الجديد الذي هو في طور التكوين . وبينما تستمر إعادة التنظيم ، **ستكون هناك حاجة لبذل جهود ، ربما تعني وضع بعض الحدود على الحرية** ، من أجل تحقيق الانسجام اللازم . ولست أعتقد مع ذلك أن هذا الانسجام سيكون مستحيلا ، فالطبيعة البشرية هي تَطبُّع بالنسبة لتسعة أعشارها ، بينما يظل العشر الأخير وراثيا . وهذا الجزء الذي يعود للتطبع ، يمكن التحكم به عن طريق التربية ، وربما تبيَّن مع الزمن أنه حتى الجزء الوراثي يمكن معالجته بالعلم »[1] .

وهكذا ، فهو برغم حديثه عن حرية التربية والتعليم فهو يريد تعليماً مبرمجاً يخدم أغراض إنشاء الحكومة العالمية ، لكنه يريد الحرية المطلقة فعلا في شيء آخر ، فهو يقول عن **العلاقات الجنسية** :

« في بحثي لهذا الموضوع أحرص على أن أعالج القانون الأدبي الجنسي كما أعالج أي موضوع آخر . وفي هذا أقول ان أعمالك اذا كانت لاتلحق الضرر بأي كان ، فليس هنالك من سبب لشجبها ، وليس لك أن تشجبها لمجرد أن تحريما قديما قد حكم بضلالها وخطئها . وفي هذه الحالة عليك أن تنظر فيما إذا كانت مؤذية أو غير مؤذية كمبدأ للقانون الجنسي الأخلاقي ، ولكل قانون آخر »[2] .

وحين سئل ، هل تستطيع أن تقول أن الاغتصاب يجب أن يكون موضع

---

(١) « هل للانسان مستقبل » ، ص ١٥١ ــ ١٥٣ .

(٢) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ، ص ١٧٤ .

الشجب ، وأنه ليس من الضروري أن يشجب الفسق العادي بشرط ألاَّ يُضير أحداً ؟ . أجاب :

« أجل يجب أن أقول بالتأكيد أن الاغتصاب هو كأي عمل يستهدف الجسد بالعنف الاجرامي . أما بشأن الفسق فان عليك أن تدرس الظروف لترى إذا ما كان ثمة سبب ضده أو لم يكن . وعلى كل حال فلايجب في رأيي استخدام التشجيب طولا وعرضا وفي كافة الظروف »[1] .

وحين سئل في معرض الحديث عن الفسق ، هل تعتقد أن من الصواب أن تكون هنالك قوانين وقواعد تحدد مايمكن ومالايمكن أن تنشره المطابع ودور النشر ؟ ، أجاب :

« هذه مسألة أشعر بأنني أقف فيها موقفاً متطرفاً . وهو موقفٌ أخشى ألاَّ يوافقني عليه سوى القلة القليلة . ذلك أنني أعتقد بوجوب عدم وجود أية قواعد تحظر نشر المطبوعات غير اللائقة بالمعنى الذي تؤديه هذه الكلمة وفق المفهوم السائد . ومردُّ اعتقادي في ذلك أنه إذا كانت هنالك مثل هذه القواعد والقوانين ، فانه قد يكون هنالك قضاة حمقى سخفاء يحكمون بالمنع والمصادرة على مؤلفات ثمينة حقا لمجرد أن محتوياتها تصدمهم . وهذا هو أحد أسباب اعتقادي هذا . وهناك سبب آخر مرده أنني أعتقد أن الحظر أو المنع يزيد زيادة هائلة من اهتمام الناس بالمؤلفات الداعرة »[2] .

وحين سئل : هل تعتقد أن السماح بنشر أي شيء كتبه أى انسان وكان يرتدي طابع الدعارة والفجور ، ليس من شأنه أن يؤدي إلى إثارة اهتمام الناس بالفجور ؟ .. أجاب : « أعتقد أن ذلك خليقٌ بأن يُقلِّلَ من ذلك الاهتمام »[3] .

وبعد ، هذه هي الدولة العالمية ، التي يَعِدُنا اللورد برتراند راسل بها صراحة ، ولانعلم إن كان يخفي منها أشياء أخرى . لكن من يحمل مثل هذه المشاعر والمخططات لابد له من أن يخفي أشياء كثيرة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .
(٢) « برتراند راسل يتحدث عن مشاكل العصر » ، ص ١٧٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

إنه يريد دولة عالمية تفرض نفسها على أمم الأرض عن طريق التهديد باستخدام السـلاح النـووي وبالأوبئـة والمجاعات ، بعد أن يقوم بتجريد هذه الأمم من أديانها وقومياتها وروابطها الوطنيـة وأحزابها السيـاسيـة وقواها الاقتصـادية الفعالة وجيوشها وأسلحتها . إنه يريد قيوداً صارمةً في المجال الاقتصادي والصناعي وفي الفكر السياسي وفي التربية والتعليم ، لكنه يريد حرية مطلقة في انتقال البضائع عبر الحدود بدون أية رسوم جمركية ، بمعنى أنه يريد اطلاق اقتصاد جهة معينة ، وجعل العالم كله مجالاً حيويا لهذا الاقتصاد ، ويريد حرية مطلقة أيضا في الفسق والفجور .

وسيتضح للقـارىء أن برنامج برتراند راسـل يتطـابق إلى حد كبير مع البرنامج البهائي ، مثلما اتضح شيء من هذا من خلال رسائل وبيانات شوقي أفندي ، الخليفة الثاني لبهاء الله .

(١٤)
ألكسندر كوجيف
(Alexander Kojive)

ألكسندر كوجيف ، هو بحسب ماوصفه فوكوياما ، في كتابه « نهاية التاريخ » ، فيلسوف فرنسي – روسي[١] ألقى مجموعة مؤثرة من المحاضرات في مدرسة باريس العملية للدراسات العليا في الثلاثينات من هذا القرن . وكوجيف المجهول عمليا في أمريكا أظهر تأثيراً بالغا على الحياة الثقافية في هذه القارة . ومن بين تلامذته اللاحقين برز جان بول سارتر ، ممثل الجناح اليساري ، ورايموند آرون ممثل الجناح اليميني في مذهب الوجودية[٢] .

ويضيف فوكوياما : إن كوجيف كان أعظم مفسر لهيجل في القرن العشرين ، وشأنه شأن ماركس ، لم يشعر كوجيف أنه ملتزم فقط بشرح وتفسير فكر هيجل ، بل استخدمه أيضا بشكل خلاق ليبني فهمه الخاص للمعاصرة ، ويقدم لنا ريموند آرون نبذة عن تألق وأصالة كوجيف : « لقد فتن كوجيف جمهوراً من صفوة المفكرين الذين يميلون إلى الشك أو النقد . لماذا ؟ إن قدرته وخاصيته الجدلية هي السبب في ذلك .. إن فن الحديث عنده كان مرتبطا بشخصيته وموضوعيته .

« كان الموضوع هو تاريخ العالم وعلم الظواهر عند هيجل ، والموضوع الثاني منهما كان يلقي الضوء على الموضوع الأول ، فكل شيء له معنى .

« وحتى هؤلاء الذين كانوا يتشككون في كل شيء لم يستطيعوا مقاومة هذا الساحر ، إن فهمه للزمن والأحداث دليل كاف على ذلك » .

---

(١) هو من المهاجرين الروس . وأكثر أعماله شهرة هو « مقدمة في مطالعات هيجل » (باريس ١٩٤٧) .

(٢) نهاية التاريخ ، فوكوياما ، ص ٨٠ – نهاية التاريخ ودراسات أخرى ، ترجمة يوسف جهماني ، ص ١٥ .

ويضيف فوكوياما : « وفي جوهر تعاليم كوجيف كان هناك تأكيد على أن هيجل كان على حق ، وأن تاريخ العالم قد انتهى في ١٨٠٦[1] ، كما سبق القول . وبسبب نبرة السخرية في أعمال كوجيف فمن الصعب استشفاف مقصده الحقيقي ، إلا أن اعتقاده واضح فيما يخص مبادىء الحرية والمساواة التي انبثقت عن الثورة الفرنسية ، والتي رأى كوجيف أنها تبلورت فيما أسماه « **الدولة العالمية المتجانسة** » والتي تمثل نقطة النهاية في التطور الايديولوجي للإنسان والذي سيكون مستحيلا التقدم بعده أكثر من ذلك .

كان كوجيف يعلم بطبيعة الحال أنه قد تنشب حروب دموية كثيرة وثورات أكثر في السنوات التالية لعام ١٨٠٦ ولكنه كان يعتبرها « إعادة تخطيط للولايات » .

بمعنى آخر ، ان الشيوعية عند كوجيف لم تمثل مرحلة أعلى من الديموقراطية الحرة ، ولكنها جزء من نفس المرحلة التاريخية التي ستسهم في النهاية في نشر الحرية والمساوة في كل جزء من أجزاء العالم . ورغم أن الثورة البلشفية والثورة الصينية تبدوان كحدثين صارخين في ذلك الوقت ، إلا أن أثرهما سينحصر فقط في نشر المبادىء التي سبق وأن وضعت بالفعل ، وهي مبادىء الحرية والمساواة لشعوب مقهورة ومتأخرة ، وسوف يجبر تلك الدول في العالم المتقدم والتي تعيش في ظل هذه المبادىء بالفعل على ترسيخها وجعلها أكثر اكتمالا .

ويستطيع المرء – على حد قول فوكوياما – أن يستشف لمحات سريعة عن تألق كوجيف وغرابته من خلال الفقرة التالية المقتبسة عنه : « لقد لاحظت ماكان يحدث من حولي وينعكس على ماقد حدث في العالم منذ معركة جينا ، وفهمت أن هيجل كان على حق في أن هذه المعركة قد أنهت التاريخ ، فعن طريق هذه المعركة بلغت البشرية غايتها وهدفها ، أي النهاية ، نهاية التطور التاريخي للانسان . إن ماحدث منذ ذلك الوقت لم يكن سوى امتدادا لمساحة القوة الثورية التي تبلورت في فرنسا على يد « نابليون – روبسبير » . ومن المنطلق التاريخي ، فإن الحربين العالميتين ، بما جلبتا من ثورات صغرى أو كبرى ، كان لهما فقط أثر في وضع الحضارات المتأخرة للولايات العالمية على نفس الخط مع أكثر المواقع الأوربية التاريخية تقدما . وإذا كانت عملية تجميع السوفييت في روسيا ، وشيوعية الصين ، شيئا مختلفا عن عملية الديموقراطية في

(١) تاريخ المعركة التي انتصر فيها نابليون على بروسيا في « يينا »

ألمانيا (على طريقة هتلر) ، أو حصول « توجو » على استقلالها ، مثلا ، فهي تبدو هكذا فقط لأن عملية تحويل « بونابرتية – روبسبير » إلى السوفييت والصين هي التي تجبر أوربا بعد نابليون على الاستعجال في استبعاد العديد من نتائج المفارقات الزمنية وإعادتها إلى ماضيها فيا قبل الثورة » .

ويضيف فوكوياما : « إن الاحتواء الكـامل لمبـادىء الثورة لفرنسيـة تبلور عند كوجيف في دول أوربا الغربية بعد الحرب ، أي تلك الديموقراطيات التي حققت درجة عاليـة من الوفرة المـادية والاستقرار السياسي ، لأنها مجتمعات لاتوجد بها تناقضـات أساسية ، وحيث أنها قد تحقق لها الاشباع الذاتي فلم تعد لها أهداف سياسية كبرى تدخل في صراع ما من أجلهـا . وقد استطـاعت هذه الدول أن تحقق لنفسهـا هذا النشاط الاقتصادي بمفردها .

« ويزعم كوجيف أننا وصلنا إلى نهاية التاريخ لأن الحياة في دولة عالمية متجانسة يكون مقنعا ومرضيا تماما لمواطنيها . بمعنى آخر ، فالعالم الديموقراطي الحر الحديث يكون خاليا من التناقضات »[1] .

« وقد أكد ألكسندر كوجيف أن الدولة المتجانسة العالمية من الممكن أن تكون آخر مرحلة من التاريخ الانسـاني إذ أنها كانت مُرضية تماما للإنسان . وقد قام هذا الاعتقـاد ، في النهاية ، على ايمانه بأولوية الجانب الروحي ، أو الرغبة في الاعتراف ، كخاصية انسانية جوهرية عميقةٍ جداً »[2] .

« وفي أواخر حياته ، ولايمانه أنه لم يبق أي عمل للفلاسفة ، لأن هيجل قد وصل إلى المعرفة المطـلقة ، تخلى كوجيف عن التدريس ليعمل موظفا رسميا في هذا المجتمع الأوربي الجديد – كما رآه – (المجلس الاقتصـادي الأوربي) وذلك حتى مماته عام ١٩٦٨ [3] .

---

(١) نهاية التاريخ ، فوكوياما ، ص ١٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣١ – ٢٣٤ .

(٣) نهاية التاريخ ، فوكوياما ، ص ٨٢ – نهاية التاريخ ودراسات أخرى ترجمة يوسف حهماني ، ص ١٧ .

(١٥)
فيليب حتي
(١٨٨٦ - ١٩٧٨)

في أوائل القرن العشرين كانت الجامعة الأمريكية في بيروت مرتعا للبهائيين حين قدم أبو الفضل للإقامة في المدينة[١] .

في ذلك الحين نشر فيليب حتي مقالا دعائيا عن البهائيين في مجلة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت عنوان : « البهائية في الولايات المتحدة – اختبارات شخصية » افتتحه بنص رسالة صادرة عن عبد البهاء إلى أحد الأمريكيين ، الذي طلب إلى حتي ترجمتها ، وأنهاه بنصوص سبع رسائل صادرة عن عبد البهاء زاخرة بعبارات الحب الإلهي والتبتل والضراعة إلى الله .

ومما قاله حتي : « ولطالما اتخذ الباحثون أمر نجاح الدعوة في أمريكا دليلا على صحتها وموافقتها لروح العصر وعلى أهليتها لأن تكون ديانة عامة للعالم بأسره ... ومما يدل على انتشار البهائية العجيب أني دعيت مرة للكلام في جامعة هوارد في عاصمة البلاد واشنطن وهي أكبر جامعة للزنوج ، فقلت في جملة ماقلته أن لكل شعب ، أبيض أم أسود شرقي أم غربي ، ميزة خاصة به لايجوز أن يتنازل عنها أو يستبدلها بغيرها ، وأن كل قوم ، رفيع أم وضيع غني أم فقير ، يمكنه أن يتحف العالم والمدنية بشيء لايقدر أحد سواه على الإتيان به . ومالبثت أن أنهيت الكلام حتى تقدم إليّ أحد أساتذة الجامعة – وهو زنجي – وقال أنه تأكد من منطوق كلامي أني مثله من « الأحباء »[٢] – وهو استنتاج لم يدُر قط بخلدي – ثم دعاني لحضور جلسة كان بهائيو واشنطن ينوون عقدها في تلك الليلة ...

---

(١) مقدمة كتاب « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » .
(٢) « الأحباء » تسمية اتخذها البهائيون لأنفسهم .

« وكان في عداد تلامذتي في جامعة كولمبيا أفراد من البهائيين الأميركيين حادثتهم مراراً وفهمت منهم أنهم لايعتبرون البهائية ديناً جديداً أو مذهباً مستقلاً بل فلسفة اجتماعية تقضي بوجوب الإخاء والسلام وتعلم مبدأ وحدة الجنس البشري ووحدة أصول الأديان ، فالمسيحي منهم مسيحي ، واليهودي يهودي ، والكل تجمعهم رابطة البهاء[1] ... وكان تلامذتي يأتوني بتحارير – ألواح – من عبد البهاء بقصد الترجمة وكنت أستأذنهم بنقلها ونشرها وهي مما لم ينشر مثلها من قبل باللغة العربية على ما أعلم ... » .

وقد نقل هذا المقال ، البهائي سليم قبعين في كتابه الدعائي « عبد البهاء والبهائية » (ص ١٠٣) .

قد يبدو من مقال فيليب حتي أنه يتنصل من عضوية الحركة البهائية لكن مؤرخاً في مركز فيليب حتي لم يكن ليعرض فكرالبهائيين بهذه الطريقة الدعائية المزيفة ، في ذلك الظرف بالذات ، لولم يكن ضالعا في الخطة .

أما في كتابه « خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى » فيستعرض فيليب حتي تاريخ البابية والبهائية تحت عنوان « وثبات فكرية جديدة » فيقول :

« في وقت مبكر من عهد الشاه ناصر الدين (١٨٤٨ – ١٨٩٦) تعرَّضَ بنيان الشيعة القوي إلى التصدع ، فكان الانقسام بالنسبة لدين الدولة الرسمي بمثابة انشقاق في الدولة ذاتها . فحتى ذلك الحين لم يجرؤ أحد من الناس أن يتحدى سلطة علماء الدين والمجتهدين الذين كانوا يتحكمون بشؤون الدولة تحكما لامبرر له ... كان أول من دق اسفيناً في صفوف الشيعة ابن بقال اسمه علي محمد[2] ... غير أن وريثة الشيخية ، البابية التي حلت محلها ، خرجت عن الحدود الاسلامية وبذلك صُنِّفَتْ فرقةً خارجةً عن الاسلام ...

« إن حركة البابية التي بدأت حركة روحية غيبية ، أصبحت على مر الزمن –

---

(١) سيتضح من خلال النصوص البهائية المدرجة في هذا الكتاب زيف ادعاء فيليب حتي ، فمن يكون بهائياً لايمكن أن يكون مسيحياً أو مسلماً .

(٢) الباب .

شـأنها في ذلك شـأن معظـم الحركات الاسـلامية - حركة التف حولها الناقمون والساخطون سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ... » .

ثم بعد أن يتحدث فيليب حتي عن البهائية بأسلوبه الدعائي ذاته يقول : « ولكن العجيب في أمر هذا الدين الجديد الذي صدرته ايران إلى العالم أن يُحرّم العيش في ايران »[1] .

(١) الجزء الثاني ، ص ٨٧ - ٩٠ .

(١٦)
أرنولــد توينبــي
(١٨٩٩ - ١٩٧٥ م)

أما أرنولد توينبي فيرى أن سيـاق التـاريخ يقود بالضرورة إلى وحدة الأديان والحكومة العـالميـة ، وأنه ما لم تتم إقامة الحكومة العـالمية فإن الفناء والدمار سيكونان نصيب جميع البشر .

ففي خطـاب ألقاه في جامعة مينيسوتا ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، قال توينبي : « **إن العيش معاً كعائلة واحدة هو المستقبل الوحيد للبشرية ، بعد أن أزالت التكنولوجيا الغربية المسافات واخترعت القنبلة الذرية** » . ثم أضاف : « **إن البديل الوحيد لفناء الجنس البشري هو الانصهار الاجتماعي الشامل الكامل لكل القبائل والشعوب والحضارات والأديان عند الانسان** »[1] .

وفي كتابه « مختصر دراسة للتاريخ » يقول[2] :

« إن فلك الحضارة الذي مضى يشق عباب التاريخ خمسة أو ستة آلاف سنة ، أخذ يدفع نحو شعب صخور يعجز بحارتها عن الطواف حوله . وإن هذا الخطر الذي ينتظرهم — والذي لامعدى عنه — ماثل في الانتقال المحفوف بالخطر — من عالم منقسم إلى منطقة نفـوذ أمريكية وأخرى روسية ، إلى عالم موحد تحت سيطرة سلطة سياسية واحدة ، ينبغي عليها ، في عصر الأسـلحة الذرية — أن تستأصل عاجلا أم آجلا ، بطريقـة أو بأخرى ، هذا الانقسـام الحالي في السـلطة السياسية . فهل يتم الانتقال سلميا ، أو يتم بحدوث كارثة ؟ .. فاذا تم بكارثة ، فهل تكون شاملة تستعصي على العلاج ، أو تكون مجرد كارثة جزئية تخلف وراءها عناصر تحقق على مدى الأيام البرء

---

(١) العالم يحترق ، بيلي غراهام ، ص ٢٨٥ .

(٢) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٤ ، ص ١٩٥ — ٢٠٠ .

والشفاء ، بعد معاناة مرحلة من الألم والشقاء .

« وما كان لأحد حتى – كتابة هذه الكلمات – أن يستبق الأحداث ، فيعلم – مقدما – نتيجة المحنة التي يبدو للعيان أن العالم سائر إليها .

« ومهما يكن من أمر ، فقد يكون في وسع المراقب أن يمعن النظر فيما تتمخض عنه الأحداث ، دون انتظارٍ للحكمة التي تستخلص – في يسر وسهولة – بعد وقوع الكارثة ، طالما حصر تفكيره بشأن مصير التنظيم العالمي في العناصر الضرورية لقيام حكومة عالمية : عناصر تشارك في صفاتها كلا من الحكومتين نصف العالميتين ، اللتين تبلورتا – على التوالي – حول الولايات المتحدة ، وحول الاتحاد السوفييتي .

« فاذا بحثنا مسألة قدرة التكنولوجيه على تيسير سبل المواصلات ، ألفينا أن قيام حكومة عالمية ، قد غدا فرضا قابلا تماما للتحقيق .

« أما إذا انتقلنا صعوداً أو هبوطاً ، من الصعيد التكنولوجي إلى صعيد الطبيعة البشرية ، ألفينا الفردوس الأرضي الذي أقامه حذق الانسان الصانع في مهارة فائقة ، قد أحالته ضلالة الانسان السياسي إلى جنة للحمقى . فان « برلمان الانسان » الذي بدا أن الشاعر تنيسون تنبأ بمولده مع اختراع الطائرة تقريباً ظهر الآن الى الوجود يحمل اسماً أكثر جموداً هو الأمم المتحدة .

« وإذا كانت الأمم المتحدة لم تكن من العجز بما أكّده نقّادها أحيانا ، فقد ظهر بوضوح عجزها عن خلق حكومة عالمية ...

« وخير مايمكن أن يتوقع للأمم المتحدة ، تطورها من منبر لإلقاء الخطب وإثارة النقاش إلى اتحاد بين دولها . على أن ثمة اختلافاً هائلاً بين اتحادٍ من دول مستقلة واتحادٍ يجمع الشعوب في حكومة مركزية تطلب من كل مواطن – في هذا الاتحاد – أن يحول ولاءه الشخصي لها ، فتتلقاه منه . على أن من المعروف أن تاريخ النظم السياسية لم يسجل قطُّ أنه كان في الامكان اجتياز تلك الهوة ، إلاّ على يد حركةٍ ثوريةٍ . وعلى هذا الأساس فليس من المحتمل أن تصبح الأمم المتحدة نواة التنظيم العالمي الذي تنبعث عنه الحكومة العالمية العتيدة ، في نهاية المطاف .

« لكن من المحتمل أن يحدث هذا ، لا عن طريق تطور الأمم المتحدة ، ولكن عن

طريق تطور أحد نظامين سياسيين قائمين أعرق منها وأشد مراسا ، هما : حكومة الولايات المتحدة أو حكومة الاتحاد السوفييتي .

« وإذا قيض للجيل من البشر الذي يعيش في وقتنا الحاضر ، أن يكون حراً في اختيار أحدهما ، فإن أي باحث غربي ، لايشك بالمرة في أن الجمهرة الساحقة من جميع الرجال والنساء الأحياء ذوي الأهلية لتكوين أي رأي في هذه القضية ، سيؤثرون أن يكونوا رعايا للولايات المتحدة الأمريكية على أن يكونوا رعايا للاتحاد السوفييتي .

« فان المزايا التي تجعل من الولايات المتحدة موضع ايثار دون منازع ترجح تماما سيف الشيوعية المصلت .

« والميزة الأساسية التي تتمتع بها أمريكا في أعين رعاياها الحاليين والمحتملين مستقبلاً ، هي إحجامها الواضح الصادق عن الانسياق وراء تأدية دور الحكومة العالمية »[1] .

« ... فلقد « يتاح للفيلسوف » (باستخدام عبارة المؤرخ جيبون) أن يوسع مجاله الذهني ، فيكشف أن احتكار دولة عظمى وقوية تقرير وتنفيذ السياسات التي تتوقف عليها حياة ومصائر الشعوب الدائرة في فلكها ، إن هذا الاحتكار يحمل بين طياته مشكلة دستورية لايحلها إلاّ صورة من صور الاتحاد الفيدرالي ، ولاينتظر أن تتم تسوية القضايا الدستورية المترتبة على قيام تنظيم يعلو على النظم القومية في سرعة وسهولة .

« على أن مما يبشر بالخير ، أن الولايات المتحدة قد غدت ملتزمة فعلاً بحكم تاريخها نفسه بقبول مبدأ الاتحاد الفيدرالي .

أما في مجال وحدة الأديان فيقول أرنولد توينبي[2] :

« ... ويتضح من هذه المطالعة : أن تاريخ الدين يقوم على الوحدة والارتقاء ...

---

(١) يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية استغنت عن هذه الميزة مؤخرا ، بعد أن لم تعد في حاجة اليها ، إثر حرب الخليج الأخيرة .

(٢) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٣ ، ص ١٦٤ — ١٧٠ .

« حقا إن الأديان العليا الأربعة (الاسلام والمسيحية والمهايانا والهندوكية) ـ[1] ـ مجرد ألوان أربعة لمنهج واحد ...

« وعلى ضوء هذا التحليل تصبح فكرة بقاء كل دين منعزلا عن الآخر إلى الأبد ، فكرة سخيفة ، فإما أن تزيح العقائد الدينية بعضها بعضا من الوجود حتى لايبقى منها واحدة ... وإما أن يجد الجنس البشري ـ وقد تمت وحدته ـ خلاصه في شكل من أشكال الوحدة الدينية ...

« ولعل المبرر المعقول لبقاء الحضارة الغربية الحديثة ـ على ضوء النظرة التي نعرضها هنا للتاريخ ـ أنها قد تُحقِّق للمسيحية وشقيقاتها الأديان العليا الثلاثة (الاسلام والبوذية المهايانية والهندوكية) صنيعا ، هو أن تقدم لها المكان الذي تلتقي فيه على صعيد عالمي ، فتعيد إليها وحدة قيمها ومعتقداتها الغائبة ، وتطرح خلافاتها للنقاش لتتمكن من مواجهة تحدي انبعاث وثنية فاسدة تقوم على عبادة الانسان لذاته » .

ومع أن أرنولد توينبي يلوِّح بضربة قاضية أو حربٍ عالمية من أجل بناء الوحدة السياسية لدول العالم ، وربما يقصد معركة هرمجدّون ، فإنه يرى أن وحدة الجنس البشري لن تتم إلاّ على أساس الدين ، فهو يقول :

« إن الحضارة العلمانية الغربية الحديثة قد بلغت مؤخراً في المجالين الاقتصادي والتكنولوجي مكانة عالمية الطابع دون أن تدرك نجاحا مشابها في المجالين السياسي والثقافي . بل أصبح توحيد العالم السياسي أمراً مشكوكاً فيه ، بعد ماكابده العالم من تجربة مدمرة خلال حربين عالميتين ، دون أن يتعرض لتلك الضربة القاضية المألوفة التي مابرحت الثمن التقليدي للوحدة العالمية في تواريخ الحضارات .

« لكن اتباع هذه الوسيلة الفظة لن يحقق ، على أية حال ، وحدة الجنس البشري . إن الوحدة المرتجاة لن تتم إلاّ نتيجة عرضية لعمل يستند على الايمان بوحدانية الله ، وعلى النظر إلى المجتمع الأرضي الموحد على أنه جزء من ملكوت الله ... أجل لن

---

(١) لايعتبر أرنولد توينبي اليهودية من الأديان العليا ، لأنه لايريد لها ، فيما يبدو ، أن تتحد مع الأديان الأخرى التي يسميها بالدنيا . ويقصد توينبي بالأديان العليا ، ذات الانتشار العالمي . أما الدنيا فكاليهودية والزردشتية ، التي تقتصر على طائفة محدودة .

تتحقق للبشرية وحدتها المرتجاة ، من غير مشاركة الله[١] .

وكما نلاحظ عند البهائيين وعند برتراند راسل ، فان توينبي يندد بالوطنية ، لأنها تعوق بناء الحكومةالعالمية ، فهو يقول :

« إن أخطر ظاهرة يواجهها العالم اليوم في البلاد المسلّم بديمقراطيتها وباعتناقها المسيحيـة أن أربعـة أخماس عقيدة جمهرة السكان ، هي فعلا العبادة الوثنية البدائية للجماعة التي أصبحت موضع تأليه جمهرة الناس ، وهي عبادة تستتر وراء كلمة لطيفة هي : « الوطنية »[٢] .

ويضيف قائلا ، نقلا عن هنري برغسون :

« إن الفرد يحب مواطنيه لأنه يكره الأجانب . تلك هي الغريزة البدائية ، وماتزال راقدة هناك تحت قشرة الحضارة السطحية . إننا مازلنا نشعر بحب طبيعي لذوي قربانا وجيراننا في حين أن حب البشرية حس مكتسب : اننا نصل الى النوع الأول من المحبة مباشرة ، أما النوع الآخر ، فنبلغه بعد أمد . ذلك لأنه عن طريق الله وحده ، يهدي الدين الانسان إلى محبة الجنس البشري »[٣] .

حرب علـى الطبقـة الوسطـى :

وفي المجال الاقتصادي لايرى أرنولد توينبي أي مكان للطبقة الوسطى في الدولة العالمية القادمة ، ولكنه لايعلن ذلك صراحة ، وإنما يتنبأ به من خلال تفسيره لمجرى التاريخ . فهو يقول :

« وإذا كان إخضاع العمال أنفسهم لتنظيم تعسفي يلتزمون به في روسيا الشيوعية نذيراً بالسوء ، فإنه لأمر يبعث على الأسى ، أن نرى الطبقة الوسطى في الغرب وقد شرعت تسلك الطريق الذي مابرحت طبقة عمال الصناعة في الغرب تسير فيه منذ أمد طويل . اذ يعتبر القرن الذي انتهى عام ١٩١٤ ميلادية ، العصر الذهبي للطبقة

(١) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٣ ، ص ١٩١ — ١٩٣ .

(٢) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٣ ، ص ١٨٠ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٩٢ و ١٩٣ .

الوسطى في الغرب ، بيد أن العصر الجديد قد شهد انهيار هذه الطبقة – بدورها – في نفس البؤس الذي حكمت به الثورة الصناعية على طبقة عمال الصناعة . لقد كانت تصفية البورجوازية في روسيا السوفييتية نذيراً مثيرا . ولكنك واجدٌ دليلاً أدق لما ستأتي به الأيام في التاريخ الاجتماعي المعاصر لبريطانيا وغيرها من البلاد التي يتكلم أهلها الانكليزية ، حيث لم تنشب أية ثورة سياسية .

« وإن أبرز الخصائص السيكلوجية المميزة للطبقة الوسطى في الغرب – اذا قورنت بطبقة « العمال » سواء الكتابيين أو اليدويين – إن أبرز هذه الخصائص السيكلوجية ، تتجلى في اقبال الطبقة الوسطى الشديد على العمل . بيد أن الحال قد تغير كثيرا عما كان عليه من قبل ...

« وقد ضاقت – باستمرار – خلال القرن العشرين فرص الأعمال المربحة أمام الطبقة الوسطى في مراكز النشاط الرأسمالي في الغرب ، مركزاً بعد آخر . وكان لهذه النكسات الاقتصادية آثار زلزلت معنويات الطبقة الوسطى . فإن هذه الحماسة للعمل التي عرفت عن هذه الطبقة قد جفت بفعل القيود المتزايدة في مجال النشاط الخاص . كما أن التضخم والضرائب المرهقة قد جعلا من فضيلتيها التقليديتين – الكدح في سبيل الكسب ، والتوفر على الادخار – جعلا منهما أمراً لامعنى له . وتضافر ارتفاع تكاليف المعيشة ، في الوقت نفسه ، على خفض حجم عائلات الطبقة المتوسطة . وجاء حرمانها من الالتحاق بالوظائف العامة ، مهددا بزعزعة كفايتها المهنية ، كما جاء فقدانها وقت « الفراغ » منذرا بتقويض ثقافتها . وبالاضافة إلى ماتقدم ، كابدت المرأة من الطبقة الوسطى متاعب أشد مما كابده الرجل . والمرأة هي الأم التي اعتمدت عليها – كما دلت كتب السير – الطبقة المتوسطة العالمية في الدفاع عن كيانها .

« وقد ترتب على هجر الطبقة المتوسطة – بالتدريج – الأعمال الخاصة ودخولها في الوظائف العامة أو مايعادلها – سيكلوجيا – من وظائف المؤسسات الكبرى غير الحكومية ، ترتبت على ذلك مكاسب للمجتمع الغربي ، كما ترتبت عليه خسائر .

« فأما عن المكاسب : يتمثل المكسب الأساسي في اخضاع الحافز الذاتي للكسب ، للحافز الغيري للخدمة العامة . ويتأتى قياس القيمة الاجتماعية لهذا التغيير ، بإمعان النظر في نتائج ما أسفرت عنه التغيرات التي تناظره في تاريخ الحضارات

الأخرى . وتطالعنا مثالا ، الصحوة الاجتماعية التي انبعثت عن إنشاء الامبراطوريات العالمية في تاريخ الحضارات : الهلينية والهندية والصينية . إذ قد أنجزها وميزها بطابعه إلى حد كبير – توجيه مواهب طبقة دأبت على النهب والسلب ، إلى الخدمة في الوظائف العامة . ومصداقا لذلك . استطاع أغسطس وخلفاؤه أن يجعلوا من رجال الأعمال الرومانيين الجشعين ، موظفي حكومة أخيار . وصنع الامبراطور الصيني « هان ليو بانج » وخلفاؤه ، موظفين صالحين من أعيان الطبقة الاقطاعية النهابة . وصاغ كورنواليس وخلفاؤه ، موظفين صالحين من الوكلاء التجاريين الجشعين لشركة الهند الشرقية البريطانية .

« وأما عن الخسائر : فانه على الرغم من اختلاف الوسائل في كل من هذه الحالات ، أسفرت النتائج عن مظاهر ضعف بارزة . ويمكن تفسير فشلها في النهاية بالبلبلة الفكرية الكامنة في نفوس المشتغلين بالخدمة العامة ، حيث تلقى أسمى الفضائل ، وهي فضيلة النزاهة ، ولكن يضعفها الافتقار إلى التحمس للعمل ، وعزوف عن اتخاذ موقف المبادأة أو التعرض للمخاطر . وتتبدى هذه المظاهر – في الوقت الحاضر – في المحيط العام لموظفي الخدمة المدنية العامة ، من خلال استقراء أحوال الطبقة المتوسطة الغربية أثناء القرن العشرين . ولايبدي هذا الاستقراء مايبشر بنجاحها في القيام بالعبء الهائل الذي لاشك ستواجهه إن آجلاً أو عاجلا ، وهو عبء تنظيم الحكومة العالمية والمحافظة عليها ...

« ولم يكن عسيراً إدراك دلالة هذه الاتجاهات جميعا لمستقبل النظام الرأسمالي المألوف . اذ مابرح رصيد الطبقة الوسطى الغربية من الطاقة السيكلوجية التي اكتسبتها قبل الثورة الصناعية ، يشكل القوة الدافعة للنظام الرأسمالي وإذا كانت هذه الطاقة قد استقطبت اليوم ثم تحولت في نفس الوقت من النشاط الفردي الخاص إلى الخدمة العامة ، فان هذا التحول نذير بنهاية النظام الرأسمالي .

« إن الرأسمالية في جوهرها عملية تحول اقتصادي ... إذ بانتفاء الابتداع يختفي عنصر أرباب الأعمال . وباختفاء دور أرباب الأعمال الفذ ، تختفي الأرباح الرأسمالية من الوجود ، ويزول معها الدافع الرأسمالي . إن المناخ الذي تنمو فيه الثورات الصناعية – أو « التقدم » بمعنى آخر – هو وحده المناخ الذي تستطيع الرأسمالية العيش فيه .. إن

الرأسمالية المستقرة شيء يتناقض مع طبيعتها » .

« وقد بدا كما لو أن ظاهرة التنظيم الدقيق التي تفرضها التكنولوجية الصناعية أحرى بأن تسلب الحيوية من روح الاستثمار الخاص الموروث من عهد ماقبل الثورة الصناعية . وقد أثار هذا الاحتمال سؤالا آخر :

« هل يستطيع النظام التكنولوجي القائم على الصناعة الآلية أن يظل حيا بعد انهيار النظام الاجتماعي القائم على النشاط الخاص ؟ .

« وإن لم تكتب له الحياة ، فهل تستطيع الحضارة الغربية نفسها أن تظل في الوجود ، بعد انقراض الصناعة الآلية التي قدمت لها تلك الحضارة رهانتها ، وذلك حين سمحت لسكانها بالتكاثر – إبان عصر الآلة – إلى مدى أبعد مما يستطيع احتماله أي اقتصاد لايقوم على الصناعة ؟ .

« لامشاحة في أن النظام الصناعي لايستطيع أن يحي ويعمل ، إلاّ حيثما يتوافر رصيد من « الطاقة الابداعية الذاتية » يدفعه إلى العمل . ولقد تمثلت هذه الطاقة الدافعة – حتى اليوم – في الطبقة المتوسطة .

« وهكذا يبدو أن السؤال النهائي هو : هل ثمة مصدر آخر للطاقة الذاتية يتأتى استخدامه لتحقيق نفس الغايات الاقتصادية ، ويستطيع العالم الآخذ بأسباب الحضارة الغربية الاغتراف منه ، إذا لم يكن ثمة مناص من استقطاب طاقة الطبقة المتوسطة أو تحويل اتجاهها ؟ .

« فاذا كان ثمة بديل عملي يمكن التوصل اليه ، ففي وسع العالم أن يتطلع – وهو رابط الجأش – إلى نهاية النظام الرأسمالي . أما إذا لم يتوافر هذا البديل ، فان المستقبل مليء باحتمالات القلق والاضطراب .

« وبالأحرى إذا كانت « مكنكة » الصناعة قد تطلبت فرض التنظيم الدقيق ، وإذا كان هذا التنظيم الدقيق قد استلب الروح من الطبقة العالية في الصناعة ومن الطبقة الوسطى بعدها ، فهل في وسع أي يد بشرية – أيا ماتكون – أن تعالج الآلة الجبارة ، دون أن تحيق بها المكاره ؟ [١] .

(١) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٤ ، ص ٢٠٧ .

العمال والفلاحـــون :

تحت عنوان « التكنولوجيه والصراع الطبقي والعمالة » يطرح توينبي المسألة الآتية :

« إن تيار الكشوف الغربية التي تجري في مجال العلم في هذه الأيام يوحي بأن التكنولوجيا تتمتع بقدرة هائلة . بيد أن ردود الفعل البشرية في عصرنا الحالي قد أيدت في نفس الوقت وجود حدود فعلية ، على الصعيد الانساني ، على القدرة على الانتاج الى مالانهاية ، باستخدام الطاقة التكنولوجية المتاحة . وتتمثل هذه الحدود في العوامل البشرية . فانه وان تيسر من الناحية التكنولوجية انتاج شيء ما ، إلا أنه لايتأتى إبراز الفكرة إلى حيز التنفيذ إلا حين تتوفر الأيدي العاملة .

« بيد أن هذا الاندفاع الهائل في تمكين سيطرة الانسان على الطبيعة الغير البشرية ، قد اقتضى ثمنا له ، فرض طائفة من القواعد لتنظيم العمال . فكان أن أخذوا يقاومون القيود التي فرضت على حرياتهم . ومن شأن هذه المقاومة الحتمية ، أن تعرقل الخطة ، التي كان من الواضح امكان تحقيقها من الوجهة التكنولوجية .

« هنا تعرض لنا الأسئلة التالية :

« ما مدى استعداد العمال للتضحية بحرياتهم الشخصية في سبيل زيادة الرخاء الذي يطالب كل منهم بنصيب أكبر منه ؟ .

« ماهو مدى استعداد عمال الصناعة في المدن للخضوع للتوجيه العلمي ؟ .

« وماهو المدى الذي تذهب اليه أغلبية البشر من عمال الفلاحة البدائيين في اقتباس الأساليب العلمية الزراعية الغربية ، وفي قبول القيود التي تفرض على مانتصوره حقا وواجبا تقليديا مقدسا في الانجاب ؟ .

« إن أقصى مايمكن قوله في هذه المرحلة : إن الطاقة التكنولوجية التي ترجى من ورائها زيادة الانتاج ، تعدو في سباق مع التمرد الانساني الطبيعي الذي يبديه فرادى الفلاحون والعمال الصناعيون .

« إن تكاثر الفلاحين بأعداد ضخمة ، يهدد بالقضاء على ثمار التقدم التكنولوجي . ذلك لأن تزايد سكان العالم ، يستوعب بالتبعية كل زيادة تطرأ على

وسائل المعيشة . وفي الوقت نفسه ، يهدد العمال الصناعيون بالقضاء على ثمار التقدم التكنولوجي وذلك بتحديدهم للانتاج عن طريق الاجراءات المقيدة التي تفرضها نقاباتهم في وجه كل زيادة محتملة في الانتاج .

ثم ينتقل الى الحديث عن تأثير استخدام الآلات على المشروع الخاص ، فيقول :

« إن تحول الصناعة إلى صناعة آلية والنظام المفروض ، أمران لسوء الحظ متلازمان . وإن مراقبا لهذا الموقف ، قد يرى انطباعاته وقد تأثرت بالنور الذي يرى المنظر في ضوئه . فمن وجهة نظر الرجل الفني ، قد يبدو أن موقف العناد الذي يقفه عمال الصناعة ، صبياني ومجاف للعقل .

« ألا يدرك هؤلاء الناس ، أن كل هدف مرجو لابد له من ثمن ؟ .

« وهل ظنوا أن في وسعهم التحرر من العوز دون خضوعهم للاشتراطات التي لابد من توافرها قبل اشباع حاجاتهم ؟ ...

« إن المنظمات النقابية التي كانت أظهر ماساهمت به الطبقة العاملة في بناء المجتمع الجديد (في مرحلة الثورة الصناعية) ، لم تكن إلا تراثا تحدر من نفس العهد الفردوسي : عهد النشاط « الخاص » السابق للثورة الصناعيّة ، وهو العهد الذي كون رؤساء الصناعة . وإذا نظرنا الى هذه المنظمات النقابية باعتبارها وسائل لتمكين العمال من المحافظة على كيانهم في خضم صراعهم مع أصحاب الأعمال ، إذا نظرنا اليها كذلك ، فهي في حقيقة الأمر من صنع نفس المرحلة الاجتماعية التي أنجبت خصومهم الرأسماليين .

« شاهد على المشاركة في هذا الاتجاه نجده في الحقيقة الآتية :

« فان تصفية أصحاب الأعمال في روسيا الشيوعية ، قد أعقبه اخضاع النقابات لتنظيم معين . في حين أن تصفية النقابات في ألمانيا النازية ، قد أعقبه اخضاع أصحاب الأعمال الأفراد لتنظيم معين . وتختلف الأحوال عن ذلك في بريطانيا ، اذ أسفرت الانتخابات العامة في سنة ١٩٤٥ عن حكومة من حزب العمال ، وقام برنامجها على انتزاع ملكية المشروعات الصناعية الخاصة من أيدي أصحابها ، مع صون الحرية الشخصية . لكن عمال الصناعة المؤممة لم يفكروا اطلاقا في حل نقاباتهم ، أو

التخلي عن حقهم في النهوض بمصالح أعضائها ، باستخدام كافة الأساليب التي دأبوا على استخدامها ضد « المستغلين » الأفراد الذين انتزعت منهم ملكية مشروعاتهم الخاصة .

« ومن سوء الحظ ان مقاومة العمال الخضوع لتنظيم تعسفي – على أيدي أصحاب الأعمال – قد أدت بهم الى اخضاع أنفسهم لتنظيم تعسفي من صنع أيديهم . فانهم في مقاومتهم مصير التحول الى آلات بشرية في المصنع ، قد فرضوا على أنفسهم مصير العمل كآلات بشرية في نقاباتهم . إن هذا المصير لامهرب منه . هذا ، ولن يجدوا عزاء في أن عدوهم القديم المألوف – أي رب العمل الفرد – أصبح الآن هو أيضا ، يخضع للتنظيم المفروض على الجماعة ، وانه هو نفسه قد فقد كيانه واستحال – على غرارهم – انسانا آليا .

« وهكذا ، لم يعد خصم العمال طاغية بشريا تدركه الأفهام وتصب على رأسه اللعنات وتحطم نوافذ بيته ، وقتما يفقد الجمهور صوابه . بل تحول خصم العمال – في نهاية المطاف – الى سلطة جماعية غير شخصية ، أعظم اقتدارا وأشد مكرا من أي كائن بشري تمقته النفس وتبغضه[1] .

سيطرة الحكومة العالمية على انجاب الأطفال :

يقول توينبي :

« ... واذ تدفع الحرية الشخصية الطليقة بأضعف الناس إلى أسوأ منزلة ، لن يتأتى تطبيق العدالة الاجتماعية على علاتها ، بدون كبت الحرية التي بدونها تنتفي طاقةالابداع من الطبيعة البشرية .

« ومن ثم تقع جميع النظم الاجتماعية المعروفة في موضع بين هذين الطرفين النظريين المطلقين ...

« وباستعماله على هذا النحو ، أصبح اصطلاح « الديمقراطية » مجرد ستار من الدخان لاخفاء الصراع الحقيقي بين المثلين الأعليين : الحرية والمساواة . والمبدأ الوحيد

(١) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٤ ، ص ٢٠١ .

الذي اكتشف للتوفيق بين هذين المثلين الأعليين المتعارضين ، هو مبدأ وسط بينهما ، وهو « الاخاء » ...

« وإذ أصبحت الحرية الشخصية والعدالة الاجتماعية تتأرجحان في كفتي الميزان ، فقد ألقت التكنولوجيا بثقلها في كفة العدالة الاجتماعية ، وهي خصم الحرية الشخصية ...

وبعد أن يصف توينبي كيف تلتهم زيادة السكان ، ولاسيما لدى الفلاحين ، كل منجزات التكنولوجيا ، يقول :

« إن الخصب والازدهار المترتبين على التطبيق العملي ، قد أنتجا بالفعل وفرة مابرحت تفند تشاؤم مالتس حتى اليوم . إلاّ أن مساحة الأرض محدودة ، وهذا أمر لايمكن التغلب عليه . ويترتب عليه وضع حد للزيادة المطّردة في انتاج الموارد الغذائية للبشر . ويبدو من المحتمل أن تصل الأرض الى حدها الأقصى في انتاج الطعام قبل أن ينبذ الفلاحون عادتهم في الاقبال على التكاثر .

« واذ نتنبأ بتحقيق آراء مالتس بعد انقضاء عصره ، فأحرى بنا التنبؤ كذلك بقيام نوع من السلطة العالمية تأخذ على عاتقها أن تكفل الاحتياجات المادية الأساسية لسكان الأرض جميعا ، خلال فترة « المجاعة الكبرى » التي سيواجهها العالم . **ولن يصبح الأطفال وقتئذ مسألة خاصة تتعلق بالزوجات والأزواج وحدهم ، بل تغدو من اختصاص سلطة عامة لاحد لسلطانها العارم ...**

« ويبدو كما لو أن المستقبل سيظهر ماكان في اغفال روزفلت لهذه المسألة (مسألة كبح حرية الانجاب) من منطق غير مقصود . إذ قد بدا — أخيرا — أن الحرية الجديدة التي نادى بها ، وهي « التحرر من العوز » لن يمكن كفالتها للبشر ، إلا إذا نزعت منهم « حرية الانجاب » .

« أما كيف يتحقق هذا ، فمشكلة تثير طائفة من الأسئلةالبالغة الدقة :

« إذا جاء الوقت الذي يصبح فيه — حقا — انجاب الأطفال مسألة تتولاها بالتنظيم سلطة خارجية ، فكيف ينتظر أن تستقبل أغلبية البشر من الفلاحين هذا القيد على حريتهم الشخصية ؟ .

« ومن الناحية الأخرى ، ترى ماهو موقف أقلية البشر التي حررتها التكنولوجية الصناعية فعلا من اسار عادة لم تكن قط موضع نقاش ، عادة الفلاحين في التكاثر ؟ .

« يرجح نشوب جدال مرير بين هذين القطاعين من الجنس البشري ، فإن لكل جانب مايشكوه من الجانب الآخر . إذ يستنكر العمال الصناعيون أن يكونوا مسؤولين — أدبيا — عن اعاشة جماهير الفلاحين التي لايقف تكاثرها عند حد . أما الفلاحون فسيتملكهم الأسى لما يتهددهم من فقد حريتهم التقليدية في تكثير نوعهم ، بحجة أن ذلك وحده هو البديل من الموت جوعا . فانهم سيطالبون ببذل هذه التضحية وقتما تزداد الهوة — على الأرجح — اتساعا عما كانت عليه ، بين مستوى حياتهم المزيل ، ومستوى حياة العمال الصناعيين : في البلاد الغربية ، أو البلاد الآخذة بأسباب الحضارة الغربية ...

« فإن حدث أن قام هذا الجدل ، حينئذ ، يحتمل أن ينتقل من مجال الاقتصاد والسياسة إلى مجال الدين ، تبعا لاعتبارات كثيرة .

« إن اصرار أهل الريف على تكثير نسلهم إلى أقصى حد تتيحه لهم مواردهم من الغذاء ، هو نتيجة اجتماعية لعامل ديني لايمكن تعديله من غير إحداث تغيير في موقف أهل الريف من الدين ونظرتهم اليه[1] .

أوقـات الفـراغ :

يدعو أرنولد توينبي ، ضمن مخططه لإنشاء الحكومة العالمية ، إلى زيادة أوقات الفراغ ، وهو يتوقع أن تستخدم الغالبية العظمى من الناس هذه الأوقات في ممارسة المساخر ، التي يتوقع منها أن تؤدي الى تداعي الحياة الروحية عند جانب كبير من أهل الطبقة الوسطى . فهو يقول :

« لو تصورنا مجتمعا دوليا تخلص فيه البشر ، قبل كل شيء ، من الحرب ومن صراع الطبقات ، ثم مضى يحل مشكلة السكان ، عندئذ نستطيع أن نستنتج أن

---

(١) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٤ ، ص ٢١٦ .

المشكلة التالية للبشر تتبلور في الدور الذي يؤديه الفراغ في حياة مجتمع قائم على التنظيم الآلي .

« والواقع قام الفراغ بالفعل ، بدور في التاريخ ذي أهمية جوهرية .

« فاذا كانت الحاجة أم الحضارة ، فالفراغ مرضعها . وإن من المظاهر المميزة للحضارة ، الشوط الذي قطعه هذا الأسلوب الجديد للحياة في تحقيق إمكانياته . لكن لم تكن تستمتع بالفراغ سوى قلة نابهة من بين طبقة متميزة بنعمة الفراغ ، وإليها يعزى فضل تلقيح الحضارات بهذه الظاهرة . وإن جميع الانجازات العظيمة التي حققتها البشرية في الفنون والعلوم ، كانت ثمرة لهذا الفراغ الذي تمتعت به تلك الأقلية المبدعة ، وأحسنت استخدامه فيما ينفع الناس .

« لكن الثورة الصناعية قد قلبت — رأسا على عقب — العلاقة القائمة بين الحياة والفراغ . وهذا الموقف الجديد للعامل ازاء العمل ، أدى الى موقف جديد له ، ازاء الفراغ . لأنه اذا كان العمل — بطبيعته — شرا ، فلابد أن يكون للفراغ في ذاته قيمة مطلقة ...

« وكان من الميسور — في ظل تلك الظروف — التنبؤ باستعادة نوع من الفردوس على الأرض تسوده « العمالة الكاملة » ، ويوزع فيه على كل فرد — وبكل حرص — قدر معين من العمل لايشغل من وقت العامل سوى قسط ضئيل من يومه . وهنا يتهيأ له قدر من الفراغ يكاد يعادل ماكانت تتمتع به الطبقة الممتازة — طبقة الأغنياء المتعطلين — التي انتهى أمرها منذ زمن ، والتي تعلم أجداد هذا العامل استهجان أفعالها . وفي مثل هذه الظروف ، تتضح — بلا ريب — أهمية الاستفادة من وقت الفراغ ، بأكثر مما كانت عليه من قبل .

ثم يستشهد أرنولد توينبي ببعض أقوال فرنسيس باكون ، التي وردت في كتابه « تقدم المعرفة » ، المنشور عام ١٦٠٥ م ، حيث يقول :

« ذلك لأنه ، لوحظ حقا أن الفنون التي تزدهر في الأوقات التي تترعرع فيها الفضيلة هي فنون الحرب . أما فنون المعرفة فتزدهر وقتما تتوقف الفضيلة عن النمو . وتروج فنون المتعة حين تتداعى قواعد الفضيلة . ومن ثم أشك في أن يكون هذا العصر

مشرفا على دورة الهبوط . وإلى فنون المتع ، أضيف اقبال الناس على المساخر ذلك لأن خداع الحواس هو احدى الحواس » .

ويعقب أرنولد توينبي على ذلك بقوله :

« إن ممارسة المساخر تستغرق قدراً كبيراً من استخدام وقت الفراغ في عصر اللاسلكي والتلفزيون . وواضح أن الارتفاع بالطبقة العاملة إلى المستوى المادي للطبقة الوسطى قد صاحبه تدني الحياة الروحية عند جانب كبير من أهل الطبقة الوسطى .. »[1] .

التقاويم والأوزان والمقاييس والنقود :

اتضح من رسائل « شوقي أفندي » أن البهائية تؤكد على وجوب توحيد الأوزان والمقاييس والنقود ، ضمن الدولة العالمية التي يزمعون انشاءها . وهم في الوقت ذاته ، كما سيتضح فيما بعد ، أقاموا تقويما خاصا بهم ، قسموا فيه السنة إلى تسعة عشر شهراً والشهر إلى تسعة عشر يوماً . وهنا يقدم أرنولد توينبي التبرير لذلك :

« وإذا كانت الحكومات تعنى على اختلافها بالمعايير القياسية ، فإن عناية الدول العالمية بها أشد وأقوى . اذ تجابهها بحكم طبيعة تكوينها ، مشكلة تحقيق الانسجام بين جمهرة رعاياها الذين يختلفون عن بعضهم بعضا في الكثير من مناحي الحياة ، عكس رعايا الدول الاقليمية الذين يتسمون بالتجانس عموما . ولرعايا الدولة العالمية اهتمام خاص بالتناسق الاجتماعي الذي تتيحه المعايير القياسية ، سيما ان تولت الدولة رقابة مايتصل بها عن كثب[2] .

ويشير أرنولد توينبي إلى أن التقاويم الزمنية كانت أكثر عصيانا على التعديل والتطوير ، ويفسر ذلك بقوله :

« ثمة ترابط معترف به ، بين قياس مثقفي البشر وسلطان الدين على النفوس البشرية . ويشهد على صحة تأصل هذه الفكرة (وتفتقر الى السند العلمي) في

---

(١) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٤ ، ص ٢٢٣ ـــ ٢٢٧ .

(٢) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٣ ، ص ١٠١ .

الأعمـاق اللاشعورية المنيعـة للنفس البشرية ؛ ندرة الحالات التي وُفِّقَ فيها إصـلاح للتقويم أســاسـه العقل والمنطق ، في إغراء الناس بالاقبال على استخدامه في حياتهم الجارية »[1] .

الإسلام عقبة في طريق النظام العالمي الجديد :

يبدي أرنولد توينبي تخوفاً جدياً من أن يُحبِط الإسلام مساعي السائرين على طريق النظام العالمي الجديد ، طريق وحدة الأديان والحكومة العالمية ، ومن أن يُجَيِّرَ لصالحه كل مجهوداتهم .

فهو ، بعد أن يعطي مثلا تاريخيا عن انتصار الإسلام في حرب شبيهة يقول :

« ... وهوجم الإسـلام في نفس الوقت من قبل الصليبيين ومن قبل بدو آسيا الوسطى (المغول) ، وهكذا أُبعِد الإسلام عن الساحة تماما كما حدث للعالم المسيحي قبل عدة قرون عندما أُجبر – الأخير – على مواجهة الهجوم على جبهتين في آن واحد من قبل العرب ومن قبل برابرة شمال أوربا .

« وخرج الإسلام منتصراً – كما خرجت المسيحية قبله – من معركة الحياة والموت هذه ، فلقد أسلم مغول آسيا الوسطى وطُرِدَ الغزاةُ الفرنجة ، والكسب الإقليمي الدائم الذي حصلت عليه المسيحية ، هو ضم المناطق الاسلامية في صقليا والأندلس إلى العالم المسيحي .

أما النتـائج التي جناها الغرب على الصعيدين الإقتصـادي والثقافي من احتلال الصـليبيين المؤقت لقسـم من العالم الإسـلامي ، فقد كان أهم بكثير من الكسب الإقليمي وتوسيع رقعة الأرض .

« لقد أَسَرَ الإســلام المغلوب غالبيـه وأدخل فنون الحضــارة إلى حياة العالم المسيحي .. وقد كانت حياة لاتينية صدئة .

« وفي بعض حقول النشــاط الإنســاني كهندســة البنـاء مثلاً ، تغلغل التأثير الإسلامي في العالم المسيحي كله طيلة قرونه الوسطى ، أما في صقلية والأندلس ، فقد

---

(١) « مختصر دراسة للتاريخ » ، جزء ٣ ، ص ١٠٤ .

كان تأثر الدولة الغربية الجديدة فيهما بالامبراطورية العربية القديمة أوسع شمولا وأبعد غوراً .

« على أن هذا الفصل لم يكن الفصل الأخير من الرواية ، ولقد فشلت محاولة الغرب في القرون الوسطى لاستئصال شأفة الإسلام ، تماماً كما فشلت في الماضي محاولة بناة الامبراطورية العربية في فتح مهد الحضارة الغربية الوليدة .

« ومرة أخرى قام هجوم معاكس ، يردُّ على العدوان الغربي الفاشل ، وكان يمثّلُ الإسـلامَ هذه المرة العثمانيون أحفـاد البدو الرُّحَّل في آسيا الوسطى الذين دخلوا في الإسلام . فقد احتل العثمانيون ووحدوا العالم الأرثوذكسي ، وحاولوا توسيع دولتهم ، لتصبح دولة عالمية ، على غرار النمط العربي أو الروماني ... [1] .

ثم يتحـدث أرنولد توينبي عن المواجهـة التي قامت بين العـالم الغربي والعـالم الإسلامي في العصر الحديث ، فيقول :

« وسنرى فيما بعد أن هذا اللقاء ليس إلا جزءاً من حركة أوسع وأكثر طموحا تهدف الحضـارة الغربيـة منها إلى جمع العالم الإنسـاني كله في مجتمع كبير واحد ، والسيطرة على كل شيء فوق هذه الأرض ، وفي البحار والأجواء التي ستصـل إليها الإنسانية عن طريق التقنية الغربية الحديثة .

« ومايفعله الغرب بالإسلام الآن هو عين مايفعله بكل الحضارات التي لاتزال حيَّـةً كالعـالم المسيحي الأرثوذكسـي ، والعـالم الهندوسـي ، وعالم الشـرق الأقصى ، بالإضافة للمجتمعات البدائية التي تعيش في هذا العصر مع أنها معزولة في آخر معاقلها في أفريقيا الإستوائية .

« لهذا ، فإن اللقاء (المواجهة) الحاضر بين الإسـلام والغرب ليس فقط أكثر حيويةً وتلاحماً من أي لقاء سابق ، بل إنه يتميز بكونه محاولة يقوم بها الغربي لتغريب العالم ، وهذا عمل يمكن تصنيفه على أنه الأول تسارعاً ، وعلى الأغلب ، الأكثر أهمية في ملامح تاريخ الجيل الذي عاش مابين الحربين العالميتين .

---

(١) الإسلام والغرب والمستقبل لأرنولد توينبي ، ترجمة الدكتور نبيل صبحي ، ص ٣٣ .

« ومرة أخرى يواجه الإسلام الغرب ، وظهرُه للجدار ، على أن القوى المناوئة له الآن هي أثقل بكثير مما كانت عليه في أحرج أوقات الحروب الصليبية ، لأن الغرب الحديث متفوق على الإسلام ، ليس في مجال الأسلحة فقط ، بل في مجال تقنية حياته الإقتصادية ، والتي تشكل أساس العلوم العسكرية ، كذلك فإن الغرب متفوق في ثقافته الفكرية وهذه هي القوة الداخلية التي تستطيع وحدها إبداع وتدعيم الواجهات الخارجية لما يسمى الحضارة[1] .

ثم يصف أرنولد توينبي ردود الفعل التي يتخذها أي مجتمع متحضر في مثل هذا الموقف بأنها تشكل طريقين لاثالث لهما ، أحدهما طريق المتحمسين المتعصبين (Zealot) ، والآخر طريق المقلدين المتكيفين (Herodian) .

« فالفريق الأول ، أي المتحمس ، هو الإنسان الذي يتهرب من الشيء المجهول ، ويلجأ للشيء العادي المتعارف عليه ، لذلك عندما يدخل معركة مع أجنبي متفوق في التكتيك والأسلحة ، يعمد المتحمس إلى فنه التقليدي في الحرب ، يطبقه بدقة متناهية غير عادية ، ويمكن وصف هذا الطريق بأنه مخلفات القديم أعادها إلى الحاضر الضغط الأجنبي ...

« والمقلّد هو الرجل الذي يعمل على أساس أن أفضل طريقة لدرء خطر الشيء المجهول هو تعلم أسراره ، وعندما يواجه هذا الرجل خصما يفوقه براعة ويفضله سلاحا ، يكون رد فعله هو التخلي عن فنه التقليدي في الحرب والتدرب على قتال العدو بنفس أسلحته وتكتيكه ... »[2] .

ثم يصف توينبي إحدى حالات التقليد المتمثلة في حركة مصطفى كمال (أتاتورك) فيقول :

« ولم يكتف الأتراك بتغيير دستورهم ، وهو شيء سهل نسبيا في مجال الإصلاح الدستوري ، بل قامت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المدافع عن الدين الإسلامي — الخليفة — وألغت منصبه — الخلافة — وجردت رجال الدين المسلمين وحلت

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧ و ٤٥ .

منظماتهم ، وأزالت الحجاب عن رأس المرأة واستنكرت كل مايرمز اليه الحجاب ، وأجبرت الرجال على ارتداء القبعات التي تمنع لابسيها من أداء شعائر الصلاة الإسلامية التقليدية ، بخاصة في السجود ، وكنست الشريعة الإسلامية بأكملها ، وتبنت القانون المدني السويسري بعد أن ترجمته إلى التركية ، وطبقت قانون الجرائم الايطالي ، وذلك بفرض هذين القانونين بعد التصويت عليهما في المجلس الوطني ، وغيرت الأحرف العربية بأحرف لاتينية وهذا أمر لم يتم إلا بطرح القسم الأكبر من التراث الأدبي العثماني القديم »[1] .

ثم يصف توينبي النتيجة التي انتهت إليها عملية التغريب تلك ، فيقول :

« ويجب على المراقب الغربي أن يراعي حدود اللياقة فلايغالط ولايسخر لأن مايحاول المقلدون الأتراك القيام به هو تغيير وطنهم ومواطنيهم مما هم فيه إلى حالة كنا نحن ، منذ التقاء الغرب بالإسلام ننتقدهم لعدم وجودها طبيعة فيهم ، وها هم حاولوا ، ولو متأخرين ، إقامة صورة طبق الأصل لدولة غربية وشعب غربي .

« وعندما ندرك تماما هدفهم الذي رموا إليه ، لانستطيع إلاّ التساؤل بحيرة : هل يبرر هذا الهدف حقا الجهد الذي بذلوه في صراعهم لبلوغه ؟ .

من المؤكد أننا لم نكن نحب التركي التقليدي المسلم (المتحمس) الذي كان يثير حنقنا عندما ينظر إلينا من علٍ على أننا فريسيين زناديق ! ويحمد — أي التركي — الله على أنه لم يجعله مثلنا ؛ وبما أن التركي التقليدي القديم كان يعتبر نفسه من طينة خاصة ، حاولنا أن نحط من كبريائه بتصوير هذه الطينة الخاصة شيئاً ممقوتاً وسميناه (التركي النكرة) .. إلى أن استطعنا أخيرا أن نحطم سلاحه النفسي وحرضناه على القيام بهذه الثورة (المقلّدة) التي استهلكها الآن أمام أعيننا .

« والآن وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا ... وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة لجعل نفسه مماثلا لنا وللشعوب الغربية من حوله ، الآن نحس نحن بالضيق والحرج بل ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق ، تماما كما شعر صموئيل عندما اعترف بنو اسرائيل بفظاظة غايتهم ورغبوا في وجود ملك .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

« لذلك فإن شكوانا الجديدة من الأتراك في هذا الظرف أمر ، أقل مايقال فيه ، أنه غير لائق ، وبإمكان التركي أن يجيبنا : انه مهما فعل ، فهو مخطىء في نظرنا ، وهو ــ أي التركي ــ قادر على ترديد مقطع من كتابنا المقدس على مسامعنا ، يقول :

« لقد نفخنا معكم في القرب فلم ترقصوا .. وحزنًا معكم فلم تبكوا » .

« على كل حال ، قد يكون انتقادنا للأتراك فظا وغير لائق ، ... ولكن ليس فيه أي تحامل ... ولاهو خارج عن الموضوع ، إذ ما الذي سيكسبه التراث الحضاري ، في حالة عدم ذهاب جهود الأتراك سدى ؟ أي في حالة نجاحهم ــ فرضا ــ النجاح المرجو ؟ .[1] .

ثم يعلق ارنولد توينبي أملاً كبيراً على الإصطدام فيا بين المسلمين للتخلص من قواهم جميعا ، ويوجه النظر بصورة خاصة إلى إمكانية استخدام المتغربين لإفناء المتحمسين من المسلمين ، فيقول :

« ويمكن أن نلاحظ في سياق بحثنا أن أي اصطدام وقع ويقع بين « المتحمسين » وأبناء جلدتهم من « المقلدين » المسلمين يلقى « المتحمسون » فيه عناءً شديداً ويعاملهم « المقلدون » معاملة قاسية لايتجاسر الغربيون على القيام بها ، فالغربيون يعذبون « المتحمسين » بالسياط ، أما « المقلدون » المسلمون فيعذبونهم بالعقارب ...

« ماهي النتائج التي نستخلصها إذن من هذا البحث ؟ .

« هل نستنتج ، تبعا لهدف دراستنا ، أن علينا إسقاط « المتحمس » الإسلامي و « المقلد » المسلم كليهما من حسابنا عندما ندرس اللقاء الحاضر بين الإسلام والغرب ، ونقول أن لا أثر لهذا اللقاء البتة على مستقبل الإنسانية ؟ .

« كلا .. ، لأننا إذا فعلنا ذلك وأسقطنا من اعتبارنا « المتحمس » الإسلامي الناجح و « المقلد » المسلم الناجح .. قد لايبقى لدينا إلا أقلية ضئيلة من أعضاء المجتمعات الإسلامية .

« وكما أشرنا سابقا ، فإن مآل الغالبية ليس إلى الإبادة ، ولا إلى التحجر ، ولا إلى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥١ ومابعد .

التمثل ، بل مآلها إلى الغرق في خضم البروليتاريا العالمية الواسعة الموجودة الآن ، وهي النتاج الثانوي المشؤوم لعملية « تغريب » العالم .

« وقد يبدو ، للوهلة الأولى ، أن تصورنا هذا لمستقبل غالبية المسلمين في عالم « يتغرب » ، ينهي موضوع البحث إذ يقدم الجواب لسؤالنا الذي طرحناه ، فإذا حكمنا على المتحمس الإسلامي والمقلد المسلم بالعقم الثقافي ، ألا نحكم من باب أولى على البروليتاريا المسلمة بنفس هذا القصور المميت ؟ ، وهل هناك ، حقا ، إنسان يخالف هذا الحكم للوهلة الأولى ؟ ..[1] .

وبعد أن يستعرض توينبي نظرة مماثلة من جانب اليونان والرومان واليهود للمسيحية في عهدها الأول ، يقول :

« كان أولئك الأذكياء من يونان ورومان ويهود مختلفي الرأي في كل شيء ، ولكنهم كانوا بالتأكيد مجمعي الرأي ، في تلك الحقبة الزمنية ، على إجابة تساؤلهم « وهل ينتظر أن يصدر عن الناصرة أي شيء حسن » ، بالنفي المليء بالإزدراء والإصرار .

« وعلى ضوء التاريخ يتحقق الآن أن جوابهم كان خطأ مضحكا إذا اعتبرنا مقياس الحسن هو في مظاهر القدرة الخلاقة [2] .

بعد مقدمات أرنولد توينبي هذه ، نراه يصل إلى مرحلة الإحباط أو مايشابهها ، فيقول :

« وإذا كان لهذه السوابق التاريخية أي معنى عندنا ، وهي إشعاعات الضوء الوحيدة التي يمكن أن نلقيها على الظلمات التي تكتنف مستقبلنا ، فإنها ، أي السوابق **التاريخية هذه ، تنذر بأن الإسلام إذا دخل عالم بروليتاريا الحضارة الغربية الحاضرة قادر في النهاية على منافسة الهند والشرق الأقصى وروسيا على الغنيمة ، وقادر على التأثير في المستقبل بأساليب عدّة تسمو على فهمنا وإدراكنا [3] .**

(١) المصدر السابق ، ص ٥٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

ثم يعلق أرنولد توينبي أمله على تفجير الإسلام من الداخل ، يعلق أمله على البهائية والقاديانية ، للمساهمة في بناء النظام العالمي الجديد ، فيقول :

« والواقع أن تأثير الغرب بدأ يحرك كوامن الإسلام ، ويمكننا أن نميز في هذه الأيام المبكرة بعض الحركات الفكرية التي يمكن أن تصبح أجنة لديانات سامية جديدة !!! .

« ويذكر المراقب الغربي المعاصر حركتي « البهائية » و « الأحمدية [1] ، اللتين ظهرتا أولا في عكا (فلسطين) ولاهور (يوم كانت جزءا من الهند) ، إذ بدأتا ترسلان المبشرين بهما إلى أوربا وأميركا .

« وعند هذه النقطة في التخمين للمستقبل نصل إلى أعمدة هرقل ، حيث يعمد الباحث إلى الوقوف عند ماوجده ، ويمتنع عن محاولة الغوص في محيط المستقبل ، إذ لايستطيع الأخذ إلاّ بالوجهات العامة كلياً .

« وفي الوقت الذي نستطيع الإستفادة من تخمين الشكل العام للأمور المقبلة ، نستطيع أيضا أن نتكهن الظلال المحددة لبعض الحوادث الآتية في المستقبل القريب فقط ؛ والسوابق التاريخية التي أمدتنا بأضوائها الموجهة تنبئنا أن الأديان التي تنتج عن تلاقي الحضارات وتفاعلها تحتاج إلى قرون عدة لتنمو وتبلغ مرحلة النضج ...

« وبالقياس لما أوردناه فإن التأثير الحاضرللغرب على الإسلام ، والذي بدأ ضغطه منذ مئة وخمسين عاما تقريبا ، لن يظهر نتائج مماثلة ، بالطبع ، ضمن فترة تستطيع معها طاقاتنا المحدودة التنبؤ بالتحديد الدقيق لمعالم تلك النتائج المرتقبة ! .

« لذلك ، فكل محاولة للتنبؤ بالآثار المحتملة ليست إلا « تمرينا رياضيا » لخيالنا ، لا طائل تحته » .

فأرنولد توينبي لايثق تماما بأن البهائية والقاديانية يمكن لهما أن تقدما أية خدمات حقيقية للنظام العالمي الجديد ، لكنه يأمل ذلك فقط .

يقول توينبي : « لقد مرت ستة قرون ونصف القرن مابين اليوم الذي عبر فيه الاسكندر الكبير – ذو القرنين – جسر هيليس ، وبين اليوم الذي أعلن فيه قسطنطين

(١) الأحمدية ، هي القاديانية .

حمايته للمسيحية .. ومرت خمسة قرون ونصف القرن منذ اليوم الذي حج فيه أول صيني الى أرض البوذيين المقدسة في « بيهار » الى اليوم الذي سأل فيه « ميناندس » حاكم الهند اليوناني ، حكماء البوذيين السؤال التالي : ماهي الحقيقة ؟ [1] .

لكن توينبي يغفل عامدا السؤال : ما الذي فعله الإسلام في مائة عام من ظهوره ، حين كان الناس ينتقلون بين الأقطار سيرا على الأقدام أو ركوبا على ظهور الحيوانات ، وكانت الحناجر وسيلة التبليغ الوحيدة؟ وما الذي فعلته البهائية والقاديانية في الزمن المماثل حين أضحى الناس يستخدمون القطارات والطائرات والإذاعات والتلفزيونات والمطابع .

إن أرنولد توينبي الذي لم يُظهر أي تسامح حيال الإسلام والمسلمين نراه يقول : « والذي أتصوره أن روح الإسلام[2] ستكون التعزيز المناسب الذي سيقرر مصير هذه المعركة لمصلحة التسامح والسلام » . وقد يبدو هنا أن المقصود بـ « التسامح والسلام » تلك الدعوى العريضة الزائفة التي يغلفون بها النظام العالمي الجديد ، ويغلفون البهائية والقاديانية . فأرنولد توينبي يعود سريعا إلى القول :

« هناك من يفترض ، مقدما ، أن الخليط المتنافر الذي نتج عن غزو الغرب للعالم سيطور تدريجيا وسلميا إلى تركيب متجانس ، وسيشكل هذا التركيب بدوره .. تدريجيا وسلميا أيضا ، نوعا من الإبداع الجديد .

« وهذا الافتراض المسبق ، على كل حال ، يقوم على نظرية لايمكن التحقق منها .. قد تبررها الحدثان في المستقبل .. وقد لاتبررها أبداً .. ، وقد ينتهي الخليط إلى تركيب متجانس .. وقد ينتهي أيضا بانفجار مُدمِّر .

« وفي حالة وقوع هذه الكارثة سيكون للاسلام دور مختلف تماما ، وهو دور العنصر الفاعل في ردة فعل عنيفة تقوم بها البروليتاريا العالمية للشعوب المسحوقة ، ضد أسيادها الغربيين .

« صحيح أن هذه الإمكانية المدمرة للاسلام لاتظهر الآن حتمية الوقوع ، لأن

(١) المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٢) ربما كان يقصد هنا ماسماه قبل قليل « كوامن الإسلام » أي البهائية والأحمدية .

الكلمة المؤثرة « الوحدة الاسلامية » والتي كانت دائما بعبع المستعمرين الغربيين منذ استعمالها في اللغة السياسية للسلطان عبد الحميد ، بدأت ، مؤخراً ، تفقد سيطرتها التي كانت لها على عقول المسلمين ؛ وليس من الصعب علينا أن نرى العوائق الذاتية الموجودة في الدعوة لمثل هذه الحركة الاسلامية الشاملة .

« فالوحدة الاسلامية ماهي إلا عارض للغريزة التي تدفع قطيعا من الثيران التي ترعى في سهول متفرقة الى التجمع لتشكيل كتائب رؤوسها إلى الأرض وقرونها في الهواء .. وذلك حالما يظهر عدو داخل الحمى ...

ثم يقول : **« صحيح أن الوحدة الاسلامية نائمة .. ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية ونادت بزعامة معادية للغرب ، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية ، لاحصر لها ، في ايقاظ الروح النضالية للاسلام .. حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف ، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للاسلام ..**[1] .

ثم يختتم توينبي بحثه بالقول : **« فإذا سبب الوضع الدولي الآن حربا عنصرية ، يمكن للاسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى ... وأرجو أن لايتحقق ذلك »** .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(١٧)
علماء معهد هدسون
هرمان كاهن – وليام براون – ليون مارتن

بمبادرة من هرمان كاهن أنشىء معهد هدسون (Hudson) في الولايات المتحدة الأمريكية للقيام بدراسات عن المستقبل. وقد أسهم هذا المعهد إسهاماً كبيراً في الأبحاث الاستراتيجية الحربية. وقام مؤسسه بالاشتراك مع زميل له اسمه أنتوني وينر بدراسة مشكلات المستقبل، ونشرا نتائج الدراسة في كتاب بعنوان: «عام ٢٠٠٠ – إطار للتفكير في السنوات الثلاث والثلاثين القادمة»[1].

وضمن خطة المعهد لتشجيع الدراسات المستقبلية، والدراسات ذات الطابع العالمي التي تتركز بصورة اساسية على ازدياد السكان، والنمو الاقتصادي، والطاقة، والمواد الأولية، والموارد الغذائية، والبيئة، قدم العلماء: هرمان كاهن، وليام براون، ليون مارتن، بالتعاون مع معهد هدسون، دراسة تحت عنوان «خطة اقتصادية لمائتي عام، ١٩٧٦ – ٢١٧٦» تضمنت في أحد فصولها بحثا بعنوان: «إمكانات الديمقراطية واحتمال قيام حكومة عالمية»، يقولون فيه:

«إن بلداناً كثيرة ستحقق الديمقراطية اسماً رغم أن لون نظام الحكم موضوع البحث سيكون بالنسبة للبعض منها استبدادياً أكثر منه برلمانياً حقاً. ولهذا فاننا لانستطيع أن نقول أن الشكل البرلماني متفوق على الشكل الاستبدادي أو بالعكس. غير أن عالَماً تكنوقراطياً على قدر كاف من الغنى ينبغي له أن يكون، في البداية على الأقل، جامعا إلى حد ما، عالمياً، مسالماً، مرناً، آخذاً بمذهب اللذة والسعادة ...

«وسنشهد كذلك تكاثر الأجهزة المدعوة لمعالجة المشاكل الدولية في القرن

---

(١) من مقال للدكتور محمود زايد في مجلة الفكر العربي، العدد ١٠ ١٩٧٩/٤/١٥، ص ٢٦.

الحادي والعشرين . وسيكون بعضها متخصصا ، من بين أشدها فعالية ، ولكن أجهزة أخرى ستكون جزءا من منظمات دولية كبرى (كمنظمة الأمم المتحدة) .

« كثيرون هم الذين يعتقدون أنه كلما ازدادت المهام التي يعهد بها إلى هذه المنظمات الدولية توسعت الحركة في اتجاه حكومة عالمية . غير أن هذه الحركة لن تتقدم إلاّ إذا كانت فعالة جداً . وإن دواعي السلام والحد من التسلح ، والحفاظ على العلاقات الاقتصادية وروابط البيئة ، ناهيك عن جوانب كثيرة تتعلق بالتشريع وبالنظام ، ستؤلف مجموعة من العوامل تنشأ عنها ضغوط شديدة ترمي طبعاً إلى تشجيع قيام حكومة فيدرالية عالمية . ومع ذلك فنحن متشككون . فما عسى أن يكون مثلاً جواب اليابانيين ، والروس ، والأوربيين والأميركيين عن السؤالين التاليين :

« ١ ـ أمستعدون أنتم أن تعهدوا بمصالحكم ومصالح شعوبكم إلى حكومة تعمل بموجب اقتراع فردي (شخص واحد ، صوت واحد) ، فتسيطر عليها والحالة هذه الجماهير الصينية أو الهندية ؟ .

« ٢ ـ أمستعدون أنتم للتنازل لصالح الحكومة التي تذعن لأصوات الدول (لكل بلد صوته) والتي ستسيطر عليه سيطرة واسعة ، والحالة هذه ، الأمم الصغيرة في أميركا اللاتينية وأفريقيا وآسيا ؟ .

« إن الجواب عن هذين السؤالين سيكون بالنفي بكل تأكيد . إن مبدأ ثنائية التمثيل الذي يتحدد التناوب فيه بالمبدأين السالفين لن يكون أوفر حظاً . والحقيقة أن السلطة قد تعتمد على أصوات شخصية ميزانها الثروة ، وستسيطر عليها الولايات المتحدة واليابان . كما أن الحكومة التي تعتمد على علاقات القوة القائمة حاليا ستكون هي أيضا غير وافية بالغرض . فكيف يمكن لسلطة كهذه أن تبرز بسلام وأن تستمر بدون صراع ؟ . إن هناك وسائل كثيرة لايجاد الموافقة ، ولكن أيا من هذه الطرق لايؤدي بسهولة إلى إقامة شكل حكومة عالمية تظهر من خلال تطور البشرية ، بدون معارضات عنيفة (ص ٣٠٥ ـ ٣٠٨) .

(١٨)
ألبرت اينشتاين
(١٨٧٩ - ١٩٥٥ م)

ألبرت اينشتاين هو أحد رواد الفيزياء الحديثة ، وقد كان إلى هذا صاحب فلسفة خاصة وثيقة الصلة للغاية بآراء سبينوزا[1] ، وقد كان يبدو على فلسفته شيء من التناقض .

فالبعض يرى أن « الإنكار التام لوجود الله وإنكار وجود أي جوهر غير مادي ، والاقتناع بموضوعية وإمكان معرفة العالم ، والتداخل النسبي لجميع عمليات الطبيعة ، هي المبادىء الرئيسية لنظرته الكلية للعالم »[2] .

والبعض الآخر يرى أن اينشتاين يحمل الفكر المثالي والواقعي المادي في آن معاً . فهو تارة ينفي عن نفسه تهمة المثالية ويصرِّح بأشياء يفهم منها أنه راسخ الايمان بالتجربة ، وبأن الكون له حقيقة فيزيائية مستقلة . وتارة أخرى يجرد الزمان والمكان من صفات الوجود المستقل ، ويجعلهما من صنع الانسان . فلكل انسان زمانه الخاص ومكانه الخاص . وكذلك هو لايعترف بوجود قوانين أساسية للكون ، متابعا في ذلك بوانكاريه وماخ . فالقوانين في نظره من خلق الخيال ومن محض الفكر . وهي ليست وليدة الاستقراء والتعميم ، بل وليدة نشاط المخترع الذي يخضع في تأملاته لمبدأين اثنين : أحدهما تجريبي ومؤداه أن نتائج نظرية من النظريات يجب إثباتها بالتجربة ، والآخر منطقي إجمالي يشك في قيمته وهو « مبدأ الاقتصاد في الفكر » ومؤداه أن القوانين الأساسية للكون يجب تقليلها إلى أقل عدد ممكن وعدم تعارضها منطقيا . وهذا قريب مما تقول به مدرسة الوضعية المنطقية .

---

(١) الموسوعة الفلسفية ، ص ٧١ .

(٢) كذلك .

غير أن من الثابت في جميع الأحوال أن اينشتاين كان فيلسوفا بقدر ما كان رياضيا وفيزيائيا . فكانت نظريته « النسبية » مزيجا من الفلسفة والمنطق الرياضي والتجربة الفيزيائية .

فهو مع إشادته بالتجربة كان يقول : « وبمعنى ما فإني اؤمن اذن أن التفكير الخالص يمكنه أن يفهم العالم الواقعي كما كان يحلم بذلك الأقدمون » . فهو كأستاذه ماخ يؤكد أن الأشياء المادية لاوجود لها في ذاتها ، بل هي تمثل مركبات من الإحساسات تتكرر باستمرار . فالإحساسات هي العنصر الأول ولاشيء إلاها . ولذلك فهو يرى أن غاية الفيزياء ليست هي اكتشاف العلاقات القائمة بين الأشياء المادية ، وإنما العلاقات القائمة بين الإحساسات ، فالإنسان لا سبيل له إلى معرفة العالم ، فكل ما في وسعه إنما هو معرفة إحساساته . وإذ يقرر اينشتاين أن العلم وقوانينه من صناعة الفكر الإنساني ، وأن العالم الواقعي هو مركبات من الإحساس ، وأن غاية القوانين تصنيف إحساساتنا ، فالتجربة هي شيء ذاتي ، وموضوعها مركبات الإحساس . وهكذا نرى أن علم الفيزياء يكاد يستحيل لديه إلى علم النفس[١] .

ويبالغ اينشتاين في قيمة الرياضيات نتيجة لهذه النزعة . فهو يقول : « إن البناء الرياضي الخالص يُمكّننا من اكتشاف تلك الأفكار وتلك المبادىء التي هي مفتاح فهم ظواهر الطبيعة » حتى أنه لقد حاول أن يستنبط من معادلة المجال المتواصل وحدها عموم الفيزياء ، بما فيها عالم الذرات والخصائص الكمومية . وهنا يتجلى ميل اينشتين للصورية الرياضية البحتة ورغبته الجارفة في استنتاج سنن الطبيعة من محض المعادلات الرياضية[٢] .

وهذا الايمان الشديد بالرياضة ناجم عن عقيدته بأن العقل يشيع في الطبيعة . فهو يعتقد بنوع من العقل الكوني وبنظام سابق يسود في الطبيعة . ووظيفة الرياضيات هي أن تعمد إلى اكتشافه . ويقول في ذلك : « ... بدون الاعتقاد الجازم بالنظام الباطن الذي يسود عالمنا لماقامت للعلم قائمة . فهذا الاعتقاد هو الدافع الرئيسي لكل خلق

---

(١) « اينشتين والنظرية النسبية » ، د . محمد عبد الرحمن مرحبا ، ص ١٢٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٨ و ١٢٩ .

علمي وسيظل كذلك إلى الأبد » . ويقول في موضع آخر : « من الواضح أن كل بحث علمي دقيق يقوم على عقيدة مشابهة للشعور الديني مؤداها أن العالم مؤسس على العقل ومن الممكن فهمه »[1] .

ويطغى عليه هذا الشعور حتى ليحس فيه موسيقى الكون ، يقول : « إن أجمل انفعال يمكن أن تهتز له نفوسنا هو الانفعال الصوفي . فهو أصل كل فن ، وكل حق . فمن ينعدم فيه هذا الشعور ولاتجد الدهشة سبيلا إلى نفسه ، ويحيا هلوعا جزوعا ، إن هذا مَيِّتٌ والســلام . إن معرفة أن مالاندركه موجود حقـا ، ويتجلى حكمـة وأي حكمة ، وجمالا وأي جمال ! . فلاترى منه ملكاتنا الفقيرة غير أشد صوره فجاجة .. أقول هذه المعرفة ، وهذا الشعور هما محور الشعور الديني الصحيح . فبهذا المعنى ، وبهذا المعنى وحده ، أضع نفسي في مصاف الرجال المتدينين تدينا عميقا » .

ويرى اينشتاين أن هذه التجربة الصوفية تبلغ القمة لدى علماء الطبيعة ، لاسيما العـاملين منهـم في حقـل الفـيزياء والرياضيـات . وهذا هو منشـأ مايسميه انشتين بـ « الديانة الكونيـة » وهو يرى « ان التجربة الدينية الكونية أشرف تجربة وأقواها ، وهي تنبثق من البحث العلمي الدقيق » .. « أي ايمان عميق بالعقل الذي يتخلل هذا الكون ، لدى رجل مثل كبلر أو نيوتن !! » .

فالدين في نظر اينشتاين هو الإحسـاس الصوفي بنواميس الكون ، مضـافا إليه شعور الإلزام الخلقي نحو اخواننا . وهو لايقيم أي وزن للشكليات والمراسيم الدينية . وعندما كان يستعمل كلمة « الله » لم يكن يستعملها بالمعنى الديني ، بل كطريقة من طرق التعبير . ومع هذا فهو يرى أن الاعتقاد بإله متشخص يتدخل في ظواهر الطبيعة أمر لايمكن نقضه علميا . فما أوتينا من العلم إلاّ قليلا[2] .

ويعـلق الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبـا على مايبدو من تنـاقض في مواقف اينشتاين ، فيقول :

« وفي رأينا أن هذا التناقض في شخصية آنشتين الفلسفية منشؤه تناقض عصره .

---

(١) كذلك .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩ و ١٣٠ .

وفي الحقيقة ان آنشتين ليس له فلسفة خاصة خارج نظريته النسبية . فهو يردد فلسفة الحقبة التي تمر في مفترق الطرق . وهو إذا كان يمثل قمة الفيزياء المعاصرة وكانت هذه الفيزياء تتمخض نتائجها بشتى التفسيرات الفلسفية التي يناقض بعضها بعضا ، كان من الطبيعي أن تلتقي في نفسه جميع التيارات المتعارضة ، دون أن يكون له من الجرأة مايشجعه على أن يتخذ منها موقفا معينا بالذات »[1] .

هذا الكلام يفتقر إلى الدقة ، فحذر اينشتاين من التصريح بمجمل فلسفته ، لاينفي عما أعلنه منها سمة الفلسفة الخاصة ، بل سمة فلسفة لايستقل بها ، وإنما يشاركه فيها آخرون من القدامى والمعاصرين .

لقد كان اينشتاين واسع الاطلاع على مختلف التيارات الفلسفية القديمة والحديثة ، فقد قرأ أعمال أرسطو وأفلاطون وديمقريطس ولاميتري وسبينوزا وبريكلي وهيوم وماخ وكانط وروسل وآخرين ، مثلما كانت له معرفة واسعة وعميقة بعلم الطبيعة . وهو قد شدد في العديد من المناسبات على أن الفيزياء الحديثة لايمكنها السيطرة على مسائلها الحالية بدون المعرفة الفلسفية : « إن الصعوبات الحالية للعلم تجبر الفيزيائي على الإلتصاق بالفلسفة بدرجة أكبر من الجيل السابق »[2] .

ان فلسفة اينشتاين مع مايبدو عليها من الجدة والابتكار ، فهي لاتخلو من سمات ذلك التيار الممتد عبر التاريخ من فيثاغورث إلى جان غيتون مرورا بسبينوزا وهنري برغسون ، ومن سيمات ذلك التيار من الدعوات المادية المترابطة التي غمرت عصر اينشتاين ، حتى لقد قيل : « إن النظرية النسبية تعتبر بحق واحدة من أهم اكتشافات علم الطبيعة مطابقة مع المادية الديالكتيكية »[3] .

وبالتالي لايمكن فهم « الدين الكوني » الذي يدعو اينشتاين إليه إلاّ على أنه صورة مُطوَّرة عن مشروع توحيد الأديان .

يقول اينشتاين : « إن شعور الدين الكوني .. يمكن أن يعطي أصل الفكرة

(١) « اينشتين والنظرية النسبية » ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
(٢) « اينشتاين والقضايا الفلسفية لفيزياء القرن العشرين » ، ص ٨ .
(٣) « اينشتاين والقضايا الفلسفية لفيزياء القرن العشرين » ، ص ٣٣ .

الغامضة حول الله واللاهوت » ... « الكائن السرمدي .. هو تحقيق للكينونة الإنسانية »[١] .

وذهب بعض الباحثين إلى « أن التأثير الأكبر على الفيزياء قد حدث بواسطة تصور اينشتاين عن وحدة العالم . فعند اينشتاين نفسه كان لهذا التصور وجهان ، أنطولوجي وأبستمولوجي[٢] . الجانب الأنطولوجي ضُمِّنَ في فكرة الأساس الواحد للعالم ، والجانب الأبستمولوجي في الحاجة إلى البحث عن مبدأ موحد عام يمكن من خلاله استنباط الحالات الخاصة[٣] .

(١) المصدر السابق ، ص ١٥ و ١٦ .
(٢) أنطولوجي تعني مبحث الوجود ، وأبستمولوجي تعني مبحث المعرفة .
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(١٩)
جـان غيتـون

فيلسوف فرنسي معاصر ، عضو في الأكاديمية الفرنسية ، ولد عام ١٩٠١ ، سماه بعضهم آخر مفكر مسيحي كبير ، عمل مدرسا في مدرسة الحرب العليا في فرنسا مدة اثني عشر عاما بدءا من عام ١٩٥٢ .

يقول في مقدمته على كتاب « الله والعلم » : قبل وفاته بقليل سلّم برغسون « وصيته الفكرية » لأربعة فلاسفة : جبرائيل مارسيل ، جاك ماريتان ، فلاديمير جانكليفيتش ، وأنا . إذن ، سأكون رسول حدسه : كان برغسون قد استشعر ، أكثر من أي شخص آخر ، بالتبدلات المفهومية الكبرى الناجمة عن النظرية الكمية . ففي رأيه – كما في الفيزياء الكمية – ليس الواقع عِليّاً ولاموضعياً : ففيه المكان والزمان تجريدات ، محض أوهام .. إن عواقب هذا التعديل تتجاوز كثيراً كل مانحن اليوم قادرون على عزوه إلى اختبارنا أو حتى إلى حدسنا . فقد بدأنا نفهم ، شيئا فشيئاً ، أن الواقع مستورٌ ، غير ممكن بلوغه ، وأننا لانكاد ندرك منه سوى الظل الظليل ، سوى صورة سرابٍ مقنعة آنيّاً . لكن ماذا يوجد إذاً تحت الحجاب ؟ ... هناك منذ الآن ، ليس برهان – فليس الله مما يقع في نطاق البرهان – بل سند علمي للتصورات التي يقترحها الدين .

وفي كتابه « الفكر والحرب » يقول جان غيتون تحت عنوان « فلسفة الردع في العصر النووي » :

« إن السياسة الحقيقية ، المصممة بكاملها ، هي فن العمل على توحيد الدول في دولة واحدة . وكذلك على المستوى الروحي ، فإن السياسة الرفيعة هي فن توحيد المسيحيين في كنيسة واحدة . ويجسد هذا الجهد على المستوى الروحي شكل الجهد السياسي العالمي المستقبلي الذي يمكن اعتباره سياسياً حقاً ، والذي لم نعرف حتى الآن إلا خطوطه الأولى وبوادره ومقدماته .

« لم تكن سياسة السِّلم حتى يومنا هذا سوى سياسة توازن وخداع بين الأمم ، أي بين المجتمعات المغلقة على نفسها ، والتي يحاول كل منها غزو الآخر وتجنب غزواته . وكان وزراء الخارجية والدبلوماسيون الذين يساعدونهم ممثلين متعادين يعملون من أجل عظمة أممهم . ونظرا لانشغالهم بالتحالف والعمل بعضهم ضد البعض الآخر ، فإنهم لم يستطيعوا أبداً إقامة نظام عالمي إلا في بعض النقاط المحدودة جداً .

« لقد كان المقصود تحقيق التوازن بين الأمم وليس إقامة دولة عالمية ، دولة مجموعة الأمم . وكان هناك سياسات متعارضة ومعسكرات متنافسة . ولم يكن هناك أبداً سياسة بالمعنى الكامل والمعنى النبيل . وفي الحالات التي وجدت فيها البشرية موحدة تحت لواء إحدى الامبراطوريات ، كان الخير المشترك المؤقت هو خير هذه الامبراطورية المهددة دوما من الخارج أو بنقاط ضعفها الداخلية .

« ولكن إذا أمكن شلُّ الحروب ، يمكن أن نتصور عندئذ دولة يتطابق فيها خير المجموع مع خير الفرد .

« وحيثما يظهر لامتناهي العدم كتهديد (يقصد الفناء الشامل للبشرية عن طريق السلاح النووي) يظهر بوضوح أن شقاء الفرد هو شقاء الكل ، وأن جريمة فرد واحد ستلحق الأذى بنا جميعاً . وما لايبدو واضحاً تماماً ، عندما يكون المقصود خيراً محدوداً ، يصبح واضحاً في اللحظة التي نجد أنفسنا فيها أمام شرٍّ لامتناهٍ . ويتطلب تقدم البشرية حاليا التوصل إلى وضع ينجينا من الخيار الصعب بين « المستحيل – الضروري » و « الضروري – المستحيل » . بيد أنه بفضل الذرة قد يبدو الضروري ممكناً ، بل وضرورياً ، لمنع تعرض البشرية للموت المتبادل الشامل .

« إن التاريخ المعاصر يعلمنا أن كل إدانة للحرب ، حتى لو كانت مخلصة ، تبقى عديمة الفاعلية ، لأنه حتى بعد وضع الحرب خارج القانون الدولي العام ، فإنها لم تكن أبداً في الواقع خارج إطار مصلحة هذه الدولة أو تلك . ولكن اللجوء إلى السلاح مع ظهور الذرة إلى الوجود لايبدو عملا خارج إطار العقل فحسب ، بل إنه يبدو أيضا خارج إطار المصلحة الحيوية لأحد الطرفين ، مهما كان هذا الطرف قوياً ومراوغاً ، الأمر الذي يفرض إمكان حل كل النزاعات المستقبلية ، بعد تهديدات أو بعد بعض أعمال العصابات ، عن طريق اللجوء إلى المفاوضات .

« وحتى لو كانت هذه المفاوضات طويلة الأمد ، ولامتناهية ، فإن هذا الأمر قد يغير طبيعة العلاقات الدولية تغييراً عميقاً . ومما لاشك فيه أن من الواجب أن نعيش في حوار لانهاية له ، داخل نظام السلم المسلح من الرأس حتى أخمص القدمين ، ووسط التهديد المتبادل . بيد أن بوسع هذا الحوار – بسبب الظل الذي يحدثه الخوف اللامتناهي – أن يستمر طويلاً ، وربما يبقى متواصلاً دوماً . وهذا الحوار أفضل من نظام الحروب الذي مزق قرنين من الزمان . هذا مايمكن أن نواجهه إذا فكّرنا بالنتائج السعيدة للأسوأ .

« بيد أنني سأضطر مع الأسف لإلقاء الظلال على هذه النتائج ، تحت تأثير أسباب ميتافيزيقية تتعلق بطبيعة الإنسان » .

وهنا يستعرض جان غيتون[1] عبارة قالها الجنرال أندريه بوفر في كتابه « الردع والاستراتيجية »[2] ، فيقول :

« كتب الجنرال بوفر وهو على صواب فيما كتب : « إن السلاح النووي ووسائل التدمير الشامل الأخرى تعطي الإنسان قوة مفرطة في فاعليتها ، ستفرض عليه تحديد قدرته على تلبية غرائزه الدموية القديمة . **إن هذه الطاقة الضخمة الرهيبة لن توجه مبادرات الانسان فحسب ، ولكنها ستؤدي أيضاً إلى بعث وعي جديد سيسمح بدون شك بتنظيم قوة نووية جماعية ، تكون بمثابة ذراع عصري لسلطة عالمية حقيقية** .. وقد يبدو هذا الاحتمال طوباويا بعيد الوقوع . ولاينبغي أن نرسم له صورة شعرية ، لأن نزاعات المصالح والقوميات والعقائد لن تنقطع لهذا السبب . ونحن نعرف أن الحروب الأهلية أخطر من الحروب الخارجية ، ولكن هذا هو الهدف النهائي للتطور الذي دخلنا فيه باكتشاف الانشطار النووي » .

ثم يعقب جان غيتون ، فيقول : « وهناك أيضاً مظهر أريد أن ألفت الانتباه إليه . وهو أن السلاح المطلق يبدل علاقة الجيوش (التقليدية) والعصابات . ونظرا لأنه يقلل من قيمة حرب الجيوش ، فإنه يقرب ويركب الشكلين الحديين للمواجهة ، وهما الحرب النووية والحرب الثورية .

(١) في حاشية الصفحة ١٢٢ من كتابه « الفكر والحرب » .

(٢) ترجمه أكرم ديري ونشرته منشورات دار الطليعة ، بيروت .

وبعد أن يستعرض غيتون أشكالا ثلاثة للحرب ، هي : الحرب الكبرى أو الحرب النووية ، والحرب المتوسطة أو الحرب التقليدية ، والحرب الصغرى أو الحرب الثورية وحرب العصابات ، ينتهي إلى القول بأن الحرب المتوسطة تتراجع لصالح النوعين الآخرين ، وأن التعابير الوسطية إجمالا تتراجع لصالح تعابير متطرفة تتجاذب وتتكامل .

ثم يأخذ في دراسة فلسفية للعلاقة بين الأنواع الثلاثة من الحروب فيقول :

« عندما يكون هناك طرفان موجودان لوحدهما ، ثم يظهر طرف ثالث ، فإن العلاقة بين الطرفين الأولين تتعدل . وبما أن المواجهة في معسكرين هي العلاقة الوحيدة الممكنة بين الطرفين ، فإن على الطرف الثالث أن ينضم إلى إحدى القوتين الموجودتين ، أو أن يتذبذب بين الأولى والثانية . ولكن عندما يملك الطرف الثالث قيمة لامتناهية ، فإن التبديل الذي يطرأ من جراء وجوده لايمكن أن يقتصر على زيادة متناهية (محدودة) في قوة أحد الطرفين المتنازعين . وإذا كانت الحرب الكبرى تتحدد كحرب ذرية شاملة ، فإن تدخلها يعدل علاقة الحرب التقليدية مع الحرب الصغيرة (حرب العصابات) » .

ويستعرض جان غيتون وجهة نظر الجنرال أندريه بوفر في مسألة تدخل طرف ثالث في الردع النووي ، فيقول :

« بعد أن درس الجنرال بوفر عمليات الردع الثنائية ، قام بدراسة الحالات المعقدة لعمليات الردع متعددة الأطراف . وواضح أن ظهور « الشريك الثالث » يغير وجه الأشياء . ذلك لأن هذا الطرف الثالث يدمر التوازن ، نظراً لأن بوسعه ، بل ومن واجبه ، أن يتحالف مع أحدهما ، أو أن يتذبذب بين الواحد والآخر . إن الجنرال بوفر يدرس القضايا التي تطرحها المجابهة متعددة الأطراف : قضية التحالفات النووية ، وقضية التكاثر النووي . لكنه يتحدث كاستراتيجي ، ويسوّق أفكاره دائما في أفق المتناهي ، كما لو أن الشريك الثالث يمتلك أهدافاً وميتافيزيقا من الطراز المتناهي ، وكما لو أن الشريكين الأولين يملكان ذلك أيضاً .

« إن لعبة مالكي اللامتناهي يمكن أن تظل مدعاة للسلم حين تبقى ثنائية الجانب ، شريطة أن يلتزم هذان اللاعبان بعدم السعي للحصول على المحال ، وأن يقتنعا بأن هدف الرهان لايساوي المجازفة .

« ولكن لنفترض تدخل شريك ثالث لايقبل هذه المسلّمة الضمنية ، إما لأنه يرغب في الموت ، أو لأنه يؤمن بوجود فرصة للحصول على اللانهاية . إن بوسع الشرطة أن تحمي رئيس دولة في جميع الحالات ، باستثناء الحالة التي يقرر فيها القاتل التضحية بحياته » .

ويرى غيتون أن السلاح النووي سيخفض من قيمة الحرب المتوسطة ويرفع بالضرورة من قيمة الحرب الصغيرة ، أو حرب العصابات ، لكنه يقول بأن حرب العصابات لم يتم التأمل فيها وتقنينها حتى الآن ، فهو يدعو إلى هذا التأمل والتقنين لأن هذه الحرب ستأخذ بعداً ذرياً ، حين يدور الصراع العالمي بين الحدين الأدنى والأقصى ، حيث تقوم خلفية من التهديد الشامل بكبح القوى المتجابهة ، وتجعل الضعيف ينتصر على القوي والمقاتل الأعزل تقريبا يتفوق على المقاتل المدجج بالسلاح .

ثم بعد أن يستعرض غيتون احتمالات الحرب النووية وأبعادها ضمن مسار معين ، ينتهي إلى القول :

« ونحن نشهد الآن إمكانية نشوء امبراطورية كونية شاملة بعد نزاع ذري . ولن يكون رهان الحرب المقبلة سيطرة جزئية أو سلماً مسلحاً ، أو علاقة بين أمة ظافرة وأمم أخرى تحتفظ بوضعها كأمم ودول . ولكن الرهان سيتمثل في السيطرة على الكوكب الأرضي . وسيكون للجماعة التي ستبقى بعد التدمير (والتي ستكون حائزة على السلاح المطلق فعلا ، وبدون خصم) أمل في تأسيس امبراطوريةٍ كونيةٍ شاملةٍ إلى الأبد ، وسيكون لديها أمل في أن تكون « السيد الوحيد » للأرض والبحر والفضاء .

« ورغم أن هذا الأمل اللامتناهي لايمتلك سوى فرصة محدودة للتحقيق ، فإنه يبقى أملاً لايمكن تجاهله .

« لنطبق هذه الطريقة في التفكير ، وهي طريقة الحس السليم ، على القضية النووية والامبراطورية ، وسنحدد بشكل مسبق الشروط التي يمكنها دفع أمة ما ، بصورة معقولة ، إلى المغامرة الكبرى .

« إن من الضروري قبل كل شيء أن لايرتد ضدها العدم اللامتناهي الذي سوف تستثيره ، وأن تتمكن من البقاء في جوهرها بعد الكارثة . وهذا يفترض أن تكون متحكمة برُقعةٍ شاسعة من الأرض والبحر والجو ، وأن تستطيع التضحية تقريباً بجميع مواردها وتراثها ، وأن تمتلك كمية كبيرة من الحيوات البشرية ، والأهم من ذلك كله هو أن يكون شعبها مستعداً ، من حيث مفهومه للوجود ، للتضحية بالموارد والتراث والحيوات البشرية .

« إن هذا الشرط الأخير يقع في نطاق المعتقدات والقيم ، ويعود إلى الميتافيزيق أو إلى الايمان . ولنشدد على هذه النقطة : إن الشرط المضمر والضروري لشن عمل متطرف هو أن يكون الجزء الأكبر من الشعب الذي سيأخذ قادته المبادرة الذرية يتمتع بقسط كبير من نكران الذات وازدراء الحياة ، ويمتلك أملاً كبيراً في المستقبل بحيث يمكنه القبول بتضحية إجمالية .

« إننا نفكر هنا بصورةٍ قاسيةٍ . ولكن يبدو أن ظروفاً يمكن أن تظهر فتجعل هذا الجنون أقل حماقة مما هو عليه . ولنفترض مثلا أن فائض السكان يجعل الكوكب غير قابل للسكن تقريباً ، وأنه يتوجب الاختيار بين الموت جوعاً والنهاية بالموت .

« ولابد أن نضيف هنا أن الشعب ، في عصرنا الذي يسمي نفسه ديموقراطياً ، لن يؤخذ رأيه . وسيتخذ القرار الأخير بصورة سريعة جداً من قبل جماعة صغيرة من المسؤولين ، وسيكون رجل واحد ولاشك مخوّلا باتخاذ مثل هذا القرار[1] . وهكذا فإن المعركة النهائية بين الحياة والموت لهذا العدد الكبير من الناس سوف ينحصر في ضمير شخص واحد .

« إن الجدل داخل هذا الضمير المنفرد ، بالرغم من المظاهر الاستراتيجية أو السياسية ، سيعود في نهاية الأمر إلى اختيار ميتافيزيقي . وسوف يتوقف كل شيء على القيمة التي يعلقها هذا الشخص على الوجود ، وعلى الحياة البشرية ، وعلى حكم الله وعلى الآخرة . والواقع أن كل شيء سيتغير في قراره تبعا لكونه يعتبر أو لايعتبر الوجود القيمة المطلقة » .

(١) لابد أنه يقصد المسيح المنتظر .

وبعد أن يثني غيتون على ما أسماه سلاح « الثورة الجديدة » اللامتناهية ، المتمثلة في الفوضى المطلقة والانفلات التام للمكبوتات ولاسيا الغريزة الجنسية ، على غرار ماحدث في ثورة الطلاب في فرنسا في شهر أيار من عام ١٩٦٨[١] ، ويندد بمن أسماهم « مجددي القرن الماضي ، أمثال ماركس وفرويد ، الذين توقفوا قبل الحد الأقصى في الظلمات ذاتها مع المحافظين والبورجوازيين ، إنهم جميعاً في الواقع متناهو النزعة ، وهم جميعاً يقرون نظاما ما . إن أنصار الثورات القديمة هؤلاء ، والذين يمكن تسميتهم الآن « تقليديين » ، شأن الجيوش والحروب قبل العام ١٩٤٥ ، لم يعرفوا أبداً أن اللامتناهي سيدخل لعبة الانتفاضة منذ ١٩٦٨ » . يقول :

« من المؤكد أن في كل ثورة كانت ثمة دعوة إلى العدالة الكلية ، وحاجة إلى اللامتناهي . ويكفي أن نعيد قراءة روبسبير أو سان جوست للتحقق من ذلك . ولكن ذلك كان هرمونا وتحريضا . وبقيت الآليّة كلاسيكية ، تقليدية : القوة واحتلال الباستيلات والارهاب والانقلابات العسكرية .. الخ . لكن القضية انعكست من الآن فصاعداً . وماكان محرضاً طفيفاً أصبح يشغل المجال كله . إن السلاح المستخدم ، وهذه الدعوة شبه السحرية إلى الحرية المطلقة ، وهذا الفعل لمجرد الفعل بدون هدف أو برنامج ، والميل إلى العدم ، كل هذا مختلف جدا عن السلاح القديم للإنتفاضات .

« لاشك في أن أيار (مايو) ١٩٦٨ شهد عدداً من المجابهات والمتاريس ، لكن هذه الرموز كانت تخفي وراءها خطر الشلل الكلي ، والفوضى المطلقة ، والدعوة إلى كلية جديدة غير محددة . إن إحلال اللون الأسود (الذي هو كالأبيض رمز للانّهاية) محل اللون الأحمر (الذي ليس سوى مكمل للأزرق) كان يعني ذلك جيداً . إن الراية الحمراء ماتزال راية المتناهي المحدد . إنها كالراية البورجوازية ، مصنوعة من تسويات . لكن الراية السوداء شمس لامتناهية . إنها توحي بحد لايمكن الارتقاء إلى أبعد منه . وهل هناك نور بعد الأبيض ؟ وهل هناك ليل بعد الأسود ؟ ...

« لقد ابتكر الطلبة سلاحاً نفسياً يفترض وجود اللامتناهي ، وما ان قاموا بذلك حتى تحقق الصدى الفوري الشامل ، نظراً لشدة تعب عصرنا من المتناهيات . إن

---

(١) التي قادها طالب صهيوني ألماني .

أسطورة الاضراب العـام (اللامتنـاهي) تقريباً ، وبدء تنفيذ هذا الاضراب في شهر أيار ، قد أخضعنا لأسطورة لامتناهية بشكل أكبر ، هي أسطورة الانحلال الكلي الذي يحمل السعادة للجميع ، كما أخضعنا لهذه المفارقة المستحيلة « **العنف المطلق المفضي إلى السلم** » التي اقترح ماركوز نظريتها .

« ولكن لنوقف هذا الاستطراد ، ولننعم النظر في تشابهات حركة أيار (مايو) ١٩٦٨ مع الظاهرة الذرية والردع .

« إن تعـدد الدول والقنـابل (الذرية) ، يجعـل كل أمةٍ صغـيرةٍ ، وإن كانت متنـاهيـة ، تملك وسيـلة لامتنـاهيـة للتدمير . كذلك فإن كل جزيئـة من الجسـم الاجتماعي ، بل وكل فرد ، كل عضو من أعضاء المجتمع السياسي أو الديني ، يملك في النفي الجذري ســلاحا لامتنـاهي القدرة ، قادرا على شـل القوى . وفي شهر أيار المشهور ، كان طالب واحد رافض بشكل مطلق ، يستطيع هزَّ جامعةٍ ، ودولة . ومن هنا يمكن القول أنه إذا كانت أُمَّةٌ صغيرة تملك القنبلة ، فإن باستطاعتها بسهولة زعزعة الكون بأسره .

وفي موقع آخر من البحث يقـول غيتون : « والحقيقـة أنه عندما يتدخل عامل لامتنـاه ، ويستطيع الأصغر أن يملكـه ، فإن الأصغر يجد نفســه مسـاويا للأكبر . وللتدليل على هذا لنضع جيشا مؤلفا من مليون مقاتل في مواجهة جيش يضم مائة محارب . ولنزود كلا الجيشـين بوسيلة لامتناهية ، بسـلاح مطلق حقا ، وقادر على تدمير الطرف الآخر ، فإن الجيشين يصبحان متعادلين » .

هنا يبدو غيتون ، وكأنه يشير إلى إسرائيل .

ويبحـث غيتون عن الوسيلة لاستثارة الثورة الجديدة ، هو لايبحث عن الوسيلة لنفيهـا أو استبعـادها ، لأنه بحاجة إليهـا لتنفيذ مشرعه الخاص بالامبراطورية الكونية الشاملة سيدة الأرض والبحر والفضاء الوحيدة . فيقول :

« لكننا نتساءل ماهو الصاعق المفجِّر ، ماهي عملية القدح التي يمكنها أن تدفع إلى العمـل ثورة لانهائيـة ؟ إنها لاتزال حتى الآن فـي مرحلة الدراما النفسيـة ، إنها تلعب . هل هنـاك عنصر يمكن أن يستثير الدراما الحقيقية ؟ .. إن الاستثارة ممكنة

بظهور الساحر ، ولقد رأينا آلية ذلك مع هتلر .

« ...

« إذا كان باستطاعة الضعيف في المستقبل التهديد بالحد الأقصى ، وإذا كان بوسع أمةٍ صغيرةٍ شلُّ العالم ، وإذا كانت جماعة صغيرة مصممة في أمة ما قادرة على شلِّ دولةٍ ، فإن وجه الأرض يمكن أن يتغير بأسرع مما نظن .

« ولكن في أي اتجاه سيكون هذا التغيير ؟ ليس بالضرورة نحـــو الأسوأ ، بل يمكن أن يكون أيضا نحو الأفضل . إن الأفضل مجاور للأسوأ في هذه الجدلية الجديدة للاّنهاية ، المبنية على قاعدة « كل شيء أو لاشيء » . وهذا مايسمح لنا بالتفكير بأن المطلق هو المقصود تحت فكرة العدم .

يخلص غيتون من ذلك إلى مايسميه الميتا ستراتيجية ، (الاستراتيجية المبنية على مفاهيم ماوراء الطبيعة) ، وحين يأخذ في شرح معنى هذه العبارة ، يبدأ بالقول :

« في العام ١٩٣٣ كان الفيلسوف هنري برغسون يطرح على نفسه أسئلة مخيفة أمام تسارع العلم والتقنيات . ولربما كان السؤال التالي هو السؤال الذي طرحه على نفسـه واضع قصة سقوط آدم ، أو قصة برج بابل ؟ : « في السياق الذي يمضي به العلم ، يقترب اليوم الذي سيكون فيه أحد الخصوم ، بسبب سرٍّ يحتفظ به كإحتياط ، ممتلكا الوسيلة لإزالة الخصم الآخر . وقد لايبقى أثرٌ للمهزوم على وجه الأرض » . وفي مقطع آخر يقول برغسون في صدد الآلام الأبدية لشخص بريء : « آه كلا ! الأفضل قبول أن لايكون أي شيءٍ موجوداً ، الأفضل ترك الكوكب الأرضي ينفجر (منبعا الأخلاق والدين ، ص ٧٥ و ٣١٨ – في الترجمة العربية ص ٨٤ و ٣٠٩) .

« ...

« إن الفعــل النووي سيتوقف على مفهوم ميتـافيزيقي وليس فقط على مفهوم سياسي . وهذا مايدفعني إلى الحديث عن ميتاسـتراتيجية . إن القضايا العليا المتعلقة بمعنى الحياة ، والاختيار بين الكل واللاشيء لن تكون بعد الآن عرضية ، أو محدودة بشكـل يسمح بإهمالها ، أو محصورة في ميدان الضمائر والمعتقدات الفردية ، بل إنها ستهم الاستراتيجية ذاتها .

وإلى أن تتهيأ الظروف للإنقضاض ، فإن غيتون لايريد حربا ولا سلما ، ولكنه يريد استقراراً مشوباً بالتوتر . وهو يفسر ذلك على النحو الآتي :

« لهذا السبب ينبغي ، منذ الآن وأكثر من أي وقت مضى ، أن لاندفع الخصم إلى اليأس بإذلاله ، لأنه إذا ما اعتقد هذا الخصم بأنه مُسّ في حياته أو شرفه القومي ، فإنه قد يخاطر بتطبيق منطق الكل أو لاشيء ، ومنطق اللامتناهي . وإذا كان لابد من الموت ، فإنه يفضل جر الآخرين معه إلى الدمار .

« ولكن لكل مزية من المزايا وجهها السيء . ويجب أن نلاحظ بأن المغالاة في الاستقرار (ككل خمود ، وكل انضباط ذاتي ، وكل توازن ، وكل موت) تحتوي على تهديدٍ ما ، لأن الأوضاع الهادئة أكثر مما يجب ، تخفي المفاجآت وتخدِّر الحذر . وينذرنا التاريخ بأن الأمن المطلق مخادع في حد ذاته . والصحة حالة وقتية ، ولايعقبها دائما شيء حسن .

« إن الحالة المثالية الممكنة حتى الآن ، تتمثل في هذا الاستقرار المزعزع نسبياً ، هذا السلم المعرض لبعض الأخطار ، هذه المسيرة التي تتخللها التهديدات وطلقات الإنذار ، هذا القلق السعيد إلى حدٍ ما . فلتستمر هذه الحالة كما تستمر الحياة البشرية الحساسة الهشة التي تمتد من وضعٍ مؤقت إلى وضعٍ مؤقت آخر » .

(٢٠)
آلان ي . تومبسون

حاول آلان ي . تومبسون في كتابه « نحو فهم المستقبلية — مدخل الى دراسة علوم المستقبل » ، الذي نشرت وزارة الثقافة في سورية ترجمته العربية عام ١٩٨٣ ، الاقتصار على معالجة مسائل البيئة والطاقة وما إليها ، لكنه ، وهو في معرض بحثه هذا ، لم يُغفِل الاشارة إلى « أن إحدى المهام الرئيسية للقوات المسلحة ينبغي أن تكون تحليل طبيعة الحرب وأسبابها والبحث عن إضعاف احتمالات نشوبها ، مما يمكن أن يقود في النهاية إلى تدويل القوات المسلحة » وإلى توجيه الدفاع نحو المشكلات المشتركة ، كنقص الطعام والطاقة والمصادر المختلفة وكذلك التلوث والمخاطر الصحية ... (ص ١١٠) .

ومن جهة أخرى ، فإن تومبسون الذي يدعو في النهاية إلى أنه يجب على الكنيسة أن تقدم التضحية النهائية وتجعل نفسها شيئا لاضرورة له (ص ١٢٢) يرى في الوقت ذاته أن على العلم والدين أن يندمجا أو أنه يجب على المعرفة على الأقل أن تصبح قابلة للانتقال من أحدهما إلى الآخر (ص ١٢٠) .

ويضيف تومبسون القول : « ونستطيع أن نستنتج من هذا أن الكنيسة إذا كانت محقة ، وإذا كنا فعلا سندخل « العصر الألفي السعيد » فإن علينا أن نكون قادرين على التقاط بعض علاماته مسبقاً . وأحد الأدلة يمكن أن يتجلى في نمو العلم والدين معا في بوتقة معرفية أكثر تشابكاً واندماجاً » (ص ١٢٠) .

ومن الواضح أن هذه المقولات جميعا تتطابق مع بعض مقولات البهائيين ، كما يبدو واضحا أن طرح مثل هذه الأفكار باختصار شديد ، بدون أية شروح أو تفسيرات ، في إطار كتاب يعالج مسائل أخرى ، لم يكن بالأسلوب العفوي ، بقدر ماهو أسلوب مُصمَّمٌ خصيصا لطرح الأفكار الغريبة التي يقصد إلى التسلل بها خلسة إلى عقول الناس ، وسيُلاحَظ أن هذا هو أسلوب البهائيين ذاته .

(٢١)
سيمون تشوداك

يدور سيمون تشوداك ضمن دائرة دعاة الحكومة العالمية .

ففي كتابه « النمو المجتمعي » الذي نشرته اليونسكو في البدء ، عام ١٩٧٣ ، ثم نشرت وزارة الثقافة في سورية ترجمته العربية عام ١٩٨٠ ، يستعرض المؤلف آراء عدد من دعاة الحكومة العالمية ، فيناقش أفكارهم ، ويقول :

« ينصب اهتمام « دوتش » على بناء الأمة الذي يتحول في النهاية إلى تكامل بين الدول . يرى « دوتش » مجال العلاقات الدولية أنه حقل تسود فيه بصورة عامة السياسة الخارجية . والسؤال الذي ينصب عليه اهتمامه غالباً ، حتى وهو يبحث في مجال العلاقات الدولية هو : ماهي العلاقات بين الأمة وبين العالم المحيط بها ؟ ... وكيف ترتبط الأمم بعضها بالبعض الآخر وبالمنظمات الدولية ، وماعلاقتها بالنظام السياسي الدولي ؟ . ومن هنا يبحث في الجهود الماضية لتوحيد غربي أوربا ، ويؤكد أن المنظمات الاقليمية هي معبر أو وسيلة للاتحاد الشامل ، وبالرغم من أنه يحلّل وظائف الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، وغيرهما من المنظمات ذات الصفة الدولية ، فانه يتجنب استخدام « المنظومة الدولية » . مايوجد حاليا في المجال الدولي ليس ، بتحليل « دوتش » إلا تجمع وحدات متغير دائما لايؤدي في النهاية إلى تركيبها في سبيكة واحدة إلا في حالات نادرة . أما بخصوص موضوع المنظومات الدولية فإن « دوتش » أميَل إلى طرح الأسئلة منه إلى الاجابة عليها : « هل ثمة نزعة للإنصهار في شعوبٍ موحدةٍ أو في أسواقٍ موحدةٍ في مناطق معينة من العالم ، أم أن الأمر بالعكس تزايد في حدة الفوارق ؟ » . « هل الأمم المتحدة مجمع عالمي أم حكومة عالمية ؟ » . وهو يخصص كثيراً من كتاباته لتبرير السبب الذي يجعل أمثال هذه الأسئلة ملحة وضرورية . أما موضوعياً ، فإن « دوتش » مشغول بنزعتين : التباين بين الأمم أو تمايزها في عملية بناء

الأمة ، واتحادها في إطار بنى دولية فائقة أو أممية ... »[1] .

« لكننا نجد كتاب القرن العشرين ومنظريه ، بعكس أسلافهم كتاب القرن التاسع عشر ، أقرب إلى الاكتئاب والتشاؤم بل واليأس من مستقبل الانسان . فلقد أخذ أصحاب نظريات التقارب الدولي ، يتنبأون بتزايد البيروقراطية وتسارعها في الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وغيرهما من المجتمعات . وهم مقتنعون بأن البشر سوف يضطرون إلى تأسيس نظام عالمي واحدٍ لتحقيق الترشيد الوظيفي والكفاءة العالية ، وهذا مايعتبرونه أحياناً ضرباً من المجتمع الاستبدادي من طبيعة الرايخ الثالث ومتفوقا عليه. إنه مجتمع يشبه في تسلطه المجتمع الذي تخيله جورج أورويل . ويرى البعض أن منبع هذه الحتمية هي التطورات التكنولوجية ، بينما يراه البعض من تزايد الروح العسكرية ، ويراه البعض الثالث من تزايد تحكم البيروقراطية ، أو تزايد المنظمات ونموها ، أو من اختلاط هذه الأمور كافة وغيرها . يكتب ج . الّول :

« وأخيراً يؤدي التكنيك بالدولة إلى أن تصبح استبدادية وأن تستغرق حياة المواطنين بأجمعها . ولقد لاحظت أن هذا يحصل نتيجة لتراكم وتجمع الفنون التكنيكية في أيدي الدولة . فالفنون التكنيكية ينشأ بعضها من البعض الآخر بالتناوب أو بالتسلسل . ولهذا فهي مترابطة بحيث تؤلف نظاماً ينغلق بشدة على جميع النشاطات ويقيدها . وحين تتحكم الدولة في خيط واحدٍ من خيوط هذه الشبكة التكنيكية ، فانها تسحبه شيئاً فشيئاً إلى أن تتجمع في يدها كل المواد والوسائل ، سواء كانت تفعل هذا بوعيٍ أو بدونه .

« وحتى إن كانت الدولة في صميمها ليبرالية متحررةً وديمقراطيةً ، فانها لامحيص لها من أن تصبح أخيراً استبدادية . وهي تتحول لهذا إما مباشرة أو كما يحدث في الولايات المتحدة عن طريق وسطاء أشخاص. فبرغم الاختلافات بين المنظومات فانها كلها تصل في النهاية إلى النتيجة ذاتها (جاك الّول : المجتمع التكنولوجي)[2] .

« فالسؤال في الشرق وفي الغرب هو : هل يملك الناس الخيار لتحديد المستقبل

---

(١) « النمو المجتمعي » ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٣ .

فعلاً أم أن كل شيء في العالم محدد مسبقاً ؟ . يبدو أن معظم أصحاب نظرية التقارب والنظريات التطورية يقررون ألاّ خيار . لكن كلارك كير يرى العكس ، يرى أن المستقبل هو أمر اختيار حر ... .

« نجد ي . هاس من المدافعين عن المنطلق الواقعي . فهو عند تطلعه الى مشارف العهد الجديد من المجتمعات بعد الصناعية يتنبأ بـ : « سوف يكون العالم ، من الناحية الثقافية ، أكثر حسية ، أي مشغولاً بالإدراكات الحسية ، دنيوياً انسانياً نفعياً ومشغولاً بملذاته الجسدية . وسوف يكون الناس أقل رغبة في كبح ميولهم للاكتفاء أو للاشباع ، أي سوف يكونون ميالين كثيراً للتلذذ المباشر بأي شيء يعتبرونه ذا قيمة . أما النخبات فسوف تميل نحو أن تكون ميالة إلى الاعتدال وفي نفس الوقت ميالة إلى التفوق والتبريز . وسوف تكون سرعة تراكم المعرفة العلمية أكثر مما هي عليه الآن بكثير . رسوف يتغير المجتمع بأسرع ، ويكون تغيره أكثر عمومية وعالمية باتجاه تطبيق هذه المعرفة العلمية بالفنون التكنولوجية . وسوف يكون التصنيع شاملا للعالم كله بالرغم من أن منافعه قد لاتكون كذلك ، ولسوف تزداد أوقات العمل ومناحي الازدهار معاً ازدياداً نسبياً ، ولكن عدد السكان سوف يثابر على ازدياده أيضاً . مما يجعل السباق يستمر بين المؤن الغذائية وبين عدد الناس .

« وسوف تكون للمشاغل الرئيسية أهمية أقل بكثير . أما المشاغل الثانوية فسوف تبدأ انحدارها من حيث المستوى . وسوف تنتشر التربية ومعرفة القراءة بحيث يتسع انتشار توزعها في العالم كله ، وهذا أيضا سوف يكون شأن القدرة على الابادة الجماعية عن طريق الحرب . أما التمدن فسوف يصل إلى مدى المدن الهائلة بل حتى إلى مدى المدن الشاملة »[1] .

« كم هي بعيدة النظرات المعاصرة حول المستقبل عن تلك التي دارت في ذهن الشيخ كارل ماركس ، الذي حَلُمَ بأن مجتمع المستقبل سوف يكون ضربا من الجماعة الواحدة العالمية المؤلفة من الفلاسفة والفنانين مثل أثينا القديمة ، لكن بدون عبيدها »[2] .

(١) « النمو المجتمعي » ، ص ٢٠٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٢٢)
أوريليو بيشي

كان أوريليو بيشي أحد مؤسسي نادي روما ، في عام ١٩٦٨ ، وقد رئسه منذئذٍ حتى وفاته في عام ١٩٨٤ .

والمعروف أن النـادي المذكور منظمـة فكرية غير حكوميـة ، تعنى بالدراسـات المستقبلية ، مسجلة في مدينة باريس وفقا للقانون الفرنسي . والاجتماع التأسيسي تم في مدينة جنيف في سويسرا ، وليس في روما ، ولكنه اكتسب اسم نادي روما نسبة إلى أن فكرة النـادي نشـأت بين مجموعة من المفكرين كانوا يجتمعون تباعاً في أكاديمية دي لينتشي العتيقة في روما .

وبعد بيشي رئس النادي زميلُه ألكسندر كنغ لعدة سنوات إلى أن اعتزل في عام ١٩٩١ وخلَفَهُ ريكاردو دياز هوخليتز الاسباني .

ومن قواعد النـادي المتبعة حتى الآن أن عدد الأعضـاء لايزيد على المئة عدّاً ، وتختارهم جماعة الأعضاء حينما يجتمعون معاً من حين إلى آخر في مدن مختلفة لمناقشة قضايا دولية شاملة .

وأوريليو بيشي هو أحد دعاة الحكومة العالمية ووحدة الأديان .

وكما هي الحال عند الغالبية العظمى من دعاة الحكومة العالمية ، يترافق التهديد بالفنـاء مع الدعوة إلى بنـاء الحكومة العـالمية ، عند أوريليو بيشي ، أحد الأعضـاء البـارزين في نادي روما ، في كتابه « **بساعة الحقيقة** » ، الذي يرى فيه أن الحكومة العالمية لايمكن أن تقوم إلا على أساس الدين فهو يقول :

« في مثـل هذه الظـروف إن أي شعبٍ وأية أمةٍ لايمكن أن تأمل أن يبقى مصيرها في السنوات والحقب القادمة معزولاً عن مصير الآخرين . ولن يكون من الممكن تجنب الكارثة إن لم يوسع كل منها النطاق المحدود لولائه ليشمل شيئا فشيئا

كل الانسانية . ونصل هكذا إلى فكرة أن الوحدة الكونية أصبحت شرطا مسبقا للبقاء » (ص ١٧) .

« وحسب ايير IYER ، وإنني أشاركه رأيه ، فإن الانسانية لن تستطيع تحرير نفسها من هذه الحالة المقلقة بشكل متزايد ، إلاّ بعملية تجديد روحانية ونفسية قوية وبنظرة متحمسة وكريمة لظروف الحياة الانسانية . إن قيماً جديدةً وأشكالاً جديدةً من التنظيم يجب أن تظهر وأن تحكم أخيراً المجتمع الانساني » (ص ٦٥) .

« إنني متأكد اليوم بأن أولئك الضليعين ليس فقط في الأمور الدنيوية وإنما في مجالات الروح والدين يوافقون على أنه يقع على عاتقنا – وعلى عاتقنا فقط – وليس فردياً ، أو على نطاق مجموعات صغيرة ، وإنما جماعيا وعلى مستوى كوني – صنع مستقبلنا ومصيرنا النهائي على الأرض » (ص ١٠٤) .

« أتوصل هكذا إلى رأي جوهري أخير حول وحدة العالم ، الذي أُفَضِّل تسميته وحدة الانسانية . إن الأرض واحدة ، ليس فقط لأنها ملكنا الوحيد ومسكننا الوحيد في الكون ، إنما أيضاً لأننا بالانتشار المدهش لتكنولوجيتنا قد جعلناها عمليا بحجم الممتلكات التي كان يمارس عليها تقليديا التضامن الانساني : جزيرة ، وادٍ ، حوض نهر ، عاصمة ، أو أمة ... (ص ١٠٥) .

« إن الأجزاء المبعثرة وذات النزعة الفردية للمجتمع الانساني قد تجمعت ببطء ، وإنما بشكل ثابت ومستمر لتشكل خليطاً ونظاماً واحداً ، وإن كان مختلفا وغير متجانس ، يمتد على الأرض بأكملها – المجتمع العالمي . وإذا ما كان التضامن داخل النظام العالمي ينتهي هكذا ليصبح ضرورة ، فإن اختلاف عناصره لايقف عند حد إغنائه بل يزيد قدرته على التكيف والبقاء .

« صحيح أن حقبة الانتقال هذه نحو الوحدة الشاملة من خلال التنوع مزروعة بالعقبات والمحن التي لانملك عنها غير فكرة بسيطة . غير أن عوامل التوحيد تتغلب رويداً رويداً على عوامل الانقسام ... (ص ١٠٦) .

« مؤتمرات الأمم المتحدة العالمية – حول المحيط ، المحيطات ، السكان ، الغذاء ، الطاقة والمواد الأولية – تقوم بهدوء بنسج الشبكة التي ستحقق في النهاية تضامن المجتمع الدولي » (ص ١٣٥) .

(٢٣)
د . بطـــرس غالـــي

الدكتور بطرس غالي ، الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة ، حالياً ، وأحد صانعي اتفاقات كامب ديفيد ، سابقا ، هو أحد دعاة « الحكومة العالمية » فقد أصدر في عام ١٩٦٢ كتاباً بهذا العنوان ، رأى فيه : « **أن المجتمع البشري في حقيقة أمره يتوق إلى هذه الحكومة المثالية ، ولكن ليتاح له أن يظفر بها قبل وقوع حرب عالمية ثالثة تُدمِّر فيها الذرَّة ماتدمِّر ، هل ستقوم تلك الحكومة لتحول دونَ وقوع هذه الحرب ؟ . هذا هو صميم المشكلة** . ولكن العقل البشري الذي أتيح له أن يكشف عن القنبلة الهيدروجينية والذرية التي ستؤدي إلى فناء الإنسان ، وإزالة معالم حياته ، هذا العقل لن يعجزه أن يفكر في طريق للخلاص من هذا الفتك الجماعي ، لأن الانسان بطبيعته لايميل إلى الانتحار ، ولاخلاص له من هذا الانتحار إلا باقامة حكومة عالمية تحرس الأمن والسلام في ظل القانون والعدل والمساواة » .

كان غالي يرى أن هيئة الأمم المتحدة هي نواة لحكومة عالمية ، لكنه كان يراها ضعيفة في بداياتها غير قادرة على ممارسة هذا الدور ، لذلك قال بعد انتخابه لمنصب الأمين العام : « لو عرض علي منصب الأمين العام للأمم المتحدة قبل سنوات لرفضته ، فالأمم المتحدة كانت ضعيفة »[1] .

يقول في كتابه :

« **فالمنظمة الدولية تتضمن نواة الحكومة العالمية** ، فكان على رأسها مجلس تنفيذي له اختصاصات واسعة وسلطة نافذة على جميع الدول وهو مجلس الأمن ، وجيش دولي يشرف عليه مجلس الأمن بمشورة لجنة من أركان الحرب تشكل من رؤساء أركان حرب انكلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة والصين . غير أن

(١) « بطرس غالي والحكومة العالمية » للدكتور نبيل السمان ، ص ٨٢ .

الخلاف الواسع بين الكتلة الغربية والكتلة السوفييتية قد شلّ مجلس الأمن وحال دون تكوين الجيش الدولي .

« إن العالم الآن تتنازعه في الواقع حكومتان ، إحداهما الحكومة السوفييتية ، والأخرى الحكومة الأمريكية فكأن المشكلة القائمة الآن أمام سير العالم نحو الحكومة العالمية هي أن تكون الحكومة ذات صبغة سوفييتية أم ذات صبغة أمريكية ، أم يتغلب مستقبلا على تلك الحكومة العنصر الأفريقي الآسيوي ، أم تزول الفوارق بين الشعوب والأجناس والمذاهب والتكتلات ويتحقق الحلم الجميل الذي طالما هتف به المصلحون ، فقيام مثل هذه الحكومة أهم بكثير من كافة الاعتبارات الأخرى » .

كان هنري سباك أول مندوب أمريكي لدى المنظمة الدولية وأول رئيس لجمعيتها العامة ، قد قال في خطاب له أمام الجمعية العامة ، وقتئذ :

« إنه وإن يكن قد خاب أمل متوقعي حدوث المعجزات فإن مداولات الهيئة الجديدة قد أدت الى نتائج هامة ، فقد ولد النظام الجديد وبدأ يعمل ، وتبين أن المبادىء التي قام عليها ليس بها سوء » .

وقد حاول د. غالي ، في كتابه ، شرح أفكار المندوب الأمريكي ، فقال :

« كان السيد هنري سباك يعني بمتوقعي حدوث المعجزات أنصار الحكومة العالمية الذين لم يكن لهم صوت مسموع في كافة المراحل التي اجتازتها الأمم المتحدة قبل تكوينها » .

وفي معرض تعريفه للعروبة ، يقول بطرس غالي في كتابه المنوه به :

« نقول أولا ان العروبة لاتقوم على الاسلام ، فليس العرب جميعا مسلمين ، وليس المسلمون جميعا من العرب ، بل إن من العرب يهوداً ومسيحيين من الكاثوليك أو الأرثوذكس ، ومنهم الدروز والبهائيون ، وغيرهم . والصورة العكسية لذلك صحيحة أيضا ، فالأتراك والأفغانيون والباكستانيون والايرانيون والأندونيسيون وغيرهم ، كلهم تقريباً مسلمون ولكنهم مع ذلك ليسوا عرباً » .

ففي إشارته إلى البهائيين كعنصر من عناصر الأمة العربية ، رغم عدم ظهورهم رسميا في الوطن العربي ، وإغفال طوائف عديدة أكبر حجما وأهمية رغم ظهورها البارز

في العالم العربي ، أو الاكتفاء بإدراج هذه الطوائف تحت عبارة « وغيرهم » .. في اشارته هذه ، إضافة إلى مايستفاد من دعوته إلى قيام الحكومة العالمية ومن العبارات المميزة التي استخدمها في تلك الدعوة ، دليل على أن بطرس غالي يدور في الفلك البهائي .

عقب انتخابه لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة صرح غالي لأحد الصحفيين الاسرائيليين : **« إن ولاءاتك والتزامك لوطنك تختفي فور دخولك لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة ... فهل يتذكر أحد من أي بلد جاء بيريز ديكويلار ... سأكون الذراع التنفيذي لمجلس الأمن والجمعية العمومية ... وربما أستطيع تطوير العلاقات بين اسرائيل والأمم المتحدة »** .

والحقيقة أن البهائيين ينكرون الانتماء الوطني والقومي . وربما يكون هذا أحد الأسباب التي أهّلته للحصول على تأييد الدول العظمى لانتخابه .

وقد سئل أحد الوزراء الاسرائيليين بعد اجتماعه مع الدكتور بطرس غالي عقب انتخابه أمينا عاما للأمم المتحدة ، هل تشعر إسرائيل بالقلق بسبب رئاسة عربي للأمم المتحدة ، فرد قائلا : **« إنه يوم عظيم لمصر ويوم عظيم للشرق الأوسط أن يصل أحد أبنائه لمثل هذا المنصب الرفيع .. ونحن لانشعر بالغيرة .. إننا نباركه »** .

وكيف لايباركونه ، فالنتائج لم تتأخر كثيراً ؟ .

دعا بطرس غالي عقب انتخابه لمنصب الأمين العام إلى إنشاء جهاز استخبارات خاص بالأمم المتحدة[١] وإلى إنشاء قوة انتشار سريع توضع تحت تصرف مجلس الأمن الدولي[٢] وطرح مشروعاً لتكوين قيادة عسكرية دائمة تابعة للأمم المتحدة تعتمد على وحدات عسكرية تتكون من ألفي جندي للوحدة موزعة في أربعين دولة حول العالم على أن يتم تدريب هذه القوات وإعدادها إعداداً مناسباً لكي تستخدم عندما تحتاجها

---

(١) تصريح بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة ـ جريدة السفير اللبنانية ، عدد ١٩٩٢/٣/٢٠ .

(٢) في مقابلة مع صحيفة ليبراسيون اليومية الفرنسية ـ جريدة الثورة السورية ، العدد ٨٨٨٢ تاريخ ١٩٩٢/٧/١٦ .

القيادة العسكرية الدائمة[1] .

وحين تدخلت قوات الأمم المتحدة في الصنومال تحت ستار المساعدات الانسانية لكي تتخذ في النهاية دور الفريق في الحرب الأهلية بهدف فرض نظام حكم معين أو وصاية دولية على شعب الصومال ، صرح بطرس غالي قائلا : **« إننا على عتبة تطور مهم . إن مفهوماً جديداً لعمليات حفظ السلام قد يكون على وشك أن يبرز من خلال مايحدث في الصومال »**[2] .

وفيما يبدو أنه إشـارة إلى معركة هرمجدّون ، التي يرون أنها تسبق إقامة الحكومة العالمية ، قال بطرس غالي في شهر أيلول من عام ١٩٩٢ أنه يخشى (وربما هو يتوقع من بعض المخططـين ويريد) من **انقســام العالم إلى /٤٠٠/ دولة صغيرة مشـلولة اقتصاديا** ، وأن الخطر الجديد الذي سيظهر في العالم خلال الأعوام العشرة التالية هو مزيد من التقسيم والتجزئة ، مشيرا إلى احتمال تشكل /٤٠٠/ دولة **حتى نهاية القرن العشرين**[3] .

وقد تكون مقولة غالي هذه ترديداً لمقولة فرانسيس فوكوياما ، المستشار في البيت الأبيض الأمريكي ، التي ذهب فيها إلى **« أن الاتجاه السائد في السياسة الدولية في العقود الماضيـة ، هو أن تصغر الدول في الحجـم ، لا أن تكبر ، بتقسيمها على خطوط قومية وعرقية »**[4] وكان يردِّد فيها بدوره مقولة برتراند راسل ، التي أفاد فيها بأن مشروع الحكومة العالمية يحتاج إلى أن تتطابق حدود الدول مع حدود الأمم[5] .

فهل لبطرس غالي دور في رسم هذه الخطوط والحدود ، حتى شرع في التبشير بها ؟ .

وفي عهد بطرس غالي نشط البهائيون في أروقة الأمم المتحدة ولعبوا دوراً بارزاً في مؤتمر قمة الأرض الذي انعقد في ريو دي جانيرو في حزيران ١٩٩٢ ، وأنيطت بهم

---

(١) مجلة العالم الصادرة في لندن ، العدد ٤٨٩ ، ٢٦ حزيران ١٩٩٣ ، ص ٢٣ .

(٢) مجلة العالم ، العدد ٤٨٩ ، ٢٦ حزيران ١٩٩٣ ، ص ١٠ .

(٣) جريدة تشرين السورية ، العدد ٥٤٥٣ تاريخ ١٩٩٢/٩/٢١ .

(٤) « حرب الخليج والنظام العالمي الجديد » ، إعداد مجدي نصيف ، ص ٣٧ .

(٥) « مثل عليا سياسية » ، برتراند راسل ، ص ٦٥ – ٦٨ .

مهام الإعداد لمؤتمر قمة الأرض الثاني الذي عقد في فيينا في حزيران ١٩٩٣ تحت شعار حقوق الانسان[1] .

وفي الخطاب الذي ألقاه بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة في المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان استخدم اصطلاحا جديدا أسماه « **المفهوم العصري للسيادة** » الذي يعني أن يكون بوسع الأمم المتحدة أو المجتمع الدولي التدخل مباشرة لحماية حقوق الإنسان ، في الدول التي تنتهك حكوماتها هذه الحقوق بالمفهوم المحدد في شرعة الأمم المتحدة[2] .

أو بمعنى آخر ستغدو السيادة نوعاً من الحكم الذاتي أو الإدارة المحلية ، تماما كالسيادة التي تحدث عنها أوغست كونت ، في معرض حديثه عن « اتحاد دول ذات سيادة » في كتابه « السلام الدائم » .

وإذاً ، فالمفهوم الحديث للسيادة ليس حديثا على الإطلاق ، تماما كما النظام العالمي الجديد ليس جديداً على الإطلاق .

فما الحداثةُ والجِدَّةُ والعصريَّة ، التي يرفعون لواءها ، سوى الرجعية المغرقة المغلَّفة بتعابير أورويلية[3] .

لقد شدَّد غالي في خطابه أمام المؤتمر العالمي لحقوق الانسان على الطابع الكوني لهذه الحقوق وضرورة ضمانها واعتماد الديمقراطية في هذا المجال ، مؤكداً على أن هذه العناصر الثلاثة هي الأهداف الأكثر إلحاحاً في مؤتمر فيينا . واعتبر أن « ما هو ملحٌّ الآن ليس تحديد حقوق جديدة بل حمل الدول على تبني النصوص الموجودة وتطبيقها في شكل فعلي » . كذلك شدَّدَ غالي على أن « **عملية نشر الديمقراطية جزءٌ لايتجزأ من حقوق الإنسان** » وأن « **الديمقراطية هي النظام السياسي الذي يمكن من خلاله لحقوق الأفراد أن تتحقق في أقصى حرية ممكنة** »[4] .

---

(١) مجلة الكفاح العربي ، العدد ٧٤٧ ، ١٩٩٢/١١/٢٣ .

(٢) جريدة السفير اللبنانية في ١٩٩٣/٦/١٥ .

(٣) نسبة إلى جورج أورويل في روايته ١٩٨٤ .

(٤) جريدة السفير اللبنانية ، العدد ٦٥٠٢ ، ص ١٩٩٣/٦/١٥ .

وإذاً ، فهناك نظام سياسي ، وربما اقتصادي واجتماعي أيضا ، صممته الأمم المتحدة مسبقا ستفرضه على جميع شعوب الأرض بالقوة . ولعل الصومال ستكون حقل التجارب الخاص لهذه الغاية ، أو التجربة الأولى ، وهو ماعبر عنه غالي بمقولته عن المفهوم الجديد لعمليات حفظ السلام الذي يوشك أن يبرز هناك . أو « المفهوم الحديث للسيادة » .

ومع رفض فكرة فرض الأنظمة السياسية والاجتماعية من الخارج ، ومع ماعلى الشعارات الجديدة المطروحة الآن : [حماية حقوق الإنسان ـ الديمقراطية الرأسمالية ـ حماية البيئة] من ملاحظات ، لابد من التساؤل عما إذا كانت هذه الشعارات ، ستطبق بنزاهة وتجرد ، وعلى قدم المساواة بين جميع شعوب الأرض ، أم أنها ستكون مجرَّدَ واجهةٍ إعلانيةٍ أو مجرَّدَ طعم لاصطياد الشعوب ، كما كانت الشعارات الماسونية التي حملتها الثورة الفرنسية : [حرية ـ مساواة ـ إخاء][1] .

وقد تعطي الصورة الآتية لمحة عن طبيعة هذه الشعارات .

يقول مؤلف دائرة المعارف الماسونية ، حنا أبو راشد ، الذي يُفترض أنه عربي لبناني :

« في عهد نابليون أنشأ كليبر أول محفل ماسوني في مصر ، بالاشتراك مع ضباطه ، دعاه « **محفل ايزيس** » رأسَهُ الجنرال كليبر عام ١٧٩٨ م ، على مشعل الثورة ، والثورة الفرنسية والماسونية توأمان يقدّسان الحرية وينشدان الإخاء بين الشعوب والأفراد . ولكن المحفل لم يعش طويلاً ، إذ **انفرط عقده بوفاة كليبر إثر الجناية التي وقعت عليه** عام ١٨٠٠ م ، وقد انقطعت صلة مصر بالحياة الماسونية نحو ثلث قرن ؟[2] .

إن ظروف نشأة الأمم المتحدة ، وتاريخها الذي لم يغب عن الذاكرة بعد ، بل ومسلكها حيال بعض الدول والشعوب ، في يوم انعقاد المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان ،

---

(١) تقول دائرة المعارف الماسونية ، أن هذه الشعارات وضعها الفيلسوف الماسوني « لويس كلود دي سان مارتين » سنة ١٧٥٠ م في اجتماع محفل بردو (ج ١ ، ص ١٥٢) .

(٢) دائرة المعارف الماسونية ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

ذاته ، يجعل من غير الموضوعي أو المعقول الثقة ببطرس غالي ومؤتمره هذا الذي اتضح أمر منظّميه والمشرفين عليه .

فهل يستطيع بطرس غالي أن يعِدَ العالم ، مثلا ، بأن حقوق الإنسان ستُفرض في البوسنة والهرسك ، كما يريد فرضها في ايران والسودان ، أو أن الديمقراطية ستطبق في الجزائر كما هي مطبقة في فرنسا والولايات المتحدة .

وهل يستطيع بطرس غالي أن يفصح عن موقف منظمته في حال وجود تعارض بين معتقدات أو مصالح أمة من الأمم وبين ديمقراطية سبينوزا وفرنسيس فوكوياما . هل سيفرض على تلك الأمة أن تتخلى عن معتقداتها أو مصالحها القومية ، مستخدما رجاله ذوي القبعات الزرقاء ، أم سيتخلى عن اعتبار ديمقراطيته الغامضة نظاما للأولين والآخرين لايأتيه الباطل من خلفه ولامن بين يديه ؟ .

وهل له أن يرسم لنا ، على وجه الدقة ، معالم الديمقراطية التي يعتزم فرضها على أمم الأرض . فالمعروف أنه لاتوجد ديمقراطية واحدة وإنما هناك ديمقراطيات متنوعة ، قد تبلغ الفروق ما بينها قدر الفرق بين بعض أنواعها وبين الديكتاتورية .

المرجو أن لاتكون الديمقراطية المقصودة من ذلك النوع الذي دأبت الولايات المتحدة على فرضه في بعض الدول في ظلام الليل ، مستخدمة الفنون السوداء .

على أي حال إننا نرى من يقول ، مثل جان جاك روسو في « العقد الاجتماعي » : **« وإذا أخذنا عبارة الديموقراطية بكل معناها الدقيق نجد أن الديموقراطية الحقيقية لم توجد أبدا ولن توجد أبداً »** .

يقول روجيه غارودي أنه : « خارج روسيا ليست تعددية الأحزاب سوى خدعة . فهل من تعددية في الولايات المتحدة بحجة وجود حزبين ، الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي ؟ .. فمشاريع كل منهما وبرامجه لاتسمح لنا بالتمييز بينهما . إنهما معسكران يمثلان حزب المال في غياب أي حزب شعبي .. والناخبون الأميركيون يدركون أكثر فأكثر هذه المهزلة ، فهم يعبرون عن عدم اكتراثهم بمهزلة الفيل والحمار وذلك بامتناعهم عن الاقتراع ، هذا الامتناع الذي طال ثلثي الناخبين ، لاسيما المحرومين منهم . وهكذا فإن المرشح الذى يفوز على خصمه ببضعة أصوات ، ينتخب

بنسبة ١٥٪ من الناخبين المسجلين » .

ثم يشير غارودي إلى ديمقراطيات أنتجت الديكتاتورية ، فيضرب مثلا نابليون الثالث الذي حصل على سلطات ديكتاتورية عن طريق استفتاء شعبي ، وهتلر الذي لم يصل إلى السلطة عن طريق انقلاب عسكري بل بطريقة ديمقراطية بحصوله على غالبية أصوات شعبه وهو أكثر شعوب العالم ثقافة[1].

فمع هذه النماذج ، هل يستطيع بطرس غالي أخيرا أن يقنع شعوب الأرض بأن رأس النظام العالمي الجديد ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ليس ضالعا في العديد من الأنظمــة الاستبـدادية في العـالم ، التي منهـا من لم يسمع بعد بأي نوع من أنواع الانتخاب ، غير الانتخاب الوراثي ، أو الانتخاب في علب الليل ؟ .

هل له أن يقنع العالم بأن رأس النظام العالمي الجديد نظيف اليد من الانقلابات العسكرية والاغتيـالات السياسية وانتهاكات حقوق الانسـان التي ترتكب في مناطق عديدة من العالم ؟ .

فأية ديمقراطية يريد غالي أن ينشرها على العالم ، وكيف ، ومن الذي سيقوم على التنفيذ ؟ ...

هل سيكون فرض الديمقراطيـة أحد أهداف الحرب العـالميـة الثـالثـة ، والحرب النووية ، اللتين لوّح بهما غالي — كما الباقون من أمثاله — في معرض حديثه عن ضرورة إقامة الحكومة العالمية ؟ .

كيف استطاع جورج أورويل أن يقرأ أفكار هؤلاء الناس وأن يكتشف لغتهم ويروي حكايتهم بدقة وبراعة قبل نحو نصف قرن ، إن لم يكن النظام العالمي الجديد قديما ؟ .

لقد فشل المؤتمر العالمي لحقوق الانسان في بلوغ غايته المعلنة وهي إنشاء منصب مفوض سام لحقوق الانسان ومحكمة دولية لحقوق الانسان ، وكان الهدف منهما ايجاد

(١) حفارو القبور — نداء جديد إلى الأحياء ، غارودي ، ص١٤٧ .

ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للدول . لكن هل تراه فشل في بلوغ غايته الحقيقية ، وهي جرُّ أقدام ملوك ورؤساء دول العالم إلى مثل هذه المؤتمرات ، التي ستتوالى وتتقدم خطوة خطوة ، إلى أن يحين يوم إعلان قيام الحكومة العالمية ، التي هي في جوهرها النقيض المطلق ، ليس لحقوق الانسان فحسب وإنما لوجود الانسان أيضا .

(٢٤)
جـــاك أتالـــي

« جاك أتالي » يهودي مولود في الجزائر يشغل منصب المستشـار الأول للرئيس الفرنسي ميتران ويقع مكتبه في قصر الأليزيه إلى جوار مكتب الرئيس[1] ، وهو أحد مروجي مشروع الحكومة العالمية ، كما يتضح من كتابه « ملامح المستقبل أو خطوط الأفق » الذي أصدره في شباط عام ١٩٩٠ . وهو بحكم وظيفته ، وبحكم نشر كتابه خلال مزاولته هذه الوظيفة ، فانه يضفي بعدا جديدا على المشروع إياه .

يتحـدث أتالي عن عام ٢٠٠٠ وكأنه علامة بارزة على طريق إنشـاء الحكومة العالمية ، فهو يقول :

« إن تسعة أعوام فقط تفصلنا عن عام (٢٠٠٠) وسوف يتكلم الناس في أحد الأيام عن هذا العقد من الزمن ، **وكأنه العقد الذي تمت فيـه المراهنـة على الألف الجديدة القادمة** ، وسوف تتوقف فرص نجاحنا في المستقبل على عمل البشرية خلال هذه الأعوام التسعـة الباقية من القرن الحالي ، وكلنا أمل ألا يكون هذا العمل مخيباً لآمالنا .

« إن نظاما نقديا عالميا تحدد في داخله مناطق الاستقرار بين العملات الرئيسية سيسهـل النمو المتوازن والمتكامل بين « المجالات المهيمنة » . وإن تقنيناً مصرفياً ومالياً عالمياً سيقلّص المضاربات المالية ويحدُّ من عمليات تنظيف أموال المخدرات . وإن حرية التجارة الدولية ، وبشكل خاص فتح أسواق بلدان الشمال لمنتجات بلدان الجنوب ، سـوف تعمـل على إدخال العمـلات الصعبـة الضرورية لتسـديد ديون هذه البلدان الأخيرة وتطوير وتنمية استثماراتها ، كما ستسهل آلية استقرار رواج المواد الأولية وتساعد

(١) السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ، زياد أبو غيمة ، ص ١٥٣ . وقد أصبح أتالي فيما بعد رئيس المصرف الأوربي لإعادة الإعمار والإنماء ــ جريدة تشرين السورية ، العدد ٥٥٩٦ ، ١٩٩٣/٣/٢٠ ، ص ٩ .

بالتالي على تنمية البلدان التي يتوقف تطورها على عائدات هذه المواد .

« وأخيرا سيكون من الواجب اخضـاع التشريعات الوطنية ، المتعلقة بحماية البيئة ونزع السلاح ومكافحة المخدرات ، والسيطرة على استخدام علوم الوراثة ، لسلطاتٍ كونيةٍ عليا تشكّل بطريقةٍ ديمقراطيةٍ وتكلف بوضع قواعد لها صفة عالمية (ص ٥٩) .

« إن المســألة الرئيسية ستكون في الغد : مسـألة تعلم كيفية الادارة العالمية للمشاكل ، وسوف يستدعي ذلك ثقافةً جديدة ، ومؤسسات جديدة ... وبالرغم من ذلك ، يبقى من الممكن التكهن بالمستقبـل إلى حـدٍّ بعيد ، بالنسبـة لخطوط قوته ، والعقبات التي ستظهر في الطريق . ولكن ، لايمكن استيعاب وفهم هذا المستقبل إلا في أبعاده العالمية .

« ومن المرجح منذ الآن ، وحتى عام ألفين ، أن يصبح النظام التجاري كونياً ، وسـوف تعود للمـال وحده في هذا النظـام مسؤولية تحديد القوانين ، كما سيُحدِّد السوق والأسعار والأرباح والقواعد في شتى أنحاء العالم ، من سانتياغو إلى بكين ، ومن لاغوس الى موسكو . وسوف يستقرُّ في العالم اقتصادٌ سلمي . ولكن ما من اقتصاد مضمون من السلام (ص ١٤٢) .

وبعد أن يستعرض المؤلف ظروف الحياة على الأرض في الفترة القصيرة القادمة يقول :

« والواقع أننا لازلنا أبعد مانكون عن فهم ذلك ، وأبعد بكثير عن استخلاص النتائج . هذه النتائج التي ستكون ثورية . إنها ستتطلب من رجال الدولة والقادة وكبار سياسيي الغد ، الشجاعة لقبول مبدأ « التخلي عن السيادة القومية » الذي لايرضي المواطنين ... وسوف يكون من واجب الانسـان أن يحمي نفسه من نفسه ، ويضع الحدود لأوهامه ، ويكفَّ عن التفكير بأنه سيد العالم والجنس البشري وألا يغيب عن ذهنه أنه لايملك سوى « حق الانتفاع » فقط .

« هذا ، وسيكون من الواجب تحديد ضوابط التطور العالمية بأسلوب ديمقراطي قابل للتطبيق والمراقبة ، علماً بأن مؤسسات الأمم المتحدة الناتجة عن الحرب العالمية الثانية لم تعد ملائمة لهذه المهمة ، فهي لاتملك الوسائل ولا الصلاحيات الضرورية .

لذلك لابد من الانتقال إلى « مرحلة أعلى من النظام الدولي » بانتظار قيام « مؤسسات ديمقراطية » حقيقية ، تفرض بأسلوب ديمقراطي « المعايير والضوابط » الضرورية في الميادين التي تتعرض فيها الحياة والعلاقات الدولية للخطر .

« إنني لا أستهين بالرفض والمقاومة التي ستلاقيها مثل هذه الاصلاحات الضرورية ، فالقليل من البلدان يمكنها أن تقبل بسهولة أي انتقال للصلاحيات إلى « **سُلطةٍ كونيةٍ** » . وقد برهنت بعض الوقائع الحديثة على ذلك . علما بأنني لا أقلّل أبداً من أهمية المصاعب التي ستواجهها محاولات تطبيق القواعد الديمقراطية الصحيحة من قبل سبعة أو ثمانية مليارات من البشر . ففي المرحلة الأولى يمكن أن نتصور عقد « **مؤتمر قمة نظامي** »[1] يضم رؤساء دول الشمال والجنوب مهمته إنشاء مثل هذه المؤسسات الديمقراطية ووضع عدد من القواعد الأساسية الضرورية كدليل للعمل ؛ كما يمكن أن نتصورإنشاء هذه المؤسسات والقواعد من قبل حكوماتٍ جماعيةٍ مجهولة .

« **وفي كل الأحوال ، فان هذا النوع من السلطات الكونية أصبح ضرورياً جداً في ميادين خمسة أصبحت تشكل تهديداً جديّاً للحياة ، وهي : سوءالتغذية ، والغازات الخانقة ، واستخدام علوم الوراثة ، والتسليح ، والمخدرات**[2] .

« والخلاصة ، سوف ترتسم تدريجياً في الأفق تطورات متناقضة ، ستدعم التضامن وتزيد من خطر العزلة ، وتزيد من سرعة التوسع ، وتثير المظالم ، **وسوف تعطي الكلام للأشياء وتفرض الصمت على البشر . وسوف تطور اللغات العالمية** وتعمق الهوة الفاصلة بين الشعوب المتطورة والشعوب النامية والفقيرة .

« **ويبقى من الواجب اعطاء معنى لكل هذه التطورات . وقد يكون هذا المعنى « دينيا »** .. والسؤال عندئذ هو ، هل سيكون ذلك في اطار من التسامح أو الحرمان أو النبذ ؟ أم في اطار من التعصب أم الرحمة ؟ ... وبشكل عام يمكن القول : ياله من غد مفعمٍ بالقلق ! فهل سيكون الكلام فيه للعنف أم للسلام ؟ ..[3] .

---

(١) ربما كان مؤتمر قمة الأرض المنعقد في ريو دي جانيرو في حزيران ١٩٩٢ م خطوة على هذا الطريق .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦١ ــ ١٦٢ .

(٢٥)
فرنسيس فوكوياما
(Francis Fukuyama)

كما جاك أتالي مستشار الرئيس الفرنسي يدعو إلى إقامة الحكومة العالمية ، كذلك فرنسيس فوكوياما مستشار الرئيس الأمريكي جورج بوش[1] .

يقول الدكتور مسعود ضاهر[2] أنه « حتى عام ١٩٨٩ لم يكن اسم فرنسيس فوكوياما معروفا في أوساط الباحثين . ولم يكن هذا الشاب الأميركي من أصل ياباني معروفاً بدراساته المعمقة في أي حقل من حقول المعرفة الانسانية ، وبشكل خاص في مجال الأبحاث التاريخية وفلسفة التاريخ . وما أن ألقى محاضرة بعنوان « **نهاية التاريخ** » في جامعة شيكاغو ونشرتها مجلة (ذي ناشيونال انترست The National Interest) عام ١٩٨٩ حتى سلطت عليه الأضواء الساطعة بشكل مكثف . فهو أمريكي الجنسية من أصل ياباني ، يقرأ هيغل قراءة جديدة متميزة ويدافع بحماس عن نظرية الدولة الليبرالية الرأسمالية التي نادى بها هيغل واعتبرها نهاية للتاريخ . كذلك يعيد قراءة مقولة نيتشه عن (**الانسان الأخير**) ويعطيها أبعاداً جديدة مختلفة تماما عن تلك السمات السلبية التي أشار اليها فيلسوف القوة الألماني نيتشه »[3] .

---

(١) كان فوكوياما أحد العاملين بوزارة الخارجية الأمريكية حين كتب أطروحة « نهاية التاريخ » ــ حرب الخليج والنظام العالمي الجديد ص ٣٥ ــ مقال للكاتب ع . ح . في مجلة « العالم » الصادرة في لندن باللغة العربية ، العدد ٣٩٠ ، ١٩٩١/٨/٣ . وقد أشير إلى أنه كان يشغل وظيفة نائب رئيس دائرة التخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية ، وكان باحثا في مؤسسة راند (نهاية التاريخ ودراسات أخرى ، ترجمة يوسف جهماني ، ص ١١) .

(٢) أستاذ التاريخ الحديث في الجامعة اللبنانية ، بيروت .

(٣) مجلة الوحدة ، الرباط ، العدد ٩٨ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢

ويشير الدكتور ضاهر إلى أن فوكوياما أعقب محاضرته تلك بمقالة عن « بداية التاريخ » نشرها في ملف خاص عن هيغل أصدرته مجلة « الماغازين ليتيرير » الباريسية في عددها رقم ٢٩٣ الصادر في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩١ ، ثم بكتاب نشره في باريس عام ١٩٩٢ بعنوان « نهاية التاريخ والانسان الأخير La Fin de l,Histoire et le dernier Homme »[١] .

ثم يقول : « لقد طرح فوكوياما مقولة « نهاية التاريخ ؟ » بصيغة التساؤل في محاضرته لعام ١٩٨٩ ، لكن الكتاب الجديد حذف السؤال وكأن الباحث وجد الجواب اليقين على تساؤله فتكررت مفرداته دون انقطاع حاملة المفاهيم عينها ... اللافت للنظر أن موضوعات الكتاب تتسع لتشمل مختلف جوانب التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والاداري وغيرها . وهي تمتد لتطول بدايات التاريخ ومراحل العصور الوسطى والعصر الحديث وصولاً إلى المرحلة الراهنة منذ الحرب العالمية الثانية حتى انهيار الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية السابقة ... إنه يعطي أحكاما نهائية عن القضايا الاقتصادية والعمل والاستغلال والملكية والأرباح والسوق العالمية وغيرها مع أنه لايفقه شيئا في مبادىء علم الاقتصاد وآليات عمل الشركات الرأسمالية العملاقة والمتعددة الجنسيات التي تسيطر على العالم ، وليست له خبرة واسعة في مجال البحث التاريخي في مختلف جوانب الحقب التاريخية لبلدان العالم كله ، لذلك اقتصر عمله على الخوض في فلسفة التاريخ أكثر من بحثه في مشكلات التاريخ نفسها... قد تطول استشهاداتنا كثيراً للتعريف بالمشكلات الكبرى التي تضمنها كتاب فوكوياما وهي تحتاج لاجابات علمية موثقة وإلى دراسات ميدانية متنوعة . والطريف أن فوكوياما مستعد لتقديم الأجوبة النهائية على جميع الأسئلة المطروحة بدءا من الخوض في علم الآثار والبدايات الأولى للتاريخ وصولا إلى اليوم مع اطلاق أحكام نهائية تجعل التاريخ المستقبلي غير قابل للانفكاك من إطار النظرية التي رسمها هيغل في مطالع القرن التاسع عشر وأعاد صياغتها فوكوياما في محاضراته ومقابلاته وكتابه هذا ... » .

(١) صدرت الترجمة العربية لهذا الكتاب بقلم الدكتور حسين الشيخ عن دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، بيروت عام ١٩٩٢ بالاعتماد على النص الانكليزي « The end of history and the last man ».

ثم يعقب الدكتور مسعود ضاهر على نظريات فوكوياما بالقول : « أغلب الظن أن المقولات التي أطلقها فوكوياما غير قادرة على تجديد الديموقراطيات الليبرالية رغم الأزمة الحادة التي عصفت بالأنظمة الاشتراكية ، فما كل مايلمع ذهباً . وما الكلام على نهاية التاريخ بقادر على ايقافه أو فرض نهاية لن تأتي لأن السيرورة التاريخية مستمرة إلى مالانهاية ... وقد تمر سنوات طويلة على بريق هذه المقولات ، وعلى ترداد اسم فوكوياما باستمرار في الأجهزة الإعلامية والمراكز الثقافية . لكنه بريق عابر على أي حال ، وليست هذه هي المرة الأولى التي تضخم فيها مثل هذه الشخصيات الثقافية لأهداف ايديولوجية بالدرجة الأولى » .

على أن الذي يبدو لنا من خلال استعراض مقالة وكتاب فوكوياما أن الذي يعنيه هذا من « نهاية التاريخ » ليس التاريخ المتعارف عليه في المعاهد العلمية والجامعات أو الذي يتعامل معه أستاذ التاريخ الدكتور ضاهر ، فمن البدهي أن هذا التاريخ لانهاية له .

بل إن فوكوياما ذاته أوضح ، في مقدمة كتابه ، تعقيباً على ما أثارته عبارته « نهاية التاريخ » من تعليقات وانتقادات ، « أن أغلبها قام على فهم خاطىء لاستعمال لفظ التاريخ » . وفهم التاريخ بالشكل التقليدي على أنه « حدث يحدث » جعل الكثيرين يحاولون إثبات خطأ الفكرة التي طرحتها — على حد قوله — بسبب تتالي الأحداث التي اعتبروها أحداثاً تاريخية ، كسقوط حائط برلين وغزو العراق للكويت وغيرها ، وانتهوا إلى أن التاريخ مستمر ولم ينته » .

وأضاف قائلا : « إلا أن ماطرحته لم يكن المقصود به توقف استمرارية تواتر الأحداث — حتى الضخم أو المروع منها — وإنما توقف التاريخ .. التاريخ كما مفهوم لديَّ ولدى الكثيرين غيري من أنه تجربة بشرية تتطور بشكل متصل ومتماسك ، وأعتقد أن هذا المفهوم يتطابق إلى حد كبير مع منظور الفيلسوف الألماني العظيم هيجل للتاريخ ، والذي تحوَّل إلى جزءٍ من حياتنا حينما استعاره كارل ماركس من هيجل ... وقد آمن كِلا الفيلسوفين هيجل وماركس بأن هذا التطور المضطرد للمجتمعات البشرية لايسير إلى مالانهاية ، وإنما هو محكوم بتوصل الإنسان إلى شكل محدد لمجتمعه يرضي احتياجاته الأساسية ، وعندما يتم التوصل إلى هذا الشكل يتوقف التطور أو بمعنى آخر يتوقف التاريخ ، وبينما يتبلور هذا الشكل المثالي للمجتمع عند هيجل في النظام الرأسمالي

الليبرالي ، نجده عند ماركس يتبلور في النظام الاشتراكي » .

لكن هذه الفذلكة تبقى غير مقبولة ، ويبقى المعنى المقصود غير ما أفصح فوكوياما عنه ، لسببين :

أولا — لأنه وإن يكن المجتمع المثالي عند هيجل هو الرأسمالي الليبرالي أو مايشبه ذلك ، إلا أن هيجل لم يقل باستحالة التطور بعدئذ ، أو بحتمية الوصول إلى الدولة العالمية ، ثم الوقوف عندها .

فالأمر لايخرج حيال هيجل عن أحد احتمالين ، إما سوء فهم فلسفة هيجل ، أو تعمُّد تأويلها على نحو مايسلكه البعض تجاه الكتب الدينية ، لغرض اتخاذها ستاراً يخفي حقيقة مايرمي إليه . بل إن هيجل أدلى بالكثير من المقولات التي تناقض مايقصده دعاة الحكومة العالمية .

ثانيا — لأن ظروف الحال تشير إلى أشياء أخرى ، سوى ماهو معلن .

يقول فوكوياما : « إن الحقيقة المجردة بأن الطبيعة الانسانية لاتخلق مرة وللأبد بل تخلّق نفسها في مسار الزمن التاريخي ، هذه الحقيقة لاتوفر علينا الحديث عن الطبيعة الانسانية ، سواء كتركيب يحدث بداخله خلق الإنسان لنفسه أو كنقطة نهاية أو غاية يتحرك نحوها التطور التاريخي الإنساني (نهاية التاريخ ، فوكوياما ، ص ١٦٠) .

وهذه العبارة تحمل المغزى ذاته الذي شرحه فيلسوفُ البهائية « أبو الفضل » ، حين قال[١] :

« أعرض على جنابكم أنه يفهم من سؤالكم هذا أنكم اعتقدتم بأن الله تعالى خلق العالم في زمان ما في القديم وفرغ من الخلق والانشاء وتركه ناقصا أو عرضة لطريان النقص الى أن يقضي عليه بالزوال والفناء ، والحال أن لفظ الخالق اسم من أسمائه تعالى ، والخالقية صفة من صفاته جل وعلا ، فهو جلت عظمته لم يزل خالقا وجاعلا للمخلوقات ومنشئا وموجدا للموجودات ، وفي كل حال هو موصوف بوصف الخالقية والجاعلية للممكنات وكل ماترونه ناقصا انما هو عبارة عن عدم تكمل الخلقة وعدم تحقيق كمال النشأة مما يقتضيه مرور الزمان وتتابع الأوان ليتحقق تمام الكيان ، ويبلغ الى

---

(١) مختارات من مؤلفات أبي الفضائل، ص ٣١٠ — ٣١٣ .

رفعة كماله عوالم الإمكان ... فكل ماترونه في العالم من أنواع المخلوقات ماعدا النوع الانساني فان الله تعالى قد أكمل خلقه وأتقن صنعه . وأما نوع الانسان من حيث خلقته الجسمانية ونشأته الطبيعية فهو أيضا في غاية الكمال وتمام الاعتدال . وأما من حيث روحانيته ومعارفه أي الكمالات التي تنتج منها المدنية الممدوحة والانسانية المحمودة ، فانه بعد لم يكمل خلقه وانشاؤه وماحان تكميله واعلاؤه . إذ لو خلق الله الانسان كامل الذات في الأزل لينافي ذلك معنى الاختيار والارادة التي بنيت عليها الانسانية ، وحاشى لله أن يترك خلق الكون ناقصا وكتاب التكوين مبتوراً ، فإنه تعالى من سعة رحمته وسبوغ نعمته وكمال خالقيته وإحاطة قدرته يرسل الأنبياء والمرسلين ويبعث الشهداء والقديسين في كل قرن ودور لتشريع الشرائع الإلهية وتنزيل الكتب السماوية وحفظ النواميس الدينية وبسط المعارف الروحانية ليكمل بهم خلقة العوالم البشرية وتتم كمالات الأفراد الانسانية ... فلابد من بلوغ العالم من جهة المعارف إلى ذروة الكمال ووصول خلائق الخلق إلى درجة الاعتدال ، كما بشرت به الصحف المطهرة وصرحت به الكتب المقدسة في سابق القرون والأجيال ... كما تفهمون أيضا معنى ماقلناه آنفا أن الله تعالى لم يزل يخلق وينشيء الأمم الجديدة والشرائع البديعة بارسال مظاهر أمره ومطالع حكمه ليبلغ العالم إلى درجة الاعتدال ويصعد الى ذروة المجد والكمال ... » .

كذلك جاء في الكتاب البهائي « صفحة النور » ، ص ٦٧ :

« ١ ــ تعلن رسالة بهاء الله أن دور المهد والطفولة للجنس البشري قد انقضى ، وأن الاضطرابات المقترنة بدور المراهقة الحالي انما تعمل في بطء وألم معا للوصول به إلى الرشد ، وأن هذه الرسالة ما أتت إلا لتعلن بشارة اقتراب عصر العصور الذي فيه تطبع السيوف مناجل ، ويتأسس ملكوت الله ويتحقق السلام الدائم على الأرض » .

وتلك هي نظرية خلق الكون في اليهودية ، فالله سبحانه وتعالى مايزال يخلق الكون وسيظل يخلقه إلى أن يكتمل خلقه بانتهاء ستة آلاف سنة على بدء الخليقة ؛ التي هي بمثابة ستة أيام الخلق (باعتبار كل يوم يعادل ألف سنة) ، أو مايسمى بأزمنة الأمم ، وبانتهاء هذه الأيام الستة أو آلاف السنوات الستة يبدأ **سبت التاريخ** ، أو اليوم السابع من عمر الكون الذي فيه يرتاح الله سبحانه من عناء الخلق ويستوي على العرش ،

وذلك هو عصر مسيحهم المنتظر ، أو **العصر الألفي السعيد**[١] .

فهذا ما يوضح معنى « **نهاية التاريخ** » التي يقصدها فوكوياما . إنه المعنى المستفاد من الاصطلاح اليهودي[٢] « **نهاية أزمنة الأمم** » أو العبارة التوراتية « **وقت النهاية** » أو « **نهاية الأيام** »[٣] حين يبدأ مايسمى بالعصر اليهودي أو **العصر الألفي السعيد** أو **سبت التاريخ**[٤] . وهذا مايفسر الهالة الضوئية الباهرة التي أحيط بها فوكوياما . والتي قال على اثرها : « **لديَّ إحساس قوي بأنني سأصبح شيئا هاما في التاريخ الأمريكي الجديد ... ربما كان البيت الأبيض** »[٥] .

فأن يقول ياباني هذا الكلام ، فتلك مسألة نادرة وهامة ، وهي فرصة قد لاتتكرر كثيرا لجر اليابانيين إلى هذه المفاهيم .

يقول مؤلفو كتاب « رؤيا القديس يوحنا » ، الذي صدر ابتداءً بالفرنسية في باريس عام ١٩٧٥ ، وترجم إلى العربية ونشر في بيروت لأول مرة عام ١٩٨٧ ، ثم نشرت طبعته الثانية بالعربية عام ١٩٨٨ :

« بالنسبة إلى الانسان اليوناني ، الزمن دائري هو ، بمعنى أن السنين تبدو وكأنها تدور على نفسها ، معيدة إلينا الأحداث نفسها : لايمكن أن ينتج شيء جديد . أما بالنسبة إلى ابن الكتاب المقدس ، فالزمن خطوطي ، بمعنى أن التاريخ يتطور ويتقدم نحو هدف محدد .

« ويتدخل النبي في هذا التاريخ باسم الله ، ورسالته أن يجعل معاصريه يعيشون في

---

(١) يقول الأب الدكتور متري هاجي أثناسيو في كتابه« فضح بدعة شهود يهوه » الصادر في دمشق عام ١٩٩١ ص ١٤٨ : « يعتقد اليهود أن زمن العالم ستة آلاف سنة وهو بمثابة ستة أيام التي خلق الله سبحانه العالم فيها ، باعتبار كل يوم بمثابة ألف سنة ، ثم في نهايتها يبدأ يوم الرب وهو ألف سنة السابعة التي هي فترة ملك المسيح » .

(٢) الذي احتضنه شهود يهوه والأصوليون الانجيليون .

(٣) دانيال ١٢:٤ ، ٩ ، ١٣ .

(٤) استعمل الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه « الايديولوجية الصهيونية » (الجزء الأول ، ص ٤٦) عبارة « **نهاية التاريخ** » بمعنى مرادف لعبارة « **سبت التاريخ** » الذي هو موعد ظهور مسيح اليهود المنتظر .

(٥) نهاية التاريخ ، ص ٧ و ٨ .

الحاضر ، فيكشف لهم مخطط الله . إن كلمة الله التي يعلنها ترتبط قبل كل شيء بالظروف الحاضرة ، وهو يهتم بالمستقبل بقدر مايعطي معنى للزمن الحاضر ، بقدر مايسند رجاء السامعين فيذكّرهم بهدف مسيرتهم ، بذلك « اليوم » الذي يقيم الله فيه ملكوته على وجه نهائي . غير أن هذا اليوم يبقى خفياً ، لأن ستاراً يحجب نهاية التاريخ عن أعين البشر .

« في وقت الأزمة ، يحس النبي أن الكلمات التي يقولها لاتكفي لتسند الرجاء ، لأن الأزمنة قاسية ، وهي تعارض ظاهرياً مخطط الله . ولكن الانسان يريدأن يتأكد من « رؤية » مخطط الله ، من « رؤية » نهاية الأزمنة هذه . فينتظر من الله أن يرفع الستار الذي يحجب النهاية . وهكذا تصبح النبوءة رؤيا .

« ولكن إذا كان كاتب الرؤيا يأتي بعد النبي ، إلا أنه قريب من الحكماء ، وهو يستوحي إلهاماً عندما يفكر بتاريخ شعب إسرائيل ...

« ولكن مايغلب على الرؤى أساساً هو التشاؤم . « فالعالم » يتخذ معنى سلبيا ، لأنه كله تحت سلطة الشيطان « سيد هذا العالم » . الشر يتسلط بواسطة الوثنيين والمؤمنون يُضطهدون ، فلانستطيع أن ننتظر إلا شيئا واحدا ، وهو أن يخلق الله عالماً جديداً ، أرضاً جديدةً وسماءً جديدةً ...

« والرجاء يلقي ضوءه على الاضطهاد والألم فيصبحان عبوراً إلى الحياة ، مع مافي هذا العبور من ألم . **ولكي يتوصل الله إلى أن يقيم ملكوته بطريقة نهائية ، عليه أن يدمر كل مايعارضه في العالم وفينا** . يجب أن نموت لنحيا ، نموت عن طريق حياة خاصة لنحيا من حياة المسيح . والصور المخيفة عن الزلازل والكوارث تكلمنا : عندما يأتي الله ، تتحطم كل الحواجز . إن هذا لأمر مؤلم ، ولكنه موت من أجل الحياة ، وهو يشبه ألم المرأة التي تلد[1] .

وفي الحقيقة يتضمن برنامج فوكوياما الكثير من العناصر والرموز الصهيونية التي يطرحها دعاة وحدة الأديان والحكومة العالمية عادة ، لكنه يحاول في كتابه بلورة هذه العناصر والرموز بأسلوب فلسفي أو ربما عملي جديد .

(١) رؤيا القديس يوحنا ، مجموعة من الباحثين ، ص ٦ — ٩ .

يتبنى فوكوياما النظرية التي صاغها ألكسندر كوجيف ، هذا الذي اعتزل الفلسفة وتحول إلى موظف في المجلس الاقتصادي الأوربي ، والتي مفادها أن دولةً عالميةً ليبراليةً تمثل النهاية الحتمية للتاريخ ، فهذه الدولة هي الوحيدة القادرة على تلبية الحاجات البشرية وعلى توفير الاعتراف لمواطنيها ، وهي الوحيدة التي تتوقف عندها الجدلية التاريخية ، فتتوقف النقائض عن الظهور .

راح فوكوياما يعيد بناء هذه النظرية ويقدم الأدلة على سلامتها وصدقها ، ويضع الخطط للوصول إلى غايتها .

لقد أدرك أن الدين والقومية والوطنية والأنظمة الاجتماعية القديمة ستكون بمثابة عقبات في وجه مخططه ، لكنه بدل أن يصطدم معها يحاول الالتفاف حولها واحتواءها .

وهو إلى هذا وذاك يشعر بأهمية الروح في دفع بني البشر ، فيسعى إلى إيجاد دين جديد أو نوعا من قوة روحية جديدة تسعف النظام الجديد وتضمن انضواء البشرية تحت لوائه .

وكما سائر دعاة الحكومة العالمية ، يلوِّح فوكوياما بالحرب والفناء وسيلةً لحث الشعوب على السير في الطريق إن لم تنجح الوسائل الأخرى .

ينقل فوكوياما عن نيتشه قوله في كتابه « هكذا تكلم زردشت » : « الدولة ... هو إسم أكثر الوحوش الباردة برودة ... وبكل البرود تكذب أيضا ... تخرج من فمها الأكاذيب قائلة : أنا الدولة ، أنا الشعب ، وهذا كذب ، فالمبدعون هم خالقوا الشعوب ، وهم من منحوها الايمان والحب حتى تستمر الحياة » (ص ٢٣٩) .

ثم يعقب على ذلك فيقول : « عند نهاية التاريخ مامن وجود لمنافسة ايديولوجيةٍ جادةٍ للديموقراطية الحرة . ففي الماضي رفض الناس الديموقراطية ظنا منهم أنها أدنى من الملكية أو الأرستوقراطية أو الفاشيستية أو الشمولية الشيوعية أو أي ايديولوجية أخرى آمنوا بها . ولكن الآن ، فيما عدا العالم الاسلامي ، يبدو أن هناك اتفاقاً عاماً على قبول الديموقراطية الحرة كأكثر أشكال الحكم عقلانية ، أي الدولة التي تحقق بشكل تام إما الرغبة العقلانية أو الاعتراف العقلاني . وإذا كان ذلك حقيقة فلِمَ لَمْ تصبح كل الدول

خارج العالم الاسلامي دولاً ديموقراطية ؟ لماذا تبقى عملية التحول إلى الديموقراطية أمراً صعباً للعديد من الأمم التي قبلت شعوبها وزعماؤها بصفة عامة الديموقراطية نظريا ؟ ... ولماذا يتقهقر الاتجاه العام نحو الديموقراطية في النهاية ، حتى ولو كان هناك وعد بأنه سينتصر على المدى الطويل ؟ .. » (ص ٢٣٩) .

« والسبب في أن الديموقراطية لم تصبح عالميةً ، أو لم تظهر مستقرة بعد حصولها على السلطة ، يقع بصفة أساسية على عدم التوافق التام بين الشعوب والدول » (ص ٢٤٠) .

« والعودة إلى هيجل هامة ... لأنها تمدنا بإطار عمل لفهم ما إذا كانت العملية التاريخية الانسانية يمكن أن نتوقع لها الاستمرار بلاحدود أو ما إذا كنا قد وصلنا فعلاً إلى نهاية التاريخ . وفي نقطة البداية لهذا التحليل دعنا نقبل النظرية الهيجلية – الماركسية التي تقول إن التاريخ الماضي قد تقدم تقدماً جدلياً أو من خلال عملية تناقض تترك جانباً السؤال عما إذا كان الجدل له أساس مثالي أو مادي . أي أن صورة معينة من التنظيم الاجتماعي السياسي تنشأ في جزء معين من العالم ولكنها تحتوي تناقضاً داخلياً يؤدي عبر الزمن إلى القضاء عليها واستبدالها بصورة مختلفة من التنظيم أكثر نجاحاً . إن مشكلة نهاية التاريخ يمكن وضعها على النحو التالي : هل هناك أي تناقضات في نظامنا الاجتماعي الديموقراطي الحر المعاصر قد تؤدي بنا إلى أن نتوقع أن تستمر العملية التاريخية وتنتج نظاما جديدا أسمى من ذلك ؟ ..

« سوف نتعرف على التناقض إذا رأينا مصدراً لعدم الرضا الاجتماعي يكون حاسما بحيث يسبب سقوط المجتمعات الديموقراطية الحرة – أي النظام كله بلغة الستينات – . لاتكفي الإشارة إلى المشكلات في الديموقراطيات الحرة المعاصرة ، حتى إذا كانت مشكلات خطيرة ، مثل العجز في الميزانية والتضخم والجريمة والمخدرات . ولاتصبح المشكلة تناقضاً مالم تكن خطيرةً جداً بحيث لاتُحلُّ داخل النظام ...

« وعلى العكس من ذلك ، يمكن أن نقول ان التاريخ يصل إلى نهايته إذا كانت الصورة الحالية للتنظيم الاجتماعي والسياسي مقنعةً تماماً ومرضيةً تماماً للبشر » (ص ١٥٧ – ١٥٨) .

« ويزعم كوجيف أننا وصلنا إلى نهاية التاريخ لأن الحياة في دولة عالمية متجانسة يكون مقنعا ومرضيا تماما لمواطنيها . بمعنى آخر ، فالعالم الديموقراطي الحر الحديث يكون خاليا من التناقضات » (ص ١٦١).

« الدولة العالمية والمتجانسة التي ستظهر في نهاية التاريخ يمكن اعتبارها قائمة على دعامتين أساسيتين هما الاقتصاد والاعتراف ...

« أما الطريق الآخر الذي شجع فيه النمو الاقتصادي الديموقراطية الحرة هو ماله من تأثير عظيم من خلال حاجته للتعليم العالي . فالحصون الطبقية القديمة تهدمت لمصلحة الظرف العام من تساوي الفرص . وبينما تنهض طبقات جديدة معتمدة على المركز الاقتصادي أو التعليم ، هناك حشد أضخم مصاحب في المجتمع يسمح بذيوع الأفكار التي تدعو إلى المساواة . وهكذا ، فإن الاقتصاد يخلق نوعا من المساواة الواقعية قبل المساواة التي يقيمها القانون ...

« الرغبة في الاعتراف إذن هي حلقة الوصل المفقودة بين الاقتصاديات الحرة والسياسات الحرة ...

« وقد أكد ألكسندر كوجيف أن الدولة المتجانسة العالمية من الممكن أن تكون آخر مرحلة من التاريخ الانساني إذ أنها كانت مرضية تماما للإنسان . وقد قام هذا الاعتقاد ، في النهاية ، على ايمانه بأولوية الجانب الروحي ، أو الرغبة في الاعتراف ، كخاصية انسانية جوهرية عميقة جدا » (ص ٢٣١ – ٢٣٤) .

« آليتنا الآن يمكن أن تفسر خلق ثقافة عالمية قائمة على مبادىء اقتصادية حرة بالنسبة للعالم الثالث وكذلك العالم الأول والثاني ، إن العالم الإقتصادي ذو الانتاج الهائل والذي يتمتع بديناميكية كبيرة والناتج عن التكنولوجيا المتقدمة والتنظيم العقلاني للعمل ، يتمتع بقوة متجانسة هائلة ، فهو قادر على وصل مجتمعات مختلفة حول العالم بعضها ببعض من خلال خلق أسواق عالمية شاملة ، وخلق ممارسات اقتصادية في مجموعة من المجتمعات المختلفة . إن القوة الجذابة لهذا العالم تخلق مناخا مهيأ لكل المجتمعات الانسانية حتى تشترك فيه ، إلا أن النجاح في الاشتراك في هذا العالم يتطلب أولاً تبني مبادىء الحرية الاقتصادية .. وهذا هو الانتصار » (ص ١٢٧) .

« والاعتراف يكون معقولاً فقط إذا وُضِع على أساسٍ عالميٍ قائم على

المساواة ... والرغبة في الاعتراف القائم على قومية أو جنس ، ليس اعترافا معقولا بأي حال من الأحوال ... أما الفصل بين مجموعة إنسانية وأخرى ... هو نتاج طارىء وعرضي في التاريخ الإنساني ... والدولة الحرة يجب أن تكون عالمية ، أي تتيح الاعتراف لكل المواطنين على أساس كونهم موجودات إنسانية وليس لكونهم أعضاء في مجموعة أهلية أو جنسية معينة (ص ٢٢٧ – ٢٢٩) .

« والأصول الروحية للدين والوطنية توضح لماذا يكون الصراع حول القيم أكثر مرارة من الصراع حول الممتلكات المادية أو الثروات ...

« ولكي تعمل الديمقراطية بنجاح ، فلابد وأن يتناسى مواطنو الدول الديموقراطية جذور القيم المتوارثة في مجتمعهم ، وأن يُنَمُّوا أسلوبا جديداً في الحياة ونوعا من الفخر الروحي غير العقلاني بنظامهم السياسي ... » (ص ٢٤٢ و ٢٤٣) .

« إذن الثقافة – في شكل مقاومةٍ لعملية تَحوُّل قيمٍ تقليديةٍ معينة إلى تلك القيم الديمقراطية – من الممكن أن تمثل عائقاً في طريق التحول الديموقراطي.فماهي إذن العوامل الثقافية التي تعوق إقامة ديموقراطيات حرة مستقلة ؟ .

« تلك العوامل تصنف كالتالي :

« الأول يتعلق بدرجة وشخصية وعي البلد الوطني والعرقي والجنسي ... فلا تتحقق الديموقراطية في بلد تكون فيه عرقية أو أهلية مجموعاته السكانية متضخمة جداً لدرجة أنهم لايتشاركون كأمةٍ واحدةٍ أو يقبلوا حقوق بعضهم البعض . لهذا فمن الضروري وجود إحساس قوي بالوحدة الوطنية قبل تحقق الديموقراطية في بلاد مثل بريطانيا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا ... » (ص ٢٤٣ و ٢٤٤) .

يقول فوكوياما : **« ليس من المقبول في العالم المعاصر أن نتحدث الشخصية القومية »** (كتابه نهاية التاريخ ، ص ٢٥٣) .

أما العامل الثاني الذي يشكل عقبة في وجه الديمقراطية فهو « الدين » ، ومثلما لم تكن هناك ضرورة للصراع بين الوطنية أو القومية والديمقراطية الحرة ، فما من ضرورة أيضا للصراع بين الدين والديمقراطية الحرة ، إلا في حالة توقف الدين عن التسامح والمساواة ... ولكن الدين في حد ذاته لايخلق مجتمعات حرة ؛ فالمسيحية بمعنى معين

كان عليها أن تمحو وجودها من خلال علمنة أهدافها قبل أن تظهر الحرية . المثل العام المقبول لهذه العلمنة في الغرب كان المذهب البروتستانتي . فعن طريق جعل الدين شيئا خاصـا بين المسيحي وربه استبعدت البروتستانتية الحاجة إلى طبقة منفصلة من الكهنة ، وبصورة أكثر عمومية تحويل الدين إلى سياسة » (ص ٢٤٥) .

« أما العامل الثالث الذي يشكل عقبة في وجه ظهور ديموقراطية مستقرة فيتعلق بوجود تركيب طبقي غير متساو بدرجة عالية وكل العادات الذهنية التي تنتج عنه . وتبعاً لتوكفيل ترجع قوة واستقرار الديموقراطية الأمريكية إلى أن المجتمع الأمريكي كان ديموقراطياً قائماً على المسـاواة بالفعل ، حتى قبل كتابة إعلان الاستقلال والدستور : فالأمريكيون ولدوا متساوين[1] ، والتقاليد الثقافية التي انتقلت إلى أمريكا الشمالية كانت تقاليد انجلترا وهولندا الحرتين . أما البرازيل وبيرو فعلى العكس نجدهما قد ورثتا تراكيب طبقية متعددة مليئة بالعداوة المتبادلة بين الطبقات المختلفة .

« ولقد استمر الأسياد والعبيد في بعض الدول في أشكال أكثر وضوحا وأعمق جذوراً من دول أخرى . ففي أجزاء عديدة من أمريكـا اللاتينية ، مثلما حدث في أمريكا الجنوبية فيما قبل الحرب الأهلية ، تواجدت عبودية ظاهرة ، أو شكل ما من الزراعة المستقرة الواسعة المجال والتي ربطت المزارعين بطبقة من ملاك الأرض في عبودية حقيقية . وقد أدى هذا إلى الموقف الذي يصفه « هيجل » كخاصية الفترات المبكرة من السيادة والعبودية : الأسياد العاطلون عن العمل المفعمون بالعنف ، وطبقة العبيد غير المستقلين المفعمون بالخوف مع مفهوم ضئيل عن حريتهم الخاصة . وبالمقارنة كان غياب الزراعة المستقرة في كوستاريكا ، التي هي جزء مهمل ومنعزل من الامبراطورية الاسبانية ، والمساواة في الفقر التي نتجت عن ذلك ، أحد تفسيرات نجاح الديموقراطية في تلك الدولة . (ص ٢٤٥ و ٢٤٦) .

« الديمقراطية لايمكن أن تدخل من الباب الخلفي ، وعند نقطة معينة لابد وأن تصدر عن قرار سياسي حازم بإقامة الديمقراطية . ويبقى مجال السياسة منفردا عن مجال الثقافة له كرامته الشخصية كنقطة تلاق بين الرغبة والروح والعقل . الديموقراطية الحرة

---

(١) وما الأمر بالنسبة إلى الأمريكيين السود والهنود الحمر ؟ .

المستقرة لايمكن أن توجد بدون وجود ساسة حكماء ذوي فعالية ، متفهمون لفن السياسة وقادرون على قلب اتجاهات الشعب إلى تؤسسات سياسية دائمة ، والدراسات حول تحولات ديمقراطية ناجحة تؤكد على أهمية مثل هذه العوامل السياسية الدائمة مثل قدرة الزعامة الديموقراطية الجديدة على تأمين القوات المسلحة أثناء البحث عن تفسير لإخفاقات الماضي ، وكذلك مقدرتها على ايجاد تواصل رمزي مع الماضي (أعلام وأناشيد وطنية وماشابه ذلك) (ص ٢٤٨) .

« وهناك اعتبار آخر يقترح أن الخط الفاصل بين الثقافة والسياسة وبين الشعوب والدول ليس واضحا على الإطلاق . فالدول من الممكن أن تلعب دورا هاما في تشكيل الشعوب أي في تكوين « لغتها عن الخير والشر » ، وفي خلق طبائع وعادات وثقافات جديدة » (ص ٢٥٠) .

« فالعلاقة بين المذهب البروتستانتي والتقدم الاقتصادي مازالت واضحة حتى اليوم في أمريكا اللاتينية ، حيث تبعت حركة اعتناق البروتستانتية الواسعة المجال ، تزايدات في الدخل الفردي ، ونقص في السلوك الإجرامي ، وتعاطي المخدرات ، وهكذا » (ص ٢٥٦) .

« وقد تم التعرف على قياسات للأخلاقيات البروتستانتية في ثقافات أخرى من أجل تفسير نجاحها الاقتصادي . روبرت بيللا ، على سبيل المثال ، أوضح كيف أن أخلاقيات العمل اليابانية المعاصرة يمكن إرجاعها إلى مصادر دينية يابانية معينة كانت هي المعادل للنصرانية » (ص ٢٥٦ و ٢٥٧) .

« فالروحانية الدينية مغرية جداً لشباب الطبقة المتوسطة في الغرب ، ولكنها زرعت في نفوس معتنقيها نوعاً معيناً من هذا التصور والسبات الدنيوي اللذان تشكلا في عديد من الجوانب في تناقض مع روح الرأسمالية » (ص ٢٥٨) .

« حتى في نهاية التاريخ ، من الضروري وجود شكل ما من الروح (THYMOS) اللاعقلانية من أجل الحفاظ على عقلانيتنا وعالمنا الاقتصادي الليبرالي ، أو على الأقل إذا كان علينا أن نحتل المراتب المتقدمة على رأس القوى الإقتصادية العالمية » (ص ٢٥٨) .

« فالحرب والمنافسة العسكرية إذن هي عامل للتوحيد بين الشعوب ، فكما أن الحروب قد تؤدي إلى هلاك بعض الدول ، فهي أيضا تجبر هذه الدول على تقبل الحضارة التكنولوجية الحديثة وقبول التراكيب الاجتماعية التي تدعم ذلك . إن العلوم الطبيعية الحديثة تفرض نفسها على الإنسان سواء تقبل أم لا ، فمعظم الدول ليس لديها خيار رفض العقلية التكنولوجية الحديثة إذا ما أرادت أن تحافظ على حكمها الذاتي الوطني . قد يمكن تجنب التكنولوجيا الحديثة لفترة ما ، لكن ذلك لن يستمر طويلا ... ولكل ذلك فالدليل واضح على صدق ملاحظة « كانت » في أن التغير التاريخي يأتي كنتيجة « لقدرة الانسان الاجتماعية على ألا يكون اجتماعيا » . إن الصراع أكثر من التعاون والارتباط هو الذي يحفز البشر على العيش في مجتمعات ، ثم يسهم في تطوير هذه المجتمعات إلى أعلى وأعلى » (ص ٩١ و ٩٢) .

فعلى هذه المقدمات يُرشّح فوكوياما نفسه لمهمات عليا خطيرة ولايفوته لذلك أن يبرأ من أصله الياباني ويتحلى بالعنصرية الأوربية ، فهو يقول :

« أنا أمريكي مائة بالمائة ، ولا أعاني إطلاقا من ازدواجية الانتماء ، فأنا — رغم أصلي الياباني — ابن أمريكا » ... « إن أميركا هي آخر بلد يمكن أن يكون فيه للاعتبارات العائلية أو العرقية أية أهمية ، وهي لم تقم — كما يدعي البعض — على أشلاء أهلها الأصليين من الهنود الحمر والأزتيك الذين كانوا يذبحون أطفالهم قرابين للآلهة » ... « إن وصول المهاجرين الأوربيين إلى أميركا لم يكن عملا بربريا ، بل كان إنجازاً حضارياً . هل يمكن أن نتخيل مدى سوء الأوضاع فيما لو ظلت أميركا مأهولة بتلك المخلوقات البدائية !!! » ... (نهاية التاريخ ، ص ٧ و ٨) .

أخيرا لقد رد نعوم تشومسكي وروجيه غارودي ونادي روما ، بصورة غير مباشرة ، على رأسمالية فوكوياما وديمقراطيته . وثمة رد آخر جاء من خلف القرون على لسان جان جاك روسو في « العقد الاجتماعي » .

قال جان جاك روسو في « العقد الاجتماعي » : « وإذا أخذنا عبارة الديموقراطية بكل معناها الدقيق نجد أن الديموقراطية الحقيقية لم توجد أبداً ولن توجد أبداً » .

وقال نعوم تشومسكي في وصف المجتمع الأمريكي بأنه « **ليس مجتمعا رأسماليا صافيا ، بالطبع ، فمثل هذا المجتمع لايستطيع البقاء أسبوعا واحداً** »[1] .

وقال روجيه غارودي : « ليس صحيحا أن حريَّة السوق تولِّد ديمقراطية ، فمن الجائز فرض قوانين السوق بانتهاك الديمقراطية . وهكذا كانت الحال في تشيلي في عهد بينوشي حيث كلفت قوى الدولة القمعية بالقضاء على أي عائق يقف أمام تخصيص السوق ، ولهذا السبب وصل بينوشي إلى السلطة وبقي فيها طويلاً بفضل مساعدة « الديمقراطية » الأميركية .. ليس سوى مثال لكن نستطيع ذكر آخر هو مثال كوريا الجنوبية .. واليوم تأكدت كذبة إلحاق الديمقراطية بحرية السوق ، وهي مبدأ السياسة الأمريكية ... وفي شرق أوربا يبرز الميل إلى فرض حرية السوق على حساب الديمقراطية . فأمام ارتفاع الأسعار وتزايد البطالة ومساوىء « تحرير السوق » ، أعلن ليش فاليسا في ٢١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩١ : « بولونيا بحاجة إلى حكمٍ قوي ، إلى نوع من الديكتاتورية الاقتصادية » ... وكذلك في روسيا قرر بوريس يلتسين لتسريع إرساء الرأسمالية ، أن يضايق الصحافة وأن يجمع سلطة الرئيس ورئيس الوزراء ، فحصل على السلطة المطلقة لمدة سنة فاستأثر بحق الحكم بواسطة المراسيم حتى لو تناقضت مع الدستور »[2] .

أما نادي روما فيقول في تقريره الصادر في عام ١٩٩٢ المسمى « الثورة العالمية الأولى – من أجل مجتمع عالمي جديد » :

« **إن الحرية بمفردها لاتستطيع أن تعيد تنظيم دولة أو تضع دستورا أو تخلق سوقاً أو تحقق نمواً اقتصادياً أو تعيد بناء صناعة أو زراعة أو إقامة هيكل اجتماعي جديد . إن الحرية غاية نبيلة وضرورية ولكنها بعيدة كل البعد عن أن تكون دليل عمل لأية حكومة جديدة** ، وهذا هو ببساطة السبب الذي يجعل حقوق الإنسان قادرة على إطلاق مبادرة عملية التحول الديمقراطي ، على حين تقف عاجزة عن وضعها موضع التنفيذ . ولعله ينبغي لنا هنا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال : أية ديمقراطية ؟ ،

---

(١) مجلة « الآداب » اللبنانية ، حزيران ١٩٩٣ ، ص ٥١ .

(٢) « حفارو القبور ـــ نداء جديد إلى الأحياء » ، غارودي ، ص ١٤٧ .

ومن أجل تحقيق أية أهداف ؟ . لقد استطاعت الديمقراطيات القديمة أن تعمل بشكل جيد إلى حدٍّ كبيرٍ طوال السنوات المئتين الأخيرة ، ولكن من الواضح أنها قد وصلت الآن إلى مرحلة من الركود اللامبالي الذي يفتقر إلى الإبداع وإلى الزعامة الحقيقية .

« ولكننا نأمل مع ظهور هذا الحماس الجديد للديمقراطية في البلدان المحرّرة اليوم ، ألاّ تلجأ شعوب هذه الدول إلى التقليد الحرفي للنماذج القائمة التي لم تعد قادرة على تلبية الاحتياجات المعاصرة .

« إن الديمقراطية ليست وصفة سحرية لعلاج جميع الأمراض ، فهي لاتستطيع أن تنظم كل شيء ، كما أنها غير واعية محدداتها . وهذه الحقائق لابد من مواجهتها بكل صراحة حتى وإن بدا ذلك نوعا من الاجتراء على المقدسات . إن الواقع العملي يكشف الآن عن أن الديمقراطية لم تعد مناسبةً تماماً لمواجهة المهام المستقبلية ؛ ذلك أن طبيعة كثيرٍ من مشكلات اليوم المعقدة والفنية جعلت النواب المنتخَبين غير قادرين دائما على اتخاذ القرارات الفعالة في الوقت المناسب ؛ فعددٌ قليلٌ فقط من الساسة الذين يشغلون مناصب مسؤولة على دراية كافية بالطبيعة العالمية للمشكلات التي تواجههم ؛ بل قد يفتقرون تماما إلى وعي تشابك وتداخل هذه المشكلات . وبصفة عامة يمكن القول إن المناقشات المستنيرة حول القضايا الرئيسية – سواء الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية – عادة ماتدور في وسائل الإعلام مثل الإذاعة والتلفزيون وليس داخل البرلمانات مما ينقص من قدر هذه الأخيرة . كما أن الأحزاب السياسية تركز نشاطها بشكل مكثف على مايخدم نتائجها في الانتخابات وعلى التنافس الحزبي ، بحيث ينتهي الأمر بها إلى إضعاف الديمقراطية التي من المفترض أنها تعمل لصالحها .

« ... وفي ظل هذا النمط من الأداء الحالي ، أخذ دور الديمقراطيات الغربية الرسمي في الانحسار ، كما أخذ الرأي العام يتحول بعيداً عن النواب المنتخبين ...

« إن الديمقراطية تدخل الآن البلدان التي بدأت تستنشق نسائم الحرية في ظل أوضاع تفرض على المواطنين تغيُّراً عميقة في اتجاهاتهم وفي أنماط سلوكهم . كما أن المشكلات الحتمية التي ترتبط بالتدرج في تطبيق الديمقراطية مشكلات صعبة ، ولكن تظل هناك قضية أهم ، فالديمقراطية لاتقيم بالضرورة جسراً بين اقتصاد الاستعمار أو الاستعمار الجديد أو الاقتصاد المخطط مركزيا وبين اقتصاد السوق القائم على المنافسة

وعلى تحقيق النمو . كما أن الهياكل والسلوكيات اللازمة وعلاقات السوق والخبرات التنظيمية لاتوجد ببساطة في أثناء تلك الفترة الانتقالية التي نشهدها الآن ، والتي لم يتم التخطيط أو الاستعداد لها بسبب ماحدث من تغيرات فجائية غير متوقعة . ولكن إذا ماسُمِح لهذا الوضع أن يستمر طويلاً ، فإنه من المرجح أن تتهم الديمقراطية بأنها هي المسؤولة عن تباطؤ نمو الاقتصاد وعن الندرة وعن عدم وضوح الرؤية . وهكذا من الممكن أن تصبح فكرة الديمقراطية في حدِّ ذاتها محل شك ، الأمر الذي يتيح الفرصة أمام العناصر المتطرفة من نوع أو من آخر للاستيلاء على السلطة .

« ولقد كان ونستون تشرشل على حق عندما قال : « إن الديمقراطية هي أسوأ النظم باستثناء جميع النظم الأخرى » . ولكن مع هذا فإنه ينبغي لنا أن ندرك هشاشتها وأوجه قصورها وقابليتها للانحراف ... »[1] .

ثم إن نكسون ، رئيس الولايات المتحدة الأسبق .. الولايات المتحدة التي يتطلع فوكوياما إلى أن تتولى حكم العالم بطريقتها الديمقراطية اللبرالية ، التي يعتبرها فوكوياما نهاية التاريخ وخاتمة المطاف للفكر الانساني ، يكشف نوع الديمقراطية الأمريكية ، ففي مذكراته « الحرب الحقيقية » يبرر نكسون ممارسة « **الفنون السوداء** » ويشير إلى ضرورتها لخدمة سياسة الولايات المتحدة ويثبت ذلك في مذكراته ليبقى دليل عمل للأجيال الأمريكية الصاعدة . هذا رغم كل ماتملكه الولايات المتحدة من قوة عسكرية نظامية ومن أجهزة دبلوماسية وإعلامية وإقتصادية ! .

كما أن ايدن رئيس وزراء بريطانيا الأسبق يلاحظ في مذكراته « **ان أمريكا راحت تنفق أموالها بسخاء في الخمسينات على نطاق مسرف لإعانة الشيوعية في منطقة الشرق الأوسط** »[2] . وينوه آخرون ، وهم نخبة مثقفة ، بأن اليد الأمريكية لم تكن خافية في الثورة الشيوعية ذاتها ، حين **انطلق الكثير من البولشفيك الأوائل القادمين من نيويورك مزودين بملصقات حائط معينة مع مبالغ كافية من المال ، في حين أخذت الصحافة الأمريكية بتشجيع الشيوعية وإعطائها بعض الشرعية ، كما أن آلافاً من**

(١) « الثورة العالمية الأولى ــ من أجل مجتمع عالمي جديد ــ تقرير نادي روما » ، ص ١١٩ و ١٢٠ .

(٢) الطبعة الانكليزية ، ص ٣٤٣ ــ الإسلام وحضارة المستقبل ، ص ١٥٧

أساتذة الجامعات الأميركيين أخذوا على عاتقهم مهمة الترويج للعقيدة الماركسية بين طلبتهم »[1] .

وهكذا ، فإن ديمقراطية ولبرالية فوكوياما لاتعدو أن تكون بمثابة ملصقات إعلانية للترويج للنظام العالمي الجديد ، فهي أبعد ماتكون عن البحث العلمي ، والنظرية العلمية .

إن الحجج التي يطرحها فوكوياما تقوم على مسلّمات لانجد الكثير ممن يسلّم بها ، كما أن الأدلة التاريخية لاتسايره تماما .

تبقى ، إذاً ، لدى فوكوياما نبوءات التوراة ، وليس غيرها .

فالنظام العالمي الجديد الذي دخل فوكوياما في جوقته لن يرسي دعائمه إلاّ بالسلاح النووي ، وربما بالأسلحة الكيميائية والبيولوجية وماشابهها ، إن استطاع ، فلاديمقراطية ولاحرية ولامن يحزنون .

ومع هذا فهناك من يتمنى « أن تصدق نبوءة فوكوياما بقيام نظام عالمي جديد تقوده حكومة عالمية حكيمة تقيم العدل وتأخذ بيد المظلوم لتأخذ له حقه من الظالم » ، فكيف ؟ .. أية حكمة وأي عدل ؟ .. أهي البساطة أم شيء آخر ؟ .

---

(١) حلقة البحث المنعقدة في واشنطن في شهر تشرين الثاني ١٩٩٠ حول مستقبل العلاقات بين الولايات المتحدة وألمانيا ـــ السيطرة الألمانية في أوربا ، نظرة إلى المستقبل ، هانس شميدت ، ص ٦٢ .

(٢٦)
فيلسيان شالي

يشيد فيلسيان شالي في كتابه « موجز تاريخ الأديان » الذي ترجمه الأستاذ حافظ الجمالي عن الفرنسية ، يشيد بالبهائية ويعتبرها نوعا من التطوير للدين الإسلامي .

وينتهي مؤلف الكتاب شالي ، بعد استعراضه تاريخ العشرات من الأديان ، القديمة والحديثة ، ومن بينها اليهودية والمسيحية والإسلام وبعد وقوفه موقفاً متحيزاً ضد الإسلام من خلال عرضه بصورة شوهاء ، ينتهي إلى الدعوة إلى وحدة الأديان ، فيقول : « **إن الدين الوحيد الذي يمكن أن يرضي الضمير اليوم إرضاء كاملا ، هو دين عالمي ، تساهم في إنشائه كل الديانات الخاصة** » (ص ٢٩٨) .

ثم يضيف قائلاً : « ولايمكن أن يقابل هذا الدين العالمي إلاّ أخلاق واحدة ، على مستوى الكوكب الأرضي كله ، يجمع أفضـل مالدى الشعوب كلهـا من التراث الأخلاقي ، في قواعد مقبولة ترضي الضمائر الإنسانية جميعها .

« أو لايمكننا اعتبار الإنسان ، كما لو أنه الرجل المثالي ، إذا هو حقق في حياته أكبر وأسمى مطامح الديانات المدروسة سابقا ؛ أي أن يكون نظيفا تبعا لأوامر الديانة الشينتوية ، وقليل المطالب على مايريده الإسـلام . ومهذبا على ماتقضي به الطقوس الكونفوشية . ونزيهاً مخلصاً على ماينبغي في المزدكية . وطيب القلب طبقا لمقتضيات الدرويدية . وإذا هو اعترف بفضـل الأجداد وقام بواجبه تجاه أبويه وأسرته على ماينسجم مع الأخلاق الصينية واليابانية والرومانية . وإذا حاول ألاّ يُتعس أي إنسان يقترب منه ، مثل المؤمن بأوزيريس . وأحب جاره كنفسه طبقا لكلام السيد المسيح . وملك من الحب للسلام بين الناس وبين الشعوب ماكان يملكه حكماء الصين . وكان يهوى إقامة العدالة في الأرض طبقا لما قال به أنبياء اليهود . ولايؤذي أي كائن على الأرض تبعا للمثل الأعلى البوذي . وإذا أحب جمال الكون على طريقة الهيلينيين .

وشعر بالإخاء العميق والتماثل في الجوهر بين كل الكائنات الحية وكل الأشياء وكل الحقائق حسب الفكر البراهماني » (ص ٢٩٨) .

« وفي وسع الإنسانية ، على مثل هذا التقريب بين أسمى المطامح الإنسانية ، أن تنجز تقدماً رائعاً . وربما كان هذا مستقبلاً فيه من السمو بالمقدار الذي كان يرقى إليه الهندي العظيم رابندرانات طاغور (١٨٦١ – ١٩٤١) عندما استعار من الأوبانيشاد ، صيغة خفية ، وكتب يقول : « إن شخصية الإنسان اللامتناهية لايمكن أن تتحقق إلا في الإنسجام الرائع السمو ، بين كل العروق الإنسانية ... » (ص ٢٩٩) .

بعد هذا البيان لاشك أن هوية شالي ومقاصده باتت واضحة جداً .

ولم تفت هذه المقاصد مترجم الكتاب الأستاذ الجمالي ، فلقد ندد بها في مقدمته ، كما ندد بالبهائية وبالدعوة إلى وحدة الأديان .

(٢٧)

عبد القادر أحمد عطـــا

اسرائيليـــات حديثـــــة

يخطيء من يظن أن ماسمي بالاسرائيليات في الاصطلاح الاسلامي يقتصر على تلك الروايات التي أدخلت ضمن تفاسير القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ في عصر الرواية والتدوين من قبل عناصر يهودية أو ماشابه ذلك .

فمن المؤكد أن مثل هذا التسلل حدث في عهود كثيرة ، وبصورة متواصلة ، حتى عصرنا الحاضر ، وقد اتسع نطاقه ليشمل الفلسفة والفكر عموما .

ففي هذا النطاق صدر حديثا كتاب عنوانه : « **الدولة العالمية في القرآن** » لمؤلفه « عبد القادر أحمد عطا » ، الذي يبدو أنه كتبه في مصر عام ١٩٦٦ ، كما هو ظاهر من مقدمة المؤلف ، ثم جرى نشر الكتاب في بيروت عام ١٩٩١ ، عقب وفاة المؤلف في عام ١٩٨٣ .

يقول محمد عبد الخالق عبد القادر عطا في تعريفه بمؤلف الكتاب ، الذي يبدو أنه والده :

« وُلد الأستاذ عبد القادر أحمد عطا في فجر العشرين من أبريل عام ألف وتسعمائة وواحد وعشرين في بلدته « بيشة قايد » بمحافظة الشرقية .

« نشأ رحمه الله نشأة دينية حيث التحق بمعهد الزقازيق الديني وحصل على شهادة البكالوريا ، ثم التحق بكلية دار العلوم فحصل على شهادة الليسانس عام ١٩٤٨ .

« عمل مدرسا للغة العربية في بداية حياته ، وأُعير إلى المملكة العربية السعودية ، ثم عاد إلى القاهرة وتفرغ لدراساته الاسلامية ، وفي عام ١٩٦٨ التحق بوظيفة محاضر بمعهد تدريب أئمة المساجد ، ثم التحق بعد ذلك بوظيفة مستشار ديني بالمقاولون العرب ، وتفرغ بعد ذلك لحياته العلمية ...

« لم يكن رحمه الله عالما فحسب بل كان صوفيا بمعنى الكلمة ، فقد كان الورع والبساطة والرضا والعمل والنفور عن كل مايميِّزه عن الناس من صفاته التي لزِمته طيلة حياته ...

« كان أستاذنا رحمه الله ملكة في الكشف لاتعدلها ملكات المتصدرين للارشاد في عصره على الاطلاق . ولم يكن أحد يفطن إلى فراسته هذه إلاّ من رقي إلى مرتبة الكشف . أما هو فلم يعلن عن كشفه ...

« مثل الأستاذ عبد القادر أحمد عطا ممن نشأوا نشأة علمية لابد أن تكون له تطلعات واسعة الآفاق ، لاسيا وأنه كان منذ نعومة أظافره مولعاً بتقليد العلماء القدامى ، وبصفة خاصة أستاذ علم النفس الاسلامي — على حد قوله — الحارث بن أسد المحاسبي ، حتى يمكن لنا أن نقول عنه : « إنه محاسبي عصره ، مما جعله يتخذ أسلوب المحاسبي ليس في كتبه فحسب ، بل في حياته الخاصة أيضا . ذلك إلى جانب إدمان قراءة كتب الصوفية منذ نعومة أظافره .

وينقل كاتب الترجمة عن مؤلف الكتاب قوله في كتاب « الوصايا » :

« ورأيت فيما يرى النائم رؤيا لم أعرها كل اهتمامي ، فلم أكن أهلا لمثل هذه المرائي الصادقة الموجهة ، وان كنت أومن بها إلى أبعد الحدود ، رأيت رجلا أقرب الى النحول متوسط الطول ، يجلس في حجرة ليس فيها من الفراش غير حصير تناثرت عليه أوراقٌ مكدسة ، وأمامه محبرة من النوع العتيق ، وبيده قلم من القصب ، نظيف اللباس ، ناصع البياض ، وحييته فحياني ، ثم نظر إليَّ وهو جالس ، وناولني ورقة بعد ورقة حتى بلغ ماناولني إياه قدراً لابأس به ثم انصرفت .

« وعرضت رؤياي على أستاذي ، فابتسم ابتسامة رضى ، ولم يزودني بتفسير لها ، ونسيت الرؤيا ، واحتوتني دوّامة الحياة ، ولكني رأيت نفس المشهد بعد قليل ولكن الذي كان يناولني الأوراق شيخي الراحل سيدي عبد الخالق الشبراوي .

« وبعد شهور رأيت رجلا عظيما مهيبا قيل عنه انه شيخ الخلوتية سيدي مصطفى بن كمال الدين البكري ، وقال لي : « انها ستة كتب » .

« ومافهمت شيئا ، ومازودني أستاذي بما يزيح عني اضطراب التفسير ، ومضت

السنون وعثرت على وصايا المحاسبي ، ووفقني الله لتحقيقها ونشرها ، ثم بدأت البحث عن بقية كتبه ، فإذا خمسة كتب في مجموعة واحدة مصورة تحمل عنوان المسائل وتبطن « آداب النفوس » و « بدء من أناب إلى الله » و « العقل » و « المكاسب » ... وبها تم عثوري على ستة كتب للمحاسبي ، وبها تحققت الرؤيا ، وعلمت أن الذي رأيته أول مرة ماكان إلا الحارث نفسه » .

ثم ينقل كاتب الترجمة حديثاً للمؤلف ذكره في كتاب « روضة التعريف » عن لقاء له بأستاذه الشيخ عبد الخالق الشبراوي ، يقول فيه :

« ذهبت إلى مسجد الفتح في اليوم المحدد ، فسلّم عليَّ وكأنه لم يعرفني من قبل ، وانهارت كل آمالي فجأة ، وبدت سِمات اللهفة على كل حركاتي ، وهو يسبر غوري بصمت كامل .. وذكّرت حضرته بالموعد مرارا .. وأخيراً لقنني الطريق .. وأصبحت بعد هذه الجلسة نائياً عن كل ماكنت أعيش فيه من أجواء الثقافة قاصراً همتي على دراسة التصوف ورجاله الى الآن » .

في هذا الاطار ذاته تضع البهائية مريديها .

لقد حاول المؤلف عبد القادر أحمد عطا ، بعد أن وضع قارئه في هذا الإطار ، حاول في كتابه « الدولة العالمية في القرآن » الايحاء بأن القرآن الكريم قرَّرَ وجوب اقامة الحكومة العالمية . لكن المؤلف ينطلق ابتداء من نصٍ توراتي يتضمن وعداً لإبراهيم عليه السلام بامتلاك الأرض ، و نصٍ آخر يتضمن وعداً بإعطاء الأرض مابين النيل والفرات لنسل ابراهيم ، بحيث يسهل الافتراض أن المؤلف يقصد « الدولة العالمية في التوراة » وليس في القرآن لاسيا وأن ما استشهد به المؤلف من آيات القرآن الكريم لايأتلف معماافتتح به موضوعه . فهو في الحقيقة أقام كتابه على خليط من نصوص التوراة والانجيل والقرآن يفتقر إلىالتجانس ، وهذا أيضاً أسلوب تميزت البهائية به.

ففي مقدمة الكتاب يقول المؤلف :

« هناك وعد مباشر من الله لإبراهيم عليه السلام عندما اعتزل لوط ، كان نصه [قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها] ثم حدث بعد ذلك حينا باركه « ملكي صادق » أن [قطع الرب معه ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطيت هذه الأرض من

نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات] .

« وعد بوحدة الأرض كلها تحت لواء الاسلام الابراهيمي العريق ، ووعد جزئي بامتلاك الأرض من النيل إلى الفرات لتقوم عليها التجارب الأولى للوحدة الشاملة ، ولم تعبر اسرائيل الأردن لتحقيق الوعد الجزئي إلا بعد أربعة أجيال بقيادة يشوع بن نون « فكم جيلاً على هـذا يمكن أن ينقضي حتى يتم فتح الأرض كلها تحت لواء ابراهيم الخليل ؟ » .

ثم ينتقل بعد هذه المقدمة مباشرة ليستشهد ببعض آيات القرآن الكريم لإثبات تلك الوعود ، فيقول :

﴿ أتى أمرُ اللهِ فلا تستعجلوه ﴾ (النحل : ١)

﴿ فتربصوا حتى يأتيَ الله بأمره ﴾ (التوبة : ٢٤)

﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازَّيَّنت وظَنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ﴾ (يونس : ٢٤)

﴿ ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ﴾ (آل عمران ١٥٢) .

﴿ ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوعِ ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشّرِ الصابرين ﴾ (البقرة : ١٥٥) .

« تلك هي البيانات الصادرة إلى محمد ﷺ ، الذي اعتبر أنه أولى الناس بابراهيم من قبل الله العلي ، وكلها بيانات تبشر باقتراب أمر الله لابراهيم بتوحيد الأرض تحت لواء دينه . ولقد حدد الله العلامات الواضحة التي يمكن للابراهيميين عند ظهورها أن يتخـلصوا نهائياً من كل هوىً نفسيٍّ ، ليسـلكوا أنفسهم في دائرة الايمان الابراهيمي المحمدي ، مندفعـين بأمر الله إلى أرجاء الأرض لتحقيق الايمان الشـامل في الوحدة الشاملة ... » .

فهل من معنى لاستشهاده بتلك الآيات الكريمة في موضوعه هذا ، غير أن يجعل منها حقنة مخدرة ، تساعد على تقبل الحقنة السامة .

فأية صلة بين تلك الآيات الكريمة وبين وعود التوراة ؟ .

يتابع المؤلف سمومه فيقول :

« إننـا لانجد عصرا قد اكتملت فيه العلامات الواضحة لمجيء أمر الله إلا هذا العصر الذي نعيش فيه . فالأرض قد أخذت زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها بالفعل . ولقد اقترنت تلك العلامات بتجمعات عربية وثيقة تتخذ طريقها الآن إلى التحقيق ، لينطلق من تلك القاعدة جيش الاسلام الابراهيمي نحو أرجاء الأرض كلها ، كما كان ينطلق في التجربة الأولى تماما ...

« ولقد اجتاز بنو ابراهيم الحقيقيون هذا الامتحان بنجاح ، صبروا ثلاثة عشر قرنا يعانون صلف الحكام ، وسيادة الشهوات ، وشيوع الفردية واحتقار الانسان للانسان ، حتى ثارت في الأفق البعيد بشائر العودة قهراً أو اختياراً إلى الايمان بعد احتلال اليهود لفلسطين ...

« إن جميع الإرهاصات تشير إلى أن المؤمنين يسيرون طوعاً أو كرهاً نحو المرحلة الأخيرة من مراحل تثبيت الايمان ، وعودة ايمان ابراهيم إلى الجميع ... وغير ذلك من الدلائل القرآنية توحي الينا بفكرة سير العالم نحو وحدة عالمية لن تقوم إلا على أساس الايمان الذي مزقته يد الخطيئة والهوى .

« نحن نؤمن بهذه الفكرة لأنها مبثوثة في القرآن ، ولن يحول دون ايماننا بها طول الزمن أو ضعف المؤمنين ، لأن تلك الاعتراضات التافهة لاأثر لها في أي قلب مؤمن بعد أن يستعرض التاريخ بدقة وأمانة .

ثم يضيف المؤلف في مقدمته :

« وحدة عربية . وحدة اسلامية .

« شعـارات نحترمهـا ونجلهـا دون شك ، ولكن هناك الوحدة العالمية كذلك ، والخطأ هو في ترتيب تلك المقدمات حتى نصل منها إلى النتيجة .

« وحدة العرب هي الأساس الذي سارت عليه التجربة الأولى على عهد النبي محمد ﷺ ومن وحدة العرب الخالية من أي شـائبة أو من أي دخيل من المذاهب والثقافات تكون وحدة بلاد الاسلام ، ثم تكون وحدة العالم ..

بعد هذه المقدمة يفتتح المؤلف موضوعه ببحث في وحدة الأديان فيقول :

« إن الاسلام هو الرسالة الالهية التي نادى بها الأنبياء ، جميعا منذ ابراهيم حتى محمد ﷺ عليهما الصلاة والسلام ، أي أن الدورة الاسلامية الخاتمة لازالت في الطريق إلى غايتها . فإبراهيم الخليل ، الذي يمكن اعتبار رسالته بدءا للتنظيم السياسي في صورته الأولية كان مسلما بكل ماتحمله هذه الكلمة من اعتبارات ، فقد دعا الى التوحيد ونبذ الوثنية تماما كما فعل نبي الاسلام ، ولذلك سماه الله في القرآن مسلما ...

« فالرسالة الابراهيمية حددت معالم العقيدة الاسلامية الحنيفية ، ومع ذلك فقد اقترنت بوعد من الله لإبراهيم بقيام مملكة أرضية يقيم عليها نظامه وينفذ فيها مبادئه التي أوحى الله بها إليه ...

« وحينئذ طمأن الوحي ابراهيم ، بأن عزة نفسه ، وعزوفه عن ملذات الحياة ، لن تسببا له أي خسارة ، فقال له الرب : قم إمش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها » .

« وعلى هذا فالأسماء التي اخترعها الناس بعد ابراهيم ، وأطلقوها على الدعوات السماوية ، ماهي الا تفريق في الدين ، وابتداع يخدم المصالح البشرية في الأرض ، وخلاف صريح لما جاء في الكتب السماوية كلها .

« فليس في التوراة مايشير إلى أن الشريعة الموسوية قد سماها الله بالشريعة اليهودية ، أو الدين اليهودي ، وليس في الأناجيل مايشير الى أن شريعة المسيح قد سماها الله بالدين المسيحي أو الشريعة المسيحية . ومادام ابراهيم « حنيفا مسلما » فلايجوز أن تسمى شريعة لاحقة لشريعة ابراهيم باسم غير « الاسلام الحنيف » ..

« وكما بطلت الأسماء المخترعة التي أطلقت على الشرائع من بعد ابراهيم ، فكذلك يبطل ادعاء القيام على شريعة ابراهيم واحياء مبادئها الا لمتبعيه وحافظي ناموسه ، ولمحمد بن عبد الله ﷺ بالذات ، فمتبعوه بوجه عام ، ومحمد بوجه خاص ، هم أولى الناس بالقيام على شريعة ابراهيم والانتساب اليه ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إن أوْلى الناسِ بإبراهيم لَلَّذينَ اتبعوه وهذا النبي ﴾ (آل عمران : ٦٨) .

« واذ ثبت حق القيام على شريعة ابراهيم لمحمد عليهما الصلاة والسلام ، وأنه أولى الناس به مع من تبع ابراهيم ولم ينحرف عن نهجه ، فانه من الثابت تبعا لذلك امتداد

شريعة واحدة بدأها ابراهيم وختمها محمد . ومن الطبيعي اذ ذاك ألا يكون فناء كامل لمنحرف قبل تمام الدورة الابراهيمية كلها ، ولن يكون تمام الدورة الابراهيمية إلا بقيام الدولة العالمية المحمدية الموعودة في القرآن » (ص ٦٣ – ٦٧) .

وحين يتحدث المؤلف عن موقفه من التوراة والانجيل يقول :

« فالتوراة لم تعترف الدراسات النقدية لها – والتي قام بها الشراح المحدثون – بالصحة ، الا في كتاب واحد منها ، هو كتاب « ارمياء » ، والعهد الجديد كذلك قد ألغى مجمع نيقيه كثيراً من أخباره مما زرع الشك حول ماتبقى منه ، وهو الأناجيل الأربعة ، لاسيا وأن الدراسات النقدية قد أثبتت أنها قد وضعت بعد المسيح بأكثر من قرن من الزمان ، أي بعد عصر الحواريين الذين تنسب اليهم التعاليم المسيحية ، هذا الى جانب تلك الصور الشائهة التي حاول بها اليهود تلويث الأنبياء والرسل بالأوهام والأباطيل ، اذ نسبوا إلى الخليل عليه السلام أنه كذب في مصر ، وعمل على ايصال زوجته إلى فرعون ، والى لوط أنه سكر وزنى بابنتيه ، وإلى اسحق أنه باع البكورية بطبق من العدس ، وإلى داوود أنه زنى بزوجة أوريا ثم قتله لما انكشف أمره بظهور جنين من حرام (ص ١٤٩ — ١٥٠) .

« وحتى الله سبحانه وتعالى صوروه بصورة عجيبة ، اذ يتحدث سفر التكوين عن ندم الله على خلق آدم وذريته ، والندم لايكون الا عن خطأ ، تعالى الله علواً كبيراً .

« ثم تحدث التلمود عن المسيح مؤكدا أنه ابن يوسف النجار غير الشرعي ، لأنه عليه السلام رفض أن يكون ملكاً زمنياً لليهود كما أرادوا .

« ولاشك في أن كل تلك الأباطيل لايقبلها عامة الناس فضلا عن علمائهم وأنبيائهم » (ص ١٥٠) .

ومع موقف المؤلف هذا من التوراة والانجيل ، نراه يُكثر الاستشهاد بهما وبناءَ الأحكام على نصوصهما[1] ، كما اتضح فيما سبق ولاسيا مع مطلع كتابه ومع الأساس الذي أقام الكتاب عليه ، وهو الوعد الالهي لابراهيم باعطاء الأرض كلها اليه واعطاء مابين النيل والفرات لنسله . وكما يتضح من النص الآتي على سبيل المثال :

(١) وهذا أسلوب بهائي أيضا .

« كانت تجربة ابراهيم الناجحة ضد ملك « عيلام » وملك « شنعار » وملك « الاسار » وملك « جويم » والتي سجلها سفر التكوين في الاصحاح الرابع عشر رمزا ناطقا بانتصار قوى الروح على قوى الشيطان وبأن ملكوت الله هو الهدف من جميع الرسالات التي نادى بها جميع الأنبياء « صوت صارخ في البرية ، أعدوا طريق الرب ، قوموا سبيله » (أشعيا ٤ : ٣) .

« لكي يؤسس الله سلطانا أبديا ، وملكا لاينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤) .

« وتوضح النبوءات الهدف الأسمى من سلطان الله هذا فتقول : « يسكن الحق في البرية ، والعدل في البستان يقيم ، ويكون صنع العدل سلاما ، وعمل العدل سكونا وطمأنينة الى الأبد ، ويصير السراب أجما ، والمتعطشة ينابيع ماء » (أشعيا ، ٣٢ : ١٦ و ١٧ ، ٣٥ : ٧) .

« الحرب لتحقيق السلام روح الدعوة الابراهيمية[1] وهي روح النبوءات التي تنبأ بها دانيال وأشعياء وغيرهم من أنبياء بني اسرائيل . وهي التي بشر باقترابها السيد المسيح بعد أن اكتملت الخطة واقترب أوان تحقيقها في صورة عالمية : « جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة الانجيل ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (انجيل مرقص ص ١٤ : ١٠) (ص ٦٩ — ٧٠) .

وبهذا يبدو أسلوب المؤلف قريباً جداً من أسلوب البهائيين ، ولاسيا منهم فيلسوفهم أبو الفضل الجرفادقاني ، على الرغم من أنه يندد في كتابه بالبهائيين ، كما سيتضح .

ومن عجائب الكتاب الذي نحن بصدده قوله :

« من أجل تنفيذ هذا الوعد الالهي الشامل (قم امش في الأرض طولها وعرضها ، لأني لك أعطيها) أرجأ الله تعالى اهلاك بني اسرائيل ، كما أهلك من قبلهم من الأمم ، فهم مع عنادهم وكفرهم مصدرالسلاح الذي تعج به المصالح العالمية التي تعمل بمالهم وقوة عقولهم ، وهو بعينه السلاح الذي يعدونه للقضاء عليهم أنفسهم ، كما كان سيف

---

(١) يبدو أنه يقصد معركة هرمجدون .

« جليات » الجبار هو الذي جز به النبي داوود رأسه العاتية ، وكما كانت أموال قريش تمول جيش محمد ﷺ في صورة غنائم حرب » (ص ٨٣) .

وينتقل المؤلف إلى الحديث عن المنظمات الدولية ، كمنظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية ، فيقول :

« وقيام تلك المنظمات وفروعها لاشك في أنه محاولة للوصول بالعالم الى حالة من الوحدة السياسية تلائم بين« الايديولوجيات المختلفة » المتصارعة ، وتحاول الوصول الى حلول للمشاكل الدولية بالطرق السلمية ، أو مساندة المظلوم بالقوة . ومع ذلك فاننا نلمح ثغرات هائلة في سلوك تلك المنظمات لاتدع مجالا للشك في أنها تقع تحت سيطرة خفية لليهود ، ولمن سار في ركبهم .

« **وتوحيد العالم سياسيا ضرورة لامفر منها في هذا العصر** ، وأهم الأسباب الداعية لهذا التوحيد هو ذلك الفارق الهائل بين الدول النامية والدول الكبرى من الناحية الاقتصادية[1] ، وانعدام عدالة التوزيع للثروات العالمية تبعا لذلك ، وسيادة روح الاحتكار العالمي الذي لايمت للطبيعة بصلة » (ص ٩٦) .

« كما أن التكتلات المغرضة داخل المنظمات الدولية ، كذلك ، تهدد بانهيارها وتعرض العالم لخطر الحرب النووية المدمر . ولاتقل تلك الأخطار شأنا عن الخطر الجاثم حول فشل المنظمة في العمل الجدي لنزع السلاح .

« **المنطق اليهودي هو المنطق الذي يسود المنظمات الدولية التي نشأت لتوحيد سياسة العالم . ولنا من التاريخ شاهد لايكذب ...**

« **أليست نظرة المنظمة العالمية الأمم المتحدة وغيرها للشعوب هي بعينها تلك النظرة اليهودية العريقة في القدم بالنسبة للأمم ؟ .**

« **والعجيب أن اسرائيل عضو واحد في المنظمة لايحسب من كبار الأعضاء .**

---

(١) يبدو أن هذا الفارق الاقتصادي هو الذي يجعل من توحيد العالم سياسيا وسيلة لابتلاع موارد الدول النامية لحساب احتكارات الدول الكبرى . وقد يكون هذا أحد أهم الدوافع لإقامة الحكومة العالمية .

« والأعجب من ذلك أن كبار أعضاء المنظمة من المسيحيين الذين يفخرون بالرسول « بولس » اليهودي الفريسي الثائر على غطرسة اليهود ، والداعي الى مجد المسيح ، فأين ضاعت تلك النظرة المسيحية السامية ، وأين تلاشت تلك الثورة ضد الغطرسة والكبرياء واحتقار الأمم (ص ١٠٦ – ١٠٧) .

« بأسهم بينهم شديد .. ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ (الحشر : ١٤)

« ألسنا نحس بالتطبيق العملي لهذين النصين الكريمين في تلك المحاولة التي بذلت لتوحيد العالم في الصراع الداخلي بين أعضاء المنظمة ، وما من شك في أنه هدف سام حقا ، ولكن أريد به باطل ومن أجل ذلك هدد بعضهم بأس بعض (ص ٩٧) ...

« ومن الحقائق التي يجب أن نعرفها ، ونؤمن بها ، ونتهم من يعارضها ، ونؤمن بأنها معوقة تمام التعويق لحركات نهوضنا ، وبأنها تبدأ من المنظمات العالمية منحدرة نحو المجتمعات المختلفة بأساليب جهنمية تخفى على الألباء ، وتتستر بأردية النفاق العفنة : أن اليهود يسيطرون على زمام السياسة الدولية بأساليب منها :

« آ – الماسونية الدولية : ... والهدف السري الذي تعمل الجماعة جاهدة للوصول اليه هو : العمل على تحقيق السادة اليهودية بطريق مباشر أو غير مباشر على العالم من الناحية الاقتصادية ، ثم الوصول من هذه النقطة الى السيادة السياسية ، وإعادة ملك سليمان ممثلا في « المسيا » ملك اليهود .

« ومن أجل ذلك استخدمت جماعات أخرى تعتبر من الوجهة النظرية مستقلة عن المحافل الماسونية ، أما من الوجهة العملية فتعتبر فروعا لها :

« ب – شهود يهوه : ... وهذه الجماعة مسيحية الظاهر ، يلقاك من دعاتها حماس ملتهب للمسيحية ، ولكنهم يستدرجون الفريسة رويداً رويداً حتى يلقوا في روعه بمختلف التأويلات أن المسيحية القائمة ليست هي المسيحية الحقة ، وأن المسيح عيسى بن مريم ليس هو المسيح ، بل ان المسيح الحق قد ظهر بالفعل في عام ١٩١٩ ، ولازال يقيم في إحدى مغارات « أورشليم » استعداد للجلوس على كرسي سليمان واستعادة ملك اليهود ولكن على العالم كله ، ثم ينهون كتبهم ونشراتهم بالبكاء على اليهود الذين كانوا يرسفون في الأغلال وسط معتقلات الألمان ، وعلى شعب الله الذي داسه العالم بالأقدام .

« ج – البهائية : ... ومن أهدافه (بهاء الله) التي تهمنا في هذا البحث « توحيد سياسة العالم وتوحيد حكمه » في عاصمته « حيفا » حيث دفن « البهاء » ، وفي الوقت نفســه ينادي بضرورة بعث مملكة سليمان اليهودية كضرورة غيبية أوحي اليه بها في ألواحه . ولايخفى ما في هذه النحلة من ركائز يهودية تتجلى في العاصمة التي اختارها لمملكة العالم المتحدة ، ونداله ببعث المملكة اليهودية . وكانوا أخلاطا من المسلمين واليهود والمسيحيين ، وكان رئيسهم في مصر مسيحيا ، وفي الوقت نفسه يشغل منصب أستاذ بالمحفل الوطني الأكبر للماسونيين ... **وكان المشرفون والقواد الفكريون للبهائيين جميعا من اليهود الذين اعتنقوا البهائية في الظاهر** ، ولهم وسائل شاذة في اغراء الناس بمذهبهم وقد غيروا أسماء الأيام والشهور ، واتخذوا من مولد البهاء بدءا لتاريخهم وهم أبعد أثرا من غيرهم في بلاد الشرق الأوسط دعاية لمملكة اسرائيل العالمية ، وأصرحهم نداء بها (ص ٩٨ – ١٠٤) .

وتحت عنوان : « **بعد قيام اسرائيل الثانية تبدأ دولة العالم** » ، يستعرض المؤلف الآيتين الكريمتين : ﴿ فإذا جاءَ وَعْدُ الآخِرة ليسوؤا وجوهَكُمْ وليَدْخُلوا المسجدَ كما دخلوه أوّلَ مَرَّةٍ وليُتَبِّروا ماعَلَوْا تَتْبيرا ﴾ (الاسراء: ٧) ﴿ واقترَبَ الوعدُ الحقُّ فاذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذينَ كفروا ياويلنا قد كُنَّا في غفلةٍ من هذا بل كُنَّا ظالمين ﴾ (الأنبياء : ٩٧) ، ثم يقول :

« ان تحقيق وعد الله لابراهيم عليــه الســلام بسيادة الاسـلام على العالم كله ، وميراث المسلمين للأرض طولها وعرضها ، قد أطل أوانه على الناس جميعا منذ بعث النبي محمد ﷺ ، **ولازال المسـلمون في أرجاء الدنيا مطالبين باعداد العالم فكريا ونفسيا لهذا الحدث الهائل في التـاريخ تنفيذا لتشـريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبصيراً للناس جميعا بحقيقة دين الله ، وبعث اليقظة الاسلامية بعد طول خمود ، حتى يدخل الناس فيه أفواجاً تحت ظلال العالمية المنشودة في القرآن** » (ص ١٥٧) .

فهل يتلقى المسلمون وعد الله سبحانه من التوراة ؟ ..

لقد تردد المؤلف في وصف الحكومة العالمية ، التي يبتغيها ، مابين اعتبارها حكومة اســلاميــة (ص ١٣٠ – ١٥٧ – ١٧٣) ، واعتبــارهـا وحدة أوسع من الوحدة

الاســلاميــة ، بحديثـه عن تدرج الخطوات الوحدوية من الوحدة العربية الى الوحدة الاســلاميــة إلى الوحدة العالمية (ص ٥٧) إلى أن بلغ حد القول : « أمة لا دولة » (ص ٢٢٩) لوصف الأمة الاسلامية ، في محاولة منه للتوفيق مابين الاسلام والحكومة العالمية عائدا بذلك إلى دائرة الغموض التي تلقي بظلال الريب على دعواه .

فتحت عنوان : « **أمة لا دولة** » يقول (ص ٢٢٩) :

« وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة ، وأشار الى أن الاختلاف حولها بغي في الأرض ، وخلاف حول مالايجوز الاختـلاف فيـه ، من حيث هو المصـلحة الثابتة المستقرة لبني الانسـان ، كما حددها باريء الانسان وخالقه ، لا كما يريد الطواغيت والبغاة أن يفعلوه مصادمة للحقائق ، وعصيانا سافرا لله ، فقال تعالى : ﴿ كان النَّاسُ أمةً واحدةً فَبَعَثَ الله النبيين مبشِّرين ومُنذِرين وأَنْزَلَ مَعَهُمْ الكتاب بالحقِّ لِيَحْكُمَ بين الناسِ فيما اختلفوا فيه وما اختَلَفَ فيه إلاَّ الذين أوتوه من بَعْدِ ماجاءَتْهم البيناتُ بَغياً بينهم فَهَدَى الله الذين آمنوا لِما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنِهِ والله يهدي من يَشاءُ إلى صراطٍ مُستقيم ﴾ (البقرة : ٢١٣) .

« ويرجع الخـلاف بـين النـاس حول هذه الحقيقـة الاجتماعيـة الفطرية إلى أن الاختلاف حكمة الهية مقارنة لأصـل الخلقة : ﴿ ولو شـاءَ ربُّكَ لَجَعَلَ الناسَ أُمَّةً واحدةً ولايزالونَ مُخْتَلِفينَ . إلاَّ من رَحِمَ رَبُّكَ ولِذلكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود : ١١٨) ...

« وإذا كان العهد الالهي بين الله والانسان منذ الأزل مصدر الزام للقابلين له حين قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بَلَىٰ ﴾ (الأعراف : ٧٢) .

« فان السلطة التي يلتزم المؤمنون بالخضوع لها هي سلطة الله التي ينفذ تشريعاتها الرسل وخلفاؤهم ، فإن الأمة في الاسلام هي جمع من الناس يعيشون على أرض غير محددة ، وتربط بينهم رابطة الالتزام الشامل على مقتضى التكافل والأخوة ، خضوعا لتقوى الله وسلطانه ، ويعملون معا على قمع الفساد في الأرض ، وسيادة العدل والأخوة بين جميع الناس ، دون نظر الى طبقة ولا جنس ولا لون ، بحيث يكون العدل الايماني هو مقياس أفضلية انسان على آخر ...

« وفي هذا المقام يتجلى اعجاز الاسلام والقرآن في اختيار الأمة نظاما يقوم عليه

البناء الاجتماعي للاسلام ، وذلك حينما نستعرض في ايجاز ذلك الجدل الذي ثار بين رجال القانون حول الأمة والدولة ...

« وفي هذا الاضطراب ، وبين غبار تلك المغالطات من جانب رجال القانون الدولي يتحقق اعجاز الاسلام والقرآن ، فقد تحقق نظام الحكم الاسلامي على أساس الأمة ...

« وشرط التحديد الجغرافي كذلك يتعارض مع أصول نظام الأمة الاسلامية ...

« ولهذا كان الوطن الأول للمؤمن هو عقيدته بكل ماتحمل له من معاني السماحة والدعوة الى الله ، والقدوة الصالحة التي تمثل الصورة المثلى للاسلام دون شطط ولا ابتداع ، وكانت الهجرة في سبيل الله عملا من أعمال الدعوة من حيث هي محاولة لتكوين مجموعات من القابلين للدعوة في كل مكان ، وبذلك تشمل الدعوة أكبر قدر ممكن من الأرض .

« وعلى هذا الأساس قد اتفق القانون الوضعي مع الاسلام في عدم اشتراط الحدود الجغرافية لقيام الأمة ، ثم رفض اعتبار مثل هذا النظام شخصا من أشخاص القانون الدولي »...

إزاء هذه النتيجة التي انتهى المؤلف اليها من أن الاسلام يهدف إلى بناء الأمة ، وليس الدولة ، وأن الأمة الاسلامية ليست بحاجة الى اقليم جغرافي أو حدود دولية ، وأنها ليست شخصا من أشخاص القانون الدولي ، بمعنى أنها ليست دولة ذات سيادة ، وازاء اعتباره الدولة العالمية دائرة أوسع من الأمة الاسلامية ، فما دعواه إذاً عن « الدولة العالمية في القرآن » ، التي استند لتبريرها إلى التوراة أكثر مما استند إلى القرآن .

فإذا أضفنا الى ذلك الطريقة التي سلكها لاقامة الدولة العالمية ، وهي : **« الحرب لتحقيق السلام روح الدعوة الابراهيمية »** .

واذا أضفنا أيضا الميعاد الذي حدده لقيام الحكومة العالمية ، وهو : « بعد قيام اسرائيل الثانية تبدأ دولة العالم » وأن أحداث هذه المرحلة تجري الآن ويتم تنفيذها في عصرنا الحاضر (ص ٢٦٠ — ٢٦٢) .

اذا لاحظنا ذلك كله نرى أن المؤلف يتحدث تماما عن دولة توراتية وعن معركة هرمجدون ، وليس عن دولة عالمية قرآنية أو اسلامية .

لقد نشر المؤلف الكثير من الضباب حول دعواه ، وغلفها بالكثير من مظاهر الايمان والغيرة على الاسلام ، لكن القضية أكبر من أن تختفي تحت مثل هذه الأستار . وفي قضية بهذا الحجم لامحل لحسن الظن .

إنه ماكان لنا أن نطيل في استعراض أقوال كهذه ، وماكان لنا أن نخوض في تفنيدها أساسا ، لو أنها كانت صادرة عن بواعث فردية ، ولكنها تعبر عن تيار خبيث يتسلل في ظلام ليل بهيم ، نلمح آثاره أنى التفتنا .

إنَّ أحداث أربعة عشر قرنا من الزمان برهنت على أن العبث بالقرآن الكريم مستحيل ، فماذا لو أراحوا أنفسهم .

(٢٨)
محمود مهدي الاستانبولي

يقول محمود مهدي الاستانبولي(١) في كتابه إعجاز القرآن العلمي ، الصادر عام ١٩٧٦ ، بعد أن يستعرض الآية القرآنية الكريمة القائلة : ﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾(٢) يقول :

« هذه الدعوة إلى إعلان وحدة البشرية ، قد انتبه إليها الغرب في العصور المتأخرة بعد تجارب أليمة وحروب مدمرة بسبب انقسام شعوبه إلى قوميات متعددة متنازعة ...

« أجل لقد انتبه كثير من مفكري الغرب في العصور الحديثة إلى هذه النظرة الإنسانية العالمية للبشرية . فأخذوا يدعون – متأثرين بالقرآن – إلى الفكرة الأممية فقال قائلهم :

« ... وما الفرق بين الأوطان المختلفة ؟ ألم تكن كلها من أجزاء الأرض التي نعيش عليها ؟ ! وماقيمة الحدود التي تفصل الأوطان بعضها عن بعض ؟ ! أفلم تكن كلها من الأمور الاعتبارية التي أوجدتها المواقع الحربية أو المناورات السياسية ؟ ! وما الفرق بين الأمم المختلفة ؟ ! ألم تنحدر كلها من أصل واحد أفلا يجدر بالانسان – وهذه هي الحال – أن يسمو بأفكاره وعواطفه فوق الأوطان ، وفوق الأمم ، فيعتبر الأرض بأجمعها « وطنا » كما يعتبر البشر جميعا « مواطنين » .. فتصبح « الانسانية » بمثابة « القومية المشتركة » بين جميع أبناء البشر(٣) ثم يقول أن من أهم أهداف الاسلام : « الايمان بأن

---

(١) صاحب كتاب « ألف جواب وجواب حول الجنس والحب والجمال » .

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) صفحة ٦٥ – ٦٧ من كتاب إعجاز القرآن العلمي – نقلا عن مقال بين الوطنية والأممية في مجلة الرسالة ، العدد ٢٤٠ .

البشرية أسرة واحدة في الأصل ، فيجب تحقيق وحدتها وإيمانها بإله واحد وتشريع وخُلُق موحد ثابت لايتطور ولايتبدل شأن التشريعات وأنواع السلوك التي وضعها البشر ، مما جعلهم يختلفون من بلد إلى آخر ، بل من بيت إلى بيت ، الأمر الذي يسبب لهم النزاع والحروب »[١] .

ويقول : « وقبل أن ننتقل إلى بحث آخر لابد لنا أن نشير إلى أن هناك سؤالا يفرض نفسه حول هذا الموضوع :

« إذا تمت هذه الدعوة الأممية بين الشعوب وأنشئت دولة عالمية تحت علم واحد ، كما ينادي كثير من المؤرخين الحضاريين اليوم ، فما هو التشريع الذي يحكم هذه الدولة العالمية ؟ ! بعد أن تحققنا من إفلاس جميع التشريعات المعاصرة باعتراف العلماء الذين تنبأوا بوشك انهيار الحضارة الحالية بنتيجتها ! .

« لاشك أن الإسلام وحده هو الجدير بأن يتولى قيادة هذه الشعوب فهو كفيل بتوحيدها وحل جميع مشكلاتها ... واذكر أيها القارىء المنصف أنك إذا اعتنقت الإسلام لاتكون قد هجرت المسيحية الصحيحة بل بالعكس ، فإن الإسلام نفسه جاء متمما لهذه المسيحية ومصححا لها ، كما قال كثير من المنصفين الغربيين »[٢] .

ويستعرض الكاتب الآية الكريمة : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بَغَت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله . فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾[٣] .

ثم يعقب على هذه الآية بقوله :

« لاشك أنه يقع نزاع واختلاف بين الدول ، فما هو الحل لإزالته من أجل تحقيق « السلام العالمي » ؟ ! .

« لقد كان يزال بالحرب وانتصار الدولة القوية على الدولة الضعيفة كما هي الحال في شريعة الغاب . الأمر الذي أدى إلى سفك الدماء الكثيرة وانتشار شبح الخوف

---

(١) صفحة ٧٦ .

(٢) صفحة ٦٥ – ٧١ .

(٣) الحجرات : ٩ .

والشقاء على العالم مما دعا القادة والمفكرين إلى إنشاء « عصبة الأمم » بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم إنشاء « هيئة الأمم المتحدة » بعد الحرب العالمية الثانية لحل المنازعات والاختلافات بين الدول عن طريق المفاوضات والحلول السلمية .

« وبعد هذه المقدمة ألا تعجب أيها القارىء إذا قلنا لك ان القرآن سبق جميع المفكرين والساسة إلى هذه الفكرة كما رأيت ذلك واضحا في الآية السابقة التي تشير إلى فكرة جمعية أمم متحدة تحل المنازعات الدولية وتضمن السلام على الأرض . وقد تأسست هذه المؤسسة بعد الحرب العالمية الثانية حسب هذا المبدأ ولكن لم تطبقه بحق ، مما سبب تكرار الحروب وكثرة النكبات وفقدان السلام . وهذه الآية تذكر أيضا بوجوب وجود قوة تأييدية لهذه المنظمة لتستطيع فرض العدل بين الدول ، وإلاّ كان وجودها كعدمها كما هي الحال الآن ! »[1] .

هذا الذي يتجرأ على تفسير القرآن الكريم على هذه الصورة تراه يعلن النكير على أئمة المسلمين وعلمائهم وعلى من يلتزمون بمذهب من المذاهب الإسلامية ، لأنه يريد العودة إلى الأصول ، كما يدعي ، فينشىء في ذلك كتابا عنوانه « بدعة التعصب المذهبي وآثاره الخطيرة في جمود الفكر وانحطاط المسلمين » ، تماما كما قال أبو الفضل .

ولاغرابة في ذلك فبصمات دعوة الحكومة العالمية ووحدة الأديان واضحة في كتاباته ، وذلك أنموذج منها . وأوجه الشبه بين الاستانبولي وأبي الفضل عديدة .

(١) صفحة ٦٨ – ٦٩ .

(٢٩)

د . جواد جعفر الخليلي

في كتابه « الحكومة العالمية المثلى » يعرِّف المؤلف بنفسه قائلا أنه وُلد في النجف عام ١٩١٤ ونشأ فيها . وأن دراستَه أدبيةٌ علميةٌ (في الطب والحقوق وعلم النفس) . وأنه أقام في : العراق — ايران — ثم هاجر إلى كندا وأقام بها مع أهله وأولاده . وأن أعماله الادارية : في الشؤون الطبية والقانون : (اثنتا عشرة سنة في منصب طبي ، و٢٣ سنة قاضياً ، وبعدها محامياً ، وقبلها وبعدها مؤلفاً وكاتباً) . وأن نتاجه العلمي يتمثل في الشعر والتربية والطب والعلوم النفسية والتنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح والقانون والتاريخ الاسلامي .

ويبدو من خلال تقديم الكتاب بقلم د . عبد الصاحب الموسوي ، رئيس مركز البحوث الاسلامية العربية في كندا ، الذي ذَيَّل التقديم بعبارة « مونتريال في منتصف شهر رمضان المبارك ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨/٥/٢ » أن الكتاب جرت كتابته في كندا . لكن نشر الطبعة الأولى جرى في بيروت عام ١٩٨٩ عن طريق دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع .

يبدأ الكتاب بتصدير كتبه د . محمد عبد المنعم خفاجي ، أستاذ وعميد بجامعة الأزهر الشريف ، القاهرة ، يقول فيه :

« وبين يديَّ هذا الكتاب النفيس العميق ، الذي يدل على سعة اطلاعٍ ، وعمق فهمٍ وتصورٍ ، وعظمة فكرٍ ، وشمول نظرةٍ ..

« عنوان الكتاب : (الحكومة العالمية المثلى) وهو بصفحاته الأربعمئة ، وأبوابه الخمسة[1] التي سمَّى كلَّ بابٍ منها كتاباً .. ومادته العلمية العالية الرفيعة .. جدير

(١) يبدو أن كاتب التصدير يتحدث عن الجزء الأول من الكتاب فقط ، ومن غير الواضح ما إذا كان =

بالقراءة ، بل بأن يطبع على نطاق واسع ويوزع في كل مكان ، ويترجم إلى كل اللغات .

« لقد بحث المؤلف في أصول الحياة والاجتماع والمذاهب والعقائد والأديان والرسالات .. ورأى أن الحكومة العالمية المثلى هي من أقدم أمنيات المفكرين والفلاسفة ، بل سعى إلى تحقيقها أولو العزم من الرسل وجاء الإسلام ، فكان أعظم رسالة يصح أن تكون هي دستور هذه الحكومة العالمية المثلى ، يقول المؤلف : « الاسلام إذن جاء ديناً وشريعةً كاملةً أصلح ماوجدناه على حد ماجاء به أهل الأديان السماوية من أهل الكتاب وأهل الآراء والأهواء من الناحية العقلية والفطرية الطبيعية ، وأيدته التجارب العملية ، ديناً جمع أحدث ماقال به أفلاطون وجماعته من الموحّدين نظرياً ، وعجز من تطبيقه عمليا ، وقد طبقه صاحبه محمد عملياً فأخرجه كأصلح مايمكن أن يسير عليه البشر لإقامة حكومةٍ عالميةٍ » ...

« إن المؤلف يسلك بالبحث بهذا المؤلف العظيم منهجاً جيداً لم يسبق لأحد أن سلكه ، وهو يقيم آراءه على أسسٍ قويةٍ من البحث العلمي الجاد ، والفكر المنطقي العالي ، والنظرة النافذة العميقة إلى الحياة الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

« وإني لأحيّي هذا الكتاب الرائد ، ومؤلفه العظيم . وأقول له في غربته : حيَّ على الفلاح ، وبارك الله في خطواتك الرائدة ، وإننا معك ، نشدُّ على يديك ، بكل حب وتقدير وإكبار » .

وفي التقديم الذي كتبه د . عبد الصاحب الموسوي ، يقول :

« ... وهذا الكتاب الذي بين يديك ، أيها القارىء الكريم ، يواصل التشبث بالطموحات الانسانية التي تعلق بها الفلاسفة والمفكرون وجاهدوا في سبيلها ومازالوا يجاهدون ، فمؤلف الكتاب مفكر صرف جهده في استقصاء الحياة الانسانية ومافيها من شقاء وتعاسة يرجعها المؤلف الجليل إلى انصراف الناس عن منابع السعادة الحقيقية ، وهو في هذا الكتاب القيم يقدم أطروحة علمية موسعة بمساحة الأهمية التي

= قد اطلع على جزأيه الثاني والثالث . فأما الجزء الثاني فهو أخطر من الأول وأما الثالث فلم نطلع عليه.

للموضـــوع الخطير الذي يعالجه ، ويلاحظ القارىء الكريم النَّفس الموسوعي في الكتاب ، وهو واحدٌ من أجزاء أخرى .

« إن المنهج الذي ارتضاه المؤلف الجليل لايتخلص من ملاحظات المتتبعين من حيث التبويب والترتيب ومن حيث الإحالات إلى مصادره ومراجعه ، إذ يخلو الكتاب منها تماماً ، مما يفوت على القارىء فرص التعرُّف عليها والإفادة والاستزادة منها .

« ومهما تكن الملاحظات حول لغة الكتاب وبعض شواهده ، فإنه كتاب غني وغزير ، ومن شأنه أن يعطي الكثير من الثمرات للمهتمين بالدراسات الانسانية عامة والاجتماعية خاصة ، وحسب القارىء من هذا البحث أن مؤلِّفه رجلٌ خبر الحياة وتجاريبها وتزود من العلوم القديمة والحديثة حتى صار عطاؤه عظيم القيمة كبير الأهمية ، فحياه الله ونفع بعلمه هذا الجيل والأجيال القادمة إنه سميعٌ مجيب » .

يبدأ مؤلف الكتاب قائلا : « الحكومة العالمية المثلى هي من أقدم أمنيات مثقفي وعلماء الإجتماع وفلاسفة البشر وحكمائهم ، ... بهذا نزلت الكتب السماوية ، وعنه عبرت الآية القرآنية : ﴿ يا أيها الناسُ إنَّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا ، إنَّ أكرمكم عند اللهِ أتقاكم إنَّ الله عليمٌ خبير ﴾ [سورة الحجرات ، الآية ١٣] . وبهذا أراد القرآن جمع شتات الموحدين بقوله : ﴿ قل[1] تعالَوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينَكم ألاَّ نَعبُدَ إلاَّ اللهَ ولانشركَ به شيئاً ولايَتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ اللهِ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ٦٤] (ج ١ ، ص ١١) .

ثم يقول : « الحل العملي لإقامة حكومةٍ عالميةٍ تضمن من كل الوجوه في إقامتها وسيرها الحثيث وإدامتها . هل يمكن ذلك ؟ على الأخص في العصر الذي قرب فيه البعيد واتصل البشر سمعا وبصرا وحركة ببعضهم ، واتصلوا وتقاربوا عقلاً ومنطقاً ، هل يمكن ذلك ؟ .

« لاشك بإمكان ذلك إذا توفرت بين حكام البشر حسن النية، وأجمعوا على اتباع المنطق السليم ونبذ المنابذات العقائدية والعنصرية والأنانية الفطرية ؛ اعتقد بإمكان

---

(١) أغفل الكتاب عبارة « ياأهل الكتاب » الواردة في أصل الآية . ومثل هذه الأخطاء تتكرر في كتب البهائيين .

ذلك . وإن بناء هذه الحكومة سيبقى سالماً وقوياً وسعيداً بقدر مايبدي قادته من التدابير الوقائية لمجابهة الأخطار الوبائية والعوارض الطبيعية من جهة ، ومايبدونه لمعالجة وصد هجمات الأوباء المنطقية المحلية والقضاء عليها بمقرها وقبل تأزمها ، بحصر منطقي من جهة ونفير عام في الجسم كله من جهة ثانية ، مثلما يعمله الجسم الإنساني تجاه العوارض الخارجية والداخلية ...

« ولاننسى أن السمنة في البدن آفة تجب الوقاية منها وعلاجها ، ومثله في المجتمع الإنساني اتخاذ الوقاية والعلاج لهذه السمنة ، بتحديد النسل ومايلزم لاتقاء وعلاج ذلك الذي سنفصله في محله .

« والآن وبعد هذا علينا أن نبحث عن العناصر التي تحكم البدن الانساني ككتلة واحدة والعناصر التي تحفظه قوياً سعيدا ، **ولايهمنا أبدا أي عقيدة ولو خالفت عقائد الأكثرية القوية ، علينا اتباعها ولو كان منبتها مجاهل أفريقيا الوحشية**[1] ... (ص ١٤ و ١٥) .

ثم يستعرض المؤلف أوجه المشابهة بين القوانين الطبيعية والقوانين الإجتماعية ، وكذلك ماقيل على سبيل المثال بتشبيه القضايا المعنوية بالمادية ، فيذكر بيتين من الشعر ينسبهما إلى ابن الوردي (ص ٢١) :

حبك الأوطان عجز ظاهر فاغترب تلقى عن الأهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسنا وسري البدر به البدر اكتمل

وفي الكتاب الثالث (الباب الثالث) من الجزء الأول ، وتحت عنوان « أهم من بحث وسعى لإقامة حكومة عالمية بما في ذلك من حكماء وساسة وقواد وأنبياء » ، يستعرض المؤلف ، في حوالي مئة صفحة ، جميع أديان الهند والصين واليابان وفارس وجميع فلاسفة اليونان ، كما يستعرض اليهودية والمسيحية والإسلام ، ويوجز بعض معتقداتها وآرائها دون أن يوضح مواقفها من الحكومة العالمية ، مكتفياً بعنوان هذا الباب للإيحاء بأن الحكومة العالمية هي غاية جميع الأديان والفلاسفة .

(١) إذاً لايهمه الإسلام ، رغم أنه أطنب في التنويه به تمويهــا وتضليلا .

ثم ينتقل إلى بحث « خير الحكومات » (ص ٢٥٣) ، فبعد أن يندد بالحكومات الرأسمالية والديمقراطية والاشتراكية ، ينتهي إلى أن خير الحكومات هي الحكومات الدينية ، ثم يقول : « فهذا التوراة ويليه الانجيل ويختمها القرآن ، وما أحسن الختام وأكمله ، جمع وأعاد ماضاع وتشتت وأجمل وفصل من الأحكام والعضات فما نسخ وأثبت والتي سنورد منها على سبيل المثال ليقف منها القارىء ويقارن ويستخلص الصادق الوفي والمخلص التقي ، من الكذاب المداهن والفاسق الخائن .

« ويمتاز دين ابراهيم الخليل والأديان السماوية التالية له والسائرة على هداه ، بأنها دين الفطرة ، دين الطبيعة ، دين العقل والمنطق السليم ، دين الوحدة والتوحيد ، دين العدالة والمساواة دين الأخوة والمروءة والعفو والغفران والأمان والسلام والوئام ، دين الرأفة والشفقة والمحبة . وبالتالي دين السعادة وهو يتميز بأصول ثلاثة :

« ١ – التوحيـــــد .

« ٢ – النبوة ويتبعها الوصاية نصا .

« ٣ – العدالة ويتبعها الاعتقاد بيوم القيامة (المعاد) .

وهو يؤيد أقواله هذه بنصوص عديدةٍ جداً من التوراة والإنجيل والقرآن ، (ص ٢٦٨ ومابعد) ، على غرار مايفعله البهائيون عادة .

ثم ينتقل المؤلف ، في الجزء الأول من كتابه كذلك ، إلى بحث « الجنسية – التابعية » فيقول : « **والجنسية ماهي إلا دعوة جديدة لخلق العصبيات القومية والشعوبية والتفرقة بين الأمم والطوائف** من هذا البشر وتنابزها فيما بينها ، وخلق مشاكل للفرد والعائلة والجماعات وخلق روح في الأفراد والطبقات تتمايز بها الواحدة عن الأخرى . وهذا التمايز ماهو إلا مظهر من مظاهر قلة العلم والحكمة التي تتمايز بها الشعوب الجاهلة أكثر فأكثر أو الشعوب التي تعتد بقوميتها وتستحقر القوميات الأخرى . مظهر تتمايز به القبائل البدوية والعوائل التي يسودها الجهل المطبق ... (ص ٣٥٩) .

ويتحدث عن الوطن فيكتفي بطرح تساؤلات عديدة تفيد ضمنا التنديد بالروابط الوطنية ، فيقول مثلا : « **الوطن – ماهو الوطن ؟ . أهي الأرض التي ولدت بها أنا ؟**

أم أنا وأبي ؟ أم آبائي وأجدادي أو التي نشأت بها ؟ أم التي غذتني ؟ أو التي فيها أصدقائي وأحبابي وأهلي ؟ أم التي أتحسس بالحب والحنان لها ؟ أو غير ذلك ؟ . ربما ولدت في مولد أبي أو آبائي وأجدادي أو ولدت في مدينـة أو قطر آخر لسبب من الأسباب ، كأن أكون ولدت من أب كان سفيرا في بلدة صديقة أو غير صديقة ولدت بها ، أو جاءت أمي لزيارة ذلك القطر كالحاج لمكة وهو في إحدى الأقطار الإسلامية النائية كأندونيسيا أو كان تاجرا أو كانت أمي تلميذة في إحدى الأقطار النائية عن بلدها ووطنها الأصلي ، كأن تكون أمه تركية وأبوه مصريا وكلاهما جاءا لتجارة أو ثقافة إلى أمريكا الشمالية أو الجنوبية أو أوربا أو اليابان وحصلت الولادة بها ، أو حصلت الولادة في أرض أخرى سواء وطن الآباء أو غير الآباء كما مرَّ وأصبحت النشأة في أرض أخرى . هذه النشـأة كم دامت ؟ أهي كانت في سن الطفولة الأولى وقبل أن يحس الطفل بمحيطه وقبل المعرفة الأولى أم دامت لبعد التمييز ... أي منها الوطن ؟ . (ص ٣٦٥)

ويقول : « ربما كان هذا التنوع في السكنى في مدن أو قرى أو أقطار مختلفة فهي جزء من حياته . فلمن ينتمي وأين هو ووطنه ؟ . أهو الذي ولد فيه وهو لايذكر منه شيئا ؟ . أم وطن آبائه الأقدمين أم الأقربين ؟ . أم الذي نشأ فيه ؟ . وأي من تلك التي نشأ فيها ؟ أهي الأطول نشأة أم الألذ والأعظم منه وإن قلت مدتها وصغرت رقعتها ؟ . (ص ٣٧٤) .

وقبـل ذلك كان الخليلي في أوائل كتـابه قد أبرز شعراً لابن الوردي يندد فيـه بالتشبث بالوطن ، رغم أن ابن الوردي لم يكن يقصد مايقصده الخليلي .

ثم ينتقل إلى الحديث عن اللغة فيستخدم الأسلوب ذاته للتنديد بتعدد اللغات (ص ٣٧٥) .

وفي الجزء الثـاني من كتابه يتحدث عن حاجة البشرية إلى منقذٍ ، أو مصـلح منتظر ، ويستعرض نصوصاً عديدة من التوراة والانجيل ، مما يرى أنه يشكل بشارات « تنبيء بظهـور المسيح وإقامة دولة واحدة تسيطر على كافة الأرض ويبدل النزاع والسؤام إلى ألفة وسلام » ، ومن هذه النبوءات « ماجاء في الرؤيا (٦ : ٢ ، ٢٠ : ٤) أن يسوع لحاته أعظم من داوود بكثير ، سيخرج يسوع كمحارب أعظم من داوود

ويغلب كامل العالم الشر ثم يحكم أعظم وأحكم بكثير مما لسليمان وسيملك سلام ألف سنة » (ص ٤٢ و ٤٣ و ٩٣) .

ويقول : « وأما ماورد في الإسلام عن قيام دولة الحق والعدل فهو كثير وكثير وانه إذا ماظهر المصلح المنتظر فإنه يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وأن ذلك أمر حتمي » فحيناً يشير إلى المهدي الإمام الثاني عشر عند الشيعة محمد بن الحسن العسكري ، وحينا يشير إلى ماجاء في الآية ٥٥ من سورة النور : ﴿ وعَدَ اللهُ الذينَ آمنوا[1] ... ﴾ وماورد في سورة القصص (الآية ٥) : ﴿ ونُريدُ أن نَمُنَّ على الذينَ استُضْعِفوا في الأرضِ ... ﴾ أو الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور مِنْ بعد الذِّكرِ أنَّ الأرضَ يَرِثُها عبادي الصالحون ﴾ (ص ٤٣ و ٩٢ و ٩٣) .

ويحاول التوفيق بين المسيح المنتظر عند المسيحيين ، وبين المهدي محمد بن الحسن العسكري عند الشيعة فيقول : « فالمهدي أي المصلح المنتظر أمه نرجس حفيدة قيصر الروم وجدته أم علي بن الحسين بنت كسرى امبراطور الفرس وهو حفيد علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله » (ص ٩١) .

لكنه مع هذا وذاك ينتهي إلى « مُنقِذٍ » آخر ؟ .

فيقول : « اللهم عجل بظهور ولي العصر المصلح وأملأ الأرض به قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يا أرحم الراحمين . وليس معنى ذلك أننا وقد عرفنا سبل الحق في شريعتنا من الكتاب والسنة الغراء أن نستسلم للباطل الضارب أطنابه شرقاً وغرباً منتظرين صاحب الأمر للإصلاح . لا ، أبداً ، فما لايُدرَك كله لايُترك كله ... » (ص ٣٧) .

وكعادة دعاة الحكومة العالمية ، فإن الخليلي يلوِّح بخطر حرب عامة شاملة إن لم تتجه البشرية نحو إقامة تلك الحكومة التي ينشدها . فيقول :

« أما اليوم فالكارثة نصب العين ، ولم تكن هذه المبتكرات البشرية المبيدة إلاَّ واقعية أكيدة ، وكل طرف يحس بعظيم شرها وجسيم هولها ، وأنها متى انبعثت من جهة

---

(١) وهنا يبدو أنه أغفل عن عمد تتمة الآية : منكم وعملوا الصالحات .

تلتها الجهة المخالفة والعاملة على دكّ معالم المدنية والبشرية جمعاء ، وماذا بعد ذلك غير الذلة والخسران والنكبة والهوان الذي سيشمل لا الخصمين المتناحرين ، بل شمول الويل والثبور كل المعالم الإنسانية ، وربما محوها من الوجود ، فأية عزة وأي شرف ، وأي نتيجة يقصد كل منهما لنفسه وغيره ؟ فكيف السبيل ؟ وماهي الحيلة ؟ نعم هناك سبيل واحد لاغير ولاسواه ، وهو :

« ١ – انتخاب لجنة تنظم خيرة من الخبراء والحكماء السياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين ومنحهم الحل والفصل العدل سريعا بتصميم الطرفين على حسم الخلاف حسبما يقره المنطق السليم من خبراء وحكماء وعلماء من كل الجهات المتنازعة المتخاصمة بنية صادقة خالصة من أية شائبة سوء ، ثم قصد النفع الانساني والبشري العام دون تفضيل جهة على جهة .

« ٢ – وذلك بقصد توحيد جميع الحكومات الكبيرة والصغيرة وتشكيل حكومة عالمية واحدة مثلى تحت لواء واحد كدولة فدرالية تضم الشمال والجنوب ، والشرق والغرب ، ذات نظام فدرالي تشملهم جميعا العدالة الاجتماعية والضمان الاجتماعي وأعضاؤه وقادته كل له امتيازات حجيرات البدن الانساني الواحد ...

« وبعد تشكيل هذه الحكومة العالمية المثلى ، يجب – كما مرّ – توحيدها في جميع الموارد المادية والمعنوية وكلما هو أقرب للفطرة والطبيعة من كلما هو خير شامل وحفظها من كلما فيه ضرر شامل ، والإتفاق على أساس مايدلي به ذوو الخبرات بعد أن وضعنا هؤلاء الخبراء كلا في مقره الخاص به ، ورقابة الفرد والجماعة بالعناية اللازمة لاحتياجاتها المادية والمعنوية ، وان الذي يدخر انما هو ادخار يشمل الجميع بخيره ... (ص ١٠٤ – ١٠٦) .

ثم يتحدث عن كيفية إنشاء الحكومة العالمية ، فيقول :

« إن الأسس الضرورية كمقدمة تتبعها كل دولة على حد سواء حيث تتقارب بأصولها وعقائدها هي :

« آ) – السرعة الفائقة بقصد تلافي الأخطار المتعددة المتزايدة تزايدا تصاعديا

متضاعفا بمر الزمان وفي عدد السكان وضبط وحجر مسبباتها لايقاف أخطارها المباشرة وغير المباشرة[1] ...

(ب) – توجيه النوايا والأقوال والأعمال مطابقة لبعضها ظاهراً وباطناً لاثبات حسن النية وصدق الطوية من كلا الطرفين المتخاصمين الطالبين للإصلاح .

(ج) – انتخاب لجان من رجال ذوي كلمة وخبرة ، وروح اصلاحية واقعية متآلفة من الجانبين تحاول وتقصد الخير والفضيلة والإصلاح والالفة والمحبة وتتحاشى إثارة الأحقاد ...

(د) – وضع أسس جديدة مبدئية في كل دولة تجمع المحاسن من الشرق والغرب ، والقديم والجديد ، وأهل الأديان والآراء ، ونبذ المضرة منها وتركيز أنظمة وقوانين معنوية أخلاقية إلى المادية القائمة تمهيدا لتوحيد الدولة العالمية الانسانية وللسلام البشري فسعادته[2] .

(هـ) – إعطاء المجال للحريات الفكرية وإبداء الآراء من ذوي النفوس الرامية والمندفعة بقصد الإصلاح والعدل الإجتماعي للنوع البشري دون تميز .

(ز) – الحذر كل الحذر من الأنانيات الفردية أو الجماعية من أفراد ضد أفراد أو جماعات ضد أفراد أو جماعات بروح ويمثل انسانية سامية والحذر كل الحذر مما يثير النعرات والتعصبات والمنابزات وسوء الظن وبعث الخصومة والكراهية في النفوس ، بل العمل لشد أواصر البعض للآخر ، وأما الأفراد المخالفون والأنانيون والمنابزون والمنافقون فيجب معاملتهم كمعاملة مرضى يحملون عقدا روحية أو اجتماعية ويحتاجون إلى علاج أو هم ذوو نقص وبحاجة للتكميل دون إثارة الرعب ، بل معالجتهم بواسطة أطباء خبراء بعلم النفس والاجتماع ...

حتى إذا تم الفصل الأول وتهيئت كل دولة للتنازل عن بعض مايضر الصالح العام وضمن أصول وقواعد تفيد وتحسن الوضع العام وترمي لإسعاد الفرد والمجتمع ، بعد الخبرة والتجربة ، حتى إذا تقاربوا وأقروا أصولا نالت موافقة الجميع ، وانتخبوا

(١) من هنا التواتر السريع للأحداث التي يتشهدها العالم في ظل النظام العالمي الجديد .

(٢) تبدو هنا معالم البحث عن دين جديد أو عن توحيد الأديان .

خبراء يمثلون كل الطوائف الإنسانية جمعاء ، كان لهؤلاء الرأي الصائب للحل والفصل وجلسوا في مركز المخ من الرأس وبعدها يبدأ الفصل الثاني » (ص ١٠٧ – ١٠٩) .

وفي الفصل الثاني يتحدث عن دور الخبراء المنتخبين في بناء أجهزة الحكم في الدولة العالمية .

ثم ينتقل بعدها إلى مرحلة تالية يسرد أحداثها على الوجه الآتي :

« (١) – الوحدة والعقيدة ، دون إكراه أخص مايقره العقل السليم ، وكما أن البشر متحد في الخلقة والإحساس وفي التركيب والأجهزة والحاجة وامتلاكه العقل والغرائز ، وتركيبه المادي والروحي والوراثي ، وتأثره بالتربية والمحيط ، وامتلاكه نفس النوع من الحواس الخمسة ، والمقدرة التفكيرية والقدرة على كسب الخبرات بالتجربة والتعليم ، فعليه يلزم توحيده إلى الأصلح من العقيدة توجيها تربويا واجتماعياً .

« وكلما اتحد في العقيدة اجتمع شمله وزاده الفة وسعادة ، واحساسا بوحدة الوجود ، وعظمة الخالق المبدع المهيمن القدير الوهاب ... (ص ١١٠)

ثم تحت عنوان « الوحدة والعقيدة » المذكور آنفا ، الذي من الواضح أنه يعني به وحدة الأديان ، يتحدث تحت هذا العنوان عن توحيد اللغات ، فيقول :

« وبعد ذلك توحيد اللغة والكتابة إلى أسهلها تعلما في قواعدها وعدد حروفها وجمالها وسرعة أدائها ومناهيها ، مما يزيدنا علما وخبرة وتفاهما مع بعضنا فإلفة وحبا فقوة وسعادة » (ص ١١٢) .

فأين يبقى الإسلام وأين تبقى لغة القرآن ، وهو الذي أطنب في الإشادة بعظمة الإسلام والقرآن ، حتى كاد أن يوحي بأن دولته العالمية « المثلى » ماهي إلا صورة عن دولة القرآن ، لكنه كالبهائيين عموما يجعل من حديثه عن الإسلام مجرد جرعة تخدير ، للمساعدة على تقبل مشروعهم ولتفادي ردود الفعل التي يُفترض أن يثيرها هذا المشروع . لكن كان واضحا من عبارته « ولايهمنا أبدا أي عقيدة ولو خالفت عقائد الأكثرية القوية ، علينا اتباعها ولو كان منبتها مجاهل أفريقيا الوحشية » (ص ١٤ و ١٥) أنه إنما كان يستعمل الخديعة للوصول إلى شيء يخفيه .

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن العدالة ، فيقول تحت عنوان :

« ٢) – رعاية العدالة : ...

« **ثروات الأرض** : وفي الأرض ثروات سطحية وباطنية ، من حيوانية ونباتية وهواء وماء ومعادن مطمورة ... فالمياه الأرضية والمعادن الجامدة والسائلة في باطن الأرض والغابات والأحراش والأدغال ، وماتعطيه من ثروات الثمر والخشب والثروة الحيوانية غير المستغلة من أيد خاصة ، **هي ملك لجميع أفراد هذه الدولة العالمية** أي لجميع سكان الأرض » (ص ١١٢ – ١١٤) .

وهكذا فهو يريد توزيع نفط العراق على أمم الأرض ، ربما بغير ثمن .

ثم يقول : « نعم اليوم كل شيء جاهز ، واليوم وحده يشعر الأفراد والجماعات بالحاجة **لتوحيد العقيدة واللغة** ولايتم ذلك إلا **بحكومة عالمية** موحدة ذات هدف واحد ، بها تنهى المنازعات البشرية على اختلافها من عقائدية وطائفية ، جنسية ولونية ، وغيرها ... » (ص ١٧٤) .

« والحاجة أم الاختراع لقيام الزمرة الصالحة المشكلة مقام المخ المهيمن على جسم هذه الحكومة العالمية تحت نفوذ سلطان عادل يقصم مفاسد الشرق والغرب ويوجه الجميع إلى المقام الأسمى والحياة الأفضل وقد برهنت التجارب أن هناك في هذه الخلقة معاجزا ونبوغا وأن الشروط إذا اكتملت ، والإحساسات إذا توحدت ، وأدرك الجميع وأجمعوا على الضرورة والحاجة سيجود الناموس الأعظم بحل هذه المعضلة ويسهل الإسعاف ويتم العلاج وإننا لمنتظرون بما تنبأ به الأنبياء المرسلون ودعا إليه ووعد به الحكماء الصالحون من قيام الحكومة الصالحة على يد الزمرة الصالحة ، كما جاء في الكتب السماوية كالزبور والقرآن الكريم : ﴿ إن الأرض يَرِثُها عبادي الصالحون * والعاقبة للمتقين ﴾ .. » (ج٢ ص ١٧٤) .

وفي المقالة الرابعة عشرة ، تحت عنوان : « الانقلاب الأكمل » يقول :

« البشر بحاجة إلى انقلاب عظيم لبناء حياته على العدالة والكرامة والمساواة والخلق السامي ، والسلوك المبني على العلم والمنطق ، واختيار الأحسن دوما وكل مايسوقنا إلى الوحدة والاتحاد والالفة والتعاون ، والحب والبر والاحسان ، والسلوك الأفضل والأرقى ويردعنا عن مهاوي الشر والكراهية ، والتشتت والغرور والأنانية والتجاوز والخصام ، والظلم والاعتداء ومافيه من إضرار للنفس والغير ، نحن بحاجة إلى :

(١) – إلى دين وعقيدة فيه الصفات المارة ، دين يحرضنا على الجد وبذل الجهد لبلوغ الكمال وجمال النفس ويردعنا عن كل قبيح ، دين وعقيدة تجتمع فيهما الحسنات ويخلوان من الـ ـيئات لبناء مجتمع نقي من الشوائب والأمراض المادية والمعنوية .. إن هذا الدين وهذه العقيدة يجب أن يعتنقها البشر ويكونوا تحت لواء عقيدة واحدة تؤلف بينهم في السراء والضراء ، وتجلب لهم السلام والسلامة ، وتكون خير عون لجميع البشرية تحت لواءٍ واحد ، ومن حسن الحظ أن هذا الدين هو دين أبينا آدم ، ورسلنا الداعين إليه من نوح وإبراهيم وكل الأنبياء المرسلين من سلالة سيدنا إبراهيم عليه وعليهم السلام والصلاة ، وترى في التوراة دعوات من الله على لسان موسى كليم الله ، والأناجيل من سيدنا عيسى روح الله وما أمر به ودعا إليه من أرق العواطف والأخلاق الكريمة لجمع البشر إلى السعادة ، وخاتمها القرآن المؤمن بما دعا إليه الأنبياء قبله ... » (ص ١٨٧ – ١٩٠) .

فالواضح أنه يريد ديناً جديداً ممزوجا من دين آدم ونوح وابراهيم ومن التوراة والإنجيل والقرآن .

ثم ينتقل إلى الحديث عن الاجراءات العملية لإقامة الحكومة العالمية ، في المقالة الخامسة عشرة ، تحت عنوان كيف يكون الانقلاب لتوحيد السلطة في العالم ، فيتساءل (ص ٢٠١) :

« ١) – هل هناك إمكان حل اختياري يصممه الأطراف ، بأيد مصلحة يحترمها الجانبان ويثقان بحكميتها ؟ .

« ٢) – أم لاحل إلاّ بالقوة وقيام جبهة ثالثة تتغلب علميا واجتماعيا وسياسيا ، قوة متنفذة قهراً ، قوة خارقة مثل تلك التي تنبأ بها المرسلون السابقون المار ذكرهم ، وبشارتهم بقيام دولة الحق بقيادة مصلح يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وقد مرّ ذكرهم في مقالاتنا السابقة ..

« أعود لشرح وتفصيل كل منها :

« ١) – قيام الحكومة العالمية الواحدة بحل يتفق عليه الأطراف بعد الجنوح إلى الأمر الواقع الذي لامناص منه ولا مفر إلا باللجوء اليه ، وهنا يقوم بعدة عوامل :

« أ) – قيام دول محترمة كبرى ينتمون إلى عالم محايد لها مقامها ووزنها المحتوم على الجبهتين الشرقية والغربية ، ومعروفة بالمنطق السليم والحكم الديمقراطي السليم مثل الدولة الصينية وإن كانت شيوعية بيد هي الوحيدة من الدول الشيوعية التي خدمت شعبها الممزق وجمعته تحت لواء واحد ... ويلي الصين الهند ، وهي الأخرى رغم تشتت شعبها وتفرقه إلى مذاهب وأديان ... بيد تسودها حكومة أقرب للديمقراطية والسلوك العادل ... وهناك دول أثبتت وزنها المنطقي والسياسي أمام العالم كله بالسلوك السياسي السوي ومالها ذات وزن سياسي وضبط في شعوبها مثل الدولة السويسرية الصغيرة والدولة السويدية وأمثالها ...

« ... فربما تقدمت دولة من الكتلة الرأسمالية لها مقامها العلمي والسياسي والاقتصادي الممتاز مثل انكلترا وهي الأم المكونة لدول الكمنولث وزعيمتها السياسية المحنكة والتي هي في أشد نقاط الخطر ، وكما قال ابنها البار راسل وتنبأ بتدميرها ومحوها من الوجود إذا قامت الحرب الثالثة . وفرنسا أو ألمانيا وأحزابها أو دول شرقية هي الأخرى ممتازة بتقدمها العلمي والصناعي والاجتماعي مثل جكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية ورومانيا ، ويجدُّ الكل للوساطة ولمحض الخدمة البشرية وطالما الأخرى معرضة لخطر المدمرات إن قامت حرب وجدّت بالوساطة للوفاق وإقناع القطبين العملاقين أمريكا وروسيا على وضع أساس يجمع ويوفق بينهما ويقربهما لتشكيل دولة فدرالية موحدة ، وإن كان لهما عقائد مختلفة فيمكن تقريب هذه العقائد ...

« فهلا يجدر بأوربا ودولها العريقة العظمى حرصا على بقائها ، أن تكون حاملة هذا المشعل الأول للسلام ، والطالبة لإقامة الدولة العالمية المثلى ؟ وتكوّن كلها دولا فدرالية ذات مصالح متعاونة ومشاركة فيها وبناء نظام جديد غير النظام الفعلي القائم ...

« ولنتقرب لوضع أسس الإصلاح ، أليس الأجدر أن تتوحد الدول ذات الطابع المشترك ؟ وهذا التوحيد يختلف قرباً وبعدً للهدف الذي ترمي إليه لنشر السلام والوئام ونضرب لهذا التوحيد أمثالا ونميز بين الحسن والأحسن بل وأحسن الكل ، ومنها :

« ١) – الأمم المتحدة المتشكلة من كافة دول العالم الكبيرة والصغيرة والقائم على رأسها سكرتير الأمم المتحدة .

« ٢) — وحدة الشعوب الغربيـة الرأسماليـة من الدول الغربية الأوربية كانكلترا وفرنسا وألمانيا وهولاندا وبلجيكا وايطاليا والدول الأوربية الأخرى والولايات المتحدة وتكاد تكون الأخيرة هي المتزعمة القوية السائرة من الناحية السياسية ككتلة موحدة تجاه الكتلة الشيوعية .

« ٣) — دول السوق المشتركة الغربية حول المصالح الاقتصادية .

« ٤) — اليونسكو الجامعة لوحدة الدول من الناحية الثقافية .

« ٥) — مجموعة دول الكمنولث وهي رابطة الشعوب البريطانية .

« ٦) — الولايات المتحدة الأمريكية وهي القائمة على توحيد اثنتين وخمسين ولاية أمريكية توحيدا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ... ومثل الولايات المتحدة روسيا الشيوعية رغم اختلاف أنظمتها وقوانينها بالنسبة للدول الرأسمالية ...

« كما أن هناك عالما ثالثا يضم دولا مختلفة المسالك ...

... »

« أليس الركون إلى التأليف والعمل على خلاف فرق تسد ، وهو وحّد صفوفك تقو وتتغلب ؟ فكيف تكون هذه الوحدة وليس من طاقتنا توحيد العالم للدولة العالمية المثلى ، فهلا بإمكاننا القيام بخدمات أقرب للسلامة وعلى حِد القول المأثور : مالايدرك كله لايترك كله .

« وترى بأعيننـا اليوم ، توجد دول عظمى يومىء اليهـا بالبنـان ، وفي مقدمتهـا الولايـات المتحدة الأمريكيـة ، وهي زعيمـة الدول الرأسماليـة الغربيـة ، وقد كسبت عظمتها بضم ٥٢ ولاية وكونت منها دولة عظمى موحدة ، وتليها في القوة روسيا زعيمة الدول الشيوعية ، وتليها الصين ، وأما دول العالم الثالث فهي عرضة لتلاعب وأهواء الدول الرأسمالية النهمة والشيوعية .

« فما هو الأصلح إذا كان بإمكاننا **الإنخراط كدولة أو دويلات إلى إحدى هذه الدول العظمى انضماما كجزء من كل** وعندها يكون لنـا مالكـل من دويلاتها من حقوق ومزايا ؟ وعندها نتخلص من نهب الطغاة وسلبهم وغواياتهم وفتنهم ونكتسب شوكة وعظمة ، وحقوقا جديدة ؟ **وعندها نتساءل هل فكرت الدول العظمى بهذا**

الإنضمام وهل ترضى به ؟[١] .

• كيف السبيل لإقناع الدول الكبرى أن تقبل منا هذه الدعوة ؟[٢] وكيف السبيل لإعداد الدول الأخرى لقبول هذا التآلف ؟[٣] ...

• كيف السبيل لإقناع الدويلات الكبرى لضم الصغرى والصغرى للانضمام ؟ طالما نجد الأصلح والأقوى والأجدر بذلك ؟ ..

• أي الدول تكون جديرة أن تكون النواة الأولى لجمع شمل الأخرى وضمها إليها بحنان ! وتجله والاستعانة الواحدة بالأخرى كأم تحنو على أولادها ، أهل هناك شروط لكل منها ؟ وهناك من الدول ذات عقائد وأديان ومسالك تختلف عن الأخرى وعلى ذلك يلزم وضع حد لأية واحدة منها في المجتمع لحد لايضر بالآخرين وأن يبلغ بذلك لنفع العام لباقي الدويلات والخاص للمنحازة ، وغير المنحازة .

• ربما وجد البعض أن الأجدر للإلتفاف حول دولة تقام بها الأصول الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ...

• وربما رأى آخرون أن أصلح هذه الدول هي الدولة الرأسمالية الكبرى كأمريكا لما تمتاز به من ثروة وقوة وعلم وصناعةومناعة تلك المحاسن المادية والمعنوية غاضة النظر عما تقوم به أحزابها وشركاتها من الحرص والجشع والتنافس والجاسوسيات القائمة على المنافع الخاصة ومثلها كثير من الأحزاب والأقليات الجشعة .

• وأخرى ترى أن خير مآل لها هي أم الدول الشيوعية روسيا لسيطرتها الحديدية وأهدافهـا البعيـدة للضمان الاجتماعي رغـم ما أفرطت فيـه من حد الحريات الفردية والجماعية ...

• وبـالتـالي هـل الأجدر أن نحول سـكـرتـارية الأمم المتحدة إلى قدرة عظمى مستحكمة ونبدأ تدريجيا إعطاءها سلطات وامتيازات أكثر فأكثر ؟ ونتقبل أحكامها

---

(١) وهل يحتاج هذا إلى سؤال ياسيد خليلي .

(٢) هذه مسألة بسيطة جدا .

(٣) إذا وجد عدد كبير من أمثالك يا سيد خليلي عندهم ، وهذا غير معقول .

وأوامرها كأحكام مطاعة ، ونمدها بقوى سياسية وقضائية وبحرية على أساس العدالة الاجتماعية والتساوي العام والحل والفصل حتى تكون بالتالي هي مركز الحكومة العالمية المثلى في مقرراتها المطاعة من قبل الجميع ، متى شطت دولة ولم ترض بحكمها لها أقامت الحد عليها اقامة عادلة قاطعة ، ولها آنذاك توزيع القوى العظمى بصورة تتساوى وبشكل تقبض على أجهزة الحل والفصل وقوى البر والبحر والجو دون منازع .

ثم يختم الخليلي دفاعه عن الحكومة العالمية ، ويقدم الرد على تساؤلاته بقوله :

« إن الدول جميعا ، أخص منها الغربية الرأسمالية والشرقية الشيوعية ودول العالم الثالث ، لكل منها أسس وقواعد عامة وخاصة منها حسنة ومنها مشينة ، منها نافعة ومنها ضارة ، ونحن كفرد أو مجموع علينا دوما تنمية النافعة في أي مجال سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي مادي أو معنوي للفرد أو للمجتمع ... » (ج ٢ ، ص ٢٢١) .

(٣٠)
الدكتور علي زيعور

يقول الدكتور علي زيعور في كتابه « الفلسفات الهندية » :

« ومنذ القديم قال الفلاسفة الإسلاميون أن العقل البشري يبلغ ، دون الاستعانة بالوحي ، مستويات رفيعة من الحقيقة ، بل ويصل إلى الحقائق المنزلة والدينية كافة بمفرده .

« في الفكر العربي الإسلامي أدرك عدد من المتنورين وحدة الأديان العالمية الكبرى ، ورأوا أن لجميع مايعاصرنا من الأديان والفرق أصلا سماويا . هذه النظرية وإن لم تصدق تاريخيا أو علميا فإن مايهمنا منها هنا هو أن تكون دعوة مستقبلية ، وصوفية عملية ، لذلك الاتحاد . من الصعب أن لاأترك اليوم نظرية آمنت بها قديما عن الأصل الواحد للعقائد والنبع التوحيدي ، أو عن كون الأساس في الديانات هو التوحيد وإن الشرك طارىء ولاحق . لكننا جعلنا ذلك ، في نظريتنا ، قمة وغاية أي دعوة للمستقبل . لانظرية عما كان بل نظرة لما يجب أن يكون . لابد في نظرنا ، من السير بالعقائد التي تعمل لمصلحة الانسانية والإنسان ، سواء كانت ديانات أم فلسفات ، صوب التفاعل فيما بينها والتضافر لتحقيق إنسانية كل إنسان (ص ٢٣٤ — ٢٣٥) .



الباب الثاني

الشَّيْخِيَّة وَالكشفيَّة



الفصل الأول

طلائع البابية

يقول الداعية البهائي وليم سيرز ، في كتابه « دع الشمس تشرق » :

« خلال تلك الأيام الأولى ، التي كان فيها باحثو الكتاب المقدس في أمريكا وأوربا وآسيا وأفريقيا يتوقعون ظهور الموعود ، كان كل من الشيخ أحمد (الأحسائي) والشيخ كاظم (الرشتي) يخبران أتباعهما ، مراراً وتكراراً ، بأن ساعة مجيء الموعود هي قاب قوسين أو أدنى . وقالا ان هذا اليوم سوف يشهد ظهورين توأمين يظهران في بلاد فارس أحدهما بعد الآخر في تتابع سريع ...

« وعد كل من الشيخ أحمد والسيد كاظم أتباعهما بأن البعض منهم سوف يعيش ليرى كلاً من الظهورين الالهيين ، وقالا انه بعد الفجر (الباب) سوف يرون الشمس الموعود (بهاء الله) ... (ص ١٤١)

« كرس الشيخ أحمد اهتمامه الخاص لأتباعه ، آملا أن يجعل منهم أعوانا عاملين لدعوة الموعود عند ظهوره . علم الشيخ أحمد بدنو ساعته فجمع أتباعه وقال لهم : ابحثوا بعدي عن الحقيقة بواسطة السيد كاظم ، فهو وحده الذي يفهم مقصدي ... (ص ٢) .

« تابع السيد كاظم الذي خلف الشيخ أحمد إعداد أتباعه لذلك اليوم المقترب وقال لهم : « إني أقول أن بعد القائم (الباب) ، يظهر القيوم (بهاء الله) ، إذ بعد أن يغرب كوكب الأول (الباب) يشرق جمال الحسين (بهاء الله) ويضيء العالم » (ص ١٤٣) .

ويقول كامل عباس سكرتير المحفل البهائي في بغداد عام ١٩٦٢ :

« لايقر البهائيون ... من أن هناك أساسا للبابية يمتد إلى الفكرة الشيخية (فرقة

الشيخ أحمد الأحسائي) أو الكشفية (فرقة كاظم الرشتي) ، بيد أن هناك علاقة وثيقة تربط بينهما برباط لاينفك ألا وهي تصريحات الشيخ أحمد الأحسائي وتلويحاته المتكررة بين ثنايا مؤلفاته العديدة عن قرب انتهاء الدورة الاسلامية بانتهاء الألف سنة المعينة كأجل للأمة الاسلامية »[1] .

ويقول بهاء الله في كتابه « الإيقان » (ص ٥٣) :

« ولما بلغت الأيام إلى هذا الأمر البديع المنيع أخبر أكثر المنجمين عن ظهور نجم في السماء الظاهرة ، كما أنه قد كان على الأرض النوران النيِّران أحمد وكاظم[2] قدس الله تربتهما .

« إذاً، قد ثبت من هذه المعاني بأن قبل ظهور أي أحد من المرايا الأحدية ، تظهر علامات ذلك الظهور في السماء الظاهرة ، وفي السماء الباطنة ،التي هي محل شمس العلم ، وقمر الحكمة وأنجم المعاني والبيان ، وتلك عبارة عن ظهور إنسان كامل قبل كل ظهورٍ لتربية العباد وإعدادهم لملاقاة شمس الهوية وقمر الأحدية » .

ومن ذلك يلاحظ أن كلاً من الشيخ أحمد الأحسائي (وفرقته الشيخية) وكاظم الرشتي (وفرقته الكشفية) إنما كانا طليعة البابيين والبهائيين ، أو بعبارة أخرى ، الطابور الخامس ، الذي أنيطت به مهمة تهيئة الأجواء لظهور الباب والبهاء ، وامتصاص الصدمة التي ستحدث من جرّاء ذلك مقدماً .

كما يلاحظ أن هذه الحركة كانت جزءاً من حركة عالمية أوسع شملت مناطق عديدة ودعوات متكررة .

فما هو هذا الطابور الخامس وما الذي فعله في هذه الحركة ؟ .

---

(١) « البابيون والبهائيون » ، عبد الرزاق الحسني ، ص ٧٧ .

(٢) يقصد أحمد الأحسائي وكاظم الرشتي اللذين مهّدا لظهور الباب .

الفصل الثاني

أحمد الأحسائي والشيخية

تعتبر « الشيخية » طريقة منشقة عن مذهب الشيعة الإمامية ، أسسها الشيخ أحمد الأحسائي[1] ، الذي يلقّبه بعضهم : « ترجمان الحكماء المتألهين ، ولسان العرفاء والمتكلمين ، غرة الدهر ، وفيلسوف العصر ، العالم بأسرار المباني والمعاني ، الذي لم يعهد في هذه الأواخر مثله في المعرفة والفهم ، والمكرمة والحزم ، وجودة السليقة وحسن الطريقة وصفاء الحقيقة وكثرة المعنوية » (روضات الجنات ص ٢٧ – الطبعة الثانية لسنة ١٣٤٧)،[2] .

ويرى بعضهم أن أصل هذا الشيخ من الأحساء ، الكائنة في الشمال الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، فنُسِب إليها وتثقف فيها ، فهو الشيخ أحمد بن زين الدين بن ابراهيم بن صقر بن ابراهيم بن ظاهر بن رمضان بن راشد ، وكانت ولادته في رجب ١١٦٦ هجري (أيار ١٧٥٣ م) بحسب ماجاء في « مطالع الأنوار » ، ص ٣ ، أو في عام ١١٥٧ هجري (١٧٤٣ م) بحسب ماجاء في « الكواكب الدرية »[3] .

غير أن آخرين يرون ، بناء على تقارير المستشرقين ، أن الشيخ الأحسائي لم يكن من الأحساء ، وأنه لم يثبت ذلك تاريخياً ، وإنما كان قساً غربياً ، أُرسِلَ من أندونيسيا إلى الشرق حسب خطة مرسومة لإفساد العقيدة الاسلامية وتغيير أحكام الدين

---

(١) شكيب أرسلان يسمي الشيخ أحمد الأحسائي بالشيخ أحمد البحريني (حاضر العالم الإسلامي – الجزء الأول – المجلد الأول – ص ١٨١)

(٢) البابيون والبهائيون ، عبد الرزاق الحسني ، ص ٨ .

(٣) البابيون والبهائيون ، عبد الرزاق الحسني ص ٩ .

(كتاب « البصرة تستأصل شأفة الشيخية » ، ص ١٣) [1] .

ويقال أنه لما بلغ الشيخ الأحسائي الأربعين من عمره هاجر إلى كربلاء والنجف للزيارة والاستزادة فأخذ العلم عن السيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء ، ونال منهما الإجازة حتى أصبح من المجتهدين ، وحاز قصب السبق على جميع أقرانه الذين أقاموا في هذين البلدين ، حتى قال عنه تلميذه وخليفته السيد كاظم الرشتي : « إن مولانا رأى الامام الحسن عليه السلام ذات ليلة وضع لسانه المقدس في فمه . فمن ريقه المقدس ومعونة الله ، تعلم العلوم . وكان في فمه كطعم السكر وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك ، ولما استيقظ أصبح في خاصته محاطا بأنوار معرفة الله ، طافحاً بأفضاله ، منفصلا عن كل ماهو مغاير لله ، وزاد اعتقاده في الله في نفس الوقت الذي ظهر فيه استسلامه لارادة العلي . وبسبب ازدياد شوقه والرغبة الشديدة التي استولت على قلبه نسي الأكل واللبس اللهم إلا مايسد به حاجته الضرورية[2] .

الشيخية يقولون : إن الحقيقة المحمدية تجلت في الأنبياء قبل محمد ﷺ تجلياً ضعيفا ، ثم تجلت تجلياً أقوى في محمد ﷺ والأئمة الاثني عشرية ، ثم اختفت زهاء ألف سنة ، وتجلت في الشيخ أحمد الأحسائي وتلميذه كاظم الرشتي ، ثم تجلت في كريم خان الكرماني وأولاده إلى أبي قاسم خان ، وهذا التجلي هو أعظم التجليات لله ، والأنبياء والأئمة . والركن الرابع من الشيخ أحمد الأحسائي إلى مابعده هم شيء واحد ، يختلفون في الصورة ، ويتّحِدون في الحقيقة التي هي : (الله ظهر فيهم) . ويعتقدون أن محمداً رسول الله ، وأن الأئمة الاثني عشر هم أئمة الهدى . ومعنى الرسالة والإمامة عندهم أن الله تجلّى في هذه الصورة فمنهم رسولٌ ومنهم امام . ويعتقدون أن اللاحقين هم أفضل من السابقين . وعلى ذلك فالشيخ أحمد في رأي أصحابه أعظم من جميع الأنبياء والمرسلين . ويعتقد هؤلاء بالرجعة ، ويفسرونها بأن الله بعد أن غاب عن صور الأئمة رجع وتجلى تجلياً أقوى في الركن الرابع الذي هو الشيخ أحمد ومن يأتي بعده[3] . والأحسائي من الحلولية الذين يعبدون علياً ، وأدلته الفلسفية مستقاة من مذهب

---

(١) حقيقة البابية والبهائية ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٤٩ .

(٢) البابيون والبهائيون ، عبد الرزاق الحسني ، ص ٩ .

(٣) حقيقة البابية والبهائية ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٤٥ .

الفيلسوف المشهور الملا صدرا (دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ١ ، ص ٤٤٨) . وترشّحهم كلماتهم بأنهم يعتقدون في « الأمير » كرّم الله وجهه نحو مايعتقد الفلاسفة في « العقل الأول » بل أدهى وأمرُّ (التحفة الاثني عشرية لعبد الرحيم الدهلوي ، ص ٢٢) . أما اعتقادهم في القيامة ، فهم لايعتقدون بقيامة الجسد ويُؤوِّلون علامات الساعة تأويلات تتفق مع مسلكهم في انكار البعث والقيامة (مطالع الأنوار ، ص ٣٤/٣٣)[1] .

ولقد كرّس الأحسائي حياته في سبيل الدعوة إلى قرب ظهور المهدي المنتظر طالباً بحماسٍ من جميع أتباع الاسلام في الشرق ، بمن فيهم الشيعة ، أن ينتبهوا من نوم غفلتهم ويهيئوا الطريق لِلّذي سوف يظهر بينهم عند تمام الأيام (مطالع الأنوار للزرندي ، ص ٣)[2] .

ويقول الدكتور محسن عبد الحميد أن الأحسائي لم يكن من المؤمنين بالمهدي الذي تعتقد به الشيعة الامامية ، بل كان اتجاهه يتفق مع الزيدية وبعض علماء السنة في ظهور المهدي ، وكان همُّه من التبشير بقيامه وظهوره هو الإسراع بالقضاء على عقيدة الامامية التي لاتستطيع قبول مهديِّه الخاص الذي سيقدمه في وقت لاحق[3] .

اشتد الشقاق بين الأحسائي وبين علماء العراق ففرَّ منهم إلى بيت الله الحرام ، وسار بأهله وعياله وأبنائه وزوجاته ، وباع كل ماعندهم من المصاغ والحلي والضياع مع ضعف بنيته ونفاذ قوته وكبر سنه وشدة خوفه ، فلما بلغ بهم إلى منزلة الهدي ، وهي عند المدينة المنورة بثلاث مراحل أتته رسل الله سبحانه ودعته إلى جوار الله ... في أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائتين بعد الألف هجرية ... ودفن بالمدينة المنورة (روضات الجنات ص ٢٧ ط ٢)[4] .

كان للشيخ الأحسائي مجلس درس في كربلاء وكانت له مؤلفات يتداولها قسم من

---

(١) حقيقة البابية والبهائية ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٤٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٤) البابيون والبهائيون ، عبد الرزاق الحسني ، ص ١٠ .

طلاب العلم ، ولكن فكرته – لما فيها من الغموض والإبهام ولما يستعمله مؤسسها من العبارات المعقدة التي تبدو غير ملائمة لقواعد المذهب وأصول الدين – كانت ممقوتةً وكان الاعتقاد بها يُعَدُّ مروقاً عن الدين وخروجا على قواعد الامامية ، ومع ذلك فقد كان له طلاب يلازمون درسه ، وأعوان يترددون إلى مجلسه ، وآخرون يبثون الدعاية له هنا وهناك ، وقد سُمِّي هؤلاء بالشيخية نسبةً إلى الشيخ أحمد الأحسائي ، وكان كاظم الرشتي في مقدمة أولئك الطلاب والدعاة ، لأنه كان قد تلقى دروسه الاعتقادية على هذا الشيخ نفسه ، ومع أنه كان من أشد أنصاره فإنه لم يرَ رأي شيخه بعد وفاته وأخذ ينفرد بعده بآراء وأفكار تختلف اختلافاً جوهرياً عن أفكار وآراء أستاذه الشيخ أحمد الأحسائي[1] . فيبدو أنه استوعب درس طرد الأحسائي من العراق ، فرغب في تفادي هذا المصير ليتمكن من إتمام مهمته .

كان الشيخية يعتقدون في شيخهم أحمد الأحسائي أنه « مؤمن كامل » وباب بين فيضان الإمام الدائمي والأمة . وبعد وفاته ، أصبح تلميذه كاظم الرشتي الباب الموصل إلى فيضان الإمام الغائب .

كانت نظرة الأحسائي إلى الإمام الغائب مختلفةً كلياً عن نظرة عامة الشيعة ، فهو كان يقول :

أولا : بموت المهدي الموعود ابن الحسن العسكري ، وبأن المهدي الغائب المنتظر ظهوره عند الشيعة هو الآن من سكان عالم روحاني غير هذا العالم الذي يسمونه بـ « جابلقا » و « جابرسا »[2] .

وبلفظه هو : « إن الإمام روحي له الفداء لما خاف من أعدائه خرج من هذا العالم ودخل في جنة الهورقليا »[3] .

وثانيا : كان يرى أن الراجع لايكون ذلك ابن الحسن العسكري بل يكون أحداً غيره الذي حل فيه روحه ، فقال : « وسيعود في هذا

(١) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٢) دائرة المعارف للبستاني ، ص ٢٦ ج ٥ – البابية لظهير ص ١٥٣ .

(٣) الكواكب الدرية في مآثر البهائية ص ٢٠ – البابية لظهير ص ١٥٣ .

العالم بصورة شخص من أشخاص هذا العالم يعني بطريق ولادة عامة الناس ونحوهم »[1] .

وثالثا : يكون ذلك الشخص هو نفس الإمام محمد بن العسكري ، ولو ولد من أب وأم جديدين : « إنه المهدي بعينه وإن ذاك الجسم اللطيف الروحاني قد ظهر في هذا الجسم الكثيف المادي »[2]

ورابعا : يطلق عليه لفظ « القائم » ، لأنه يقوم بعد موته .

ولما سئل : أيقوم عن القبر ؟ .

أجاب : يقوم من قبره أي من بطن أمه ، وقال : إن جابلسا وجابلقا منزل الموعود ومحل المنتظر في السماء لا في الأرض كما يعتقد ويظن أكثر الناس[3] .

وملخص القول أنه كان ينكر المعاد والبعث الجسماني مطلقاً لأن الجسم يتكون من العناصر الأربعة . وبعد خروج الروح تنحل الأجزاء والعناصر ، ولايبقى لها أثر فتصير إلى الفناء الأبدي .

والشيء الذي يبقى ويعود هو الجسم اللطيف الروحاني الذي هو جوهر الجواهر عنده ، والذي يسمونه الجسم الهورقليائي تبعا للمصطلحات الكيميائية القديمة .

« فجوهر الجواهر هو الجسم الهورقليائي الذي يحشر ويعاد ، والعناصر الباقية التي هي أعراض ولواحق فهي تنتشر وتنحل وتندمج في أصلها كالماء في الماء والطين في الطين ، والروح البالية أيضا تفنى ويبقى الجسم الأصلي الذي يظهر في عرض الجسم من الأبعاد الثلاثة »[4] .

فكان يقول على هذا الأساس : برجوع الإمام الغائب المهدي رجوع الشخصية السابقة في الجسم العنصري غير الجسم العنصري الذي كان له سابقا ، معتقدا الحلول

---

(١) كذلك .

(٢) « دائرة المعارف » للبستاني ، ص ٢٦ ج ٥ – « البابية » لظهير ص ١٥٣ .

(٣) « الكواكب الدرية » ص ٢٠ و ٢١ – « البابية » لظهير ، ص ١٥٤ .

(٤) « دائرة المعارف الأردية » ص ٨٢ ج ١ – « البابية » لظهير ، ص ١٥٤ .

والتناسخ ، كما صرح بذلك المستشرق البريطاني إدوارد براون : إن الأحسائي كان من الحلوليين الذين يعتقدون أن الله تجلى في علي وأولاده الأحد عشر ، وأنهم مظاهر الله وأصحاب الصفات الإلهية والنعوت الربانية ، وهم أئمة الهدى ، مختلفون في الصورة متّحدون في الحقيقة[1] .

أما الإمام المهدي فيتجلى ويظهر في كل زمان في صورة رجل يكون هو « المؤمن الكامل » أو « الباب » أو « الولي » ولابد من الإيمان به .

« **فالأركان الأربعة التي هي أصل الدين وأصوله عندهم هي : ١ ــ التوحيد ، ٢ ــ النبوة ، ٣ ــ الإمامة ، ٤ ــ الاعتقاد بالرجل الكامل** »[2] .

ولقد حلت هذه الشخصية في عصر الأحسائي في جسمه ، ولأجل ذلك يسمى « ركناً رابعاً » ، أو « الباب » ، فالباب في رأيه شخص حل فيه روح الباب ، والمهدي شخص حل فيه روح المهدي ، والإمام والنبي كذلك . وهم مع ذلك مختلفون في الصورة متحدون في الحقيقة لأن الله هو المتجلي في الجميع[3] .

يقول الداعية البهائي أبو الفضل :

« وأما ما سألتم عن ترجمة الشيخ الأمجد أحمد الأحسائي والسيد الأجل كاظم الرشتي الجيلاني ، فاعلم أيها السيد الأريب أن السيد الأحسائي ولد في القرن الثاني عشر الهجري واشتهر بالعلم والفضل وأوجد مذهبا خاصا في المعارف الروحانية وتفسير القرآن والأحاديث النبوية ، ولذلك اشتهر تلامذته في حياته وحزبه بعد وفاته بالفرقة الشيخية ، وكان مذهبه في النمو والتقدم إلى أن صعد إلى جوار ربه في عام ١٢٤٢ من الهجرة النبوية ، فقام بعده تلميذه الأجلُّ السيد كاظم الرشتي وسعى في نشر تعليمات الشيخ ، واقتفى أثره وروّج مذهبه إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى في سنة ١٢٥٨ من الهجرة المقدسة ، والفرقة الشيخية معروفة في بلاد العراق ومنها انتشر مذهبهم الى فارس وخراسان وسائر ممالك ايران ، وليس في الإيقان إشارة ما إلى أنهما كانا من الأنبياء

---

(١) مقدمة نقطة الكاف ، براون ، ص (يح) ــ « البابية » لظهير ص ١٥٤ .

(٢) « دائرة المعارف الإسلامية » ، مادة أحسائي ــ « العقيدة والشريعة » ، لجولد تسيهر ، ص ١٠٣ ــ « البابية » ، لإحسان الهي ظهير ، ص ١٥٥ .

(٣) البابية لظهير ، ص ١٥٥ .

وغاية ماوصفهما به فيه عبر عنهما بالنورين النيِّرين ، وليست في هذا الوصف إشارة إلى رتبة النبوة أو الوصاية ، وهذان المقامان غاية ماتطير إليه أفئدة أهل العرفان من علماء الاسلام الذين ينبغي لهم أن تكون أنظارهم أرق من أنظار سائر الأنام ومنظرهم أعلى من مناظر جميع الأقوام »[1] .

(١) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ٣٣٦ .

الفصل الثالث

كاظم الرشتي والكشفية

أما كاظم الرشتي ، الذي سميت حركته بالكشفية[1] ، فمنهم من قال أنه وُلِدَ في رشت من بلاد ايران سنة ١٢٠٥ للهجرة (١٧٩٠ م) ، ومنهم من قال أن أصله غير معلوم ، ولايَعرِف أهل رشت عنه شيئاً ، بل كان قسيساً كأستاذه الأحسائي (البصرة تستأصل الشيخية ، ص ٧) . ويقول الشيخ الخالصي[2] : « وهذا رجل سمى نفسه : « السيد كاظم » ، ولأمرٍ ما انتحل هذه الصفة حيث لم يكن في الواقع شيئاً ، وإنما انتحل ذلك تمويهاً على الناس ليصل إلى هدفه ، وبالاضافة إلى ذلك إنه : لم يُعرف مولدُه ومنشؤه ومات في كربلاء بعد أن أرسل إلى ايران »[3] .

ولما بلغ كاظم الرشتي السادسة والعشرين من عمره ذهب إلى طهران لملاقاة الشيخ أحمد الأحسائي ، ثم رافقه إلى كربلاء وتتلمذ عليه .

وعلى طريقة أستاذه الأحسائي ادعى الرشتي أنه لما كان في طريقه إلى الكاظمية جاءَه راعٍ للغنم فأبلغه مايأتي : « منذ ثلاثة أيام كنت أرعى غنمي في المرعى المجاور إذ أخذتني سِنَةٌ من النوم فرأيت محمداً رسول الله يقول لي هذه الكلمات : اسمع أيها الراعي كلماتي ، واحفظها في قلبك لأنها وديعة الله أؤديها اليك لتحفظها ، وإذا وفيت بالأمانة يكون أمرك عظيماً ، واذا أهملتها يحل بك عقاب شديد ، واسمع فهذه هي الوديعة التي أعطيها لك : أمكث قريبا من مسجد براثه ، وفي اليوم الثالث من هذه الرؤيا سيحضر

---

(١) يبدو أن المقصود بالكشفية هو المعرفة عن طريق الكشف والتأمل الباطني ، أو معرفة الله تعالى بالذات عن هذه الطريق .

(٢) محمد مهدي الخالصي ، مؤلف كتاب « البصرة تستأصل الشيخية » .

(٣) « الشيخية والبابية » ، ص ٣٨ ــ حقيقة البابية والبهائية ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٥١ ، الهامش .

أحد ذريتي وهو السيد كاظم مصحوباً بأصحابه ، ويقفون ساعة الظهر تحت هذه النخلة بقرب الجامع ، وبمجرد أن تراه اهد له تحياتي وقل له عني : أخرج لأن ساعة فراقك قد جاءت . فبعد الفراغ من زيارتك في الكاظمية ورجوعك إلى كربلاء فهنالك بعد ثلاثة أيام – أي في يوم عرفه – تطير الي ، ولايمضي زمن كبير حتى يظهر من هو الحق ويضيءالأرض بأنوار وجهه »[1] .

لم تَنْطَلِ مثل هذه الاحابيل على كثيرٍ من تلامذته وأتباعه ، حتى أنه جوبهَ مرةً من قبلهم فقالوا له : إننا تحملنا تعاليم الشيخ الأحسائي الادعائية مدة أربعين سنة بدون أي معارضة من جانبنا ، والآن يدعي السيد مثل ادعائه ، فلايمكننا والحالة هذه تحملها والسماح بنشرها »[2] .

ولم يكتف الرشتي بالتبشير بقرب ظهور المهدي ، وإنما عيَّن شخصاً لهم بصورة تكاد تكون صريحة . وذلك بتعيين صفاته وشمائله وأخلاقه وإيهام القوم بأنه جالس في مجلسه بينهم ، ولايُرسَل إلا بعد موته ، فكان يقول : « **ان الموعود يعيش بين هؤلاء القوم ، وإن ميعاد ظهوره قد قرب ، فهيئوا الطريق إليه ، وطهِّروا أنفسكم حتى تروا جماله ، ولايظهر لكم جماله إلا بعد أن أفارق هذا العالم . فعليكم بعد فراقي أن تقوموا على طلبه ، ولاتستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه** »[3] .

وكان الرشتي يوجه تلميذه الميرزا علي محمد (الذي أصبح فيا بعد « الباب ») ، وهو جالس في مجلســه ، وكان يريد بذلك إسماع الآخرين ، بقوله : « إن الشريعة وأصول الآداب هي غذاء الروح ، لذلك يجب أن تكون الشرائع متنوعة وعلى ذلك يجب نسخ الشرائع العتيقة »[4] .

وقد نقل المؤرخ البابي المرزه جاني الكاشاني : أن السيد كاظم الرشتي كان كثيرا مايشير بالكناية والتلويح إلى أن المهدي هو المرزه علي محمد الشيرازي ، وكان يردِّد الأبيات الآتية ، واصفاً عمره الصغير بالعربية :

---

(١) مطالع الأنوار ، ص ٣٣ و ٣٤ – حقيقة البابية والبهائية ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٥٢ .

(٢) مطالع الأنوار ، ص ٣٣ – حقيقة البابية والبهائية ، ص ٥٢ .

(٣) مطالع الأنوار ، ص ٥٣ – حقيقة البابية والبهائية ، ص ٥٣ .

(٤) مطالع الأنوار ، ص ٣٠ ، ١٣١ – حقيقة البابية والبهائية ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٥٣ .

ياصغير السن ، يارطب البدن ياقريب العهد من شرب اللبن

ويقول : إن المرزه علي محمد كان جالسا عنده يوما ، وكانت أشعة الشمس تدخل الغرفة من جهته فقال : إن وليّ الأمر طالعٌ مثل هذه الشمس المنيرة التي تنير الغرفة من هذا الباب ، وأشار اليه ، ففهم الحضار أن المقصود كان المرزه علي محمد[١] .

وذكر الكاشاني وغيره أيضا : « أن الرشتي مع شيخوخته وكبر سنه ومقامه كان يكرم الشيرازي الشاب ويجله الى أن كان يحير الآخرين ، ويجعلهم في ريبة وشك ، وأكثر من ذلك كان يومىء اليهم بأنه لايليق بهذه الاحترامات إلاّ شخصٌ يكون هو الموعود »[٢] .

ولقد ذكر المؤرخون مع إنكار البهائيين : « ان الغلام الشيرازي لازم الرشتي وتتلمذ عليه سنتين كاملتين »[٣] .

وقد كتب كاتب بهائي : « إنه (أي الباب الشيرازي) ارتحل بعد تأهُّلِه بسنة إلى كربلاء ، وكان يحضر دروس الرشتي ويصغي الى المباحث والدروس »[٤] .

توفي الرشتي عام ١٢٥٩ هجري (١٨٤٣ م) في كربلاء ودفن فيها[٥] .

« ولما مات الرشتي وتفرق أصحابه وتلامذته ، واعتكفَ بعض الآخرين في مسجد الكوفة ، وانقطعوا إلى الرياضة المعروفة بالأربعينية ، ينادون فيها بأعلى الصوت أن يُعَجِّلَ الله فرج ذلك الموعود ويبكون ويصيحون »[٦] .

و « فريق أخذ يجوب الفيافي والأقطار ويَرِدُ الأقاليم والأمصار والبوادي والقفار بحثاً عن المنتظر »[٧] .

---

(١) « نقطة الكاف » ص ١٠٣ و ١٠٤ ، ط فارسي ، تحقيق براون — البابية ، لظهير ص ٥٣ .
(٢) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ص٢٧ فارسي — ظهير ، ص ٥٤ .
(٣) « دائرة المعارف الأردية » ص ٧٨٤ ، ج ٣ — « البابية » لظهير ص ، ٥٤ .
(٤) « الرسالة التسع عشرية » ص ٢٩ — « البابية » لظهير ، ص ٥٤ .
(٥) البابيون والبهائيون ، عبد الرزاق الحسني ، ص ١٠ .
(٦) « الكواكب الدرية » ص ٣٨ ، ط فارسي — « البابية » لظهير ، ص ٥٥ .
(٧) « الكواكب الدرية » ، ص ٣٨ ، ط فارسي و ص ٨٠ ط عربي — « البابية » ، لظهير ، ص٥٥ .

و « كانوا دائمًا مشغولين بالبحث المتتالي عن شخص عظيم فريد أمين دَعَوهُ في اصطلاحهم « بالركن الرابع » . و « بمركز سنوحات حقائق الدين المبين »[1] .

يقول كاتب بهائي مجهول : « وذوو المراتب والحيثيات ، وأصحاب المنابر والمحاريب من العلماء المجتهدين والفقهاء المعتبرين ، تحالفوا وتعاهدوا على اطفاء دعوته باستئصال جرثومته عدا زمرة من علماء طائفة الشيخية الذين اعتزلوا الخلق واعتكفوا ، وكانوا حسب مسلكهم دائمًا مشغولين بالبحث المتتالي عن شخص عظيم فريد أمين دعوه في اصطلاحهم « الركن الرابع وبمركز سنوحات الدين المبين » . ومن أولئك ملا حسين البشروئي ، وميرزا أحمد الأزغندي ، وملا صادق المقدس ، والشيخ أبو تراب الاستشهاردي ، وملا يوسف الأردبيلي ، وملا جليل الأرومي ، وملاّ مهدي الكندي ، والشيخ سعيد الهندي ، وملاّ علي البسطامي »[2] .

وعقب وفاة الرشتي اتبع الشيخية ، بمن فيهم تلامذة الرشتي ، الغلام الشيرازي (علي محمد ، المسمى فيا بعد « الباب ») ، فقد ذكر بروكلمان أنه بعد وفاة رئيس مذهب الشيخية ، كاظم الرشتي ، انتخب رجال المذهب الباب خليفة له[3] ولم ينازعه في دعواه من الشيخية البارزين الا الحاج كريم خان ابن ابراهيم خان الكرماني ، ابن عم الملك فتح علي شاه القاجاري وحاكم ولاية كرمان . وكان كريم خان أيضا من تلامذة الرشتي الكبار ، فلم يعترف بزعامة الشيرازي ، بل وبعكس ذلك نازعه رئاسة الشيخية وادعى لنفسه النيابة الخاصة للامام الغائب بعد وفاة الرشتي ، وكتب الردود العنيفة على الشيرازي وعلى دعواه البابية والمهدوية مع اقراره واعترافه بأن المهدي سيولد من جديد ، ولكن لايكون هو الشيرازي ، ومن بين كتبه التي ألفها ردا على الشيرازي كتابه المعروف « ازهاق الباطل » و « فصل الخطاب » و « رسالة در رد باب مرتاب » بالفارسية ، فالتفت حوله الأقلية من الشيخية ، وعرفوا بعد ذلك « كريمخانية » ، وتولى زعامتهم بعد كريم خان عام ١٢٨٨ هجري ابنه محمد خان ، المتوفى عام ١٣٢٤

(١) « مقالة سائح » لعبد البهاء ، ص ٤ ـ « البابية » لظهير ص ٥٥ .
(٢) « مقالة سائح » ص ٥ ـ « حقيقة البابية والبهائية » ، لمحسن عبد الحميد ص ٦١ .
(٣) « تاريخ الشعوب الإسلامية » ، لبروكلمان ، ص ٦٦٥ .

هجري ، وبعده ابنه زين العابدين خان ، المتوفى عام ١٣٦٠ هجري ، وبعده أبو القاسم خان[1] .

وفي تبريز ، لما رأى « المرزه شفيع » أن الشيخية أكثرهم اعتنقوا البابية ، وبعضهم مال إلى « كريمخان » ادعى هو الثالث « النيابة الخاصة للامام » ورياسة الشيخية بصفته تلميذاً للرشتي أيضاً ، فذهبت إليه جماعة من شيخية تبريز خاصة والتفُّوا حوله ، وكانت تبريز مليئة من الشيخية يومذاك ، فتفرق فيها الشيخية على ثلاث طوائف ، طائفة كبيرة ذهبت إلى ما ذهب اليه الأكثرون من اعتناقهم البابية ، وطائفة التفت حول « المرزه شفيع » ، وشرذمة قليلة أطاعوا كريمخان ، ولم يُغيِّر أتباع « المرزه شفيع » اسمهم فسمُّوا الشيخية . ولما توفي شفيع عام ١٣١٩ هجري خلفه ابنه المرزه علي[2] .

(١) « دائرة المعارف الأرديه » ، ص ٨٨ ج ١٠ — « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ص ٥٩ .

(٢) « البابية » ، احسان الهي ظهير ، ص ٥٩ .

الباب الثالث

البابية



الفصل الأول

البـــــاب

١ ـ نشأتــه :

هو علي محمد الشيرازي ، ولد في شيراز في أول المحرم سنة ١٢٣٥ هجري ـ ١٨١٩/١٠/٢٠ م ، بحسب أرجح الأقوال ، وقد اعتمد الكُتّاب البهائيون هذا التاريخ[١] ، وقال آخرون أنه ولد في ١٨٢١/٣/٢٦ م[٢] أو في حوالي سنة ١٨٢٤ م[٣] ، أو أول المحرم سنة ١٣٢٦ هجري ـ ٨/١٠/ ١٨٢٠ م[٤] .

ويدعي البهائيون أن الشيرازي ينتمي إلى أهل بيت النبي محمد عليه السلام ، بينما يرى إحسان إلهي ظهير غير ذلك في كتابه « البابية » ويستدل على رأيه هذا بأن الكُتّاب والمؤرخين ، وحتى البابيين والبهائيين أنفسهم ، يلقبون الشيرازي بلقب « الميرزه » في كتاباتهم ، مثل أسلمنت[٥] ، وعبد الحسين آواره[٦] وغيرهم . وهكذا الكونت جوبينو الفرنساوي ، الذي اشتهر بولائه للباب والبابية ، فإنه لايسميه إلاّ

(١) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، للدكتور جون أسلمنت ، ص ١٦ ـ « عبد البهاء والبهائية » ، لسليم قبعين ، ص ٨ ـ « مقالة سائح » ، ص ٢٤٩ ، ط براون ـ « الكواكب الدرية » ص ٢٧ ، ط فارسي ـ « دائرة المعارف الاسلامية » ، ط طهران ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .

(٢) « تاريخ الشعوب الاسلامية » ، لبروكلمان ، ط عربي ، ج ٣ ، ص ٦٦٥ .

(٣) « دائرة المعارف » ، وجدي ، ج ٢ ، ص ٥ ، مادة « باب » .

(٤) « دائرة المعارف الأردية » ، ج ٣ ، ص ٧٨٤ .

(٥) في كتابه « بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٢١ ، ط مُصر .

(٦) في كتابه « الكواكب الدرية » ، ص ٢٧ .

« الميرزه »[1] ، وكذلك بروفسور براون ، المستشرق الانكليزي وراويتهم في الغرب ، فإنه يستعمل له لقب « الميرزه » لاغير[2] ، مع أن من المعروف في إيران وبلاد العجم كلها أن لايطلق على من ينتسب إلى أهل بيت النبوة لفظة « الميرزه » أو غيرها ، وإنما يطلق عليه لقب « السيد » لاغير[3] .

وقد لوحظ أن أبا الفضل الكلبايكاني ، وهو أحد أكبر الدعاة البهائيين ، لقّب « الباب » بميرزا علي محمد ، ولقّب والدَه بميرزا محمد رضا[4] .

وكان والده بقّالا[5] أما والدته ، فهي « فاطمة بكم »[6] .

وبعد قليل من ميلاد علي محمد (الباب) توفي والده محمد رضا ، فكفله خاله المرزه « علي » أحد التجار في شيراز . ولما بلغ السادسة من عمره عهد به خاله إلى الشيخ « عابد » ، أحد تلامذة كاظم الرشتي ، وكان المعلم يسمي مدرسته « قهوة الأنبياء والأولياء »[7] .

ويظهر من كلام الشيرازي أنه كان له معلّم ثان ، يسمى « محمد » ، الذي قال عنه في كتابه « البيان » العربي : « يامحمد فلاتضربني قبل أن يمضي عليَّ خمس سنة ولو بطرف عين ، فان قلبي رقيق رقيق ، وبعد ذلك أدّبني ولاتُخرجني عن حدٍّ وقرى وإذا أردت ضرباً فلاتتجاوز عن الخمس ولاتضرب على اللحم إلا وان تحل بينهما سترا فإن تعديت تحرم عليك زوجك تسعة عشر يوما وان تنسى ، وإن لم يكن لك من قرين فلتنفق بما ضربته تسعة عشر مثقالا من ذهب إن أردت أن تكون من المؤمنين ، ولاتضرب إلاّ خفيفاً خفيفا ، وليستقرن الصبايا على سرائر أو عرش أو كرسي فان ذلك لم يحسب من عمرهم ولتأذنن لهم بما هم يفرحون ، ولتعلمنني خط الشكستة فان ذلك

(١) في كتابه « الديانات والفلاسفة في أسيا الوسطى » ، ط باريس ١٨٦٦ م .
(٢) في كتابه « مقدمة نقطة الكاف » ، وكتابه « تاريخ جديد » .
(٣) « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٤٩ .
(٤) من مقاله في كتاب « عبد البهاء والبهائية » ، لسليم قبعين .
(٥) « خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى » ، فيليب حتي ، ج ٢ ، ص ٨٧ .
(٦) « بكم » ، تأنيث بك .
(٧) « الكواكب الدرية » ، ص ٣٠ و ٣١ – « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ص ٥٠ .

مايحبه الله وجعله باب نفسه للخطوط لعلكم تكتبون على شأن تذهبن به قلوبكم من سكره ويجعلنكم ماء لمن نظهره إذا ينظر اليه أعينكم يجذبكم مثل ماكنا كاتبين ، ولقد أقرنتك بمن يرث لئلا تحزن عرش ربك في صغره وكل به لايحزنون ، قل لو شهدت لأقطع عنك ماوهبتك من ملكي أنا ياعبادي فاتقون »[1] .

كان الشيرازي عزوفا عن الدرس ، غير راغب في التهذيب والتثقيف ، إلا أنه أطاع رغبة خاله ، وتعلم شيئاً قليلاً من العربية ومن النحو الفارسي ، وقد برع في الخط براعة مدهشة ، فكان أعجوبة أيامه في حسن الخط وسرعة الكتابة[2] .

عقب ذلك ألحقه خاله بمتجره في شيراز ، وبعد كساد التجارة في شيراز رحل الى بوشهر وافتتح متجراً هناك للأقمشة في « سراي الحاج عبد الله » ، فتدرب على التجارة ، وتفنن في المبايعة مع خاله الثاني المرزه محمد ، وحين بلغ السابعة عشرة من عمره اتصل به السيد جواد الكربلائي الطباطبائي ، وهو أحد أشياع المذهب الشيخي وأحد تلامذة رئيسه وقتئذ الشيخ كاظم الرشتي ، وبدأ يلقي في مسامع الفتى أفكار الشيخية عن الغائب المنتظر والموعود المزعوم ، ويوهمه بأنه يظهر من سياه ومحيّاه أنه هو ذلك الموعود الذي أخبر بقرب ظهوره الرشتي ومن قبله الشيخ أحمد الأحسائي مؤسس الشيخية[3] .

عزف الفتى عن التجارة وأقبل على كتب الشيخية والمتصوفة ، وأكبَّ على كتب الحروفيين ، التي تبحث عن العلاقة بين الأحرف والأرقام وتأثيراتهما المتبادلة ، وكذلك على كتب التنجيم والكواكب ، وبدأ مع نفر من أصحابه يزاول الرياضات البدنية والنفسية الشاقة ، المعروفة لديهم بالأربعينية ، « وأحياناً كان يقف في حر الظهيرة المحرقة تحت أشعة الشمس على سطح البيت عاري الرأس مكشوف البدن ، مُستقبلا قرصها ، متحملا حرارتها ساعات وساعات ، حتى كان يعتريه الذهول والوجوم ، وقد تأثر عقله »[4] .

---

(١) الباب الحادي عشر من الواحد السادس من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٣٠ .

(٢) « مطالع الأنوار » ، للزرندي البهائي ، ص ٥٩ ــ « مقدمة نقطة الكاف » ، لبروفسور براون ، ص (عب) ط ليدن ــ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٥٠ .

(٣) « الكواكب الدرية » ، ص ٢٤ ــ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٥١ .

(٤) « مطالع الأنوار » ، ط انكليزي ، ص ٧٧ ــ « دائرة المعارف الاسلامية » ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ ــ =

بقي جواد الكربلائي الطباطبائي في بيت علي محمد الشيرازي ستة أشهر يُحرضه على تلك الخرافات ، ويُهيّج أشواقه إلى هذه الرياضات ، ويوسوس إليه بضرورة اللقاء بكاظم الرشتي في كربلاء لإكمال هذه الفنون على يده ، فازداد انهماك الفتى في هذه الأعمال واعتزل التجارة . ولما رآى خاله هذه الأحوال أرسله إلى النجف وكربلاء للاستشفاء وزيارة المشاهد ، وكان من وراء ذلك الطلب التسلية من وفاة ابنه أيضا ، الذي مات بعد ولادته بسنة عام ١٢٥٩ هجري ، من زوجته « خديجه بكم » ، أخت المرزه حسن التي تزوجها في شيراز[1] .

أثرت هذه الحادثة المريرة في عقله ، بعد ما اختل من الرياضات الشاقة والمتاعب التي أوردها على نفسه ، وزاد الطين بلّةً أن كتب الصوفيين والحروفيين والشعبذة والتسخير أبدت نتائجها في جوٍ مليءٍ مكدر من أفكار الأحسائي والرشتي ، فبدأ يظن من كثرة الأوراد والأذكار والوظائف ولعبة الحروف والاختلال العقلي والصدمات الذهنية أنه يفوق الآخرين ، وإضافة إلى ذلك حسن منظره وجمال صورته ووسامة وجهه . ولما وصل كربلاء واستقر فيها كان من الطبيعي أن يزور مدرسة « ترجمان الحكماء المتألهين ، ولسان العرفاء والمتكلمين ، العالم بأسرار المعاني والمباني الشيخ الأحسائي »[2] ، التي أصبح يرئسها وقتئذ تلميذه الأكبر السيد كاظم الرشتي ، فبدأ يرتاد مجلس الرشتي ، ويدرس أفكاره وآراء الشيخية ، فوجدها ملائمة لهواه وللتلبيسات التي ألقاها ولقنها إياه جواد الطباطبائي ، ومن قبله المعلم عابد ، وأسرته التي كانت تعتنق الشيخية[3] .

كان الرشتي يبشر أتباعه ومريديه وتلاميذه باقتراب أوان ظهور المهدي ، ودنو قيام القائم المنتظر[4] .

= « ناسخ التواريخ » و « روضات الجنات » ، تحت ذكر الباب الشيرازي ، ط فارسي ـ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٥١ .

(١) « الكواكب الدرية » ، ص ٣٩ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٥٢ .

(٢) « روضات الجنات » ، ص ٢٧ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٥٢ .

(٣) « البابية » ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٤) « الكواكب الدرية » ، ص ٢٤ ، ط فارسي ، ص ٤٥ ط عربي ـ « البابية » المرجع السابق ، ص٥٢ .

وقد نقل المرزه جاني الكاشاني ، وهو أقدم المؤرخين البابيين ، وأوثقهم عندهم ، وقد قتل ببابيته ، نقل في كتابه : « ان السيد كاظم الرشتي كان كثيراً مايشير بالكناية والتلويح إلى أن المهدي هو المرزه علي محمد الشيرازي ، وكان يردِّد البيت الآتي بالعربية واصفا عمره الصغير :

ياصغير السن يارطب البدن ياقريب العهد من شرب اللبن

ويقول : إن المرزه علي محمد كان جالسا عنده يوما ، وكانت أشعة الشمس تدخل الغرفة من جهته فقال : ان ولي الأمر طالع مثل هذه الشمس المنيرة التي تنير الغرفة من هذا الباب ، وأشار اليه ، ففهم الحُضّار أن المقصود كان المرزه علي محمد[1] .

وذكر الكاشاني وغيره أيضا : « إن الرشتي مع شيخوخته وكبر سنه ومقامه كان يكرم الشيرازي الشاب ويجله الى أن كان يحير الآخرين ويجعلهم في ريبة وشك ، وأكثر من ذلك كان يومىء اليهم بأنه لايليق بهذه الاحترامات إلاّ شخص يكون هو الموعود »[2] .

ولقد ذكر المؤرخون ، مع انكار البهائيين : « أن الغلام الشيرازي لازم الرشتي وتتلمذ عليه سنتين كاملتين »[3] .

وقد كتب كاتب بهائي : انه (أي الشيرازي) ارتحل بعد تأَهُّلِهِ بسنة إلى كربلاء ، وكان يحضر دروس الرشتي ويصغي إلى المباحث والدروس[4] .

تقول الرواية البهائية : « بعد موت السيد كاظم الرشتي (١٢٥٩هـ) أقامت قرة العين[5] في كربلاء وخلفته في حلقته في انتظار القائم . وتفرق سائر الطلاب في أنحاء البلاد يلتمسون ظهور الغائب ويهيئون للظهور ، عملا بوصية شيخهم الرشتي ، التي

---

(١) « نقطة الكاف » ، ص ١٠٣ و ١٠٤ ، ط فارسي .

(٢) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ، ص ٢٧ ، ط فارسي ـ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٥٣ .

(٣) « دائرة المعارف الأردية » ، ج٣ ، ص ٧٨٤ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٥٤ .

(٤) « الرسالة التسع عشرية » ، ص ٢٩ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٥٤ .

(٥) احدى تلامذة الرشتي ، واحدى دعاة البابية .

دونها مؤرخهم « ميرزه جاني الكاشاني » في كتابه « نقطة الكاف » :

« إن الموعود يعيش بين هؤلاء القوم وإن ميعاد ظهوره قد قرب فهيئوا الطريق اليه وطهروا أنفسكم حتى تروا جماله . ولايظهر لكم جماله إلا بعد أن أفارق هذا العالم ، فعليكم بعد فراقي أن تقوموا على طلبه ولاتستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه » .

وخرج الشيرازي من كربلاء الى بوشهر ، وقد اختلفت الروايات في المدة التي أقامها « الباب » في العراق ، فالبابيون يقولون انها فوق الأربعة ودون الخمسة من الأشهر ، وسائر المؤرخين يزعمون انها تجاوزت أربع سنوات بستة أشهر(١) .

وقال أحد البهائيين أن « الباب » عاد من كربلاء والنجف إلى وطنه بعد مكوث ستة أشهر هناك (٢) .

وفي بوشهر خطب الشيرازي ووعظ ورتل الأنشاد وعقد مجالس الذكر . ثم مضى إلى شيراز تزفه مبشرات ورؤى . ومالبث الملا حسين البشروئي أن لحق به . فلما كانت الليلة الخامسة من جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ هجري – ١٨٤٤/٣/٢٣ م(٣) أعلن الشيرازي لصاحبه البشروئي أنه تلقى الأمر الالهي بأنه « الباب الموصل الى الامام الغائب المنتظر » و آمن البشروئي به فاستحق لقب باب الباب ، وتعهد بأن يتصل بالأصحاب من تلاميذ الرشتي ، ليطلعهم سراً على ظهور القائم ، ريثما يسعى الباب إلى الحجاز ، فيعلن من الحرمين الشريفين عن ظهوره ، بعد ألف سنة من غياب الامام الثاني عشر المستور . وقال للبشروئي :

« يامن هو أول من آمن بي حقا ، **أنني أنا باب الله وأنت باب الباب** ، ولابد أن يؤمن بي ثمانية عشر نفسا من تلقاء أنفسهم ، ويعترفون برسالتي وسينشدونني كل منهم

(١) البابيون والبهائيون ، عبد الرزاق الحسني، ص ١٣ .

(٢) « نبذة عن الدين البهائي » ، لعزيز الله سليمان أردكاني ، ص ٥ .

(٣) بحسب ماجاء في كتاب « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٥٦ – أما الدكتور جون أسلمنت فحدد هذا الموعد في كتابه « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » بأنه : « في ساعتين وخمسة عشر دقيقة بعد الغروب ليلية الخامس من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ هجرية ، الموافق ليوم ٢٣ مايو (أيار) سنة ١٨٤٤ ميلادية » . وهم يحتفلون في هذه المناسبة سنويا على أنها عيد بعثة الباب .

على انفراد بدون أن يدعوهم أحد وينبههم اليها . وواصل الانقطاع في مسجد ايلخاني وواظب على الدرس فيه واحذر أن تُظهر مكنون هذا السر إلى وقت مفارقتي للحجاز وسأعيِّن لكل من الثمانية عشر نفسا رسالته ومهمته . وسأعرِّفهم كيفية تبليغ كلمة الله وإحياء النفوس .. أما أنا فسأسافر إلى الحج مع القدوس ـ البارفروشي ـ ومع الخادم الحبشي . وسأرافق ركب الحج من فارس ، الذي سيسافر قريباً . وسأزور مكة والمدينة وهناك أُتمِّم المأمورية التي أمرني الله بها[1] .

وسافر الملا حسين الى أصفهان ، فكاشان ، فقُم ، فطهران فخراسان ، للقيام بالدعوة . كما سافر الملا علي البسطامي إلى كربلاء والنجف . أما زملاؤهما « بقية حروف حي » فهم سافروا إلى أنحاء ايران المختلفة ، « وفي وقت توديع الباب لحروف حي أمرهم فرداً فرداً أن يدوِّنوا في قائمة اسم كل مؤمن اعتنق الأمر ، وسار حسب تعاليمه ، وأن يضع كل منهم قائمته في خطابات مغلوقة مختومة ويرسلوها إلى خاله حاجي مرزا سيد علي في شيراز ليبعث بها اليه ، وقال لهم : سوف أُبوِّبُ هذه الأسماء إلى ثمانية عشر باب وأجعل كل باب يحتوي على أسماء تسعة عشر شخص ، فيكون كل باب في مجموعه واحداً (يقصد العدد ١٩) ، فإذا أضيفت هذه الأسماء في أبوابها الثمانية عشر إلى الواحد الأول الذي تكون من اسمي وأسماء الحروف الثمانية عشر ، التي هي حروف حي فانها تكون عدد كل شيء ، وسأذكر أسماء جميع المؤمنين في لوح الله حتى أن محبوب قلوبنا يُنزل عليهم بركاته التي لاتحصى في اليوم الذي يستقر فيه على عرش مجده ويعدهم من سكان جنته (مطالع الأنوار ، ص ٩٧) وأكد الباب على « بابه » الملا حسين البشرويِّ أن يبعث اليه بتقرير مفصل عن نتائج أعماله في أصفهان ، وطهران ، وخراسان ، قائلا له : اني لن أبارح هذه البلاد للحج حتى يصلني خطابك ، فلما تسلم « الباب » التقرير المطلوب في السادس والعشرين من رمضان ١٢٦٠ هـ (٩ تشرين الأول ١٨٤٤ م) ، قرر السفر إلى مكة في الشهر التالي تواً »[2] .

ويقول بهاء الله في كتابه « الأقدس » : « ياقوم اعلموا أنا اصطفينا أم النقطة

---

(١) من « مطالع الأنوار » للزرندي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٧٢ ـ « تاريخ بيل » ، ص ٥٠ ـ « البابيون والبهائيون » عبد الرزاق الحسني ، ص ١٢ و ١٣ .

(٢) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم ، عبد الرزاق الحسني ، ص ١٢ و ١٣ .

الأولى (أم الباب) وانها قد كانت من خيرة الإماء لدى العرش مذكورا وحرم إطلاق هذا الإسم على غيرها كذلك رقم من القلم الأعلى في لوح القضاء الذي كان في كنائز عصمة ربك محفوظا وانها لخير النساء وبعدها تطلق على ضلع النقطة (أي زوجة الباب) التي ماخرجت عن حصن العصمة ومامستها أيدي الخائنين وكذلك كان الأمر مقضيا » .

ذكر المؤرخ البهائي آواره « أن المرزه علي محمد كتب من بوشهر إلى خاله في شيراز عن أمور التجارة ومايتعلق بها ، وأخيراً بعد توصيته في حق أمه ، كتب : **أعلِموا الطلاب أن الأمر لم يصل إلى حد البلوغ بعد ولم يأت زمانه ، فلذلك أكون أنا وأجدادي الطاهرين غير راضين في الدنيا والآخرة عمن ينسب إليَّ غير ما أنا عليه من اتّباع الفروع والمعتقدات الاسلامية »**[1] .

ويقول عبد البهاء في كتاب الأسئلة والأجوبة يصف الباب : « إن هذه النفس المجيدة قامت بقوة زلزلت أركان الشريعة والأخلاق والآداب والأحوال والعادات والرسوم في فارس وأسست أحكاماً جديدةً وقوانين جديدة وديناً جديداً . ومع أن أرباب الدولة وأغلبية العلماء والشعب قاموا جميعاً على تحطيم هذه النفس وإفنائها ، فإنها قاومتهم جميعا بمفردها ، وهزت كل بلاد فارس »[2] .

وقد نشرت صورة للباب في كتاب عبد الرزاق الحسني « البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم » (ص ٨ و ٩) .

٢ ـ حج الباب أو اختفاؤه :

أعد الباب العدة للسفر الى الحج لكنه تخلف عنه واختفى في بوشهر حتى انتهى الموسم ، وفيها ألّف « رسالة بين الحرمين » ، وقال انها « قد نزلت على الأرض المقدسة بين الحرمين من لدن عليٍّ حميد » ، وذكر فيها أنه حجَّ وجهر بين الركن والمقام بجنب الكعبة بقوله : « أيها الناس أنا القائم الذي كنتم له تنتظرون »[3] ثم عاد إلى شيراز

(١) « الكواكب الدرية » ص ٣٦ ، ط فارسي ، و ص ٤٦ ط عربي .

(٢) « دع الشمس تشرق » ، وليم سيرز ، ص ١٧٨ .

(٣) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ـ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ١٧٧ ـ « قراءة في وثائق البهائية » ، عائشة عبد الرحمن ، ص ٣٨ .

منتسبا إلى البيت النبوي ، كما ينبغي للامام القائم أن يكون .

أما البهائيون فيقولون أن « الباب » بعد أن أرسل تلاميذه الثمانية عشر الأولين ، الذين عُرفوا بـ « حروف حي »[١] إلى جهات مختلفة من ايران وتركستان لنشر خبر ظهوره ، سافر بنفسه في نفس الوقت للحج إلى مكة فوصلها في ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٨٤٤ ، وفيها أعلن بعثته جهاراً[٢] .

يقول أبو الفضل : « **وأما النقطة الأولى والمثال الأعلى** (**يقصد الباب**) **المبشر بجمال ربنا الأبهى جلَّ ذكره وعز اسمه** (يقصد بهاء الله) ، فقام بالأمر وهو ابن خمس وعشرين سنة ... فلما قام حضرته بإذن ربه الأبهى وصدع بالأمر في مكة المكرمة في تلك الجمعية الكبرى ونادى نداءً ارتجفت له أقطار الدنيا وتزلزلت به أركان هذه الغبراء رجع إلى مدينة بو شهر على خليج فارس بوجه بهيٍّ مشرقٍ لامعٍ كالقمر في وسط السماء ... »[٣] .

يقول أبو الفضل كذلك : « ولما أتى موسم الحج توجه (الباب) الى مكة . وبعد فراغه من أعمال الحج اعلن دعوته في المجمع الكبير فاشتهر اسمه وذاعت دعوته وعلا صيته ورجع إلى ايران ونزل في مدينة بوشهر على خليج العجم فقبض عليه والي فارس الملقب بنظام الدولة وبقي محبوسا في مدينة شيراز عدة شهور »[٤] .

وينكر بعض المؤرخين سفر الباب الى الحج ، ومنهم السيد عبد الرزاق الحسني ، الذي يقول[٥] : « ان الباب بعد أن أعلن عزمه على السفر إلى الحجاز وأخذ يعد العدة لهذا الغرض مالبث أن ركب البحر في طريقه إلى جده ، ومعه القدوس وخادمه الحبشي ، ولكن السفينة التي كانت تقله في ميناء بوشهر ماكادت تتعرض لاشتداد النوء

---

(١) يقصد بحروف « حي » الرقم ١٩ ، بحسب حساب الجُمَّل ، وهو يمثل تلاميذ الباب الأوائل الثمانية عشر ، بالاضافة إلى الباب نفسه . وقد سمِّي هذا العدد « الواحدالأول » ـ أسلمنت ، المنتخبات ، ص ١٨ .

(٢) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، للدكتور جون أسلمنت ، ص ١٨ .

(٣) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ٢١١ .

(٤) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ٣١٧ .

(٥) في كتابه « البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم » ط ٢ ص ١٤ .

وهياج البحر حتى رست في هذا الميناء ، فعادت ذكريات الوطن إلى قلب الباب فأجل سفره إلى الحجاز ، وآثر المكوث في وطنه ، وتفقد أحوال معارفه وأحبته ، ولكنه لم يطل البقاء في هذا الميناء مدة حتى حن الى مسقط رأسه « شيراز » ، فقصد تلك المدينة التاريخية ، ونزل في دار خاله المرزه علي الشيرازي » .

ويضيف السيد الحسني إلى ذلك قوله : « وللدكتور مرزا محمد مهدي ، رئيس الحكماء الايراني ، رأي آخر في موضوع حج الباب ، وهو : وقيل ان الباب سافر إلى مكة حقيقة ولكنه هدأ هوسه هنا فلم يجرأ على إظهار دعوته ولا إشكال في هذه الرواية (مفتاح باب الأبواب ص ١٣٠) » .

أما السيد احسان الهي ظهير فيرى أنه ثبت قطعياً أن الباب لم يحجَّ ولم يصل إلى البلاد المقدسة ، لأنه لما رأى اضطراب البحر ، وخاف الغرق ، لم يركب الباخرة ، واختفى في بوشهر ، حتى انتهى موسم الحج ، ثم رجع منها مدعيا أنه أعلن دعوته هناك وجهر بين الركن والمقام جنب الكعبة : أيها الناس أنا القائم الذي كنتم به تنتظرون . ويؤيد السيد احسان الهي ظهير قوله هذا بأن الباب كان شديد الخوف إلى حد الوهم من الركوب في البحر ، حتى أنه منع أتباعه من ركوب البحر إلاَّ لأمَسٍّ الحاجة بقوله في بيانه العربي بلفظه : « ولاتركبنَّ الفلك إلا وأنتم على قدر رقدكم تملكون ، ولاتجادلنَّ فيه ، ولاتنازعنَّ ، وأنتم على منتهى الروح والريحان ، ببعضكم ببعض تسلكون ، كتب على الذين هم أولي الأمر في الفلك أن يقدّمون أنفسهم من فيه من الذين هم فيه راكبون ، حينما يضطربنَّ من في الفلك وأنتم حينئذ لاتتقدمون » (الباب الخامس عشر من الواحد الحادي عشر من البيان العربي) .

ويضيف السيد الهي ظهير الى أدلته أن الباب أسقط الحج عمن يسكن وراء البحر ، خشية البحر تصوراً على مامضى على فرعون وقومه ، فيقول (أي الباب) : « ورفع عن الذين هم وراء البحر ماقد كتب الله من سفر واجب ان هم سفر البر لايملكون »[1] .

ثم إن السيد الهي ظهير يُقَدِّمُ دليلا أكثر أهمية ، وهو أنه لم ينقل في كتاب من

---

(١) الباب الخامس عشر من الواحد الحادي عشر من البيان العربي .

الكتب التاريخية وغيرها أن أحداً في تلك السنوات أعلن مثل هذا الاعلان في الكعبة المشرفة ، وخاصة في موسم الحج ، الذي يأتي فيه الى البيت الحرام المسلمون من كل فج عميق[١] .

والواقع أنه لايستطيع عاقل يدرك ما للحج من قدسية في نفوس المسلمين أن يتصور إمكانية وقوف « الباب » في مكة وقت الحج وإعلان دعواه أمام الحجيج ، ثم يبقى محتفظا بحياته ولو لساعة واحدة . بل كيف يمكن لمن نسخ الشريعة الاسلامية وأبطل الحج إلى مكة ودعا إلى هدم كعبتها وشرع حجاً آخر إلى البيت الذي ولد هو فيه ، كيف له أن يذهب إلى مكة حاجّاً ليعلن دعواه أمام الحجيج ؟ ..

على أن الخلاف حول مدة غياب الباب في العراق ، ثم الخلاف حول سفره إلى الحج ، يفيد بكل تأكيد أن الباب اختفى عن الأنظار مدة من الزمن ، على غرار اختفاء بهاء الله بعد ذلك مدة سنتين ، وإن يكن بهاء الله قد أقر باختفائه هذه المدة في مكان مجهول ، كما سيتضح .

فهذا الاختفاء يدعم الاعتقاد بأن قوةً خفيةً كانت تقف وراء الباب والبهاء وتحركهما من وراء ستار .

وقد تكون رواية الحج مجرد إشاعة لتوفير الشرط اللازم عند البعض للمهدي .

٣ ــ ألقــاب البــاب :

يقول أبو الفضل في معنى لقب « الباب » : « تفنن المفسرون لاسم الباب على ماتوهمه رجما بالغيب ، كما يستفاد مما ذكرته الجرائد المصرية حديثا ، فبعضهم فسّره بباب العلم وبعضهم بباب السماء وبعضهم بباب الحقيقة ولكن المستفاد من كتبه « أنه هو القائم المبشّر بقرب نزول المنقذ المجيد ودخول العالم في دورٍ جديد » ولهذا اشتهر أتباعه بالبابية وذاع صيتهم بهذا اللقب في الممالك الاسلامية »[٢] .

وقد قال الباب مرة : « إنه لايريد بالباب باب الإمام ، بل القصد منه باب الله

(١) « البابية » ، احسان الهي ظهير ، ص ١٦٦ .

(٢) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ٣١٧ .

الذي يدخل منه الطالب ليصل إلى حضرة الخالق »[1] .

وقال مرة أخرى : « إنه الباب الموصل إلى الإمام الغائب والمهدي المنتظر »[2] .

وقال مرة : انه أراد من الباب ، باب العلم كما ورد في الحديث المشهور : « أنا مدينة العلم وعلي بابها »[3] .

وقال مرة : « المراد من الباب ، هو باب علم إلهي »[4] .

وقال : « إن المراد من الباب باب الصدق »[5].

وقال في بيانه العربي : « ان ذات الحروف السبع (يعني نفسه) باب الله لمن في ملكوت السموات والأرض ومابينهما »[6] .

وقال مرة : « إن مقصوده من كلمة الباب هو كونه باب مدينة أخرى »[7] .

وقال : « إنه القائم أي الرجل الذي سيقوم من آل الرسول في آخر الزمان »[8] .

ويقول البستاني في « دائرة المعارف » أنه : « بناء على قول مقتداه الشيخ أحمد (الأحسائي) في أمر المهدي ادعى ثانية أنه المهدي بعينه وأن ذلك الجسم اللطيف الروحاني قد ظهر في هذا الجسم الكثيف المادي »[9] .

وبعد ذلك تدرج إلى مقام آخر وادعى أنه هو « الذكر » المقصود في القرآن من

---

(١) « الديانات والفلاسفة في آسيا الوسطى » ، لكونت جوبينو الفرنساوي ، نقلا عن دائرة المعارف للوجدي ، ج ٢ ص ٦ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ١٦١ .

(٢) « تاريخ الشعوب الإسلامية » ، لبروكلمان ، ج ٣ ، ص ٦٦٥ ــ « الكواكب الدرية » ، لآواره ، ص ٩٠ ط عربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ١٥٩ و ١٦٠ .

(٣) روضات الصفا ، وناسخ التواريخ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ١٦١ .

(٤) الكواكب الدرية ، ص ٤٩ ، ط فارسي ــ البابية لظهير ، ص ١٦١ .

(٥) البابية لظهير ، ص ١٦١ .

(٦) البيان العربي ، الواحد الأول ــ البابية لظهير ، ص ١٦١ .

(٧) مقالة سائح ، ص ٦ ــ البيان الفارسي ، الواحد الأول ــ « البابية » ، لظهير ص ١٦١ .

(٨) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ، ص ٦٦٥ .

(٩) دائرة المعارف ج ٥ ص ٢٦ ــ البابية لظهير ، ص ١٦٨ .

قوله تعالى : ﴿ واسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ ، فقال : « أنا الذكر وقد حل في جسمي روح علي بن أبي طالب وان شمس الحقيقة لاتزال واحدة مع اختلاف الأسماء باختلاف الأيام وهذا معنى قوله : أنا صاحب الرجعات بعد الرجعات ، وأنا صاحب الكرات والمرات .. ورجعته أسهل وأقرب من لمح البصر وخاصة في أولاده وصلبه لأن الطينة واحدة بعضها من بعض »(١) .

ووصفه بهاء الله كذلك بعبارة « حضرة المبشّر » ، التي فسرها كتاب « الموجز في شرح المصطلحات » بعبارة : « هو حضرة الباب الذي بشّر بظهور حضرة بهاء الله » (الموجز ، ص ١١) .

ومن ألقاب الباب : « سيد الذكر – عبد الذكر – باب الله – النقطة الأولى – طلعة الأعلى – حضرة الأعلى – مظهر الرب الأعلى – نقطة البيان – السيد الباب »(٢) .

وقد وصفه بهاء الله بقوله : « سيد الإمكان »(٣) . و « سلطان ممالك العلم والفضل والعطاء »(٤) . و « سلطان الرسل وكتابه أم الكتاب »(٥) . و « العالم لما كان ومايكون »(٦) . و « محبوب العالمين ، ونور الله ، وسلسبيل الحيوان في أيام الرب »(٧) . القائم(٨) . الذكر(٩) . « حضرة الباب الرب الأعلى »(١٠) .

---

(١) « نقطة الكاف » ، للمرزه جاني الكاشاني ، ص ١٤٦ و ١٤٧ – « البابية » ، لظهير ، ص ١٦٩ .

(٢) البابيون والبهائيون ، عبد الرزاق الحسني ، ص ١٢ .

(٣) « كلمات فردوسية » ، لبهاء الله ص ١٧٣ ط فارسي – « البابية » ، ظهير ص ١٩٤ .

(٤) لوح « إشراقات » ، لبهاء الله ، ص ٩٤ – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٤ .

(٥) « لوح أحمد » لبهاء الله ، ص ١٥٤ – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٤ .

(٦) « إشراقات » لبهاء الله ، ص ٩٤ – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٤ .

(٧) « لوح الرئيس » لبهاء الله – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٤ .

(٨) الموجز ص ٩ .

(٩) الموجز ص ٣٢ .

(١٠) « الايقان » ص ١٨٤ .

ووصفه أبو الفضل بعبارة : « **الرب الأعلى** »[1] .

ومن ألقاب الباب المألوفة عندهم : « **حضرة النقطة** » . وقد جاء في شرح هذه العبارة في كتاب « الموجز في شرح المصطلحات » (ص ١١) :

« **حضرة النقطة** : أي حضرة الباب ، إذ أن أحد ألقابه المباركة هو « النقطة الأولى » كما يتفضل حضرة ولي أمر الله شوقي أفندي في توقيعه الى بهائيي الشرق المؤرخ ١٠١ ب بقوله : « التحية والبهاء على مبشره الفريد قرة عين النبيين باب الله الأعظم وذكر الله الأكبر الأكرم الأفخم وحجة الله بين الأمم الدرة الأولى والعلي الأعلى والنقطة الظاهرة بآثار جميع الأنبياء » .

لقد حاول عبد البهاء أن يوحي بأن « النقطة » المقصودة إنما هي نقطة باء « بسم الله الرحمن الرحيم » . فهو يقول في مكاتيبه :

« إعلم أن البسملة عنوانها البـاء وأن الباء التدويني هي الحقيقة المجملة الجامعة الشاملة للمعاني الإلهية والحقائق الربانية والدقائق الصمدانية والأسرار الكونية وهي – في مبدأ البيان وجوهر التبيان – عنوان الكتاب المجيد وفاتحة منشور التجريد بظهور لا إله إلا الله كلمة التوحيد وآية التفريد والتقديس من حيث الإجمال والتفصيل وإن الباء التكويني هي الكلمة العليا والفيض الجامع اللامع الشامل المجمل الحائز للمعاني والعوالم الإلهية والحقـائق الجامعـة الكونيـة بالوجه الأعلى لأن التدوين طبق التكوين وعنوانه وظهوره ومثاله ومجلاه وتجليه وشعاعه عند تطبيق المراتب الكونية بالعالم الأعلى ، فانظر في منشور هذا الكون الإلهي تلقاه لوحاً محفوظاً وكتاباً مسطوراً وسفراً جامعاً وانجيلاً ناطقاً وقرآناً فارقاً وبياناً واضحاً ، بل أم الكتاب الذي منه انتشر كل الصحائف والزبر والألواح ، وإن كل الموجودات والممكنات والحقائق والأعيان كلها حروف وكلمات وأرقام وإشـارات تنطق بأفصح لسـان وأبدع بيان بمحامد موْجِدِها ونعوت مُنْشِئِها وتسبيح بارئها ...

« ولنرجع إلى بيان الباء ونقول إنها متضمنة معنى الألف المطلقة الإلهية بشئونها

---

(١) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ١٧٩ .

وأطوارها اللينية والقائمة والمتحركة والمبسوطة ونحوها في البسملة التي هي عنوان كتاب القِدم بالطِّراز الأول المشتملة على جميع المعاني الإلهية والحقائق الربانية والأسرار الكونية المبتدأ فيها بالحرف الأول من الإسم الأعظم بالوجه الأتمّ الأقوَم ...

« ومروي عن علي عليه السلام [إن كل مافي التوراة والإنجيل والزبور في القرآن ، وكل مافي القرآن في الفاتحة ، وكل مافي الفاتحة في البسملة ، وكل مافي البسملة في الباء ، وكل مافي الباء في النقطة][1] . والمراد من النقطة الألفُ الليِّنة التي هي باطن الباء وعينها في غيبها وتعيُّنها وتشخُّصُها وتميُّزها في شهادتها .

« وقد صرّح به من شاع وذاع في الآفاق علمه وفضله السيد الأجلُّ الرشتي في ديباجة كتابه وفصل خطابه شرحا على القصيدة اللامية ، فقال [الحمد لله الذي طرَّز ديباج الكينونة بسرِّ البينونة بطراز النقطة البارز عنها الهاء بالألف بلا إشباع ولا انشقاق] فهذه النقطة هي الألف الليِّنة التي هي غيب الباء وطرازها وعينها وجمالها وحقيقتها وسرها وكينونتها كما بيناه آنفا ، وهذه العبارة الجامعة اللامعة الواضحة الصريحة ما أبدعها وأفصحها وأبلغها وأنطقها ، لله درُّ قائلها وناطقها ومُنشِئها الذي اطلع بأسرار القِدم ، وكشف الله الغطاء عن بصره وبصيرته وأيده شديد القوى في إدراكه واستنباطه وجعل الله قلبه مهبط إلهامه ومشرق أنواره ومطلع أسراره ومعدن لآلىء حِكَمه حتى صرح بالإسم الأعظم والسرِّ المنمنم والرمز المكَرَّم ومفتاح كنوز الحِكَم بصريح عبارته وبديه إشارته ووضوح كلامه ورموز خطابه ؛ فإنك إذا جمعت النقطة التي هي عين الباء وغيبها والهاء والألف بلا إشباع ولا انشقاق استُنطِقَ منهن الاسم الأعظم الأعظم والرســم المُشـرِق اللائح في أعلى أفق العالم الجامع لجوامع الكَلِم المشتهر اليوم بين الأمم[2]...

« ونعود إلى ماكنـا فيه من أن القرآن عبارة عن كل الصحف والألواح والفاتحة جامعة القرآن والبسملة مجملة الفاتحة ، والباء هي الحقيقة الجامعة للكل بالكل في

---

(١) لم تكن العربية منقوطة في عهد علي رضي الله عنه . لذلك يستبعد أن تكون هذه العبارة قد صدرت عنه .

(٢) يقصد بهاء الله .

الكل ، وإن الحمد فاتحة القرآن والبسملة فاتحة الفاتحة وإن الباء فاتحة فاتحة الفاتحة ، وإنها لعنوان البسملة في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى والأناجيل الأربعة الفصحى والقرآن الذي علمه شديد القوى والبيان النازل من الملكوت الأعلى وصحائف آيات ربك التي انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها ...

« وبالجملة إن الباء حرف لاهوتي جامع لمعاني جميع الحروف والكلمات ، وشامل لكل الحقائق والإشارات ومقامه مقام جمع الجمع في عالم التدوين والتكوين ، والأدلة واضحة والبراهين قاطعة والحجج بالغة في ذلك ، وإنها سبقت الأحرف الملكوتية والأرقام الجبروتية في جميع الشئون والمراتب والمقامات والتعينات الخاصة بالحروفات العاليات ، فهو في أعلى مقامات الوحدة والإجمال في الحقيقة الأولى على الوجه الأعلى .

« وقد قال العالم البصير [مارأيت شيئا إلا ورأيت الباء مكتوبة عليه ، فالباء المصاحبة للموجودات من حضرة الحق في مقام الجمع والوجود أي بي قام كل شيء وظهر] .

« وقال محي الدين [بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميز العابد من المعبود والنقطة للتمييز وهو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية]

« والنقطة في هذا المقام آية الباء ورايتها وعلامة من علائمها ومعالمها وتعيُّن من تعيُّناتها وبها تمييزها وتعريفها وتشخيصها »[1] .

يقول عبد البهاء هذا ، في حين أن اللغة العربية لم تكن منقوطة حين نزل القرآن الكريم . لذلك كانت المصاحف الأولى خالية من النقط .

ثم جرى التنقيط ، أو ماسمي بالإعجام ، في زمن عبد الملك بن مروان ، حين كثر التصحيف ، في العراق خاصة ، والتبست القراءة على الناس لتكاثر الأعاجم من القراء والعربيةُ ليست لغتهم فصعب عليهم التمييز بين الأحرف المتشابهة ففزع الحجاج إلى كُتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المتشابهة علامات ودعا نصر بن عاصم الليثي ويحي بن يعمر العدواني (تلميذي أبي الأسود) لهذا الأمر فوضعا النقط ، أو الإعجام ، أزواجا وأفرادا بعضها فوق الحروف وبعضها تحتها ، وسُمي ذلك إعجاما لأن

(١) من مكاتيب عبد البهاء - ١ - ص ٣٥ الى ٣٩ .

الإعجام في المعنى الأصلي هو التكلم على لغة الأعاجم ، كما أن الإعراب هو التكلم على لغة العرب[١] .

من هذا يتضح أن إعطاء النقطة معنى غيبيا فيه كثير من الإعتساف .

على أن الواضح من بعض القرائن أن البابيين والبهائيين كانوا يقصدون شيئا آخر من عبارة « النقطة » .

يقول البيروني في كتابه « تحقيق ماللهند من مقولة » أن بعض خواصِّ أهل الهند كان يسمي اللهَ تعالى « نقطة » ليبرئه بها عن صفات الأجسام (ص ٢٣) .

وفي المذهب الفيثاغوري كانوا يصوِّرون الواحد بالنقطة ، والاثنين بالخط ، والثلاثة بالمثلث ، والأربعة بالمربع[٢] .

ويقول الدكتور علي سامي النشار[٣] : « إننا نرى فكرة النقطة نقطة الباء « نقطة الوجود » ، مركز الوجود ، في التصوف الإسلامي تصل إلى التصوف حتى أقاصي المغرب من الهند ، ونرى شعراء الصوفية يستخدمونها ، فيتكلمون عن نقطة الوجود ، ونقطة الباء :

نقطة الباء كن إذا	شئت تسمو
أو فدع ذكر قربنا	ياموله

ثم يضيف النشار دليلا على أثر الفلسفة الهندية ترجمة كتاب « البد » إلى العربية وظهور آثاره في بعض فلاسفة الصوفية المتأخرين كابن سبعين والششتري[٤] .

ويقول عبد الرزاق الحسني : « ينتى أساس المذهب البابي على الاعتقاد بوجود إلهٍ واحدٍ أزلي نظير مايعتقد به المسلمون ، إلاّ أن البابيين يستمدون صفات الخالق من أساس العقيدة الباطنية التي ترى أن لكل شيءٍ ظاهراً وباطناً ، وأن الوجود مظهر من مظاهر الله ، وأن الله هو النقطة الحقيقية وكل مافي الوجود مظهر له »[٥] .

---

(١) انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ، عبد الفتاح عباده ، ص ٣٠ .

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، النشار ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، النشار ، ج ٣ ، ص ٤٨ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ص ٤٨ و ٥٢ .

(٥) « البابيون والبهائيون » لعبد الرزاق الحسني ، ص ٤٧ .

الفصل الثاني

زعماء البابية

١ ــ حروف « حــي » :

بعد إعلان « الباب » دعواه أمام مريده الأول البشروئي أَمَرَهُ : « أن يجمع جميع تلامذة الرشتي والأحسائي خاصة ، والشيخية عامة ، ويخبرهم عن ظهوره سراً ويفشي إليهم أمره »[1] .

اجتمع أكثر الشيخية حول الباب وسلّموا له بالزعامة والسيادة[2] واعترفوا بأنه هو الركن الرابع لهم بعد الرشتي ، كما اجتمع حوله ثمانية عشر شخصا من كبار تلامذة الرشتي وزعماء الشيخية ، سماهم « **حروف حي** » ، يعني بذلك أن « **حيٍ** » تقابل الرقم ١٨ في حساب الأحرف الأبجدية ، وبإضافة الباب إلى حروف « حي » يصبح العدد ١٩ وهو العدد المقدس عند البابيين والبهائيين ، وقبلهم عند اليهود[3] . وقد بني على هذا العدد الكثير من شرائع البابيين والبهائيين .

وقد عرفت تلك المجموعة بـ « **الواحد الأول** »[4] .

وعرفت أسماء مجموعة الواحد الأول ، كما يأتي[5] :

---

(١) « مطالع الأنوار » للزرندي ، ص ٥٠ ــ البابية لظهير ، ص ٥٧ .

(٢) « لوح ابن ذئب » لحسين علي المازندراني البهاء ، ص ٤٠ ، ط باكستان ــ « الكواكب » ، ص ٤٨ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٥٧ .

(٣) وبضرب الرقم ١٩ بنفسه ، يكون الحاصل عندهم عدد كل شيء .

(٤) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، أسلمنت ، ص ١٨ .

(٥) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ، ص ٢٣١ ومابعد ، ط فارسي ــ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٥٨ .

١ ـ الملا حسين البشروئي[١]
٢ ـ الملا محمد حسن[٢]
٣ ـ الملا محمد باقر الصغير[٣]
٤ ـ الملا علي البسطامي
٥ ـ الملا خدا بخش (ملا علي الرازي)
٦ ـ الملا حسين بجستاني
٧ ـ السيد حسين اليزدي
٨ ـ المرزه محمد روضخاني اليزدي
٩ ـ سعيد الهندي
١٠ ـ الملا محمد الخوئي
١١ ـ الملا جليل الرومي
١٢ ـ الملا أحمد أبدال المراغي
١٣ ـ الملا باقر التبريزي
١٤ ـ الملا يوسف الأردبيلي
١٥ ـ المرزه هادي القزويني
١٦ ـ المرزه محمد علي القزويني
١٧ ـ قرة العين الطاهرة
١٨ ـ الحاج محمد علي البارفروشي (الملقب بالقدوس)

وبعضهم ذكر « المرزه يحيى صبح الأزل » في عِدادهم وحذف الملا خدا بخش[٤]، وبعضهم عدُّوا « الملا رجب علي » و « آقا السيد عرب » منهم[٥]، وبعضهم حذف البعض وذكر الباقين[٦].

لقد منح « الباب » بعض أفراد حروف حي ألقابا ، فمثلا لقب البشروئي بـ « باب الباب » و بـ « الحسين وسيد الشهداء » ، ولقب أخاه الملا محمد حسن بـ« الحسن » ، والبارفروشي بـ « القدوس » ، والدارابي بـ « الوحيد » ، والمرزه يحيى بـ « صبح الأزل » ، وقرّة العين بـ « فاطمة الزهراء و الطاهرة »[٧].

(١) يشير بهاء الله في كتابه « الايقان » ، ص ١٧٨ ، إلى ملا حسين بقوله أنه : « الذي أصبح محلاً لإشراق شمس الظهور . لولاه ما استوى الله على عرش رحمانيته ، وما استقر على كرسي صمدانيته » . ولاندري ما إذا كان البهاء يقصد أن لملا حسين أي فضل على الله سبحانه وتعالى ، أو أنه يقصد الفضل على البشرية فحسب .

(٢) أخو الملا حسين البشروئي .

(٣) ابن عم الملا حسين البشروئي .

(٤) « دائرة المعارف الأردية » ، ص ٧٨٥ ، ج ٣ .

(٥) « مقدمة نقطة الكاف » ، ص (ج) ، لبروفسور براؤن .

(٦) « مطالع الأنوار » وغيره ـ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٥٨ .

(٧) « البابية » ، لظهير ، ص ١٦٨ و ١٦٩ .

ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ البابي جاني الكاشاني يشير الى أن البارفروشي « القدوس » كان زنيا (أي ولد الزنا) « لأن أمه عند زواجها كانت حبلى من ثلاثة أشهر ، وبعد الزواج ولدته بعد الأشهر الستة فقط ، لذلك كان الناس يرمونه بالوضاعة »[١] ، ومن ذلك يبدو أن لقب « القدوس » اختير له بعناية . وقد قتل البارفروشي عقب معركة قلعة طبرسي ، فقد سيق إلى مسقط رأسه بارفروش مع « رفاقه الثمانية ، وقتل بعد العذاب الشديد بأنواعه ، وأحرق نعشه ورُمي في خرابة إحدى الزوايا »[٢] .

أما حسين علي ، الذي لم يكن أحد أفراد حروف حي ، فلم يُلَقَّب من قبل الباب بشيء ، بل لقّبَ نفسه بنفسه « بهاء الله » ، وبعضهم يقول أن قرة العين هي التي منحته هذا اللقب ، وآخرون يقولون أن حسين علي هو الذي أوعز إلى قرة العين فمنحته اللقب وخلعت به عليه وروّجته بين الناس ، وقد اعترف بذلك أول مؤرخ بابي بهائي في كتابه التاريخي « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ، حيث ذكر : « إن أول المتفوهين بكلمة بهاء الله كانت قرة العين ، فلعلّها سمعت هذا اللقب عن الباب بواسطة أو بدون واسطة »[٣] .

يقول إحسان إلهي ظهير أن جميع عناصر عصابة الباب كانوا من الفتيان والشباب أحداث السن ، ليس فيهم واحدٌ من المعمرين والمسنين فالجميع مابين الخامس عشر والخامس والعشرين ، من الشيرازي (الباب) ، وقرة العين ، والبارفروشي ، والملا علي البستاني ، و يحيى الدارابي ، ومحمد علي القزويني ، والملا محمد باقر ، وحسين اليزدي ، والمرزه حسين علي النوري المازندراني (بهاء الله) ، والمرزه يحيى صبح الأزل المازندراني ، وغيرهم ، اللهم إلاّ البشروئي فانه كان في الثلاثين من العمر وهو أسنهم[٤] .

ويقول احسان الهي ظهير أن أكثر زعماء البابية البارزين وقادتها الأصليين

---

(١) « نقطة الكاف » ، جاني الكاشاني ، ص ١٩٩ ، ظهير ، ص ٨٥ .

(٢) « الكواكب الدرية » ، عبد الحسين آواره ، ص ١٨١ ، ط فارسي ـ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٨٥ .

(٣) الكواكب ، ص ٢٧١ و ٢٧٢ ـ « البهائية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ١٥ .

(٤) « البابية » ، لإحسان إلهي ظهير ، ص ٢٣٧ .

الحقيقيين قد قُتِلوا ، مثل البارفروشي والبشروئي والداراني والزنجاني والقزويني وغيرهم ، أو أُلقوا في غياهب السجون مثل قرّة العين والمازندراني وغيرهما ، أو كفروا بالباب وارتدُّوا عن دينه مثل حسين اليزدي والملا حسن البجستاني وغيرهما(١) .

قال بهاء الله في سورة الوفا : « إنه حكم لأول من آمن بأنه محمد رسول الله » .

وجاء في كتاب « الموجز في شرح المصطلحات » في معرض تفسير هذا القول :

« ... فالملا حسين بشروئي ، الذي هو أول من آمن بحضرة الباب ، يعتبر رجعة محمد رسول الله والملا علي البسطامي ، ثاني حروف الحي ، رجعة الإمام علي » (الموجز ، ص ٣٢) .

٢ ـ قـرّة العيـن :

اسمها الحقيقي « أم سـلمى »(٢) . ومنهم من قال أن اسمها فاطمة وكنيتها أم سلمى(٣) ، ومنهم من قال أن اسمها هند وكنيتها أم سلمة(٤) . ولدت في قزوين سنة ١٢٣١ هـ(٥) أو سنة ١٢٣٣ هـ(٦) ، أو سنة ١٢٣٥ هـ(٧) .

ولدت للملا محمد صالح القزويني أحد علماء ايران ، وأخ أصغر لعالم آخر معروف وإمام الجمعة لمدينة قزوين الملا محمد تقي القزويني ، وأخٍ أكبر لملا علي الشيخي ، تلميذ الرشتي .

درست العلوم على والدها محمد صالح وعمها محمد تقي ومالت إلى الشيخية

---

(١) « البابية » ، ص ٢٥٦ .

(٢) الكواكب الدرية في مآثر البهائية ، ص ٦٠ ـ البابية لظهير ص ٢٣٩ .

(٣) حقيقة البابية والبهائية ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١١٢ .

(٤) مختارات من مؤلفات أبي الفضائل ، ص ٣٢١ ، نقلا عن ابن الألوسي .

(٥) « الكواكب الدرية » ، ص ٦٠ فارسي ـ « البابية » لظهير ، ص ٢٣٩ . ـ « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١١٢ .

(٦) « مطالع الأنوار » ، للزرندي البهائي ـ « البابية » لظهير ، ص ٢٤٠ .

(٧) « قرة العين الطاهرة » لداعية البهائية الانكليزية مارتا روت ، ص ٣١ أردو ، باكستان ـ « البابية » ، ظهير ، ص ٢٤٠ .

بوســاطة عمها الأصغر الملا علي ، وتعلقت بتعاليمها وتأثرت بها إلى الغاية ، وبدأت تكاتب كاظم الرشتي وتدافع عن أفكاره وعقائده الشيخية بحماسة وقوة .

أجمع الذين كتبوا عنها على أنها كانت في غاية الحسن والجمال والذكاء والفصاحة وطلاقة اللسان . كانت تُلَقَّب برزين تاج (أي التاج الذهبي) لجمال شعرها الذهبي اللون . ومنهم من قال أن أصل أسمها رزين تاج وكنِّيت بأم سلمى[1] ولقبَّها الرشتي بـ « قُرَّة العين »[2] . ويقال أنها كتبت رسالة إلى الرشتي في الدفاع عن تعاليم أستاذه الشيخ أحمد الأحسائي ، فأجابها برسالة رقيقة افتتحها بهذه الديباجة : « ياقرة عيني وفرح فؤادي » ، ومنذ ذلك الحين لقبت بـ « قُرَّة العين »[3] .

ولقَّبها الباب بـ « **فاطمة الزهراء والطاهرة** »[4] .

خاف عليهـا أبوها وعمهـا ، لجمـالها الرائع وشبابها الوحشي في المراهقة وذكائها المفرط وإحساسها المرهف ، فزوجوها مبكراً من ابن عمها الملا محمد بن الملا تقي إمام الجمعة[5] ولم تبلغ الثالثة عشر من عمرها يومذاك[6] فولدت له ثلاثة من الأولاد ذكرين وأنثى ، لم يعــترف أحد منهـم بديانة أمه[7] ولـما بلغت الرشـد وأدركت قوة تأثيرها الكلامي وفتنة شبابها النضر تنفرت من الجو واحتقرت الملا محمد زوجها وبدأت تشعر بالاشمئزاز من قربه فلجـأت إلى بيت أبيهـا وتركت بيت زوجهـا فلم تهدأ ثورتها بل ازدادت اضطراباً . ولجأت إلى نظـم الشعر الغزلي الفاجر ، وراحت تتحدى تقاليد أسرتها ومجتمعها ، فمن شعرها الغزلي ماقالته باللغة العربية ، كهذه الأبيات[8] :

---

(١) « البابيون والبهائيون » ، لعبد الرزاق الحسني ، ص ٢١ .

(٢) « الكواكب الدرية » ، لعبد الحسين آواره ، ص ٦١ – « البابية » ، لظهير ص ٢٤١ .

(٣) « البابيون والبهائيون » ، لعبد الرزاق الحسني ، ص ٢٢ .

(٤) « البابية » ، لظهير ، ص ١٦٩ .

(٥) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ، ص ٦٠ ، ط فارسي – « البابية » ، لظهير ص ٢٤١ .

(٦) « قرة العين » ، لمارتا روت ، ص ٣٢ ط باكستان – « البابية » لظهير ، ص ٢٤١ .

(٧) « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١١٣ .

(٨) « ظهور الحق » ص ٣٦٦ – « قرة العين » ص ١٣٨ – « البـابيـة » ، لظهير ، ص ٢٤١ – ٢٤٣ .

يانديمي قم فإن الديك صاح غنِّ لي بيتاً وناول كأس راح
لست أصبر عن حبيبي لحظة هل إليه نظرةٌ مني تُباح
بذل روحي في هواه هين تجمد القوم السرى عندالصباح
قاتلتني لحظة من غير سيف أسكرتني عينهُ من دون راح
قد كفتني نظرة مني إليهِ من بهائي في غداة في رواح
هام قلبي في هواه كيف هام راح روحي في قفاه أين راح
لم يفارقني خيال منه قطُّ لم يزل هوَ في فؤادي لايراح
ان يشأ يحرق فؤادي في النوى أو يشأ يَقتل له قتلي مباح

ولها قصيدة غزلية أخرى صدر أبياتها باللغة الفارسية وعجزها باللغة العربية ، فيما يأتي بعضها مترجما :

يريدون وصلك ويتيهون فيه افتح يامفتح الأبواب
متى يحصل لهم اللقاء كم بقوا ناظرين خلف الباب
إلى متى الصبر والحرمان طال تطوافهم وراء حجاب
ليس مطلبنا ومقصدنا غيرك مالديهم سوى لقاك ثواب
إلى متى تبقى وراءالحسرات أرِهم نظرة بلا جلباب

ومن أبياتها باللغة الفارسية ، مترجمة الى العربية :

ياحبيبي ان حصل الوصال يوما ما لأخبرك
بما حصل لي من المصائب والمشاق في سبيل رؤيتك
ياحبيبي تجولت بيتا بيتا وزقا زقا وقرية قرية ومدينة مدينه
لرؤيتك مثل الصبا ، لرؤية خدك
حبيبي في فراقك جرت عيون الدم من العيون
واصطبغت مياه دجلة وعيون وبحور
حبيبي رموش عيونك قتلتني وخال خدك سباني
وحبك ختم على قلبي وسمعي وبصري

ومنها :

ياصنمي عشقك أوقعني في المعاصي

أهجرتنـــــــي وقتلتنـــــــي وأخذتنـــــي بجنايتـــــي
والآن لم تبق لي قوة الصـــبر وطـاقـة الانتظـار فالى متى فراقك
ان جسمـي بجميع أجزائه صـار كالناي يحكي عـن هجـرك
ليتـك تطـأ فراشـي ليلـــة مـا فجـأة بجـــودك
فأطيــــر فرحــــا وســـرورا بــــدون أجنحـــة

سافرت قرة العين من قزوين الى كربلاء ، على الرغم من ارادة أهلها ، بدعوى زيارة العتبات المقدسة ، بصحبة زوج أختها الشاب محمد علي القزويني ، الذي لم يبلغ العشرين من العمر ، وكانت هي في العشرين أو الحادية والعشرين ، فمكثت مدة في كربلاء وفي النجف ، ودرست على كاظم الرشتي وخاصة في الالهيات[1] ، وقيل انها سافرت الى كربلاء لملاقاة الرشتي فوجدته قد توفي قبل وصولها فآثرت البقاء في هذه المدينة وبث الدعوة لمبادىء المتوفى على الأسس الشيخية ، ومالبثت أن انقطعت إلى الرياضة والتبتل فأمرتها الحكومة بمغادرة كربلاء فوراً فتوجهت إلى بغداد ، ونزلت في دار المفتي الألوسي الشهير زهاء الشهرين ، حتى إذا عُقِد مؤتمر بدشت عادت إلى ايران[2] .

يقول الداعية البهائي وليم سيرز أن مراسلات كاظم الرشتي مع قرة العين أشعلت في قلبها شوقا يزداد حِدَّةً لمجيء الموعود المنتظر ، واشتد تشوقها للذهاب إلى كربلاء والدرس على يد الرشتي . ثم يضيف :

« علمت الطاهرة أن والدها لن يعطيها اذنا بذلك . غير أنها استطاعت بمساعدة عمها الحصول على إذن لزيارة المقامات المقدسة في كربلاء والنجف . ومنحتها عائلتها الإذن اعتقاداً منهم بأنه تعود بعد الزيارة إلى رشدها فتصبح أكثر تمسكا بعقيدتها الأصلية . ولم يخطر ببالهم أن الغرض الحقيقي من ذهابها هو مقابلة السيد كاظم .

« قامت الطاهرة برحلتها عام ١٨٤٣ م . متلهفة للدرس على يد السيد كاظم .

---

(١) « مقالة سائح » لعباس أفندي ابن بهاء الله ، ص ٢٦ ، ط لاهور ، ١٩٠٨م — « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٢٤٥ .

(٢) « نقطة الكاف » ، للكاشاني ، ص ١٤٠ و ١٤١ — « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٥ .

كان شاغلها الوحيد خلال تلك الأيام وعده بقرب ظهور مربٍّ روحاني جديد في العالم ...

« حزنت الطاهرة حزناً عميقاً عندما وصلت إلى كربلاء ووجدت أن السيد كاظم قد توفي قبل وصولها بعشرة أيام فقط . وقد خف حزنها عندما سمح لها بالبقاء في منزله والاطلاع على جميع كتاباته ، التي لم يكن بعضها قد نشر قط ...

« رويت القصة الآتية عن طبيب يهودي يدعى « الحكيم مسيح » ، كان ماراً ببغداد في طريقه إلى كربلاء بصحبة الملك والتقى هذا الطبيب يوماً بجماعةٍ كبيرةٍ من الناس معظمهم من العلماء الدينيين يستمعون إلى محاضرة تلقيها سيدة احتجبت عن أنظارهم بجلوسها خلف ستار . دخل الحكيم مسيح ليستمع وبمجرد أن انتهت من كلمتها أخذوا يحاجونها . وكان حديثها منطقيا ومقنعا بدرجة انجذب معها الحكيم ودهش كثيراً لعدم استطاعة العلماء دحض حججها ، ومالبث حتى اقتنع بأن هذه السيدة على حق وظن أن هذه الخطيبة الساحرة لابد وأن تكون الموعود الالهي الذي كان الجميع يتحدثون عنه . حضر الحكيم مجالسها واطلع على رسالة الباب وآمن به . وهكذا اجتذبت الطاهرة بمنطقها وفصاحتها إلى الايمان بدعوة الباب يهودياً كان قد فاتته روعة رسالة كل من المسيح ومحمد وأصبح يؤمن الآن بالمسيح ومحمد وكافة رسل الله »[1] .

ويقول وليم سيرز في معرض حديثه عن مؤتمر بدشت الذي حضرته قرة العين في صيف عام ١٨٤٨ م :

« اجتمع واحد وثمانون فرداً من كبار أتباع الباب في هذه القرية (بدشت) للتشاور . كان القدوس بينهم ، إذ أن هذا الإجتماع عقد قبل حوادث طبرسي . كان للاجتماع غرضان :

« أولهما : تقرير الخطوات التي يجب اتخاذها لكي لاينظر إلى دين الباب على أنه مذهب إسلامي ، بل كدين جديد مستقل له رسوله وكتابه الخاص .

---

(١) « دع الشمس تشرق » ، وليم سيرز ، ص ١٠٤ .

« ثانيا : البحث في الوسائل التي يمكن بها إطلاق سراح الباب من سجنه القاسي في جهريق .

« لقد نجح المؤتمر في غرضه الأول وفشل في الثاني .

« كان البابيون يتشوقون للانفصال الكلي عن الأحكام الدينية التي مضى زمنها ، وعن نظام المشيخة والعادات والتقاليد القديمة . **كانت الطاهرة نفسها أداة لهذا الفصل ، وأصبحت الرمز الظاهر له** عندما ظهرت في أحد الأيام سافرة الوجه بعد أن نبذت هذا الحجاب الذي يرمز إلى انحطاط مركز المرأة .

« وقع هذا وقوع الصاعقة ، حتى على زملائها المؤمنين الذين صدموا منه فوقفوا مشدوهين من هذا المنظر غير المتوقع والذي لم يحدث من قبل .

« ونادت الطاهرة بصوت عال تقول :

« أنا صوت الصافور ... أنا النفخة في الصور » .

« وتابعت نداءها قائلة ، ان أيام الخوف وإخضاع خلق الله قد ولّت ، ثم وجهت ، وهي تبتهج فرحا ، نداء حارا فصيحا إلى المجتمعين أنهته بدعوتهم إلى الاحتفال بهذه المناسبة العظيمة بما يليق بها وقالت :

« هذا يوم الابتهاج والسرور العالمي ، اليوم الذي تحطمت فيه قيود الماضي . لينهض كل من شارك في هذا الفوز العظيم ويتعانقوا (نبيل زرندي ، مطالع الأنوار ، ص ٢٨٨ ـ ٢٩٨)[1] .

ومن جملة ماقالته قرة العين في مؤتمر بدشت حين وقفت صائحة بأعلى صوتها : « إني أنا الكلمة التي لاينطق بها القائم السجين ، والتي يفر منها نجباء الأرض : لقد نسخت الشريعة المحمدية بظهور الباب » .

كان محمد علي البارفروشي (القدوس) ، وهو من أقطاب البابيين (حروف حي) من بين الذين رفضوا ابتداء دعوة قرة العين ، فمازالت تناظره وتجادله علناً وفي الخلوة بينهما حتى مال إليها . وقد جاءته يوما في مجلس القوم سافرة ، وطلبت اليهم النظر في

(١) « دع الشمس تشرق » ، وليم سيرز ، ص ١١٠ و ١١١ .

موقفها من الايمان والكفر ، قالت : « إن ارتداد النساء عن الإسلام لايستوجب في شريعته حد القتل . فإما أن أكون على حق في الايمان بالباب وإلا فعلى القدوس أن يباشر نصحي لأعود عن هذا الجنون وأنفض اليد من الكفر وأتوب وأرجع إلى أحضان الإسلام » .

واختلت به فقالت له : « إن هذا العمل سيبرز إلى الوجود لامحالة » . وسيطرق أذن العام والخاص . وإذاً فكلما أسرعنا في الكشف عنه كان أليق وأنفع للأمر وللعمل الذي سنقوم به ، حتى يتفصل عنا كل ضعيف لايحتمل التجديد ، ولايبقى معنا إلا كل قوي مخلص يفدي نفسه في هذا السبيل البديع » .

ثم عادا معا إلى الاجتماع ، وآذنت قرة العين القوم بأنها ستلزمه الحجة وتقيم عليه البرهان القاطع »[1] .

وانتصرت قرة العين . ورفعوا القرار إلى الباب في سجنه فما وسعه إلا الخضوع لما أرادته قرة العين وأقرّه الأصحاب .

بعد موت الرشتي جلست على مسند الشيخية وبدأت تُدرّس تلامذة الرشتي . « وتمكنت من الجلوس في مقام الرشتي ، وبهرت عقول الدراويش في تلك المدرسة بخطاباتها الرنانة الفتانة ، وخلبت قلوبهم بجمالها المدهش وشبابها المحرق فبدأوا يظنون أنها الركن الرابع للشيخية وزعيمتهم »[2] . وأفتت أول ما أفتت بأنه « يجوز للمرأة أن تتزوج تسعة رجال »[3] ، ورفعت الحجاب « وكانت تظهر سافرة في الأماكن العامة ، وتختلط بالرجال وتدرسهم وتخاطبهم بدون حاجز بينها وبينهم »[4] .

ويُروى عنها أنها كانت تقول بحِلّ الفروج ورفع التكاليف بالكلية[5] مستندة في ذلك على قول الرشتي في كتابه « رسالة في الفروع » : إن نظرة آل الله تطهر الأشياء ،

---

(١) « الكواكب الدرية » ، ص ٢١٨ من الترجمة العربية ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٧٥ ـ ٨٣ .

(٢) « نقطة الكاف » ، للكاشاني ، ص ١٤٠ و ١٤١ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٥ .

(٣) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ١٧٦ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٥ .

(٤) « مطالع الأنوار » ص ٢١٤ ـ البابية لظهير ، ص ٢٤٥ .

(٥) « مختصر التحفة الاثني عشرية » ، ص ٢٤ ، ط القاهرة ـ « البابية » ، لظهير ص ٢٤٦ .

وآل الله في الحقيقة هم المعصومون الأربعة عشر ، أي النبي والوصي وزوجته فاطمة وأولادهما الأئمة الأحد عشر . ونظرة آل الله إرادتهم ، وارادتهم هي عين إرادة الله وأمره ، والحلال والحرام موقوف على إرادة الله وهو موقوف بإرادتهم هم بهذا المعنى .

فاحتجّت بأنها مظهر فاطمة (بنت النبي وزوجة علي عليهم السلام) وقالت : « حكم عيني حكم عينها ، وكل شيء ألقيت عليها نظرتي ورأيتها بعيني طهرت وحلت مع حرمتها ونجاستها ، وأيضا فأتوا إليّ بالأشياء حتى أُحِلّها وأُطهِّرها بنظرتي إليها »[1] .

ولما أعلن الشيرازي ، بايعاز من البشروئي وتحريض منها هي مهدويته وقائميته ، أدخلها في حروف « حي » مع رفيق سفرها زوج أختها محمد علي القزويني[2] . « ولُقّبت بالطاهرة من قِبله هو »[3] .

لبث محمد علي القزويني مع قرة العين فترة من الزمن ، ثم تركها وعاد إلى بلده ، فبقيت وحيدة فترة أخرى من الزمن ثم سافرت من كربلاء إلى بغداد مع جمع خليط من الرجال مثل « صالح العرب ، وطاهر الواعظ ، وابراهيم المحلاتي ومحمد المليح »[4] ومن النساء « خورشيد خانم ، وأخت البشروئي وغيرهما . ولما خرجت من كربلاء مع أصحابها ورفيقاتها كان أهالي كربلاء يرمونهم بالأحجار »[5] .

وذكر عبد الحسين آواره من رفقاء قرة العين في أسفارها : « محمد الشبل » و « محمد صالح كريمي » و « محسن الكاظمي » و « أحمد اليزدي » و « سلطان الكربلائي » و « الملا ابراهيم » و « محمد البابكاني » و « زوجة المرزه هادي النهري » ، وكانوا ينزلون كلهم رجالا ونساء معا ، ويسافرون معا بدون الحجاب والحواجز[6] .

ارتكبت قرّة العين الفواحش والمنكرات حتى اضطرب منها رفاقها وزملاؤها

---

(١) « نقطة الكاف » ، ص ١٤١ ، لندن ١٩١٠ م - « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٦ .

(٢) « قرة العين » ، ص ٤٣ - « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٦ .

(٣) « الكواكب الدرية » ، ص ٦٢ ، ط فارسي - « البابية » ، لظهير ، كذلك .

(٤) « نقطة الكاف » ، ص ١٤١ - « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٦ .

(٥) « قرة العين » ، ص ٤٦ - « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٦ .

(٦) « الكواكب الدرية » ، ص ١١٠ الى ١٢٧ ط فارسي - « البابية » ، لظهير ص ٦١ .

« فسبُّوها ولعنوها وقدموا الشكاوى منها الى مقام الحضرة (الباب) فرد عليهم بقوله : ماذا عسى أن أقول فيمن سماها لسان العظمة والقدرة الطاهرة »[١] .

« ولاترد الطاهرة في حكمها فإنها أدرى بمواقع الأمر من غيرها »[٢] . وذَمَّ الباب الشيرازي الذين كتبوا الشكاوى ضدها ، وخاصة السيد علي الذي خط الرسالة بقلمه ، فلما رآى هؤلاء الأمور منعكسة ، ورأوا النجاسة طهارة والحرام حلالا ، لعنوها ولعنوا من لقبها بالطاهرة . وارتدَّ عن البابية السيد علي ، والسيد طه ، والكاظم ، والسيد حسن جعفر ، وغيرهم[٣] .

وبسبب ماارتكبته قرة العين من أفعال في مؤتمر بدشت اضطر البشروئي ، وهو أحد زعماء المؤتمر ، الى القول : « إني أقيم الحدَّ على شركاء مؤتمر بدشت »[٤] . ويبدو أنها لُقِّبت بالطاهرة لهذه الأسباب ، مثلما لُقِّب البارفروشي بالقدوس .

ولعل في خطاباتها في هذا المؤتمر مايغني عن كل تعليق أو وصف .

فمن ضمن ماقالته في بدشت :

« ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال وواصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة ، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا ، وإن الزهرة لابد من قطفها وشمها لأنها خلقت للضم وللشم ولاينبغي أن يُعدَّ ولايُحدَّ شاموها بالكم والكيف ، فالزهرة تجنى وتقطف ، وللأحباب تهدى وتتحف ... ولاتحجبوا حلائلكم عن أحبابكم ، إذ لاردع الآن ولاحدَّ ولامنع ولاتكليف ولاصدَّ ، فخذوا حظكم من هذه الدنيا فلاشيء بعد الممات »[٥] .

ويقال أن قرَّة العين هي التي خلعت على بهاء الله لقبه هذا . قال مؤرخهم عبد الحسين آواره : « إن أول المتفوهين بكلمة بهاء الله قرة العين . فلعلها سمعت هذا اللقب

---

(١) « نقطة الكاف » ، ص ١٤١ ، فارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٧ .

(٢) « الكواكب الدرية » ، ص ١١٢ ، فارسي ـ « البابية » ، كذلك .

(٣) « الكواكب الدرية » ، ص ١١٢ ، فارسي ـ « البابية » ، كذلك .

(٤) « نقطة الكاف » ، ص ١٥٥ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٨ .

(٥) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ١٨٠ ـ « البابية » لظهير ، ص ١٧٩ .

عن الباب بواسطة أو بغير واسطة »[1] .

ويقول المؤرخ البهائي آواره : « إن قرة العين تأثرت من حسين علي (البهاء) بعدما لقيته وعرفته الى حد لم تكن تأمر بشيء أو تفعل بفعلة إلا بعد اذن منه »[2] .

« وطلقت نفسها من زوجها على خلاف حكم شريعة الاسلام »[3] .

وفي أثناء سفرها ، لما نزلت في كرمانشاه مع أحبائها – وهذا هو عين التعبير البهائي – ورفاقها « انكب عليهم أهل تلك المدينة وهاجموهم واخرجوهم من مدينتهم »[4] .

وكانت تجمع حولها المراهقين خاصة . فمثلاً المرزه يحيى صبح الأزل الذي وصفه المؤرخون بأنه كان شاباً وسيماً جذاباً طويل القامة أنيقا رشيقا في السابعة عشر من عمره — وكانت هي في الثانية والعشرين من العمر – يكتب عنه وعنها أول المؤرخين البابيين المرزه جاني الكاشاني : « كان المرزه يحيى مركز الجمال والجلال يتكرر إلى الطاهرة وكانت أم الإمكان تحتضن ذلك الطفل الأزلي وترضعه من لبن لم يتغير طعمه ، وتربيه في مهد الآداب الحسنة والأخلاق الطيبة ، وتلبسه ملابس أهل الفكرة المستقيمة إلى أن قويت بنيته »[5] .

ذكرت المبشرة البهائية مس مارتا روت ، وغيرها من المؤرخين البابيين والبهائيين ، أن قرّة العين « كتبت الى المرزه علي محمد الشيرازي (الباب) وهو سجين في قلعة ماه كو في قصيدة غزلية طويلة ، هذه الأبيات بعضها في الفارسية وبعض منها في العربية الركيكة :

لمعات وجهك أشرقت وشعاع طلعتك اعتلى

جذبات شوقك ألجمت بسلاسل الغم والبلا

---

(١) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ، ص ٢٧١ – د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٥٥ — « البهائية » ، لظهير ، ص ١٥ .

(٢) « الكواكب الدرية » ، ص ١٣٨ – « البهائية » ، لظهير ص ١٤ .

(٣) « دائرة المعارف » للبستاني ، ص ٢٨ ، ج ٥ .

(٤) « الكواكب الدرية » ، ص ١١٥ – « البابية » لظهير ، ص ٢٤٧ .

(٥) « نقطة الكاف » ، ص ٢٤١ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٤٨ .

واذا رأيــــت جمـالــــه طـلــع الصبــاح كأنمـــــــــــــا

إلى أن قالت باللغة الفارسية :

فــلمـــــاذا لاتقــول ألست بــربكـــم فنـقــول بـلى بلى[1]

وأخيرا اشتركت في قتل والد زوجها الملا تقي إمام جمعة قزوين ، عام ١٢٦٣ هجري لما أراد الحيلولة بينها وبين لهوها واستهتارها ، وقد جرى قتله وهو يصلي الصبح في الجامع[2] فسجنت في قزوين ، ولكنها استطاعت الفرار من السجن مع صحبها وعشاقها ، وخاصة بمساعدة ومعونة المرزه حسين علي البهاء[3] .

ينكر البهائيون أن تكون قرة العين قد اشتركت في قتل عمها (والد زوجها) ، لكن أحد دعاتهم ، وليم سيرز ، يقول :

« اجتمع مجلس العائلة في الليلة الأولى التي وصلت فيها الطاهرة الى قزوين ، أنبها كل من أبيها وعمها بعنف لتصرفاتها ... وأخذ عمها تقي يلعن الباب ودعوته . وفي سورة من غضبه ضربها عدة لكمات . وليقينها بانتقام الله ، تفوهت بكلمات قاتلة تنبأت فيها بما سيحدث له ، فصاحت : « ياعماه أرى فمك يمتلىء بالدم » ...

« قتل تقي (عم الطاهرة) في المسجد يوم جمعة بطعنة سددت إلى حلقه . ومع أن التحقيقات كشفت بكل وضوح عن أن القاتل ليس بابياً ، مع ذلك فان تهمة القتل ألصقت بالطاهرة . تذكرت العائلة تلك الكلمات التي تنبأت بها الطاهرة ليلة وصولها : « ياعمـاه أرى فمك يمتلىء بالدم » . هاجت المدينة بأكملها . وحرض الغوغاء على الانتقام بأن يعتقلوا ويقتلوا كل من يشتبه بأنه بابي وينهبوا بيته »[4] .

يقول المرزه جاني الكاشاني البابي المقتول في البابية : « إن قرة العين لما فرت من « قزوين » بعد قتل عمها ، الى « خراسان » ، ووصلت الى شاهرود . ففي نفس الوقت وصل جناب الحاج « محمد علي القدوس » من « مشهد » ، وصارا مصداق « وجمع

(١) « قرّة العين » ، لمس مارتا روت ، ص ٤٣ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٠ .

(٢) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ١٨١ ــ محسن عبد الحميد ، ص ١١٣ .

(٣) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ، ص ١٢٥ فارسي ــ « البابية » ،ظهير ، ص ٢٥٠ .

(٤) « دع الشمس تشرق » ، وليم سيرز ، ص ١٠٧ و ١٠٨ .

الشمس والقمر » ، لذلك لما اقترن سماء المشيئة (القدوس) بأرض الارادة (قرّة العين) ظهر أسرار التوحيد وسر العبادة ، وارتفع الحجاب ، حجاب الكثرة عن وجه المعشوق المقصود وأعطيا كؤوسا من جوهر الخمر لذة للشاربين حتى فقدت جماعة شعورها من وفور السرور والنشوان وتغنوا بألحان بديعة وظهر معنى « هتك الستر لغلبة السر » وتجاوبت أصواتهم الفرحة المسرورة ببشائر السموات السبعة »[(1)] .

و « سافرت قرة العين مع البارفروشي الشاب المحبوب في هودج واحد الى مازندران أعده حسين علي البهاء لهما ، كما كانت القرة تعطي قصيدة غزلية يوميا للحداة كانوا يتغنونها في السفر »[(2)] .

« ودخلت معه في قرية هزار جريب في حمام واحد للاستحمام ، ولما سمع أهل القرية ماهم عليه من الفجور العلني وعدم العفة والحياء ، والجهر باقتراف الكبائر ، هجموا عليهم جماعات ووحدانا فقتلوا البعض ومزقوا جمعهم الباقي وشتتوا شملهم ، ففر كل واحد على وجهه مرة أخرى لايعرف الثاني وطريقه »[(3)] .

ثم اشتركت في مؤامرة اغتيال الشاه ناصر الدين القاجاري بعد إعدام الباب ، وقُبض عليها وحُكم بأن تُحرق حية ولكن الجلاد خنقها قبل أن تلعب النار بالحطب الذي أعد لاحراقها[(4)] .

« ورميت جثتها في حفرة بعد ما ملئت بالحجارة والتراب »[(5)] وكان ذلك في أول ذي القعدة سنة ١٢٦٨ هجري ، الموافق ١٨٥٢ م »[(6)] أي بعد سنتين وشهرين من اعدام الباب الشيرازي ، وكان عمرها آنذاك من اثنين وثلاثين الى سبع وثلاثين على مختلف الأقوال[(7)] .

---

(١) « نقطة الكاف » ، ص ١٤٤ – ظهير ، ص ٧٣ .

(٢) « مطالع الأنوار » ، ص ٢٩٨ ط انكليزي – « البابية » ، لظهير ، ص ٧٤ .

(٣) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ١٨١ ، والكواكب ونقطة الكاف – « البابية » ، لظهير ٧٤ .

(٤) « دائرة المعارف » ، للبستاني ، ص ٢٨ ج ٥ ، ط طهران – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٠ .

(٥) « الكواكب الدرية » ، ص ٣٢٢ فارسي – قرة العين ، ص ٩٧ – « البابية » ، لظهير ص ٢٥٠ .

(٦) « الكواكب الدرية » ، ص ٣٢٠ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٠ .

(٧) « البابية » ، لإحسان إلهي ظهير ، ص ٢٥٠ .

وقد حدد أبو الفضل تاريخ إعدامها بعام ١٢٦٨ هـ عقب محاولة اغتيال الشاه ناصر الدين ، وقال ان جثتها أُلقيت في بئر في الجنينة المعروفة بباغ ايلخاني[١] وحدده وليم سيرز بشهر أغسطس من عام ١٨٥٢ م وقال انها كانت في السادسة والثلاثين من عمرها[٢]. وحدده عبد الرزاق الحسني بعام ١٢٦٤ هـ نقلا عن « مفتاح باب الأبواب » وقال ان جثتها أحرقت بعد إعدامها[٣].

ولقد كتب المستشرق الإنكليزي ادوارد براون في مقال له : « إن الشخصية الجذابة الخلابة لأنظارنا وانتباهنا في تكوين الديانة البابية ، غير الباب الشيرازي ، هي الجميلة الذكية التي وهبت حظاً وافراً وقسطاً وافياً من الحسن والجمال والعقل والذكاء قرة العين التي هي شاعرة وعالمة وخطيبة ، ولقبت بالطاهرة » .

ويقول السير فرانسيس ينج في كتابه « إن أقوى الشخصيات في الحركة البابية وأميزها من الجميع هي قرّة العين التي كانت شاعرة ممتازة وخطيبة بليغة مؤثرة » .

وقال ويليتائن « ماكان لأحد تأثير ونفوذ في البابيين مثل ماكان لشاعرة قزوين قرّة العين الطاهرة »[٤] .

يقول داعية البهائية وليم سيرز :

« إن العقاب نفسه الذي قضى على أعداء الأمر دون رحمة في شيراز وأصفهان وتبريز وطبرسي برز مرة أخرى ضد مضطهدي الطاهرة . فالملك الذي علم براءتها وكان في استطاعته انقاذها كتب له فيا بعد أشد ضربة من العقاب . وعمها تقي الذي صفعها بوحشية ، قتل على يد قاتل . ومحمود خان رئيس بلدية طهران الذي سجنها في منزله زهاء ثلاث سنوات وتعاون مع رئيس الوزراء على اعدامها ، لاقى موتا مشابها لذلك الذي سمح بحدوثه للطاهرة . فقد أصدر الملك أمرا باعدامه ، وطلب من الجلاد إعداد الحبال لتلف حول عنقه حتى يختنق . وأمر الملك بترك جثة رئيس البلدية معلقة

---

(١) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ٣٢١ .
(٢) « دع الشمس تشرق » ، ص ١١٧ .
(٣) البابيون والبهائيون ، ص ٢١ .
(٤) « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٢٥١ .

على المشنقة عبرة لغيره »(١) .

بالطبع يحتاج المرء إلى إيمان كإيمان البابيين والبهائيين ليستطيع تقبل مثل هذه الاستنتاجات ، أو ليستطيع تصور إمكان حدوث مثل هذه الوقائع ، إذا كانت قد وقعت فعلا ، بدون تنظيم سريٍّ يعمل في الخفاء ، أو بدون قوى خارجية تقف وراء البدعة الجديدة .

٣ ـ الملا محمد علي البارفروشي « القدوس » :

يأتي محمد علي البارفروشي في المرتبة الثانية ، بعد رزين تاج قرّة العين . كانت له سيطرة عظيمة وتأثير كبير على البابيين ، حتى أن البشرويّ الذي لُقِّب بباب الباب من قبل الشيرازي وأول المؤمنين به ، كان يحترمه ويعظّمه ويخضع أمامه ويخشع « ويقف بين يديه كالعبد الذليل بين يدي طلعة مولاه الجليل »(٢) « وحتى الباب الشيرازي سجد له مرتين »(٣) .

ولد محمد علي هذا ، الملقب بالقدوس ، على فراش المرزه مهدي البارفروشي ، أحد أعيان الشيخية في مدينة بارفروش من مقاطعة مازندران(٤) . وكان ولد الزنا ، كما يُصرِّح بذلك أحد أتباعه المخلص والمبالغ في حبه المرزه جاني الكاشاني ، الذي كان من أوائل البابيين الذين قتلوا في هذا السبيل :

يقول ذلك البابي في كتابه « نقطة الكاف » ، وهو أول كتاب على الإطلاق في تاريخ البابية : « إن والدة القدوس لما زُفّت إلى والده كانت حبلى من ثلاثة أشهر ، وبعد ستة أشهر من الزواج وضعت حملها ، وأنجبت حضرته (أي محمد علي القدوس) . لذلك كان الأعداء يُعرِّضون به وينسبون إلى أمه التهمة ويطعنون في نسبه ، ولكن الأحباء والمخلصين يؤوِّلون هذا بالخير ويَعُدونه معجزةً ، حكاية عيسى »(٥) .

---

(١) « دع الشمس تشرق » ، وليم سيرز ، ص ١١٥ و ١١٦ .
(٢) « نقطة الكاف » ، ص ١٦١ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥١ .
(٣) « تاريخ البابية » ، ص ٢٠٩ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٢ .
(٤) « الكواكب الدرية » ، ص ٤٢ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٢ .
(٥) « نقطة الكاف » ، ص ١١٩ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٢ .

وليس هذا وحسب ، بل أقر بذلك البارفروشي أمام الذي وُلِدَ على فراشه ، حيث قال له مرة : « فاعلم أني لست بولدك ... بل أنا عيسى وظَهَرْتُ بصورة ابنك ، واعترفتُ بأبوتك مصلحة »[1] .

كان شابا وسيما متألقا وجميلا ، طموحا وحريصا على المناصب ، وكانت دراسته سطحيةً ، فهو لم يكن من بيت علم أو علماء ، ولكنه درس بعض العلوم الدينية وغير الدينية كعادة أبناء ذلك العصر[2] . وكانت دراسته أيضا على الطريقة الشيخية ، وكان من أصدقاء الملا حسين البشروئي وزملائه ، مع التفاوت في السن ، فالبشروئي كان أكبر سناً منه .

ولما سمع البارفروشي من البشروئي أن واحداً من شيراز أعلن بابيته ويطلب منه (أي من البشروئي) أن يجمع له أنصاراً ونقباء ، أدرك أن المدعي هو علي محمد الشيرازي ، لما له من معرفة سابقة به ، وقال للبشروئي : أعلم قطعياً وأقول يقيناً أن المدعي ليس إلاّ علي محمد الشيرازي ، ثم لُقِّبَ من قبله بالقدوس[3] . ولم يكن عمره آنذاك أكثر من واحد وعشرين سنة[4] . « وأخذه الباب الشيرازي معه إلى ميناء بوشهر لما أراد السفر للحج »[5] . ولم يكتف البارفروشي بلقب القدوس الذي منحه الباب إياه بل « ارتقى بعد ذلك إلى دعوى المهدوية والقائمية »[6] . ثم تدرج أيضا فادعى أنه هو عيسى الذي وُلِدَ بلا والد كما سلف في حديثه مع مهدي البارفروشي .

ثم ارتقى مرة أخرى فادعى « أنه هو رجعة رسول الله نفسه » . وقال البابيون فيه : « يحق له أن يحرِّم الحلال ويُحِل الحرام »[7] .

---

(١) « نقطة الكاف » ، ص ١١٩ و ١٩٩ و ٢٠٧ – « البابية » ، لظهير ، ص ١٨٤ و ٢٥٢ .

(٢) « الكواكب الدرية » ، ص ٤٣ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٣ .

(٣) « الكواكب الدرية » ، ص ٤٢ – « البابية » ، ظهير ، ص ٢٥٣ . تماماً كما لُقِّبَت رزين تاج قُرَّةُ العين بالطاهرة .

(٤) « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٣ .

(٥) « مقالة سائح » ، ص ٢٥ ، ط لاهور – « البابية » ، ظهير ، ص ٢٥٣ .

(٦) « نقطة الكاف » ، ص ٢٠١ و ٢٠٧ ، ط ليدن – ظهير ، ص ٢٥٣ .

(٧) « نقطة الكاف » ، ص ١٥٢ و ١٥٣ و ٢٤١ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٤ .

ثم انهمك في الفسوق والفجور ، وكانت له صلةٌ وثيقة برزين تاج قرَّة العين .

فمن مجملٍ سيرته يلاحظ أن لقب « **القدوس** » اختير للبارفروشي بِرَوِيَّةٍ تامةٍ ، تماما كما اختير لقرَّة العين لقب « الطاهرة » ، انطلاقا من خطة منهجية .

يقول البابي جاني الكاشاني في كتابه « نقطة الكاف » :

« لما رآى البارفروشي المرزه يحيى (صبح الأزل) ورآى حُسنه وجماله سُرَّ جداً واستقبله استقبالاً حافلاً للغاية ، وذهب به بعيداً عن الأصحاب وأظهر له لطفه ومودته ، فحادثه مدَّةً ، وأنشأ خطبة في حسنه وجماله وأوصافه ، وأخذ يُغَنِّي بلحنٍ يُحْيي الموتى مثل نفخ عيسى في الأرواح ، وزرع بذر حبه في مزرعة قلبه ، وخطَّ ودَّه على لوح فؤاده ، وجذبه اليه بالنفحات السرية والعلنية ، وسقاه من خمره النادر المؤثر ، وجعله سكراناً أبدَ الدهر ، ولم يرجع إلاَّ وقد ظهر على المرزه يحيى آثار الجمال والجلال من طلعته البهية ، ثم أرسله إلى الطاهرة »[1] .

كان البارفروشي أحد قادة البابيين في معركة « قلعة طبرسي » ، وكان يشجع أنصاره ويحرضهم على القتال بقوله : « **نحن سلاطين الحق وسيكون العالم كله تحت أرجلنا ، وسيخضع لنا جميع سلاطين الشرق والغرب** »[2] . ونرى أن هذه العبارة تفضح هوية البارفروشي والبابيين عموما ، فهي ليست من بنات أفكاره ، إذ نلمح مثيلاً لها في بروتوكولات حكماء صهيون ، حيث تقول :

« يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين ، فلن يدخل هذا في موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلا للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل الينا بعقيدته الصارمة واجب **اخضاع كل الأمم تحت أقدامنا** »[3] .

كما نلمح مثيلا لها في رواية جورج أورويل (١٩٨٤) حيث يقول على لسان أحد أشخاص روايته : « دائما وفي كل لحظة سوف تكون هنالك نشوة النصر ، إحساس

(١) « نقطة الكاف » ، ص ١٥٢ و ١٥٣ و ٢٤١ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٤ .

(٢) « نقطة الكاف » ، ص ١٦٢ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٨٣ .

(٣) البروتوكول ١٤ .

سحق العدو الميؤوس من وضعه . وإذا ما أردت صورة عن المستقبل فتخيّل حِذاءً يدوس على وجهٍ بشري إلى الأبد ... وعليك أن تتذكر إلى الأبد ، إلى الأبد سيظل الوجه دائما تحت الحذاء »[١] .

ثم أصبح البارفروشي رئيساً للبابيين في قلعة طبرسي ، بعد مقتل البشروئي ، لكن المعركة انتهت وقتئذ إلى أنه « مدَّ يَدَ المصالحة إلى الأمير وطلب منه الأمان لنفسه ولرفاقه ، وأعلن البراءة من مخالفته للحكومة ، وحط كل الوِزر على عواتق البشروئي القتيل ، ولعنه وشتمه على رؤوس الأشهاد ، وقال انه هو الذي كان سببا للفتنة والفساد أصلا »[٢] .

وكان البارفروشي في معركته هذه مع المسلمين « يأمر بنصب رؤوسهم على أبراج القلعة بعد قتلهم خيانةً وغدراً »[٣] .

استسلم البارفروشي ورفاقه إلى القوات الحكومية في نهاية معركة طبرسي ، التي امتدت من ذي القعدة ١٢٦٤ هجري إلى أواخر جمادى الآخرة سنة ١٢٦٥ . « بعد أن نالوا وعداً بالعفو ، وعلى الرغم من هذا الوعد فقد أعمل جند الشاه السيوف في رقابهم . وسيق البارفروشي إلى مسقط رأسه « بارفروش » مع رفاقه الثمانية وقتل بعد العذاب الشديد بأنواعه ، وأحرق نعشه ورُمي في خرابة احدى الزوايا »[٤] . وذلك في أول رجب سنة ١٢٦٥ هجري . وكان عمره يومئذ سبعاً وعشرين سنة[٥] .

كان البارفروشي قد تنبأ حال حياته بأنه « سيرتفع البناء على قبره ويأتي الناس لزيارته من البلاد البعيدة »[٦] . كما تنبأ « الباب » له بأنه « في المستقبل القريب سيرتفع الأبنية الرفيعة والضريح الكبير على قبره ويأتي الناس فوجا فوجا من كل العالم لزيارة

(١) رواية جورج أورويل « ١٩٨٤ » ، ترجمة عبد الكريم ناصيف ، ص ١٩٢ .
(٢) « نقطة الكاف » ، ص ١٩٢ – « البابية » ، لظهير ، ص ٨٤ .
(٣) « نقطة الكاف » ، ص ١٧٧ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٥ .
(٤) « الكواكب الدرية » ، ص ١٨١ – « البابية » ، لظهير ، ص ٨٥ .
(٥) « قرة العين » ، ص ٨٨ ، ط باكستان – « البابية » . لظهير ، ص ٢٥٥ .
(٦) « نقطة الكاف » ، ص ٢٩٨ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٥ .

ضريحه »(١) ، « وبكى عليه تسعة عشر يوما كاملا وترك الطعام وأرسل شخصا واحداً من أقربائه ليأتي ترابا من تربته هدية له »(٢) . لكن لم يعد يعثر على أثر للقبر أو الضريح(٣) .

ولقد نقل مؤرخ البابية جاني الكاشاني عن المرزه حسين علي (بهاء الله) « أن القدوس كان يريد ادعاء شيء ولكنه لم يمهله الأجل »(٤) .

وفعلا ادعى « أن أصل النقطة والرب (أي الباب) هو (البارفروشي) وليس الشيرازي (الباب) إلاّ بابه وداعيته »(٥) .

٤ – يحيى صبح الأزل :

هو يحيى المازندراني ، أخ غير شقيق لحسين علي (بهاء الله) ، اعتنق البابية حين كان عمره ستة عشر أو سبعة عشر عاما(٦) .

يقول يحيى « في جواب من سأله ، ما الذي عرّفك على الباب الشيرازي وحرّضك على الايمان به ؟ : « إن أخي (المرزه حسين علي البهاء) كان يتدارس مع أصحابه كتابات حضرة الشيرازي (الباب) ويتباحث معهم ، ومنه سمعت اسمه وتعرفت عليه ، حتى وفي يوم من الأيام سمعت منهم مناجاة كثر فيها ذكر آه آه ، فجذبت قلبي وأثّرت في روحي وأيقنت بأنه حق »(٧) .

كان حسين علي حينئذ في السابعة والعشرين من عمره(٨) .

ماتت أمه في طفولته ، فربّته زوجة أبيه والدة حسين علي البهاء(٩) .

---

(١) « نقطة الكاف » ، ص ٢٠٩ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٥ .
(٢) « نقطة الكاف » ، ص ٢٠٩ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٥ .
(٣) « البابية » ، احسان الهي ظهير ، ص ٢٥٥ .
(٤) « نقطة الكاف » ، ص ٢٠٠ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٦ .
(٥) « نقطة الكاف » ، ص ٢٠٧ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٦ .
(٦) « نقطة الكاف » ، ص ٣٩ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٨ .
(٧) « نقطة الكاف » ، للكاشاني ، ص ٢٣٩ و ٢٤٠ – « البهائية » ، لظهير ، ص ١٢ .
(٨) « بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٣٢ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٨ .
(٩) « دائرة المعارف للمذاهب والأديان » ، ج ٢ ص ٣٠١ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٨ .

لم يكن يحيى من أهل العلم والذكاء ولم يدرس العربية وعلومها إلا قليلاً جداً ، ولكنه كان خطاطاً مجيداً ومائلاً إلى التصوف وأهل المعرفة[١] .

ويقول جاني الكاشاني ، وكان من أتباعه المخلصين ، وقتل قبل الخلافات التي حصلت بين البابيين : « صاحبتُ صبح الأزل مدة ولم أرَ منه علماً ولافضلاً »[٢] .

كان يحيى زاهداً متقشفاً ، وكان جميلا متألقا ، نحيلاً وسيماً وجذاباً في مقتبل شبابه ، لذلك لما وصل الخبر إلى الباب الشيرازي أنه آمن به واعتنق ديانته « وقف مرات وجلس من شدة الابتهاج والسرور ، وقدم للمعبود شكراً على مامنّ به عليه »[٣] .

أحبه الباب وقرّبه إليه ، إذ كان يرى فيه « نوراً أشرق من صبح الأزل » ، لذا كنّاه بصبح الأزل[٤] .

كان يحيى يردّد لأخيه حسين علي البهاء « لو ظهر قائم المسلمين وموعودهم فماذا نفعل بالباب الشيرازي »[٥] .

سافر إلى خراسان ومازندران ولقي الملا محمد علي البارفروشي وقرة العين ، وأنِس به البارفروشي كما أحبته قرّة العين[٦] .

ثم أراد الالتحاق بالبابيين المحصورين في قلعة الطبرسي ولكن حيل بينه وبين وصوله إلى هناك[٧] .

حضر مؤتمر بدشت الذي قرّروا فيه نسخ الإسلام[٨] .

---

(١) « نقطة الكاف » ، ص ٢٣٩ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٩ .
(٢) « نقطة الكاف » ، ص ٢٤٠ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٩ .
(٣) « نقطة الكاف » ، ص ٢٣٨ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٩ .
(٤) البابيون والبهائيون ، للحسني ، ص ٣٥ .
(٥) « الكواكب الدرية » ، ص ٣٦١ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٩ .
(٦) « نقطة الكاف » ، ص ٢٣٨ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٩ .
(٧) « نقطة الكاف » ، ص ٢٤١ ــ « البابية » لظهير ، ص ٢٥٩ .
(٨) « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٠ .

يقول براون في كتابه « مقدمة نقطة الكاف » في معرض حديثه عن يحيى « ان الشيرازي (الباب) أحبه لتقشفه وزهده وانهماكه في تبليغ الديانة البابية وجماله وعمره كالبارفروشي وشاعرة قزوين قرّة العين حتى بعد قتل البارفروشي وهلاك البشروئي والدارابي في السنة الخامسة من دعواه . لقبّه الشيرازي بصبح الأزل ليجعله مصداقاً لتلك الرواية الشيعية : « نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هيكل التوحيد آثاره »[1] ، وكان ذلك سنة ١٢٦٥ هـ في شعبان أو رمضان[2] .

أحبت قرّةُ العين يحيى صبح أزل واحتضنته ، وقد كتب مؤرخ البابية المرزه جاني الكاشاني يقول : « كان المرزه يحيى مركز الجمال والجلال ، يتكرر إلى الطاهرة ، وكانت – وهي في الثامنة والعشرين من عمرها – تحتضن ذلك الطفل الأزلي ، وهو في السادسة عشرة ، وترضعه من لبن لم يتغير طعمه وتربيه في مهد الآداب الحسنة والأخلاق الطيبة ، وتلبسه ملابس أهل الفكرة المستقيمة إلى أن قويت بنيته »[3] .

وقُبيل مقتل الباب جمع مكتوباته وخاتمه ولباسه ومقلمته ومخلفاته في جعبة ، وأرسلها مع مفتاحها من سجنه في قلعة تبريز إلى يحيى . وأمره أن يتم « البيان » بكتابة الأوحاد الثمانية التي تركها – من البيان العربي – ونص على أنه لايُكمله إلاّ وصيُّه . وكتب معها وصيته وختمها بختمه وأرسلها إليه . ونصها :

« ألله أكبر تكبيرا كبيرا .

هذا كتاب من عند الله المهيمن القيوم الى الله المهيمن القيوم ، قل كل من الله مبدؤن ، قل كل الى الله يعودون ، هذا كتاب من علي قبل نبيل[4] ذكر الله للعالمين الى من يعدل اسمه اسم الوحيد[5] ذكر الله للعالمين قل كل من نقطة البيان ليبدؤن[6] أن

---

(١) « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٠ .

(٢) كذلك .

(٣) « قراءة في وثائق البهائية » ، د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٥٩ .

(٤) يقصد بعلي قبل نبيل اسمه هو علي محمد ، باعتبار « نبيل » تطابق من حيث القيمة العددية « محمد » في حساب الجُمَّل .

(٥) يعني به « يحيى » ، لأن عدد « الوحيد » يطابق عدده في حساب الجُمَّل .

(٦) نقطة البيان من ألقاب « الباب » .

يا اسم الوحيد فاحفظ مانزل في البيان وأمر به فانك لسراط حق عظيم »[١] .

وأنكر ذلك البهائيون ، حيث قالوا : إن الباب لما علم أنه سيعدم أرسل هذه الأشياء كلها بيد الملا باقر ليسلمها إلى عبد الكريم القزويني حيث يوصله هو بدوره إلى المرزه حسين علي الملقب من قبل الباب بالبهاء[٢] .

فالواضح أن الأخوين تنازعا الوصاية ، مع أن الثابت ، وفق قول براون والمؤرخ البابي جاني الكاشاني المقتول ببابيته في طهران سنة ١٢٦٨ هجرية ، أن وصي الباب الشيرازي وخليفته بنصه لم يكن إلاّ المرزه يحيى صبح الأزل[٣] .

« تزحزح عن البابية بعد اعدام الباب بتبريز وهرب الى قريته نور وتسبب في تزحزح بابيين آخرين عن البابية ورجوعهم إلى الإسلام »[٤] .

وبعد إعدام الباب بدأ يحيى بالتنقل من قرية إلى قرية ،من قريته نور وشميران حوالي طهران يبشر بتعاليم الشيرازي خفية[٥] . إلى أن هرب في زي الدراويش من ايران إلى بغداد بعد محاولة اغتيال الشاه الفاشلة من البابيين ، وفي يده كشكول السائلين والعصا متنكراً سنة ١٢٦٨ هـ[٦] . وأعلنت الحكومة الايرانية عن دفع ألف تومان لمن يساعد في أسره أو يدل على وجوده[٧] .

ولحقه البابيون الآخرون هاربين من ايران ، ومنهم المرزه حسين علي المازندراني (بهاء الله) أخوه « وولاّه المرزه يحيى وكالته وتنظيم البابيين ورعاية مصالحهم »[٨] .

---

(١) « نقطة الكاف » ، للكاشاني ، ص ٢٤٤ ـ « مقدمة نقطة الكاف » ، لبروفسور براون ، ص « لد ، له » ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٠ .

(٢) « مقالة سائح »، ص ٣٦ ، لعبد البهاء ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٣٦ .

(٣) « البابية » ، لإحسان إلهي ظهير ، ص ٢٦١ .

(٤) « الكواكب الدرية » ، ص ٣٣٨ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٥٩ .

(٥) « مقالة سائح » ، الهامش ص ٣٤٨ ط انكليزي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٥ .

(٦) « مقدمة التاريخ الجديد » ، ط انكليزي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧ .

(٧) مقدمة نقطة الكاف ، ص لط ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧ .

(٨) « دائرة المعارف للمذاهب والأديان » ص ٣٠١ ، ج ٢ ، ط انكليزي ـ « البابية » ، لظهير ، ص٢٦٧ .

« وكان المرزه حسين علي يراسل عنه ويكاتب الناس ويخاطبهم ، والناس يخاطبونه ويكاتبونه بصفته وكيلاً عن أخيه يحيى »[1] .

وكان المرزه حسين علي (بهاء الله) نفسه يمدح المرزه يحيى ، وكان يبالغ في ذكر أوصافه الحسنة وخصاله الطيبة . فقد ذكر المرزه جاني الكاشاني عنه : « ان والدته (أي والدة بهاء الله) لم تكن تبالي بابن ضرتها المرزه يحيى ، حتى لقيها رسول الله ﷺ وصاحب الولاية (علي) في المنام ، وقبّلا أمامها المرزه يحيى وأمراها أن تحافظ على ذلك الولد حتى يصل إلى القائم ، وقالا : إن هذا ولدنا . ثم قال حسين علي : وما كنت أعرف وأنا أربّي هذا الطفل (يقصد يحيى الذي هو أصغر من حسين علي بثلاثة عشر عاما) أن يكون صاحب هذه المرتبة الرفيعة مع ماكنت أعرف منه الأدب والحياء والأخلاق ، واجتنابه مخالطة الأطفال وأفعال الصبيان »[2] .

ثم وقع النزاع بين حسين علي وأخيه ، وهما في بغداد ، وأيضا بدأت المناوشات بينهم جميعا من جهة وبينهم وبين المسلمين من جهة أخرى .

فطلب علماء كربلاء والنجف من الحكومة نقلهم من بغداد ، كما طلب قنصل ايران المرزه زمان خان وقبله المرزه بزرك خان بوساطة المرزه حسين خان مشير الدولة سفير ايران لدى الباب العالي نقلهم من بغداد لقربها من ايران[3] .

فنقلتهم الحكومة العثمانية إلى استانبول ، ومن استانبول الى أدرنه ، سنة ١٢٨٠ هجرية ، بمن فيهم المرزه يحيى والمرزه حسين علي .

وفي أدرنه أعلن حسين علي جهرا بأنه هو وريث الباب الشيرازي ، وأنه هو المقصود بعبارة « من يُظْهِره الله » التي وردت في كتابات الباب أو على لسانه ، فحصل الخلاف الشديد بين البابيين ، وهنالك افترقوا فرقتين ، فرقة لازمت المرزه يحيى صبح الأزل وسميت الأزلية ، وكان فيها كبار البابيين وبقية « حروف حي » مثل الملا محمد

---

(١) « مفتاح باب الأبواب » ص ٣٣٦ - « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧ .

(٢) « نقطة الكاف » ، ص ٢٣٩ - « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٤ .

(٣) « مقالة سائح » ، ص ٨٧ ومابعد ، ومجلة وحيد ، ص ٦٥ ، ومابعد ، رقم العدد ٨٦ - « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧ .

جعفر النراقي ، والملا رجب علي القاهر ، والسيد محمد الأصفهاني ، والسيد جواد الكربلائي ، والمرزه أحمد الكاتب ، ومتولي باشي القمي ، وغيرهم .

وتبع الآخرون المرزه حسين علي ، لما كان يملك من المكر والدهاء والذكاء والخداع وكان أعلم من المرزه يحيى بأحوال البابيين لمباشرته أعمالهم وتربيتهم وتنظيمهم وكالة عنه ، ولمهارته في العلوم الصوفية وتضلعه في التأويل ، والتأويل الباطني خاصة .

جرت المناقشات بينهما وبين أتباعهما حتى امتد إلى القتل والقتال فأجلتهم الحكومة العثمانية من أدرنة سنة ١٢٨٥ هـ وأتباعهما[١] .

« فأجلي صبح الأزل مع عائلته وأتباعه إلى فماغوستا بجزيرة قبرص التي كانت تحت حكم العثمانيين آنذاك ، ونُفي حسين علي البهاء مع أهله وأتباعه إلى عكا بفلسطين »[٢] .

ويذكر جولد تسيهر أنه وجد صورة لصبح الأزل في كتاب براون : « التاريخ الجديد للباب – كمبردج سنة ١٨٩٣ »[٣] .

ونشر عبد الرزاق الحسني صورة ليحيى صبح الأول مع بعض أولاده في كتابه « البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم » (ص ٣٨ – ٣٩) .

٥– الملاّ حسين البشروئي (باب الباب) :

هو أحد تلامذة الرشتي والأحسائي ، وزميل الباب في الدرس ، وهو أول من أعلن الباب أمامه دعواه في الليلة الخامسة من جمادى الأولى ، ٢٣ آذار (مارس) ١٨٤٤ م ، لذلك سماه الباب « **باب الباب** » و « أول من آمن به » ، وجعله ركناً رابعاً للشيخية[٤] .

---

(١) « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٨ .

(٢) « مقدمة نقطة الكاف » ، ص مب – « الكواكب الدرية » ، ص ٣٨٢ ط فارسي – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٨ .

(٣) « العقيدة والشريعة » ، ص ٣٦٣ .

(٤) « نقطة الكاف » ، ص ١٠٦ و ١٨١ – « بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٢٢ – « البابية » ، لظهير ، ص ٥٦ و ١٦٨ .

كان أحد حروف « حي »[١] وأحد أقطاب مؤتمر بدشت [٢].

استنكر فجور البابيين في مؤتمر بدشت ، وقال « أنا أقيم الحد على المجتمعين في بدشت »[٣] .

قاد البابيين في معركة طبرسي وقتل فيها في تاسع ربيع الأول ١٢٦٥هـ (١٨٤٩) ، ودفن في قلعة طبرسي ومحيت آثار قبره لئلا يمثل به أعداؤه[٤] . ولُقِّب بـ « الحسين و سيد الشهداء »[٥] .

يقول المؤرخ الفرنسي جوبينو أن الباب علي محمد الشيرازي « تنازل عن لقب الباب لأحد أشياعه المدعو حسين بشروئي من أهالي خراسان ، وهو الذي طبع البابية بطابع عملي قلبه إلى حزب سياسي شديد الخطورة »[٦] .

ويقال أن الباب كتب كتابه « البيان » تحقيقا لرغبة الملا حسين البشروئي[٧] .

---

(١) « البابيون والبهائيون ... » ، عبد الرزاق الحسني ، ص ١٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ .
(٣) « مقدمة نقطة الكاف » ، لبراون ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٧٢ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤ ـ « مطالع الأنوار » ، ص ٢٠٢ عربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٨٣ .
(٥) « نقطة الكاف » ، ص ١٧٢ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٨٣ و ١٦٩ .
(٦) « الديانات والفلاسفة في آسيا الوسطى » ، لكونت حوبينو الفرنساوي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٦٨ .
(٧) « البابية » ، لظهير ، ص ١٠٤ .

الفصل الثالث

مؤتمـــر بدشـــت

في سنة ١٢٦٤ هجري ، حين كان « الباب » معتقلاً في « قلعة ماكو » قرر أنصاره ، وعلى رأسهم حروف « حـي » ، عقد مؤتمر لهم في صحراء بدشت الواقعة على نهر شاهرود ، بين خراسان ومازندران في ايران ، وكان على رأس القائمين بهذا التدبير ملا حسين البشروئي (باب الباب) ، ومحمد علي البارفروشي (القدوس ــ وكان وقتئذ في الثلاثين من العمر) ، وأم سلمى خانم[1] رزين تاج بنت ملا صالح القزويني البرقاني التي يسـمـونها « قرّة العين » ويلقبونها « الطـاهرة » (وكانت وقتئذ في الثـلاثين من العمر) ، وميرزا حسين علي المازندراني (بهاء الله) الذي استضاف المؤتمرين جميعاً . وقد بلغ عدد المجتمعين في بدشت زهاء واحد وثمانين شخصاً ، وصدر لوح من الباب لكل من اجتمع في بدشت ، وصدر باللقب الذي لقب به[2] . وقال بعضهم أن عدد المجتمعين كان واحداً وخمسين[3] ، كما حضر المؤتمر المرزه يحيى الملقب بالوحيد وصبح الأزل[4] .

وكان انعقاد المؤتمر بايعاز من الباب ذاته . كما يذكر مؤرخ البابية والبهائية آواره : « أن قرّة العين التي كانت على اتصال دائم بالمراسلات مع الباب أخبرت أن التوقيعات الصـادرة من « ماه كو » ترشد أن الوقت وقت التحرك سواء لتبليغ الأمر أو لأداء الخدمات الأخرى ، ولازم أن لاتجلسوا صامتين »[5] .

(١) تأنيث « خان » .

(٢) « مطالع الأنوار » ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٢ . « البابية » ، لظهير ، ص ٧١ .

(٣) « دائرة المعارف الأردية » ، ص ٧٨٦ ، ج ٣ ــ « البابية » ، ظهير ، ص ١٧٦ .

(٤) « نقطة الكاف » ص ٢٤٠ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٧١ .

(٥) « الكواكب الدرية » ، ط عربي ، ص ٢١٨ و ٢١٩ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٧١ .

لقد قيل الكثير عن المنكرات والفواحش التي ارتكبت في بدشت ، حتى أن أحد كبار المؤتمرين ، وهو البشروئي « باب الباب » قال : « أنا أقيم الحد على البدشتيين »[1] .

وكتب بروفسور براون المستشرق البريطاني المحب للبابيين والمؤرخ لهم ، والذي قيل عنه : لولاه لم يكن للبهائيين أثر في العالم الجديد، كتب في مقدمة « نقطة الكاف » يقول : « إن المؤرخين البهائيين حذفوا بعض وقائع مؤتمر بدشت من الكتب التي ألّفوها في تاريخ البابيين . ومنها المطاعن التي طعن بها المسلمون وشنّعوا عليهم من الحركات الشنيعة والأطوار الغريبة ، التي ماجعلت المسلمين وحدهم أن يهجموا عليهم ويقولوا فيهم ماقالوه ، بل البابيين أنفسهم قبّحوا تلك الأفعال حتى أن الملا حسين البشروئي الملقب بجناب باب الباب قال : أنا أقيم الحد على المجتمعين في بدشت . وهذا دليل صدق على أن القذف الذي يقذف به المسلمون البابيين من الاباحية والاشتراك في النساء وغير ذلك ليس بافتراء محض وبهتان صرف أتى المسلمون به عداوة واختراعا بل كان هنالك أشياء فقالوها وارتكب الناس أمورا فأنكروها »[2] .

وحتى المرزه جاني الكاشاني البابي المقتول في البابية ألمح بأشياء ، منها قوله : « ان قرة العين لمّا فرّت من « قزوين » بعد قتل عمها ، إلى « خراسان » ، ووصلت إلى شاهرود . ففي نفس الوقت وصل جناب الحاج « محمد علي القدوس » من « مشهد » ، وصارا مصداق « وجمع الشمس والقمر » ، لذلك لما اقترن سماء المشيئة (القدوس) بأرض الارادة (قرة العين) ظهر أسرار التوحيد وسر العبادة ، وارتفع الحجاب ، حجاب الكثرة عن وجه المعشوق المقصود وأعطيا كؤوسا من جوهر الخمر لذة للشاربين حتى فقدت جماعة شعورها من وفور السرور والنشوان وتغنوا بألحان بديعة وظهر معنى « هتك الستر لغلبة السر » وتجاوبت أصواتهم الفرحة المسرورة ببشائر السموات السبعة »[3] .

ونقل البستاني في « دائرة المعارف » عن السيد جمال الدين الأفغاني ، وهو يذكر

---

(١) « نقطة الكاف » ، ص ١٥٥ – « البابية » ، لظهير ، ص ٧٢ .

(٢) « مقدمة نقطة الكاف » ، ص « سا » و « سب » – « البابية » ، لظهير ، ص ٧٢ .

(٣) « نقطة الكاف » ، ص ١٤٤ – « البابية » ، لظهير ، ص ٧٣ .

مؤتمر بدشت ، قوله : « فوقع الهرج والمرج وفعل كل من الناس ماكان يشتهيه من القبائح »[١] .

ولأجل ذلك ، يقول المؤرخ البهائي عبد الحسين آواره : « هجم عليهم المسلمون من أهل القرى المجاورة لهذه البيداء وقلعوا خيامهم وجرحوهم ونهبوا أموالهم وطردوهم من هناك »[٢] .

ويذكر جاني الكاشاني أكثر من ذلك ، فيقول : « افترق الناس في بيداء بدشت بجماعات ، جماعة افتقدوا شعورهم في تلك البيداء الجميلة النقية ، وطائفة تحيّرت ، وفريق جن جنونهم ، وفرقة فرت من قيلهم وقالهم ، فاضطرب الأهالي المجاورون لتلك البيداء من أحوالهم وحركاتهم لما رأوا منهم أموراً لم يروا مثلها من أحد غيرهم ، فهاجموهم ليلا وأغاروا عليهم ورجموهم بالأحجار الكثيرة الثقيلة ، فتفرقوا وهرب كل واحد من هناك الى جهة ، فذهب جماعة الى « أشرف » ،وجمع إلى « آمل » ، والبعض إلى « بارفروش » ، وسافر القدوس خفية من الناس إلى « بارفروش » أيضا وسافرت قرة العين معه ، ثم ارتحلت الى « نور » قرب « طبرس » (قرية حسين علي — بهاء الله) ، فانتشرت أخبارهم ، الصحيحة منها وغير الصحيحة ، في « مازندران » كلها ، وصارت سبباً لفضيحتهم وذلهم »[٣] .

و « سافرت قرّة العين مع البارفروشي الشاب المحبوب في هودج واحد إلى « مازندران » ، أعده حسين علي البهاء لهما . كما كانت القرة تعطي قصيدة غزلية يوميا للحداة كانوا يتغنونها في السفر »[٤] .

ويقول آواره : « واذا ثبت أن السيدة سافرت حقيقة إلى خراسان ، فلابد وأن يكون ذلك مع حضرة القدوس ، فانه الوحيد الفريد الذي كانت تلك الزهراء تعتمد عليه وتركن اليه في بث أسرارها ومكنونات اطلاعاتها ولم يتحاش مؤرخو البابية ذكر

---

(١) « دائرة المعارف » للبستاني ، ص ٢٨ ، ج ٥ ، ط طهران — « البابية » ، لظهير ، ص ٧٣ .

(٢) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ، ص ١٣١ ، ط فارسي — « البابية » ، لظهير ص ٧٣ .

(٣) « نقطة الكاف » ، ص ١٥٤ — « البابية » ، لظهير ، ص ٧٤ .

(٤) « مطالع الأنوار » ، ص ٢٩٨ ، ط انكليزي — « البابية » ، لظهير ، ص ٧٤ .

هذه الرحلة ، إلا تفادياً لوهم الواهمين وقطعاً لدابر أقوال المفترين وأفكارهم الساقطة المنحطة[1] .

« ودخلَت معه في قرية « هزار جريب » في حمام واحد للاستحمام ، ولما سمع أهل القرية ماهم عليه من الفجور العلني وعدم العفة والحياء ، والجهر باقتراف الكبائر ، هجموا عليهم جماعات ووحدانا فقتلوا البعض ومزقوا جمعهم الباقي وشتتوا شملهم ، ففرَّ كل واحد على وجهه مرة أخرى لايعرف الثاني وطريقه ، كما افترقت هذه المومسة أيضا من عشيقها وزميلها في الخلوة والجلوة »[2] .

امتد المؤتمر – على بعض الروايات – اثنين وعشرين يوما ، و كان هدف المؤتمرين المعلن هو التفكير في مسألة اعتقال الباب ، والوسائل الممكنة للافراج عنه . لكن المؤتمر انتهى الى شيء آخر .

يقول مؤرخ البهائية ميرزا عبد الحسين آواره[3] : « لما تم عقد اجتماع الأحباء (في بدشت) شرعوا في البحث وكانت مجالسهم منقسمة إلى طبقتين : الطبقة الأولى ، المجالس الخاصة ، وهي التي تعقد بكبراء الأصحاب وعظمائهم . والطبقة الثانية ، المجالس العامة ، وهي التي تعقد بمن سواهم . أما المجالس الخاصة ، فكانت المذاكرات التي تجري بين خواص الأحباء وأكابرهم فيها تدور حول « تغيير الفروع ، وتجديد الشريعة » . وبعد أن أقر الرأي العام على وجوب السعي في تخليص حضرة الباب وانقاذه ، قرر أيضا ارسال المبلغين (الدعاة المبشرين) الى النواحي والأكناف ليحثوا الأحباء على زيارة الحضرة (أي الباب) في ماكو (القلعة المعتقل فيها) مستصحبين معهم من يتسنى استصحابه ، من ذوي قرباهم وودهم ، وأن يجعلوا مركز اجتماعهم ماكو ، حتى إذا تم منهم العدد الكافي طلبوا من محمد شاه الافراج عن حضرة الباب ، فإذا لبَّى الشاه طلبهم ، فبها ونعمت ، وإلاَّ أنقذوا الحضرة (الباب) بصارم القوة وحد الاقتدار » . « وبعد أن تم تقرير هذه الأمور ، وتقبلها وعرفها الجمهور ... دار البحث

---

(١) « الكواكب الدرية » ، ص ٢٢٧ و ٢٢٨ ، ط عربي – « البابية » ، لظهير ، ص ٧٤ .

(٢) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ١٨١ ، والكواكب ونقطة الكاف – « البابية » ، لظهير ، ص ٧٤ .

(٣) في كتابه « الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية » ص ٢١٨ – ٢٢٣ .

حول الأحكام الفرعية (أي الصلاة والصوم والحج) من حيث التبديل وعدمه . وتبين بعد المذاكرات الطويلة التي دارت في المجالس الخاصة بين أكابر الأحباء أن أكثرهم يعتقد بوجوب « النسخ » و « التجديد » ، ويرى أن من قوانين الحكمة الالهية في التشريع الديني أن يكون الظهور اللاحق أعظم مرتبة وأعم دائرة من سابقه ، وأن يكون كل خلف أرقى وأكمل من سلفه ، فعلى هذا القياس يكون حضرة الباب أعظم مقاما وآثارا من جميع الأنبياء الذين خلوا من قبله ، ويثبت أن له « الخيار المطلق » في تغيير الأحكام وتبديلها ، وذهب قلائل الى عدم جواز التصرف في الشريعة الاسلامية ، مستندين إلى أن حضرة الباب ليس إلاّ مروجا لها ومصلحا لأحكامها مما دخل عليها من البدعة والفساد » .

« وكانت قرّة العين من القسم الأول وهم المعظم ، لذا أصرت على وجوب إفهام جميع الأحباء وإشعارهم بأن للقائم مقام المشرع حق التشريع وقالت : « وعلينا وجوب الشروع فعلا في اجراء بعض التغييرات كافطار رمضان ونحوه » ... وأما القدوس ، فانه وان كان على هذا الرأي ، إلاّ أنه كان متمسكاً بالعادات الاسلامية فصعب عليه تركها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى خشي احجام الجماعة عن الموافقة ، ووقوع الخلاف والشقاق بينهم ، ولكن الطاهرة كانت مصرة على رأيها ، وكثير ما كانت تقول : إن هذا العمل سيبرز إلى ساحة الوجود لامحالة ، وسيطرق هذا القول آذان العام والخاص وإذَن كلما أسرعنا في الكشف عن هذه الغوامض كان أليق وأوفق وأنفع للأمر وللعمل الذي سنقوم به ، حتى ينفصل عنا كل ضعيف لايحتمل التجديد ولايبقى معنا إلا كل قوي مخلص يفدي بنفسه في هذا السبيل القويم البديع » .

« وجاءت قرة العين ذات يوم فطرحت هذا الاقتراح الآتي على بساط البحث بين جماعة الأصحاب ، وقالت : إن ارتداد النساء في الشريعة الاسلامية لايستوجب حد القتل ، بل يستلزم بذل النصائح اللازمة لهن واستتابتهن وتفهيمهن مايرجع بهن الى ورود التوبة والايمان ، فلا يتعسر علي اذن أن أميط اللثام وأرفع الستار عن أسرار هذه المسائل حين غياب القدوس عن باحة المجلس ، حتى إذا وقعت تصريحاتي موقع القبول وصادفت محل الاستحسان من الأحباب تم المراد وبلغنا الغاية ، وإلا فعلى القدوس أن يباشر نصحي لأعود عن هذا الجنون ، وأنفض اليد من الكفر وأتوب وأرجع الى

أحضان الاسلام . فاستحسن الأصحاب هذا المقترح ، ولبثوا يتحينون سانح الفرص إلى أن ألَمّ بحضرة بهاء الله زكام ، وتمارض القدوس ، فعند ذلك شرعت الطاهرة في تفهيم الأحباء حقيقة المقصود ، وكشف السر المكنون من تبديل الفروع وتغيير الأحكام ، فلما رنّت في آذان الجميع هذه التصريحات ، دار التهامس والتناجي بينهم ، ففريق أعجب بأفكارها ، وآخر أخذ بأطراف انتقادها وذهبوا إلى القدوس يرفعون شكواهم منها إليه ، فهدّأ القدوس هياجهم ولطّف من ثورتهم بلسان اللين والملاطفة ، وأرجأ الحكم الفاصل إلى حين ملاقاتها واستطلاع الحقيقة منها » .

« ولما أن وقعت الملاقاة والمقابلة بينهما تباحثا ملياً وقررا أخيرا أن يعودا الى البحث والاجتماع مرة أخرى ، وقالت الطاهرة : أنها ستلزمه الحجة وتقيم عليه البرهان القاطع ، وفي الميعاد المضروب اجتمعا وتحقق ماوعدت به الطاهرة من الاقناع والالزام . ولكن بالرغم من ذلك لم تهدأ الضوضاء ، وماسكنت دمدمة الصاخبين الناقدين لرأي الطاهرة حتى كان من بعضهم أن جمع أمتعته ونآى عنهم ولم يرجع إليهم » .

« وفي أخريات الأمر تدخل حضرة بهاء الله (حسين علي) في المسألة وتلا سورة « الواقعة » وأخذ في تفسيرها وتأويلها وأفاض في شرحها وبيانها وأن القرآن نفسه أشار إلى ذلك (النسخ والتغيير) وأنبأ بوقوعه ، حتى اطمأنت قلوب الجميع وعلموا بأنه لابد من وقوع هذه الواقعات وحدوث هذه الحادثات كلها »[1] .

ويضيف عبد الحسين آواره قوله : « وفي خاتمة المجلس تقرر تحرير هذه المسألة الى حضرة الباب في « ماه كو » والتماس اصدار الحكم الفاصل الحازم منه فيها ، وهذا ما قد كان ، ومما علم فيما بعد وتبين أن خواص الأحباء كانوا على حق ، وأن رأي حضرة بهاء الله كان متفقا مع حكم حضرة الباب على وجوب تغيير الشريعة ، وأن القدوس وباب الباب والطاهرة كانوا قائمين على سواء السبيل وجادة اليقين في ادراكهم وفهمهم أسرار الأمر »[2] .

---

(١) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ، لعبد الحسين آواره ، ص ١٢٩ ، ومابعد ، ط فارسي — « البابية » لاحسان الهي ظهير ، ص ٧٥ . « الكواكب » طبعة القاهرة عام ١٩٢٤ ، ص ٢١٨ إلى ٢٢٣ — « دراسات عن البهائية والبابية » ، لمحب الدين الخطيب وآخرين ، ص ٩ .

(٢) كذلك .

« أما الذين ضاقت صدورهم ولم تتسع لقبول هذا التجديد العظيم ، فانهم قاموا بتشويش الأفكار وإفساد الناس على زمرة الأحباء ، ونجم عن ذلك مانجم من اغارة عصابة من المسلمين واعتدائهم بالضرب والسلب وطردهم من الجهة . فتفرق عند ذلك جمع الأحباء الى ثلاث فرق : ففرقة سارت بركاب حضرة بهاء الله متجهة الى طهران ، وأخرى ذهبت مع القدوس والطاهرة إلى مازندران ، وثالثة تحت لواء باب الباب وانتحت أولاً سمت مازندران ثم ولجت آخرا ناحية خراسان ، ولكن الجميع أجمع العزم وعقد النية على تنفيذ ماتقرر في مؤتمر بدشت هذا من التجمع ولم الشعث في ماكو ، والعمل على انقاذ حضرة الباب »[1] .

يقول الداعية البهائي وليم سيرز ، في معرض حديثه عن مؤتمر بدشت : « كان البابيون يتشوقون للانفصال الكلي عن الأحكام الدينية التي مضى زمنها ، وعن نظام المشيخة والعادات والتقاليد القديمة . كانت الطاهرة نفسها أداة لهذا الفصل ، وأصبحت الرمز الظاهر له عندما ظهرت في أحد الأيام سافرة الوجه بعد أن نبذت هذا الحجاب الذي كان يرمز إلى انحطاط مركز المرأة .

« وقع هذا وقوع الصاعقة ، حتى على زملائها المؤمنين الذين صدموا منه . فوقفوا مشدوهين من هذا المنظر غير المتوقع والذي لم يحدث من قبل . بدا الفرح والانتصار على وجهها لبزوغ فجر يوم جديد ، ونهضت من مقعدها بوقار واطمئنان ، غير مبالية بالاضطراب الذي حدث من جراء ظهورها سافرة . لقد كان من الأمور الشائنة أن ينظر الرجال إلى وجهها السافر .

« بيد أن الطاهرة كانت عالمية في نظرتها ، فقد أدركت أن تعاليم الباب قد جرفت أمامها كل التقاليد القديمة المحددة وكان على الظلم والعبودية اللذين كانا يمارسان على الرجال والنساء أن ينتهيا قريبا . وقد وقفت الطاهرة أمامهم يشع النور من جمالها الظاهر والباطن . ونادت بصوت عالٍ تقول : « أنا صوت الصافور ... أنا النفخة في الصور » .

« وتابعت نداءها قائلة ، إن أيام الخوف واخضاع خلق الله قد ولّت ، ثم

(١) المراجع السابقة .

وجهت ، وهي تبتهج فرحاً ، نداء حاراً فصيحاً إلى المجتمعين ... أنهت الطاهرة نداءها بدعوة جميع الحاضرين للاحتفال بهذه المناسبة العظيمة بما يليق بها وقالت : « هذا يوم الابتهاج والسرور العالمي ، اليوم الذي تحطمت فيه قيود الماضي . لينهض كل من شارك في هذا الفوز العظيم ويتعانقوا »[1] .

وهكذا ، ففي مؤتمر بدشت تبلورت البابية ، على أيدي هذه العصابة ، التي راحت ترسم للباب طريقه .

ويذكر محمد مهدي خان نص خطبة قرة العين في مؤتمر بدشت ضمن كتابه « تاريخ البابية » ، على النحو الآتي :

« أيها الأحباب والأغيار اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب ، وان أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا ، وإن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل ، ولايعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل ، إن مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لايبقى الاّ دين واحد ، وذلك الدين الحق هو دينه الجديد وشرعه الحديث الذي لم يصل الينا إلى الآن منه إلا نزر يسير ، فبناء على ذلك أقول لكم لا أمر اليوم ولاتكليف ولانهي ولاتعنيف ، وإننا نحن الآن في زمن الفترة فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال وواصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة الى الجلوة ، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا ، وان الزهرة لابد من قطفها وشمها لأنها خلقت للضم وللشم ولاينبغي أن يعد ولايحد شاموها بالكم والكيف ، فالزهرة تجنى وتقطف ، وللأحباب تهدى وتتحف ، وأما ادخار المال عند أحدكم ، وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كل وزر وأساس كل وبال ساوو فقيركم بغنيكم ، ولاتحجبوا حلائلكم عن أحبابكم ، إذ لاردع الآن ولاحد ولامنع ولاتكليف ولاصد ، فخذوا حظكم من هذه الدنيا فلاشيء بعد الممات »[2] .

(١) « مطالع الأنوار » ، نبيل زرندي ، ص ٢٨٨ – « دع الشمس تشرق » ، وليم سيرز ، ص ١١٠ .
(٢) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ١٨٠ – « البابية » ، لظهير ، ص ١٧٨ .

الفصل الرابع

حروب البابيين

١ ــ معركة طبرسي :

يروي السيد عبد الرزاق الحسني حادثة قلعة الطبرسي على النحو الآتي[1] : أصدر الباب أمره من محبسه في ماه كو أن يسرع أصحابه الى أرض الخاء من ايران (أي خراسان)[2] ، ويعملوا يداً واحدةً لنشر الأمر الجديد فوقعت ثلاث حوادث دامية ، إحداها حادثة هذه القلعة ، الآتي وصفها .

يرقد العلامة الفضل بن الحسن الطبرسي ، صاحب تفسير « مجمع البيان » ، المتوفى سنة ٥٥٢ هجري ــ ١١٥٧ م ، في جوار قلعة قديمة تقع في غابة مازندران بايران ، تسمى اليوم « قلعة الطبرسي » . وتنم أطلال هذه القلعة عن أنها كانت حصناً صغيراً أهمل مع الزمن فآل أمره إلى الخراب ، ولكنه احتل شهرة واسعة إثر معركة جرت فيها عام ١٢٦٤ هجري ــ ١٨٤٨ م ، بين البابيين الذين تحصّنوا في القلعة من جهة ، وبين الجمهور الايراني والحكومة الايرانية من جهة أخرى .

كان الملا حسين البشروئي ، الملقب بباب الباب ، قد شخص إلى بارفروش في ولاية مازندران بعد اختتام جليسات مؤتمر بدشت ، وشرع في بث الدعوة للباب ، بينما سافر زميله محمد علي « القدوس » إلى خراسان في المهمة نفسها ولكنه مالبث أن اتجه إلى بارفروش .

وفي مازندران كان فقيه جليل تدين الولاية له بالولاء والطاعة اسمه « سعيد العلماء » خشي اجتماع القطبين البابيين في مدينة واحدة ، فأسرَّ إلى أتباعه أن يحولوا

(١) في كتابه « البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم » ، ص ٢٢ .

(٢) « مطالع الأنوار » ، ص ٢١٣ .

بينهما ، فكانت معارك حامية بين البابيين والمازندرانيين قُتل فيها من قُتل وذُبح من أُسر ، وبعد قتال بين الفريقين في مدينة بارفروش دام ستة أيام ، أقاموا خلالها الحصون والمتاريس في الطرق والخانات والبيوت والمرتفعات ؛ اضطروا للانسحاب الى مسافة /١٥/ ميلا في الجنوب الشرقي من تلك المدينة ، فتحصن البابيون في قلعة الطبرسي وضرب الأهلون الحصار عليهم . وكان عدد البابيين الذين احتلوا القلعة /٣١٣/ شخصا ، بينهم أربعون فارسا ، فشرعوا في انشاء المعاقل والحصون ، ووسعوا في استحكامات القلعة حتى جعلوها مثمنة الشكل ذات ثمانية أبراج ضخمة ، وبنوا فوق كل برج معقلا من جذوع الأشجار الكبيرة . وجعلوا لكل معقل ثقوبا لفوهات البنادق واسترسال النظر . ثم أحاطوا القلعة بخندق واسع ، وفتحوا المعابر بينها وبين الخندق ، وأقاموا المتاريس من وراء الجدران ، وحفروا لآبار لتوفير المياه وخزنوا مقادير كبيرة من الأغنام والأبقار والحبوب المعاشية ونحوها ، وجاؤوا بألفي بابيٍّ من المنطقة فولوهم حماية القلعة من الخارج ومشاغلة القوات الحكومية المزمع وصولها في حالة اعتزامها اختراق الحصار المضروب عليها ، ولم ينس البشرويُّ واجب التبشير بدعوته فصار يرسل الدعاة الى الأطراف للإيمان بالباب ونصرة المحاربين في سبيله .

ولما وصلت أنباء مازندران الى مسامع السلطان ناصر الدين شاه ، وبلغه احتشاد البابيين في قلعة الطبرسي ، أصدر أوامره الى رؤساء تلك المنطقة بوجوب استئصال شأفة هذا الداء ، فاحتشد جمع غفير من الرؤساء والقادة والسراة وأصحاب السيادة لمقاتلة المتحصنين ، ولكنهم لم ينالوا منهم منالاً ، وفروا أمام هجماتهم الشديدة بعد أن منوا بخسائر كبيرة . ولما انتشرت أنباء هذا الفرار في الولاية هلعت القلوب وارتعدت الفرائص وأخذ الناس أهبتهم للدفاع عن أنفسهم ، والقتال في سبيل دينهم . وفي الوقت نفسه أمر الشاه عمه الأمير مهدي قلي مرزا بالشخوص الى مازندران مصحوبا بما يقتضي من القوات والمعدات لانقاذ الموقف ، والمحافظة على شرف الحكومة وسمعتها . ولما وصلت هذه القوات النظامية الى « قلعة الطبرسي » حاولت اقتحامها وحمل المتحصنين فيها على الاستسلام . ونشب القتال بين الطرفين فكان مريراً ، واستبسل المحصورون – ولاسيا الملا حسين البشرويُّ – في الدفاع وأظهروا من فنون الحرب وضروب النضال ماحير العقول وأدهش الخصوم « وكم من مرة كان البشرويُّ يخوض غمار الحرب ويشق

غبارها ويخترق الصفوف متلثما والسيف يلمع في يده فويل لمن كان يلاقيه في ذلك الوقت لأن الرجل لم يخطىء له ضرب قط ، وكان يفري به العضل والعصب والأوتار والعظم فيقط خصيمه قطا أو يقده قدا ، وكم مرة كبس المعسكر ببضع مئين ، وهزم العساكر فولوا عنه مدبرين . وكان الأمير يفر منه بملابس النوم فيحرق هو المعسكر ويرجع سالما . ودام الحال على هذا المنوال مدة غير قليلة الى أن أصيب في احدى كبساته ليلا برصاصة »[1] ، في تاسع ربيع الأول ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩م)[2] ، فمات ودفن في القلعة ومحيت آثار قبره لئلا يمثل به أعداؤه . فاستلم الرئاسة الحاج محمد علي « القدوس » بوصية منه ، وأخذ يغير على أعدائه بين الفينة والفينة ، وينزل فيهم ضروبا من الخسائر . إلى أن اضطر الأمير مهدي قلي الى طلب العون العسكري من طهران فأسرع إلى نجدته قائد القوات الايرانية ، سليمان خان أفشار ، ومعه العدد العديد من الجنود والأعتدة ، وشرع في قصف القلعة بالحمم والأثقال ، وضيق الخناق على المحصورين حتى أخذ الضعف يدب في نفوسهم ، ولاذ ثلاثون منهم بالمعسكر الحكومي بعد الاستئمان . ولكن حدث أن قتل بعضهم غيلة ، فارتد الباقون على أعقابهم ، فقتلهم البابيون لارتدادهم عن دينهم .

ولما طالت أيام النضال ، وأوشك العتاد على النفاذ ، ارتأى الأمير مهدي قلي أن يفاوض البابيين في موضوع انهاء القتال صلحا ، فكتب على المصحف الشريف شرحا يهادن فيه المحاصرين ويعدهم بتركه إياهم أحراراً إذا استسلموا ، وبعث به اليهم ، فرحب القدوس بالفكرة بعد أن نفذت المؤن لدى أصحابه وصاروا يأكلون الحشائش والأوراق الخضراء فسار وصحبه إلى المعسكر الحكومي ، ولما دنا منه توجه وثمانية من الرؤساء إلى دار الأمير فحلّوا ضيوفاً عليه . وذهب الباقون الى مقر الجيش وكان عددهم يزيد على المئتين بقليل فاستنطقهم أمراؤه بأمر الدين الاسلامي ، فعدل فريق منهم عن دين الباب وتشبثت به الأكثرية كل التشبث فقرر الأمراء ابادتهم جميعا فضربت أعناق بعضهم وقتل البعض الآخر بالرصاص . أما القدوس وصحبه الثمانية فانهم نقلوا الى بارفروش فتسلمهم العلماء وقتل القدوس أبشع قتلة ، واستطاع نفر صغير أن يفدي

(١) « تاريخ البابية ، أو مفتاح باب الأبواب » ، للدكتور ميرزا محمد مهدي خان ، ص ٢١٣ .

(٢) المؤرخ البابي نبيل في كتابه « مطالع الأنوار » ، ص ٣٠٣ .

حياته بالمال ليقص على الناس حوادث القلعة الرهيبة ، التي بدأت في أوائل شهر ذي القعدة ١٢٦٤ هجري ولم تنته إلاّ في أواخر جمادى الثاني[1] . وتقدر الحكومة قتلى البابيين في هذه الحوادث بألفين وخمسمئة ، وقتلى الأهلين والعسكريين بخمسمئة . أما المصادر البابية فتعكس هذه الأرقام ، وتقول ان ضحايا البابيين لم تتجاوز الخمسمئة قتيل على حين أن ضحايا الجيش والأهلين تقرب من ثلاثة أمثال ذلك .

هذه هي رواية الحسني ، ولايخفى اعتمادها على المصادر البابية .

يقول الداعية البهائي وليم سيرز[2] ، أنه : « حين كان القدوس مسجونا في ساري بأمر من محمد تقي ، فان بهاء الله هو الذي أمّن اطلاق سراحه ليتسنى للقدوس الانضمام الى الملا حسين في قلعة طبرسي . وقام بهاء الله بزيارتهما بنفسه هناك »[3] ... « وصل بهاء الله بعد هذا بقليل الى قرية مجاورة وأرسل يخبر الملا حسين بأنه وأصحابه سيكونون جميعا ضيوفا عليه في تلك الليلة ، وأنه سوف ينضم اليهم في قلعة طبرسي عند عصر ذلك اليوم » ... « أورثت هذه البشارات في قلب الملا حسين فرحاً لايوصف . وأمر أصحابه بتهيئة أنفسهم لاستقبال بهاء الله . كما شاركهم بنفسه في كنس الأتربة من مدخل القلعة وتنظيفه ورشه بالماء استعدادا لقدوم الضيف المحبوب . وبمجرد أن رآى بهاء الله قادما أسرع اليه وعانقه بلطف وسار به الى مقعد الشرف ... فحص بهاء الله القلعة وساعد الأصحاب بما أشاره عليهم بشأن كيفية تعزيز دفاعهم حماية لأرواحهم ، وبدد مخاوفهم ورفع عزمهم على التضحية بكل شيء ... وقال بهاء الله : « إن الشيء الوحيد الذي تحتاجه القلعة والأصحاب لتصبح كاملة هو حضور القدوس . وأمر الملا حسين أن يرسل ستة من الأصحاب الى ساري لمطالبة محمد تقي بتسليم القدوس اليهم ... أرسل الملا حسين ستة من أصحابه الى ساري ومعهم رسالة بهاء الله ، فأطلق محمد تقي سراح القدوس على الفور » .

ومن هذا السرد يتضح أن حادثة قلعة الطبرسي هيأ لها البابيون بهدوء تام ، في ظروف اختاروها ولم تفرض عليهم . بل يمكن القول أن مؤتمر بدشت كان مقدمة لهذه

(١) سنة ١٢٦٥ هجري ، « البابية » لاحسان الهي ظهير ، ص ٨٤ .
(٢) في كتابه « دع الشمس تشرق » ، ص ١٥٠ .
(٣) عن « مطالع الأنوار » لنبيل زرندي ، ص ٣٤١ ـــ ٣٤٩ .

المعركة ، حيث جرى فيه اعداد المقاتلين وتهيئتهم نفسياً . ومن هنا كانت تلك الاباحية التي طغت على المؤتمر .

وينقل احسان الهي ظهير عن جاني الكاشاني ، في معرض حديثه عن كيفية بدء أحداث قلعة طبرسي قوله : « إن البشروئي لما سمع نعي محمد شاه تحرك إلى « فيروز كوه » ، وقال : كنت منتظراً لهذا الخبر ... وبدأ يهجم على جماعات المسلمين غير المذنبين بلاسبب ولاجريمة وقتل الأطفال فيمن قتل . ثم تحصن ومعه البارفروشي مع جماعة مؤلفة من ألفي بابي ، المسلحين بكامل الأسلحة والعتاد في قلعة الطبرسي ، فحفر الخنادق حولها ، وحصن بنيانها وجدرانها ، ورفع فصيلها ، وحصل على الأسلحة الكثيرة الجديدة وبلغ من العصيان والطغيان إلى أن أغار على قرية مجاورة بلاسبب دافع الى ذلك وقتل منهم مئة وثلاثين من الضعفاء والمساكين على غرة ونجا الباقون هربا ، وخربوا القرية وقلعوها عن بكرة أبيها ، وحرقوها بعد ما نهبوا منها كل ما وقع عليه نظرهم ، وحملوا منها غلة كانت كافية لهم لمدة سنتين . وخلال القتال كان البارفروشي محمد علي القدوس يشجع أنصاره على القتال ويحرضهم بقوله : « نحن سلاطين الحق وسيكون العالم كله تحت أرجلنا ، وسيخضع لنا جميع سلاطين الشرق والغرب » .

وينقل احسان الهي ظهير كذلك عن الكاشاني قوله أن القدوس في النهاية « مدَّ يد المصالحة الى الأمير وطلب منه الأمان لنفسه ولرفاقه ، وأعلن البراءة عن مخالفته للحكومة ، وحطَّ كلَّ الوزر على عاتق البشروئي القتيل ، ولعنه وشتمه على رؤوس الأشهاد ، وقال : انه هو الذي كان سبباً للفتنة والفساد أصلاً »[١] .

ويقول وليم سيرز أنه قتل في معركة طبرسي مالايقل عن تسعة من تلاميذ الباب الثمانية عشر الأولين المعروفين بحروف حي[٢] .

٢ ــ معركة نيريز :

لمَّا وصل الملا حسين البشروئي إلى شيراز عام ١٢٦٠ هجري ، لبثَّ الدعوة للباب ، قامت قيامة علماء هذه الولاية ، وأمطروا البلاط الشاهاني في طهران وابلاً من

(١) « نقطة الكاف » ، جاني الكاشاني ، ص ١٥٥ إلى ١٩٢ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٨٢ ،

(٢) « دع الشمس تشرق » ، ص ٩٧ .

برقيات الاحتجاج والاستنكار ، فندب العاهل الايراني السلطان محمد شاه العالم المعروف السيد يحيى بن السيد محمد جعفر الكشفي الشهير بالدارابي (من مدينة داراب) للشخوص إلى شيراز والتحقيق في هذه الشكاوى عن كثب ، فإذا بالدارابي يصبح من أتباع الباب ودعاته ، ويكون لذلك وقعٌ سيءٌ في نفوس علماء شيراز .

واختار الدارابي بمرور الزمن الاقامة في مدينة يزد فبلغها في غرة جمادى الأولى ١٢٦٦ هجري (١٨٥٠ م) ، وأخذ ينشر دعوته بين سكانها، مما أثار حفيظتهم ودفعهم إلى الاحتجاج ، حتى اضطر حاكم يزد الى اتخاذ التدابير التي تتطلبها صيانة الأمن في المدينة ، ومن ذلك أنه أمر بمحاصرة بيت الدارابي ليحول دون دخول أحد إليه ، ثم طلب إليه الرحيل من يزد قبل أن يتفاقم الحال ، وإذا بالبابيين يتجمعون من هنا وهناك ويصطدمون بالحرس الحكومي ، فتنشب في المدينة اشتباكات مسلحة يقتل فيها عدد غير قليل من الطرفين ، ويتسلل الدارابي إلى مدينة نيريز .

كان حاكم نيريز « زين العابدين خان » قد حسب للقادم الحساب اللازم ، فقرر اعتقاله وإبعاده إلى الخارج ، ولكن الدارابي أسرع ومعه اثنان وسبعون من أتباعه إلى التحصن في « قلعة نيريز » وأخذوا يشيدون المعاقل والأبراج فيها ، ويقيمون المتاريس ووسائل الدفاع حولها ، ويدخرون ما في وسعهم ادخاره من عتاد وأرزاق على نحو ماجرى في « قلعة طبرسي » ، وفي « قلعة زنجان » ، ثم أخذت القوات الحكومية تتوارد للقضاء على هذا العصيان قبل استفحال أمره ، واستمرت المصادمات بين الطرفين بمرارة وفظاعة .

أدرك الأمير فيروز مرزا حاكم ولاية شيراز (ونيريز من توابعها) خطورة الحالة التي نشأت في نيريز من جراء التجاء الدارابي اليها ، واضطراب الأهلين فيها ، وخشي أن تتطور الأمور إلى ما لاتحمد عقباه ، فاهتم بتقارير زين العابدين خان ، وأمدَّه ببعث عسكري لجب حاصر المتحصنين في القلعة ، واشتبك معهم في حرب ضروس كانت الغلبة فيها للبابيين . ولم يرَ قائد القوات الحكومية بداً من الالتجاء إلى سياسة الملاينة فكتب للدارابي في موضوع انهاء القتال صلحا ، والسماح للمعتصمين في القلعة بالعودة إلى أماكنهم . وكانت الذخيرة في القلعة قد قاربت على النفاذ ، فرحب الدارابي بالعرض الرسمي ، وتوجه مع خمسة من أصحابه الى المعسكر الحكومي ، فأنزلهم القائد منزلا

حسنا ، ثم وجه إلى الحصن من قتل المتصمين فيه ودك الحصن دكا . ولم ينج من القتل إلاّ من فدى نفسه بالمال . « أما يحيى الدارابي الملقب بالوحيد فإنه قُتِل في الثامن عشر من شعبان ١٢٦٦ هجري ــ ١٨٥٠ م ، بعد ضربه ضرباً شديداً بالعصي ثم سُلخ جلده وحشي تبنا وأرسل إلى الشاه بطهران هدية »[١] . وهكذا « أخمدت نيران هذه الثورة بقتل السيد يحيى مع ثلاث مئة وأربعة وخمسين رجلاً من أتباعه ، ومئة واثنين وتسعين رجلاً من جنود الحكومة في حومة النزال ، وأسر ثلاثون رجلا من عظماء البابية وولدانْ للسيد يحيى . وقتل هؤلاء أيضا دون الولدين بشيراز »[٢] .

على أن البابيين في نيريز اعتبروا زين العابدين خان هو المسؤول عن هذه الكارثة التي نزلت فيهم ، وليس الأمير فيروز خان حاكم شيراز ، وأخذوا يتحيَّنون الفرص لقتله . فبينما كان زين العابدين خان ذات يوم في طريقه إلى الحمام إذ تمكنوا منه وقتلوه ثم قفلوا راجعين إلى منازلهم . وقد أعاد البابيون التجمع في الجبال المحيطة ، لكن القوات الحكومية أحاطت بهذه الجبال وطوقتها من جميع أطرافها ، ثم أبادت البابيين عن بكرة أبيهم . فكانت ثاني نكبة تحل بهم[٣] .

٣ ــ معركة زنجان :

كان محمد علي الزنجاني الشهير بالحجة أحد أبناء مازندران الذين ناصروا الباب . وكان تحصيله العلمي في النجف قد ساعده على التضلع في مبادىء الشيخية والكشفية . فراح ينشر الدعوة البابية في زنجان ، مما أثار علماءها ، فشكوا البابيين ، ومن ضمنهم الحجة ، إلى حاكم الولاية ، الذي نقل الشكوى بتقرير منه إلى الشاه محمد في العاصمة الايرانية ، مما أثار غضب العاهل الإيراني فاستدعى الحجة إلى عاصمته وأبقاه فيها حتى وفاته ، حيث عاد الى زنجان ، فثار علماؤها مجدداً واستأنفوا مراجعاتهم وشكاواهم لدى السلطات العليا ، وحدثت اضطرابات دموية لجأ الزنجاني ومريدوه في خلالها إلى احتلال نصف المدينة واستولوا على قلعتها الشهيرة ، وشرعوا في بناء

---

(١) « الكواكب الدرية » ص ٢١٢ ط فارسي ــ « البابية » لظهير ، ص ٨٦ .

(٢) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ٢٦٩ .

(٣) « مطالع الأنوار » ، ص ٢٨٦ ــ « مفتاح باب الأبواب » ، ص ٢٦٩ ــ « البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم » لعبد الرزاق الحسني ، ص ٢٥ .

الاستحكامات فيها ليحولوا دون وصول القوات الحكومية الى القسم الذي احتلوه من زنجان . ومن ذلك أنهم قسموا القلعة إلى تسعة عشر قسما ، وشيدوا في كل قسم حصنا خصصوا له تسعة عشر فتى ، وصاروا يتناوبون الحراسة على هذه الصورة .

وذاعت أخبار زنجان في كافة أنحاء ايران ، وصارت حديث الخاص والعام في كل مكان ، ولاسيا بعد أن منيت قوات الحكومة بخسائر فادحة في اشتباكاتها المتسلسلة ، فقررت الحكومة القضـاء على الحركة قضـاء مبرما ، مهما كلفها من تضحيات ، وندبت لذلك محمد خان الكيلاني ، أحد أركان الجيش الايراني ، وزوّدته بالرجال والمال والعتاد ، وخولته سلطات واسعة للقضاء على العصيان . ولما وصل القائد المذكور إلى زنجان وضع خطة محكمة لضرب المتحصنين بأقرب وقت وأقل خسارة ، وماهي إلاّ أيام معدودات حتى أصيب الحجة الزنجاني برمية أحد الجنود ومات في الخامس من ربيع الأول ١٢٦٧ هجري (١٨٥١ م) موصياً بالرئاسـة على أصحابه إلى « دين محمد وزير » ، فرأى القائد الكيلاني أن يعرض على خليفة الحجة الأمان لمن يستسلم من البـابيـين ، والسماح له بالعودة إلى أهله فشطِرت حركتـه هذه القوم ، وقال بعضهـم بوجوب انتهاز الفرصـة وانهاء القتال ، وأصر القسم الآخر على ضرورة الاستمرار في القتال . وهكذا التحم الجمعان في معركة استمرت سبعة أيام وانتهت باقتحام جند الحكومة للقلعة ، والفتك بالمتحصنين فيها فتكا ذريعا ، فقتِل من قُتل ونجا من تاب واستغفر . أما الذين وقعوا في الأسر فقد قتلهم الجند .

وقد استمرت « معركة زنجان » سبعـة أشهر ، فقتل فيها من البابيين على أصح الروايات نحو ألفين وخمسمئة في الحرب ، ونحو ١٧٠ في الأسر بينهم ٣٥ امرأة ، ومن الجيش ٣٩٠ فارسا و ٥٤ راجلاً وأربعمئة متطوعاً ونحو ستمئة من الأهلين فيكون المجموع (١١٤٤) شخصا[١] .

وفي هذه المعـارك اتصـل الزنجاني بوزراء بعض الدول ، وأرسـل لهم الخطابات يدعوهم فيها إلى التدخل في الموضوع ، كما اتصل به في قلعته سفراء الروس والروم ، وغضب قيصر الروس على أمير تلك المنطقة وتسبب في عزله من منصبه[٢] .

(١) « البـابيون والبهـائيون في حاضرهم وماضيهـم » ، عبد الرزاق الحسني ، ص ٢٦ — « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٨٦ .

(٢) « نقطة الكاف » ، ص ٢٣٣ — « البابية » ، لظهير، ص ٨٦ .

الفصل الخامس

- ١ -

كتب الباب

يتميز الكثير من كتابات « الباب » بأسلوب بدائي ركيك ، وبمعانٍ سطحيةٍ خاليةٍ من العلم والثقافة ، عباراته في كثير من الأحيان أشبه بعبارات العرّافين والمشعوذين ، تفتقر إلى أي ضابط لغوي سوى بعض السجع السقيم ، تبدو أقرب إلى الهزل منها إلى الجد ، أو ربما كانت تعبر عن الازدراء المتعمد بالمخاطَبين . فمن الصعب تصور أن يكون من يتصدى لمثل هذا المشروع ومن يحظى بمثل ماحظي به الباب من دعم خارجي على هذه الدرجة من البلاهة الظاهرة في كتاباته . فالذين يقول قدوسهم : « نحن سلاطين الحق وسيكون العالم كله تحت أرجلنا ، وسيخضع لنا جميع سلاطين الشرق والغرب »[1] لابد أنهم ينظرون إلى البشرية بأجمعها نَظرة ازدراء . هذا إلى أن بعض كتابات الباب وأقواله ينم عن الكثير من الحذلقة كتلك التي كان يُعلن فيها توبته ، كما سيتضح .

أما بهاء الله فيقول عن كتب وكتابات الباب :

« ... والحال أن عين الإمكان مارأت مثل هذا الفضل ، وقوة سمع الأكوان ماسمعت بمثل هذه العناية . إذ أن الآيات كانت جارية ونازلة من غمام الرحمة الرحمانية بمثابة غيث الربيع . لأن الأنبياء من أولي العزم الذين عظمة قدرهم ورفعة مقامهم واضحة ولائحة كالشمس ، يفتخر كل واحدٍ منهم بكتابٍ مشهود متداول بين الأيدي آياته محصية . بينما قد نزلت الآيات من هذا الغمام الرحمانية على قدر لم يحصها أحد إلى الآن . حيث أن المتداول منها في اليد الى الآن نحو عشرين مجلداً ، وكم منها لم تصل إليه

(١) « نقطة الكاف » ، ص ١٦٢ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٨٣ .

الأيدي ، وكم منها أيضا قد نُهب وسُلب ووقع بأيدي المشركين ولايُعلم ما فعلوا به »[1] .

وفيما يأتي بيان بأبرز كتب الباب :

١ ــ قيوم الأسماء ، وهو تفسير لسورة يوسف كتبه في شيراز في إبان الدعوة . وفي مكتبة لندن نسخة منه برقم (or 3539) .

٢ ــ تفسير « سورة البقرة » ، كتبه بالعربية في شيراز .

٣ ــ تفسير « سورة الكوثر » ، كتبه بالعربية في شيراز أيضا . وفي مكتبة لندن نسخة منه برقم (or 5080) .

٤ ــ تفسير « سورة والعصر » باللغة العربية وقد كتبه أثناء مقامه في أصفهان بمنزل إمام الجمعة . وفي مكتبة لندن نسخة منه برقم (or 5112) .

٥ ــ صحيفة أدعية باللغة العربية ، وقد كتبها في شيراز .

٦ ــ رسالة بين الحرمين ، كتبها في عام ١٢٦١ هجري (١٨٤٥ م) باللغة العربية ، وقال أنه كتبها في أثناء سفره إلى مكة ، وعنوانها إلى المرزه محيط الكرماني . وهي مصدَّرةٌ بهذه المقدمة : « إن هذا كتاب قد نزلت على الأرض المقدسة بين الحرمين من لدن علي حميد » . وفي مكتبة لندن نسخة منها برقم(or5325) .

٧ ــ رسالة النبوة الخاصة باللغة الفارسية ، وقد كتبها لحاكم أصفهان منوجهر خان أيام إقامته عنده .

٨ ــ صحيفة عدلية . وهي باللغة الفارسية أيضاً ، وموضوعها أصول الدين وفروعه .

٩ ــ البيان الفارسي . وقد كتبه أثناء اعتقاله في قلعة ماه كو .

١٠ ــ البيان العربي . وقد كتبه في ماه كو أيضا ونشره لأول مرة عبد الرزاق الحسني ضمن كتابه « البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم » .

١١ ــ دلائل السبعة في إظهار الظهور الجديد ، كتبه باللغة الفارسية أثناء اقامته في ماه كو .

---

(١) « الايقان » ، ص ١٧٣ .

١٢ ــ كتاب الأسماء : كتاب أسماء كل شيء في تفسير الأسماء .

١٣ ــ صحيفة المخزومية

١٤ ــ صحيفة الجعفرية

١٥ ــ زيارة الشاه عبد العظيم

١٦ ــ الشؤون الخمسة

١٧ ــ الصحيفة الرضوية

١٨ ــ الرسالة الفقهية

١٩ ــ الرسالة الذهبية

٢٠ ــ كتاب الروح

٢١ ــ لوح الحروف

٢٢ــ رسالة الى محمد شاه

٢٣ ــ الخصائل السبعة

٢٤ ــ رسالة الى مرزا أقاسي

ويقول الباب نفسه في أحد فصول البيان الفارسي أن كتاباته لاتقل عن خمسمئة ألف آية .

وفيما يأتي نماذج من كتابات الباب :

قال في كتابه « شئون الحمراء » في لوحه الأول :

« إنا قد جعلناك جليلا للجاللين ، وإنا قد جعلناك عظيما عظيانا للعاظمين ، وإنا قد جعلنـاك نورا نورانا للنـاورين ، وإنا قد جعلناك رحمانا رحيا للراحمين ، وإنا قد جعلناك تماما تميا للتامين ، قل إنا قد جعلناك كالا كميلا للكاملين ، قل إنا قد جعلناك كبرانا كبـيرا للكابرين ، قل إنا قد جعلناك عزانا عزيزا للعازين ، قل إنا قد جعلناك ظهرانا ظهيرا للظاهرين ، قل إنا قد جعلناك حبانا حبيبا للحابين ، قل إنّا قد جعلناك سـلطاناً سـليطا للسالطين ، قل إنا قد جعلناك ملكانا مليكا للمالكين ، قل إنا قد جعلناك عليانا عليلا للعالين . قل إنا قد جعلناك بشرانا بشيرا للباشرين »[1] .

ومن أقواله :

« تبارك الله من شمخ مشمخ شميخ . تبارك الله من بذخ مبذخ بذيخ . تبارك الله من بدء مبتدىء بدىء . تبارك الله من فخر مفتخر فخير . تبارك الله من ظهر مظهر ظهير . وتبارك الله من قهر مقهر قهير . وتبارك الله من غلب مغتلب غليب . وتبارك الله من علم معتلم عليم . تبارك الله من قدم مقتدم قديم . وتبارك الله من جود موجود جويد[2] .

(١) « مفتاح باب الأبواب » ص ٢٧٨ و ٢٧٩ ــ « البابية » لظهير ، ص ١٠١ ــ « حقيقة البابية والبهائية » ، محسن عبد الحميد ، ص ١٣٨ .

(٢) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ٢٨٢ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ١٠٢ .

« تبارك الله من سلط مستلط رفيع ، تبارك الله من وزر مؤتزر وزير ، تبارك الله من حكم محتكم بديع ، تبارك الله من جمل مجتمل جميل »[1] .

وقال في « البيان » العربي :

« ولاتضيعن خلق أحد بعد ما أكمل الله خلقه لما تريدون من عز أيام معدودة ، فان كلتاهما ينقطع عنكم وأنتم من بعد موتكم في النار تدخلون ، تتمنون كأنكم ماخلقتم وما اكتسبتم في حق نفس من حزن ، وإن تتعقلون تتمنون كأنكم ماقد خلقتم »[2] .

« انني أنا الله الأسلط الأسلط ، والأثبت الأثبت ، والأغيث الأغيث »[3] .

« أن ياحرف الراء والباء فلتشهدن على أنه لا إله إلا أنا قد نزلت في الباب الأول من الواحد الثاني أن اعرف قدرة ربك في الآيات ثم اشهد ذكر اللانهاية في كل شيء ثم عجز الناس عما نزل في البيان فان به يثبت ماتريد . ثم في الثاني لم يحط بعلم البيان إلا إياك في آخريك ثم أوليك أو من شهد على من شهد على ما أريد فيه ، فإن أولئك هم الفائزون . ثم في الثالث ما أذنت أحدا أن يفسر إلا بما فسرت . قل كل الخير يرجع الي ودون ذلك الى حرف النفي ذلك علم البيان إن أنتم تعلمون . ثم الخير يذكر الى منتهى الذر في علم المتقين ثم دون الخير في منتهى بما تشهدون على دون المخلصين . فلتقرئن آية الأولى إن أنتم تقدرون . ثم كل ذلك مثل هذا إن أنتم تعلمون . كل ذلك اسم الأقدس في آخر العدد إن أنتم تشهدون . ذلك من يظهره الله إن أنتم إذا شاء الله لتوقنون »[4] .

« قل اللهم إنك أنت بهيان البهائين ، لتؤتين البهاء من تشاء ، ولتنزعن البهاء عمن تشاء . ولترفعن من تشاء ولتنزلن من تشاء . ولتفقرن من تشاء في قبضة ملكوت كل شيء ، تخلق ماتشاء بأمرك إنك كنت بهاء باهيا بهياءا »[5] .

---

(١) « مفتاح باب الأبواب » ص ٢٧٦ - « البابية » لظهير ، ص ١٠٢ .

(٢) الباب الثامن عشر من الواحد العاشر من « البيان » العربي - « البابية » ، لظهير ، ص ١٠٢ .

(٣) « البابية » لظهير ، ص ١٠٣ ، نقلا عن البيان العربي .

(٤) « حقيقة البابية والبهائية » ، د. محسن عبد الحميد ، ص ١٣٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

« ولاتكتبن السور إلا وأنتم في الآيات على عدد المستغاث لاتتجاوزون ومن أول العدد أذن لكم ياعبادي لتدقون ، وأذنت أن يكون مع كل نفس ألف بيت مما يشاء ليتلذذون ، حينما يتلو وكان من المحرزين ، قل انما البيت ثلاثين حرفا إن أنتم تعربون ، لتحسبون على عدد الميم ثم على أحسن الحسن تكتبون وتحفظون ، ذلك واحد الأول أنتم بالله تسكنون ، ثم الثاني أنتم في كل أرض بيت حر تبنيون ، ولتلطفن كل أرضكم وكل شيء على أحسن ما أنتم عليه مقتدرون ، لئلا يشهد عيني على كره أن ياعبادي فاتقون »[1] .

وقال في كتابه « تفسير سورة يوسف » :

« ولايقولوا كيف يكلم عن الله من كان في السن خمسة وعشرونا ، فورب السماء والأرض إني عبد الله آتاني البينات من عند بقية الله المنتظر إمامكم ، هذا كتابي قد كان عند الله في أم الكتاب بالحق على الحق مسطورا ، وقد جعلني الله مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والصبر مادمت فيكم على الأرض حيا ، وان الله قد أنزل له بصورة من عنده والناس لايقدرون بحرفه على المثل دون المثل تشبيرا »[2] .

ويقول في كتابه « تفسير سورة الكوثر » :

« فانظر لطرف البدء الى ما أردت أرشحناك من آيات الختم إن كنت سكنت في الأرض الاهوت ، وقرأت تلك السورة المباركة في البحر الأحدية وراء قلزم الجبروت ، فأيقن كل حروفها حرف واحدة ، وكل يغاير ألفاظها ومعانيها ترجع الى لفظة واحدة ، لأن هنالك المقام والفؤاد ورتبة مشعر التوحيد ... وان ذلك هو الإكسير الأحمر الذي من ملكه يملك ملك الآخرة والأولى ، فورب السموات والأرض لم يعدل كلها كتب كاظم عليه السلام ، وقبل أحمد صلوات الله عليه في معارف الالهية ، والشئونات القدسية والمكفهرات الأفريدوسية بحرف ، انا اذا ألقيت اليك باذن الله فاعرف قدرها ، واكتمها بمثل عينيك على أرض الجبروت ، وتقرأ تلك السور المباركة فاعرف في الكلمة الأولى من الألف ماء الابداع ، ثم من النون هواء الاختراع ، ثم من الألف الظاهر ماء الانضاء ، ثم ركن المخزون المقدم لظهور الأركان الثلاثة حرف الغيب بعنصر التراب

(١) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ٢٧٨ و ٢٧٩ - « البابية » ، لظهير ، ص ١٠١ .

(٢) « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ١٠٤ .

... واني لو أردت أن أفضل حرفا من ذلك البحر المواج الزاخر الأجاج ، لنفد المداد ، وانكسر الأقلام لانفاد لما ألهمني الله في معناه ... ثم الألف القائمة على كل نفس التي تعالت واستعالت ، ونطقت واسنطقت ، ودارت واستدارت ، وأضاءت فاستضاءت ، وأفادت واستفادت ، وأقامت واستقامت ، وأقالت واستقالت ، وسعرت واستسعرت ، وتشهقت واستشهقت ، وتصعقت واستصعقت ، وتبلبلت واستبلبت ، وان في الحين اذن الله لها فتلجلجت ثم فاستلجلجت ، وتلألئت ثم فاستلألئت وقالت بأعلى صوتها تلك شجرة مباركة طابت وطهرت ، وذكت وعلت ، نبتت بنفسها من نفسها لنفسها الى نفسها »[1] .

يقول « الباب » في وصف كتابه « البيان »[2]:

« ان الله يبعث في كل زمان كتابا وحجة للخلق . وفي سنة ١٢٧٠ هجرية من بعثة محمد رسول الله أنزل الكتاب (البيان) وجعل حجته ذات الحروف السبعة (يقصد اسمه علي محمد) » .

« قد نزلت البيان وجعلته حجة من لدنا على العالمين ، فيه ما لم يكن له كفو ذلك آيات الله قل كل منها يعجزون ، فيه ما لم يكن له عدل ذلك ماأنتم به تدعون ، فيه ما لم يكن له شبه ذلك ماكنا فيه لمفسرين ، فيه ما لم يكن له قرين ذلك جوهر العلم والحكمة أنتم به تجيبون ، فيه ما لم يكن له مثل ذلك ماينطق به الفارسيون وأنتم في الواحد لتنظمون » .

« فلتمحون كلما كتبتم ولتستدلن بالبيان وما أنتم في ظله تنشئون »

« لايجوز التدريس في كتب غير البيان ، ولاتتعلمن إلا بما نزل في البيان ، أو ماينشيء فيه من علم الحروف ومايتفرع على البيان ... ولاتتجاوزون عن حدود البيان فتحزنون » .

« اعرف قدرة ربك في الآيات ثم اشهد ذكرا لانهاية في كل شيء ثم عجز الناس عما نزل في البيان فان به يثبت ماتريد » .

---

(١) « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١٠٦ .

(٢) « البابية » ، لظهير ، ص ١١٠ .

« وإنا قد فرضنا في باب الأول ماقد شهد الله على نفسه على أنه لا إله إلا هو رب كل شيء وأن مادونه خلق له .. وأن ذات حروف السبع (يقصد نفسه ، أيْ علي محمد) باب الله لمن في ملكوت السموات والأرضين ... ثم كل باب ذكر اسم حق من لدنا ، وذكر أحد من حروف الحي بما رجعوا الى الحياة الأولى محمد رسول الله والذين هم شهداء من عند الله ثم أبواب الهدى وخلقوا في النشأة الأخرى بما وعد الله في الفرقان الى أن يظهر عدد الواحد ... ذلك واحد الأول من الواحد المعدد يذكر في شهر البهاء قد بدئنا ذلك الخلق به ولنعيدن كلا به وعدا علينا » .

« لاتسئلن في أولاي ولا في أخراي إلا في كتاب ، ولتعلمن كل واحد في مسالككم لعلكم تتأدبون ... قل إنه لشمس أم نجعلنكم وآثاركم مرآتا ترون فيها ما أنتم تحبون اذا أنتم بالحق تقابلون » .

« من ينشيء كلماتا لله ، قل خذ لنفسك على أجذب خط ثم تهب من تشاء ، فان ذلك قسطاس حق مبين » .

« يامحمد معلمي فلاتضربني قبل أن يمضي علي خمس سنة ولو بطرف عين » .

« أن يا أولو الهدى بهداي تهتدون » .

« فلتقرئن آية الأولى إن أنتم تقدرون » .

« وأنتم في الرضوان خالدون ، والاّ فأنتم فانيون » .

« وإنا قد جعلنا أبواب ذلك الدين عدد « كل شيء » عدد الحول ، لكل يومْ بابا ، ليدخلن كل شيء في جنة الأعلى وليكونن في كل عدد واحد ذكر حرف من حروف الأول لله رب السموات » .

« فلتبلغن الى من يظهره الله كل نفس منكم بلور عطر ممتنع رفيع من عند نقطة البيان ، ثم بين يدي الله تسجدون بأيديكم لا بأيدي دونكم وأنتم لاتستطيعون فلا تسجدون إلا على البلور فيها من ذرات طين الأول والآخر ذكرا من الله في الكتاب لعلكم شيء غير محبوب لاتشهدون ، فليملكن من كل نفس من أسباب بلور ممتنع رفيع عدد الواحد على قدر مايتمكن » .

« ولتأمرن كل أرض أن ينتظمون بيوتها وأسواقها وأماكنها وتميز كل صنف في مقعده عن الآخر حيث لايختلط اثنين منهم الاّ في مكانهما وكل صنف كانوا في مكان

واحد على أحسن نظم محبوب ، ولتأمرن أن يكون كل صنف في خان فان ذلك أقرب للنفع والتقوى ... ولا تأمرون ولا ترضيون »[1] .

وحين سئل الباب عن أخطائه اللغوية أجاب :

« إن الحروف والكلمات كانت قد عصَت ، واقترفت خطيئة في الزمن الأول فعوقبت على خطيئتها بأن قيدت بسلاسل الاعراب ، وحيث أن بعثنا جاءت رحمة للعالمين فقد حصـل العفو من جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات ، فأطلقت من قيدها تذهب الى حيث تشاء من وجوه اللحن والغلط »[2] ... « إن الله أجلّ من الخضوع الى هذه القواعد التي إن هي إلا صفات بشرية ونقص من نواقص الانسانية »[3] .

ويقول الداعية البهائي جون أسلمنت :

« إن الدين البهائي فريد بين أديان العالم بسبب كمال مدوناته الأصلية ، ومن هذه الوجهة لم يسبق له مثيل ، فالكلمات المدونة التي يمكن اثبات نسبتها بكل اطمئنان الى المسيح و موسى و زرادشت و بوذا و كرشنا قليلة جدا ... وكثير من التعاليم التي شاعت نسبتها الى مؤسسي الأديان يشك في أصالتها ، كما اتضح أن بعضها تصريحات نسبت اليهم بعد حياتهم ... وإن محمدا نفسه كان أميا كما كان أغلب أتباعه ... أما الباب والبهاء فقد كتب كلاهما كتبا عديدة بفصاحة وبلاغة تامة حيث كانا ممنوعين من الخطابة ، وصرفا أغلب أوقاتهما في السجن ، وخصصا جزءا كبيرا من وقتهما في الكتابة ، ونتج عن ذلك أن أصبح الدين البهائي المسطور لايدانيه أي دين جاءت به الرسل السابقون من ناحية غناه بمدوناته الأصلية »[4] .

أما المستشرق براون ، وهو من شهود عصر الباب ، فيقول في مقدمته لكتاب الكاشاني « نقطة الكاف » :

---

(١) « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ١٠٠ ومابعد .

(٢) « دائرة المعارف » للبستاني ، ص ٢٦ ، ج ٥ ، طهران ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١١٤ .

(٣) « الكواكب الدرية » ص ٢٢٥ ، ط فارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١١٤ .

(٤) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، للدكتور جون أسلمنت ، ص ١٣٨ ـ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ١٨ .

« إن البهائيين يسعون بكل قواهم إلى أن يتلفوا جميع الكتب البابية ويمحوها ، اذ تدل على بطلان دعواهم عن المرزه حسين ، بهاء الله ، واستطاعوا أن يخفوا الكتاب التاريخي البابي للمرزه جاني الكاشاني الذي يبين كذب دعاويهم ، وحاولوا إعدام آثاره ومحوها عن وجه الأرض .. وأنا أقطع أن البهائية حيثما تنتشر في العالم ، وبخاصة خارج ايران في أوربا وأمريكا ، تفقد الحقائق عن تاريخ البابية ، وتكتم أحوال البابيين ، ويغش فيها ويدلّس »[1] ..

ويضيف براون :

« وإنما أبقت (البهائية) على « البيان » ليكون مافيه من تبشير بالمظهر بعده ، حجة لظهور البهاء وتأييدا لتجدد الرسالة به ، فنسخت البهائية منه مانسخت ، بحق اللاحق في التغيير والتبديل ، واستخلصت مافيه من إشارات الى الظهور التالي ، حجة لها وبرهانا »[2] .

وإن كان البابيون يذهبون الى أن البهائية دسّت على البيان من تلك الاشارات ما لم يكن أصـــلاً فيـه ، من ربوبيـة المظهر بعده ، كالذي في الباب الخامس من الواحد السابع ، ونصه :

« ثم الخامس : حين ظهور الله إذا حضر من نفس ينقطع عنه العمل إلا بما أمر ، أن ياعبادي فاتقون » .

وفي الواحد الثامن :

« ثم الخامس من بعد العشر ، أنتم عند مدينة باب من يظهره الله تسجدون » .

وفي الباب السابع من الواحد الثامن :

« قل إنما القبلة من نظهره ، متى ينقلب تنقلب الى أن يستقر . ثم من قبل مثل من بعد تعلمون ، قل أينما تولوا فثمّ وجه الله أنتم الى الله تنظرون »[3] .

ومن المقول أن البهـائية دسّته على « البيان » ماجاء في الباب الأول من الواحد التاسع ، عن أداء عز المال وخيرات كل أرض :

---

(١) د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٧٥ و ٧٦ — « البابية » لظهير ، ص ٩٩ .

(٢) د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٤٨ — « البابية » لظهير ، ص ٩٩ .

(٣) د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٤٨ .

« إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا الأسلط الأسلط ، وإن لي ملك السموات والأرض ومابينهما . وماكان لي يرجع اليك في أخراك وأولاك . قل عِزٌّ كل أرض لمن نظهره ، أنتم يوم ظهوره اليه لتردّون »[1] .

« لا تكتبن آثاري إلا أحسن خط على ما أنتم عليه لمقتدرون ، وإن يكن عند أحد دون أعظم خط يحبط عمله إلا الصبايا حين ما يتأدبون »[2]

---

(١) قراءة في وثائق البهائية ، د. عائشة عبد الرحمن ، ص ٤٩ .

(٢) الباب السابع عشر من الواحد الثالث ن البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٣١ .

– ٢ –

كتاب « البيـــان »

يعتبر كتاب « البيان » المصدر الرئيسي المعتمد لتعاليم « الباب » وهو كتابان : « البيان » العربي ، و « البيان » الفارسي الذي يعتبر تفسيراً وتفصيلاً للبيان العربي .

فأما « البيان » الفارسي ، فقد كتبه في معتقله بقلعة ماه كو ، أيام مؤتمر بدشت ، ورتبه على تسعة عشر واحداً ، في كل واحد تسعة عشر بابا . ولم يكمل منه سوى الآحاد الثمانية الأولى ، وعشرة أبواب من الواحد التاسع .

وأما « البيان » العربي ، فقد كتبه في قلعة جهريق بمدينة تبريز ، ورتبه على مثال بيانه الفارسي ، على تسعة عشر واحداً ، في كل واحد تسعة عشر بابا . ولم يكمل منه سوى أحد عشر بابا (البابية لظهير ، ص ٩٧) . والبهائيون يقولون أن البيان العربي كتب في سجن ماكو أيضا (الموجز في شرح المصطلحات ، ص ٣٢) .

فقد كان عدد أبواب كل من هذين الكتابين في الأصل يساوي عندهم عدد كل شيء وهو ١٩ × ١٩ = ٣٦١ .

و خصَّ الواحد الأول في كل من الكتابين بنفسه ، والثمانية عشر واحداً الباقية لكبار أصحابه ، لكل منهم واحداً .

يقول احسان الهي ظهير في كتابه « البابية » : « وأما كتاب الشيرازي « البيان الفارسي » فإنه طبع مرة بايران ، وبالهند مرة أخرى ، وصادر البهائيون جميع نسخه بعد صـدوره إلا النـادر القليل منها ، وكذلك « البيان العربي » فإنهم لم يطبعوه مطلقا ، وحاولوا قدر وسعهم وطاقتهم أن لايبقى له أثر ، وقد طبع هذا بالهند أيضا بسعي من المسـلمين ، كما طبعه السيد الحسني بالعراق بعدما استنسخه من النسخة الخطية بيده »[1] .

---

(١) « البابية » ، لظهير ، ص ٢١ .

يقول « الباب » في الواحد الأول من البيان العربي :

« انما البيان حجتنا على كل شيء ، يعجز عن آياته كل العالمين ».

ويقول بهاء الله في كتابه « الايقان » واصفا كتاب « البيان » :

« فمثلا في عهد عيسى كان الانجيل ، وفي زمن موسى كانت التوراة وفي عهد محمد رسول الله كان القرآن ، وفي هذا العصر البيان »[1] .

وقد جاء كتاب البيان بعد مقررات مؤتمر بدشت ، وبعد قول قرة العين في رسالتها إلى الباب : « لم لاتقول : ألست بربكم ، فنقول : بلى بلى » .

فخرج « البيان » العربي مستهلا بما نصه[2]:

« بسم الله الأمنع الأقدس »

« انني أنا الله لا إله إلا أنا ، وإن مادوني خلقي . قل أن ياخلقي فاعبدون ، قد خلقتك ورزقتك وأمّنتك وأحببتك وبعثتك وجعلتك مظهر نفسي لتتلونْ من عندي آياتي ولتدعونَّ كل من خلقته إلى ديني ، هذا صراط عز منيع . وخلقت كل شيء لك ، وجعلتك من لدنّا سلطانا على العالمين » .

« قد خلقتك بك ، ثم كل شيء بقولك ، أمراً من لدنّا إنّا كنّا قادرين . وجعلتك الأول والآخر والظاهر والباطن إنا كنا عالمين . وما بعث على دين إلا إياك ، ومايتزل من كتاب إلا عليك ، ذلك تقدير المهيمن المحبوب . وإنما البيـان حجتنا على كل شيء ، يعجز عن آياته كل العالمين . ذلك كل آياتنا من قبل ومن بعد ، مثل ما أنت حينئذ كل حجتنا ، ندخل من نشاء في جنات قدس عظيم ..

« وإنا قد جعلنا أبواب ذلك الدين عدد كل شيء ، مثل عدد الحول ، لكل يوم بابا ليدخلن كل شيء في جنة الأعلى .. وإن ذات حروف السبع باب الله لمن في ملكوت السموات والأرض ومابينهما ، كل بآيات الله من عنده يهتدون » (الواحد الأول) .

« بسم الله الأمنع الأقدس »

(١) « الايقان » ، ص ١٣٨ – « البابية » ، لظهير ، ص ١١٠ .

(٢) « قراءة في وثائق البهائية » ، د.عائشة عبد الرحمن ، ص ٤٩ وما بعد .

« إنني أنا الله لا إله إلا أنا وأن مادوني لو يهتدي بهداي كمثل مرآت (مرآة) يرى فيـه شمس طلعتك ، ذلك خلقي قل ياخلقي إياي فاتقون . وإنما الأول في الواحد الثالث ما أنتم به توقنون . مايذكر به اسم شيء ملك لي وماتملكت ذلك ما أملك قل ياخلقي في الظهور الآخرة عن ملكي ، إياي فاملكون : ثم في الرابع : مايتزل عليك في أخراك أعظم عما نزّلنا عليك في أولاك فكن من الشاكرين . وإن فضل مانزلنا عليك ، على مانزلنا عليك من قبل كفضل القرآن على الانجيل ، ذلك فضل محمد على عيسى ، قل أن ياعبادي ظهوري في أخراي تنتظرون .. ثم الخامس بعد العشر أن تؤمنن بمن نظهرنه يوم القيامة فإنكم أنتم بي وآياتي في كل العوالم كنتم مؤمنين . ثم السادس من بعد العشر لاتعملن إلا بما نزلناه عليك ، ولا تأمرنّ إلا به ، قل إنه كشمس أن نجعلكم وآثاركم مرآتا ترون فيها ما أنتم تحبون إذ أنتم بالحق تقابلون » (الواحد الثالث) .

« بسم الله الأمنع الأقدس »

« إنني أنا الله لا إله إلا أنا الأعظم ، قد خلقتك وجعلت لك مقامين هذا مقامي لن يرى فيه إلا إياي ، ومن هذا تنطق عني .. وإنك واحد ما خلقت لك من كفو ولاعدل ولاشبه ولاقرين ولامثال ، كذلك أخلق ما أشاء وإنني أنا القادر العلام . ثم في الرابع : قد خلقت كل شيء في هيكل الإنسان وجعلت كل ذات هيكل عبد رق لمن نظهرنه ، قل إني أولى بكم من أنفسكم اليكم ، أن ياعبيدي إلى مولاكم تنظرون .. ثم السابع : كل مني بك يبدؤون ، وكل بك إلي يرجعون . ثم الثامن : كل بآياتك ومانزل من عندك يخلقون ويرزقون ثم يميتون ويحيون » . (الواحد الرابع) .

« قد جعلنا الحول تسعة عشر شهرا لعلكم في الواحد تسـلكون ، ثم الرابع أنتم بأسمائي لتسمون .. وقد جعلناك بهائي قل أن ياخلقي إياي فاقصدون . ولتسمين باسم محمد وعلي وفاطمة ثم الحسنين ثم مهدي وهادي ، وقد جعلنا لكل حرف من اسمك اسما قل كل لي وإني لله ربي وما من إله إلا الله ، ذلك سلطان العالمين ذلك محبوب العالمين ذلك ملاك العاملين ذلك مقصود العاملين ذلك معبود العاملين ذلك مطلوب العالمين » .

« ثم الخامس : فلتأخذن من لم يدخل في البيانماينسب اليهم — من مال وعقار — ثم إن آمنوا لتردون ، إلا في الأرض التي أنتم عليها لاتقدرون (الواحد الخامس) .

« بسم الله الأمنع الأقدس »

« إنني أنا الله لا إله إلا أنا الأغيث الأغيث ، قد نزلت البيان وجعلته حجة من لدنا على العالمين ، فيه ما لم يكن له كفو ، ذلك آيات الله قل كل عنها يعجزون . فيه ما لم يكن له عدل ، ذلك ما أنتم به تدعون . فيه ما لم يكن له شبه ، ذلك ماكنا فيه لمفسرون : ذلك الألف بين الباءين – باب – أنتم بالباب تدركون . فيه ما لم يكن له قرين ، ذلك جوهر العلم والحكمة أنتم به تجيبون . فيه ما لم يكن له مثل ذلك ماينطبق به – وأنتم في الواحد لتنظمون » . (الواحد السابع) .

« بسم الله الأمنع الأقدس »

« إنني أنا الله الأسـلط الأسـلط . وإن لي ملك السموات والأرض ومابينهما ، وماكان لي يرجع اليك في أخراك وأولاك ، قل عزٌّ كل أرض لمن نظهره أنتم يوم ظهوره لتردون » (الواحد التاسع) .

وقال في « البيان » العربي :

« ولاتضيعن خلق أحد بعد ما أكمل الله خلقه لما تريدون من عز أيام معدودة ، فان كلتـاهما ينقطع عنكـم وأنتم من بعد موتكم في النار تدخلون ، تتمنون كأنكم ماخلقـتم وما اكتسبـتم في حق نفس من حزن ، وإن تتعقـلون تتمنون كأنكـم ماقد خلقتم »[1] .

« انني أنا الله الأسلط الأسلط ، والأثبت الأثبت ، والأغيث الأغيث »[2] .

ويقول في البيان كذلك :

« ثم في الرابع ، مافرطنا في الكتاب من شيء إن أنتم بمن يظهره الله تؤمنون ... ثم في الخامس ، لاتقولوا لا إله إلا الله وأنتم عرش الاثبات لاتثبتون ، هذا أخذ الله عنكم وهذا رضوان الله للمقربين . ولا من دون ذكر خير في البيان إلا لمن نظهره يوم القيامة لعلكم إياه تنصرون . وأن بمثل ذلك نزلنا (الفرقان) من قبل ولكنكم كنتم عن مرادي محتجبين ... ثم السابع ، يوم القيامة على ما أنتم تدركون ... ماخلق الله من شيء إلا ليومئذ اذ كل للقاء الله ثم رضائه يعملون . وفي يوم القيامة يُدْرَكُ هذا ظاهراً فلتنظُرنَّ

(١) الباب الثامن عشر من الواحد العاشر من « البيان » العربي – « البابية » ، لظهير ، ص ١٠٢ .

(٢) « البابية » لظهير ، ص ١٠٣ ، نقلا عن البيان العربي .

فإنا كنا منتظرين ... ولقد قرب الزوال وإنكم أنتم ذلك اليوم لاتعرفون ... ثم الثاني من بعد العشر ذكرُ الصراط حق وأنتم به تمرون ... ذلك أمر من يظهره الله إن أنتم يوم الظهور به تعملون ... قُل كلٌّ من قبل انتظروا يومي فاذا ظهرت بما هم به دينهم يثبت فاذا عند الصراط كلهم واقفون .. ثم الثالث من بعد العشر ذكرُ الميزان ، ذلك من يظهره الله ينقلب الحق معه مثلما ينقلب الظل مع الشمس فإذا أنتم بالبيان والشهداء لتوزنون .

« ... ثم السادس من بعد العشر إن الجنة حب الله ثم رضائه وإن ذلك حق لاعِدل له إذ كنا فيها خالدين . ماينسب إلي في الجنة ، ذلك مايُنسب إلى من يُظهره الله أفلا تدخلون . وإنما النار قبل أن يبدل بالنور نار الله ذلك من يظهره الله قبل أن يعرفكم بنفسه أنتم في نارالحب تدخلون ... ثم الثامن من بعد العشر ، الساعة أنتم بما فسر الله في الكلمة إن شاء الله توقنون . ثم التاسع من بعد العشر ، مانزّل الله في البيان حديقة ذات غرة إلى من نظهره لعلكم بآياته تؤمنون »[1] .

يقول الباب :

« إني أفضل من محمد ، كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد ، واذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن ، فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآني . إن محمداً كان بمقام الألف ، وأنا بمقام النقطة »[2] .

ويقول مخاطبا العلماء :

« ألم يأن لكم أيها العلماء أن تنبذوا الهوى ، وتتبعوا الهدى ، وتتركوا الضلال ، وتسمعوا أقوالي ، وتذعنوا لأوامري ، إن نبيكم لم يخلف بعده غير القرآن، فهاكم كتابي « البيان » فاتلوه واقرؤوه ، تجدوه أفصح عبارة من القرآن ، وأحكامه ناسخة لأحكام الفرقان »[3] .

ويقول واصفا نفسه :

---

(١) « قراءة في وثائق البهائية » ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، ص ٢٧٧ و ٢٧٨ .

(٢) « مفتاح باب الأبواب » ص ٢٠ ـ « حقيقة البابية والبهائية » ، محسن عبد الحميد ، ص ٦٢ .

(٣) « مفتاح باب الأبواب » ص ١٣٧ ـ « حقيقةالبابية والبهائية » ، محسن عبد الحميد ، ص ٦٢ .

« كل الأسماء اسمه ، وهو لا اسم له ، وكل الأنعات نعته وهو لانعت له ، باطنه كلمة لا إله إلا الله وظاهره في القرآن محمد رسول الله[١] .

ويقول ماترجمته من الفارسية :

« أنـا قيـوم الأسماء مضى من ظهوري مامضى ، وصـبرت حتى يمحص الكـل ولايبقى إلا وجهي ، واعلم بأنه لست أنا بل أنا مرآة فانه لايرى فيَّ إلا الله »[٢] .

يقول بهاء الله في كتابه « المبين » :

« قل نزلنا البيان وجعلناه بشارة للناس لئلا يضلوا السبيل .

« وإذا قيل لهم : بأي حجة آمنتم بالله ؟ يقولون : البيان . فلما جاءهم مُنزله (يقصد بهاء الله نفسه) كفروا بالرحمن ألا إنهم من الخاسرين . قل : البيان لنفسي وزُيِّن بذِكري ، لولا ظهوري مانزل حرف منه »[٣] .

وقال في كتابه « الأقدس »[٤] :

« ياملأ البيان قد أتى مُنزِله ومُرسله ، اتقوا الرحمن ولاتكونوا من الظالمين » .

« هذا مانزل من قبل ، وينادي نقطة البيان ويقول : يامحبوب الإمكان انطق في هذا المقام بما تتضوع به نفحات ألطافك بين العالمين . إنا أخبرنا الكل بأن لايعادل بكلمة منك مانزل في البيان إنك أنت المقتدر على ماتشاء لاتمنع عبادك من فيوضات بحر رحمتك إنك ذو الفضل العظيم » .

« ياملأ البيان إتقوا الرحمن ثم انظروا ما أنزله في مقام آخر ، قال إنما القبلة من يظهره الله متى ينقلب تنقلب الى أن يستقر ، كذلك نزل من لدن مالك القدر اذ أراد ذكر هذا المنظر الأكبر ، تفكروا ياقوم ولاتكونن من الهائمين . لو تنكرونه بأهوائكم ، إلى أية قِبلة تتوجهون يامعشر الغافلين ؟ . تفكروا في هذه الآية ثم أنصفوا بالله ، لعل

---

(١) محسن عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٢) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ١٠٠ ــ « العقيدة والشريعة » ، ص ٢٤٢ ، ــ « حقيقة البابية والبهائية » ، لمحسن عبد الحميد ، ص ٦٣ .

(٣) « قراءة في وثائق البهائية » ، د. عائشة عبد الرحمن ، ص ٦٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٠ ــ ٧٢ .

تجدون لآلىء الأسرار من البحر الذي تموج باسمي العزيز المنيع »[1] .

« يا ملأ البيان أقسمكم بربكم الرحمن بأن تنظروا فيا نزل بالحق بعين الانصاف ولاتكونن من الذين يرون برهان الله وينكرونه ، ألا إنهم من الهالكين . قد صرح نقطة البيان في هذه الآية بارتفاع أمري يشهد بذلك كل منصف عليم . كما ترونه اليوم إنه ارتفع على شأن لاينكره إلاّ الذين سكرت أبصارهم في الأولى وفي الأخرى لهم عذاب مهين . قل تالله إني لمحبوبه والآن يسمع مايتزل من سماء الوحي وينوح بما ارتكبتم في أيامه ، خافوا الله ولاتكونن من المعتدين .. قل ياقوم إن لم تؤمنوا به لاتعترضوا عليه ، تالله يكفي ما اجتمع عليه من جنود الظالمين . إنه قد أنزل بعض الأحكام لئلا يتحرك القلم الأعلى في هذا الظهور إلا على ذكر مقاماته العليا ومنظره الأسنى . وإنا لما أردنا الفضل فصلناها بالحق وخففنا ما أردناه لكم ، إنه لهو الفضال الكريم »[2] .

« ياملأ البيان إنا دخلنا مكتب الله إذ أنتم راقدون . ولاحظنا اللوح إذ أنتم نائمون . تالله الحق قد قرأناه قبل نزوله وأنتم غافلون . قد أحطنا بالكتاب إذ كنتم في الأصلاب . هذا ذكرى على قدركم لا على قدر الله ، يشهد بذلك مافي علم الله لو أنتم تعرفون . ويشـهـد بـذلك لســان الله لو أنتم تفقهـون . تـالله لو انكشف الحجـاب أنتم تنصعقون »[3] .

وقال بهاء الله في كتابيه « الإيقان » و « الأقدس » عن كتاب الباب « البيان » : « قل به أشرقت شمس الحجة ولاح البرهان »[4] .

يقول الباب في البيان : « بمن نظهره يوم القيامة بآياتي لعلكم إياه تنصرون ، وأن بمثل ذلك نزلنا القرآن من قبل ولكنكم كنتم عن مرادي محجوبين » (الواحد الثاني من الباب الخامس) .

---

(١) « قراءة في وثائق البهائية » ، د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٧٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٠ – ٧١ .
(٣) « قراءة في وثائق البهائية » ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، ص ٧١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

ويقول البهـائيون أن كتاب « **الايقان** » الذي كتبه « بهاء الله » أثناء مقامه في بغداد ، هو تتمة « البيان »[1] .

أمـا الأزليـون ، فيقولون أن كتـاب يحيى صبح الأزل المسمى « تكمـلة البيـان الفارسي » هو الذي كان التتمة حسب وصية الباب[2] .

يقول الباب في البيان العربي[3] :

« الثالث ما أنتم من ملك الله تورثون ... لتؤمنن بمن يظهره الله ثم بآياته لتوقنون » (الواحد العاشر ، الباب الثالث ، من البيان العربي) .

« فإن من يظهره الله لو يظهر في مقام النقطة (الباب) أو الحي (أصحاب الباب الثمانية عشر) فإنه لحق لاريب فيه إنّا كل به مؤمنون » (الباب الثالث عشر من الواحد العاشر من البيان العربي) .

« كل ملك يبعث في البيان أن ينتخبن من سكان مملكته عدد الكاف والهاء من العلماء الذين هم ينبغي أن يكونن مطالع الحروف في كتاب الله لعلهم يوم القيامة بمن يظهره الله يؤمنون ويوقنون ودين الله ينصرون » (الباب الثاني من الواحد الحادي عشر من البيان العربي) .

« أن ياهؤلاء إن لم تؤمنن بمن يظهره الله إياه لاتحزنون فإن في تلك القيامة هؤلاء لو آمنوا بالنقطة الأولى لم يحزن أحد في البيان وكل إلى قيامة أخرى بالروح والريحان يسـلكون ... ان لاتبـلغون إلى من يظهره الله ماكتب الله عليكـم في الكتاب اياه لاتحزنون » (الباب السادس عشر من الواحد العاشر من البيان العربي) .

« من يظهره الله كتاب ناطق ووقت ظهوره ينفع ايمان الجميع إلا الذين هم آمنوا به » (الباب الثالث من الواحد الثاني من البيان الفارسي) .

« إن البيان ميزان الحق إلى يوم من يظهره الله ... وإن قيامة البيان تقوم يوم ظهور

---

(١) البابيون والبهائيون ، عبد الرزاق الحسني ، ص ٣٤ .

(٢) « البابية » ، لإحسان الهي ظهير ، ص ٢٦٩ .

(٣) نقلا عن البهائية لظهير ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

من يظهره الله » (الباب السادس والسابع من الواحد الثالث من البيان الفارسي)[1] .

« قد نزلنا البيان وجعلناه بشارة للناس لأن لأيضلوا السبيل ، فلما أتى الوعد وظهر الموعود أعرضوا إلا الذين ترى في وجوههم نضرة النعيم ، إذا قيل لهم بأي حجة آمنتم يقـولون البيــان ، فـلمــا جاءهم منزله (يعني نفســه) كفروا بالرحمن ألا إنهم من الخاسرين ، قل البيان نزل لنفسي وزين بذكري لولا ظهوري مانزل حرف منه » (المبين للمازندراني ، ص ٤)[2] .

يقول كتاب الموجز في شرح المصطلحات عن البيان الفارسي : هو كتاب أنزل من قلم حضرة الباب ، سمي أيضـا (بكتاب مجيد) . وقد أنزل البيان الفارسي بعد البيان العربي المسمى (بكتاب الجزاء) . وكان نزول البيان الفارسي في سجن ماكو حيث كاتب الوحي كان الآقا سيد حســين اليزدي ، وذلك في السنـة الثالثة لبعثة حضرة الباب . ويحتوي البيان الفارسي على الأحكام بالاضافة إلى الكثير من المسائل الايمانية والعرفانية . ويعتبر تفسيرا وتفصيلا للبيان العربي الذي أنزل مسبقا وفي سجن ماكو أيضا (الموجز ، ص ٣٢) .

يقول أسلمنت : « وقد قرر الباب ، كما ذكرناه ، أن كتابه « البيان » قد ألهمه إياه « من يظهره الله » (المنتخبات ، ص ٥٤) .

« الخامس فلتأخذن من لم يدخل في البيان وينسب اليهم ثم إن آمنوا لتردون إلا في الأرض التي أنتم عليهـا لاتقدرون » (البـاب الخامس من الواحد الخامس من البيـان العربي) .

« قد فرض على كل ملك يبعث في دين البيان أن لايجعل أحد على أرض ممن لم يدن بذلك الدين وكذلك فرض على الناس كلهم أجمعون إلا من يتجر تجارة كلية ينتفع به الناس » (الباب السادس من الواحد السابع من البيان) .

يقول بهاء الله في لوح ابن ذئب :

« ياهادي اتق الله ولاتكن من الظالمين ، نحن سمعنا أنك تجتهد في هذه الأيام لجمع

(١) نقلا عن « البهائية » ، لظهير ٢٨٩ — ٢٩٠ .

(٢) « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٩٨ .

كتاب « البيان » ومحوه ، فيطلب منك هذا المظلوم أن تكف عن هذا العمل ، وأنشدك بالله لأن عقلك وفكرك ليس بأعلى من سيد العالم (يقصد الباب) وإنني أشهد الله وأقسم به بأن هذا المظلوم لم يقرأ البيان ولم يعرف مطالبه ومعانيه وكل ما أعلم وما ظهر أن الباب قرر أن البيان أصل وأساس لكل كتبه وألواحه ... وإن هذا المظلوم ألقي في الابتـلاء والمحن منذ مدة طويلة ولم يكن له مأمن ومقام حتى ينظر في كتب حضرة الأعلى (يقصد الباب) ... وبعد التنقل من مكان إلى مكان أمرنا بعض الأشخاص أن يجمعوا كتبا وآثارا لحضرة النقطة (الباب) فنسخ منها نسخة حسب الأمر ، فقسما ببقاء الألوهية أن هذا المظلوم لم يستطع النظر في هذه الكتب لكثرة الأشغال ومصاحبة الناس ولم ينظر آثار حضرة النقطة وكانت هذه الكتب عند المرزه يحيى والمرزه وهاب ، المعروف بمرزه جواد ، حتى وقعت الهجرة »[1] .

يقول كتاب « الموجز في شرح المصطلحات » (ص ٣٢) في معرض التعريف بكتـاب « البيـان الفارسي » : « ... وكان نزول البيان الفارسي في سجن ماكو ... وذلك في السنـة الثـالثـة لبعثـة حضرة الباب . ويحتوي البيان الفارسي على الأحكام بالإضـافة إلى الكثير من المسـائل الايمانية والعرفانية . ويعتبر تفسيراً وتفصيلاً للبيان العربي الذي أُنزل مسبقا وفي سجن ماكو أيضا » .

قال الباب في البيان :

« لاتتعلمن إلا بما نزل في البيان أوماينشيء فيه من علم الحروف ومايتفرع على البيان ، قل ياعبادي تتأدبون ولاتخترعون ، ثم تخضعون على أنفسكم ثم تنصتون ، ثم الواحد من بعد العشر أن لاتتجاوزون عن حدود البيان فتحزنون »[2] .

يقول عبد الرزاق الحسني أن « البيان العربي ينطوي على الاحتمال والشك ، وإلى هذا فإن التعاليم التي جاءت فيه لم تكن واضحة وجلية إلى حد اليقين . فقد كانت

---

(١) « لوح ابن ذئب » ، ط باكستـان ، ص ١١٥ و ١١٦ ـ « البهائية » ، لظهير ، ص ٣٠٠ و ٣٠١ .

(٢) « البيان » ، ص ٨٧ ، ملحق كتاب الحسني ـ « حقيقة البابية والبهائية » ، محسن عبد الحميد ، ص ٦٣ .

الرموز والاشارات التي يستعملها علماء الكلام وفلاسفة الحكمة اليونانية تدخل بين جمل الكتاب فترى بظاهرها شيئا بينما هي تقصد شيئا آخر ...

« على أن كتاب البيان نسخه البهاء بكتابه الأقدس ... »[1] .

« قد نزلت البيان وجعلته حجة من لدنا على العالمين ، فيه ما لم يكن له كفو ذلك آيات الله قل كل عنها يعجزون ، فيه ما لم يكن له عدل ذلك ما أنتم به تدعون ، فيه ما لم يكن له شبه ذلك ماكنا فيه لمفسرين ... فيه ما لم يكن له قرين وذلك جوهرة العلم والحكمة أنتم به تجيبون ، فيه ما لم يكن له مثل »[2] .

قال الباب بعد أن وضع كتابه « البيان » : « **اني أفضل من محمد وقرآني أفضل من قرآن محمد وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآني . ان محمدا كان بمقام الألف وأنا بمقام النقطة** »[3] .

---

(١) « البابيون والبهائيون » ، لعبد الرزاق الحسني ، ص ٤٨ .

(٢) الباب الواحد من الواحد السادس من البيان العربي – ظهير ، ص ٢٢٧ .

(٣) مفتاح باب الأبواب لمحمد مهدي خان ص ٢٠ – « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٢٣٣ .

- ٣ -

اعلان البابية وتفسير سورة يوسف

حين أعلن علي محمد الشيرازي أنه « الباب » كتب يومئذ تفسير سورة يوسف ، التي كان يُعتقد في بيئته بأن المهدي يكتب تفسيرها ليبين الحقائق ويكشف النقاب عن الأسرار التي لم يخبر عنها أحد قبله ليثبت دعواه ، فقال الباب في تفسيره :

« قصد الرحمن من ذكر يوسف نفس الرسول وثمرة البتول حسين بن علي بن أبي طالب مشهودا ، قد أراد الله فوق العرش مشعر الفؤاد أن الشمس والقمر والنجوم قد كانت لنفسه ساجدة لله الحق مشهودا ، إذ قال حسين لأبيه يوماً : اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم بالاحاطة لي على الحق الله القديم سجادا ، ولقد سجدوا نجوم العرش في كتاب الله لقتل الحسين بالحق على الحق ، وكان عدتهم في أم الكتاب احدى وعشر ، هو الله الذي قد جعل التوحيد في حقائق الأشياء من أشعته ، وان الله قد أراد بالشمس فاطمة ، وبالقمر محمد ، وبالنجوم أئمة الحق في أم الكتاب معروفا ، فهم الذين يكون على يوسف باذن الله سُجَّدا وقياما »[1] .

ويقول الباب في كتابه تفسير سورة يوسف :

« وإن الله قد أوحى إلي إن كنتم تحبون الله فاتبعوني »[2] .

---

(١) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ٢٠٩ — « البابية » ، لظهير ، ص ٥٦ .

(٢) « حقيقة البابية والبهائية » ، محسن عبد الحميد ، ص ٦٢ .

الفصل السادس

الألوهية والرسالة والنبوة

١ ـ مظاهر أمر الله :

لم يستعمل البابيون والبهائيون عبارات النبي والنبوة والرسول والرسالة ، إلا في معرض الحديث عن الأنبياء والرسل السابقين ، أو بعضهم فقط ، فقد كانت تلك تعابير متواضعة لاترضي غرور الباب وبهاء الله ، اللذين اتخذا لنفسيهما اصطلاحا آخر ، هو : **المظهرية** ، أو **المظهر الإلهي** ، وهو يعني عندهم الشخص الذي يتجلى الله على خلقه من خلاله . وهذا الشخص يملك كل أسماء الله وصفاته وقدراته . ومن المؤكد أن تلك العبارة لاتعدو أن تكون ستارا لادعاء الألوهية قُصد منه تخفيف وقع المسألة على الناس . ولانقطاع لتوافد المظاهر الإلهية عندهم .

يقول علي محمد الشيرازي « الباب » في بيانه الفارسي عن الله سبحانه :

« ان الله مدرك كل شيء وهو خارج عن حيز الإدراك ولايعرفه أحد غيره ، والمراد من معرفة الله معرفة مظهره ، والمراد من لقاء الله لقائه ، لأن العرض لايتصور بالذات الإلهي الأقدس ، ولقائه لايتصور ، والذي ورد ذكر اللقاء وغيره في الكتب السماوية فالمقصود منه لقاء الظاهر بمظهره »[1] .

« وأما رجوع الملائكة الى الله وعرض الأشياء عليه غير متصور لأنه لاسبيل لأحد إلى الذات الأزلي في الحاضر ولا الماضي ، « لا ابتداء ولا انتهاء » ، والمقصود منه رجوع الأدلاء على مظهر الله لاغير »[2] .

---

(١) الباب السابع من الواحد الثاني والواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ص ١٩١ و ١٩٢

(٢) الباب العاشر من الواحد الثاني من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ١٩٢ .

« والتي تظهر في المظاهر هي المشيئة التي تخلق كل الأشياء ، ونسبتها إلى الأشياء نسبة العلة إلى المعلول ، والنار إلى الحرارة ، وتظهر هذه المشيئة في الأكوار حسب تلك الأكوار »(١) .

« وماكان مظهر المشيئة في العصور كلها إلا نقطة البيان ذات الحروف السبعة ـ علي محمد ـ »(٢) .

« إن نقطة البيان (أي نفسه) هو الآدم نفسه ، بديع الفطرة الأولى والخاتم الذي في يده هو نفس الخاتم الذي حفظه الله من ذلك اليوم إلى هذا اليوم »(٣) .

« وهو نفس محمد ﷺ الذي كان نقطة الفرقان »(٤) .

وهو « لم يزل ولايزال في الماضي والمستقبل عند الله وليس له بداية ولانهاية »(٥) .

« كنت في يوم نوح نوحاً ، وفي يوم موسى موسى ، وفي يوم عيسى عيسى ، وفي يوم محمد محمدا ، وفي يوم علي قبل نبيل علياً ، ولأكونن في يوم من يظهره الله من يظهره الله ... إلى آخر الذي لا آخر له قبل أول الذي لا أول له ، كنت في كل ظهور حجة الله على العالمين »(٦) .

« إن ظهوره (أي الباب) في هذا العصر في ايران أقوى وأكمل وأعلى وأشرف من ظهوره في العرب قبل ثلاثة عشر قرنا (بصورة محمد ﷺ) وقبل اثني عشر ألف سنة بصورة آدم »(٧) .

---

(١) الباب الثالث عشر منن الواحد الثاني والباب السابع والثامن من الواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٢ .

(٢) الباب الثالث عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٢ .

(٣) الباب الثالث عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٢ .

(٤) الباب الخامس عشر من الواحد الأول ، والباب الثالث من الواحد الثامن من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٢ .

(٥) الباب الخامس عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٣ .

(٦) « التراث اليوناني » ، ص٢٣٧ ، ط عربي ، ترجمة الدكتور البدوي ـ « البابية » ، لظهير ، ص١٩٣ .

(٧) الباب الثالث عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٣ .

والمظهر عند البابيين له اختيارات لاتقل عن اختيارات الله بل وتزداد أحياناً ، حيث أن الله خلق المشيئة في المظهر وتقاعد وتقاعس عن التخليق والأمور الأخرى بعده وملَّك جميع اختيارات التخليق وارسال الرسل مظاهره ، فيقول الباب في « البيان » العربي :

« فإنه (أي المظهر) لو يجعل ما على الأرض نبيا ليكونن أنبياء عند الله ولكن لن يجعل إلا من يشاء »[١] .

٢ ـ ادعاؤه « البابية » وتدرجه حتى الألوهية :

يقول الدكتور همايون همّتي[٢] : « لم ينتقد الميرزا علي محمد (الباب) عقائد الشيعة في أول الأمر ، بل كان يعتقد صواب مذهبهم ، كما كان يعتقد بالامام القائم وولي العصر . ولبث مدة لايدعي إلاَّ البابية والذكرية ، ويرى نفسه مأموراً من قبل إمام العصر والزمان ومفسراً للقرآن وعارفاً بالذكر ، فكتب كتاباً في تفسير سورة يوسف أسماه « أحسن القصص » وجعله في مئة واحدى عشرة سورة » .

ويورد الدكتور همّتي نماذج من كتابه هذا الحاكية عن أن علي محمد الشيرازي كان يرى نفسه باب إمام الزمان وعبداً له .

ففي السورة ٥٨ من كتاب « أحسن القصص » يقول الشيرازي : « يابقية الله قد أفديت بكلّي لك ، ورضيت السب في سبيلك ، وماتمنيت إلاَّ القتل في مَحَبَّتِكَ » .

وفي السورة ٧٦ منه يقول : « قل إن الله فاطر السماوات والأرض من عنده حجته القائم المنتظر ، وإنه هو الحق ، وإني أنا عبد من عباده قد أُسَخَّرُ الملك لدولته فأسلموا أمر الله » .

ولكنه (أي الشيرازي) عرف نفسه في السورة الأولى من نفس الكتاب (سورة الملك) ، بأنه الذّكر ، وأسند كل ماجاء في كتابه إلى إمام الزمان (المهدي) . فهو إذاً يرى نفسه باباً لإمام الزمان ومأموراً له ورابطاً بينه وبين الناس .

---

(١) الباب الخامس من الواحد السابع من البيان العربي .

(٢) في كتابه « البابيون والبهائيون » ، ط طهران ١٩٩٠ ، ص ٣٣ .

وأضاف الدكتور همّتي أنه جاء في كتاب « هشت بهشت » ، ويعني (الجنان الثاني) ، للشيرازي ، في الصفحة ٢٧٦ منه : « وبعد رحيل ذلك الرجل الجليل (الرشتي) لم يعرف مركز العلم ولم يصل من السيد خبر ... » .

ومن جملة الأدلة على ادعاء علي محمد البابية ماكتبه إشراق الخاوري[1] ، حيث قال : « بعث الباب بعد رجوعه من مكة برسالة إلى الشيخ القدوس (الملا محمد علي البارفروشي المازندراني) ، جاء فيها : « على أهل الايمان أن يقولوا في أذان الجمعة : « أشهد أن علياً قبل نبيل[2] باب بقية الله » (أي أشهد أن علي محمد الشيرازي باب امام الزمان المهدي) .

ويقول علي محمد الشيرازي في كتابه « البيان العربي »[3] : « إن ذات الحروف السبع (علي محمد) باب الله » .

وقال الفاضل المازندراني في كتابه « ظهور الحق »[4] جواباً على سؤال من سأله عما يؤمن به من ادعاءات الباب المختلفة ، مايأتي : « لقد عرّف نفسه بأنه باب بقية الله وعبده ، وهو على زعم القوم مبعوث الإمام الغائب محمد بن الحسن كما تصوروه » .

كما أقر الباب في مواضع شتى من كتاباته بولي العصر وإمام الزمان الحجة ابن الحسن وبحياته المقدسة ، من جملتها مافي تفسير سورة البقرة[5] ، وتفسير سورة الكوثر[6] ، والصحيفة العدلية[7] ، والألواح العكسية[8] ، والبيان الفارسي[9] .

ففي الصحيفة العدلية كتب يقول : وأشهد لأوصياء محمد صلى الله عليه وآله ،

---

(١) في كتابه « تلخيص تاريخ نبيل » ، ص ١٣٠ .

(٢) لقب من ألقاب الباب .

(٣) في السطر ١٦ من الصفحة الثانية .

(٤) الجزء الثالث ، الصفحة ٣١ ، السطر ١١ .

(٥) الصفحتان ٢٦ و ١٢٦ .

(٦) الصفحتان ٨٨ و ١٢٣ .

(٧) الصفحتان ٢٧ و ٤٤ .

(٨) الصفحة ١٦ .

(٩) الصفحة ٥٨ .

بعده علي (ع) ، ثم بعد علي الحسن ، ثم بعد الحسن الحسين ، ثم بعد الحسين علي ، ثم بعد علي محمد ، ثم بعد محمد جعفر ، ثم بعد جعفر موسى ، ثم بعد موسى علي ، ثم بعد علي محمد ، ثم بعد محمد علي ، ثم بعد علي الحسن ، ثم بعد الحسن صاحب العصر حجتك وبقيتك صلواتك عليهم أجمعين » .

ثم يضيف دكتور همايون همّتي في كتابه (ص ٣٦) : « وفقاً لما تفيده الأدلة والمستندات لم يدَّع الميرزا شيئاً غير البابية مابين الأعوام ١٢٦٠ - ١٢٦٤ هجري ، عندما كان في الخامسة والعشرين من العمر . لكنه ادعى القائمية في أواخر العام ١٢٦٤ هجري ، فأبدى أنه هو القائم والمهدي وإمام الزمان نفسه » .. « لقد تحدث الميرزا جاني مفصلا عن هذا الموضوع في كتابه « نقطة الكاف » (ص ١٥٣) ماخلاصته : « كان ادعاء السيد الباب القائمية بعد نفيه » (وبالاستناد إلى مانقله الفاضل المازندراني في الصفحة ٧٣ من كتاب « ظهور الحق » فان نفيه كان في أواخر العام ١٢٦٤) .

ويقول الداعية البهائي الدكتور جون أسلمنت[1] : « وعندما بلغ الباب السن الخامسة والعشرين ، أجاب الأمر الإلهي ، وأعلن أن الله سبحانه وتعالى قد اختاره لمقام البابية . وفي كتاب « مقالة سائح » نقرأ ماترجمته : « وكان مقصوده من كلمة « الباب » أنه واسطة فيوضات من شخص عظيم ، لايزال خلف حجاب العزة ، حائز لكمالات لاعداد لها ولا احصاء ، وأنه متحرك بارادته ومشيئته ، ومعتصم بحبل ولائه ومحبته » .

كما كتب الميرزا جاني الكاشاني[2] يقول : « في السنة الخامسة ظهرت نقطة القائمية في هيكل حضرة الذكر وشاعت السماء ذلك » .

قال عباس أفندي عبد البهاء : « فُهم من كلامه (الباب) أنه يدعي وساطة الفيض من حضرة صاحب الزمان ، المهدي عليه السلام » (مقالة سائح ، لعبد البهاء : ٦) .

لكن الباب بايعاز من كبار أصحابه تدرج من هذه الرتبة إلى القول بأنه المهدي

(١) في كتابه « مختارات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ١٧

(٢) في كتابه « نقطة الكاف » ، ص ٢٠٨ ، سطر ١٤ .

نفسه ، بالحلول الجسماني ، بعد أن انتحل النسب الشريف إلى البيت النبوي ، لتقبل دعواه . وذلك أثناء اختفائه في بوشهر أيام موسم الحج الذي أذاع أنه سافر فيه إلى الحجاز . ومن بوشهر أرسل رفيقه البارفروشي ، الملقب بالقدوس ، إلى شيراز ، ليسبقه إليها ويعدّ الناس لاستقباله . ثم لما وصل الباب دعاه والي شيراز « الميرزه حسين خان » إلى مجلس جمع فيه علماء البلدة وفقهاءها وسراتها ، واستقبله مُرحِّباً مبالغاً في تكريمه وإكباره . فخانه الحذر وباح بما عدّه العلماء كفراً صريحاً وتطاولاً على الأئمة رضي الله عنهم . وأفتوا بقتله لردّته . وظهر لبعضهم أنه مختل العقل . فأمر به فضرب واقتيد إلى السجن ، فتضرع اليه ليعفو عنه ، « وأنكر أنه وكيل القائم الموعود أو الواسطة بينه وبين المؤمنين » لكن العلماء أصروا على أن يكون إعلانه توبته على رؤوس الأشهاد يوم الجمعة في المسجد الجامع بشيراز ، فلم يتردد في الخضوع لما أمر به ، وقام في حشد المصلين بمسجد الوكيل يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان المعظم ، وأعلن انكاره لما نسب اليه وتبرؤه ممن اعتقدوه ، قال :

« ان غضب الله على كل من يعتبرني وكيلا عن الامام ، أو الباب — اليه — وإن غضب الله على كل من ينسب اليَّ انكار وحدانية الله أو أنني أنكر نبوة محمد خاتم النبيين أو رسالة أي رسول من رسل الله ، أو وصاية علي أمير المؤمنين ، أو أي واحد من الأئمة الذين خلفوه »[1] .

وأطلق [illegible]حه والناس يترصدونه ليفتكوا به ، لما قرأوا ماوزعه العلماء عن مقولته وفتواهم بكفره وردته ، فرؤي اعتقاله في أصفهان ، وحاكمها وقتئذ « منوجهر خان الأرمني » المتظاهر بالاسلام ، فما كان منه إلا أن تصدى لحماية الباب ، فأرسل كتيبة من الجند لحراسته . حملوه من شيراز إلى أصفهان حيث أنزله منوجهر في « قصر خورشيد » ضيفاً مكرماً واماماً مباركاً . ووضع ماله ونفوذه في خدمته ، وبث الدعاة والسفراء والمبلغين لنصرته والتبليغ عنه بما يحجب عن الجماهير منشور علماء شيراز فيه . وأمضى الباب في قصر خورشيد نحواً من خمسة أشهر ، ألّف فيها تفسير سورة

---

(١) « مطالع الأنوار » للزرندي ، ص ١١٩ — « الكواكب الدرية » ، ص ٤٨ فارسي — « البابية » لظهير ، ص ١٨٠ — « قراءة في وثائق البهائية » ، لعائشة عبد الرحمن ، ص ٤٠ .

العصر ، بالعربية ، ورسالة النبوة الخاصة ، بالفارسية . ومات منوجهر ، فاكتشف خلفه مكانة السجين المعتقل في القصر ومايتنعم به من تكريم وترف . فكتب بذلك الى رئاسة الحكومة بطهران ، فصدر الأمر باعتقال الباب في « قلعة ماه كو » في شهر ربيع الآخر ١٢٦٣ هجري – مارس ١٨٤٧ م ، حيث عكف سراً على كتابة « البيان » الذي يقول فيه :

« كنت في يوم نوح نوحا ، وفي يوم ابراهيم ابراهيم ، وفي يوم موسى موسى ، وفي يوم عيسى عيسى ، وفي يوم محمد محمدا ، وفي يوم علي عليا ، ولأكونن في يوم من يظهره الله من يظهره الله ، وفي يوم من يظهره بعده ، من يظهره الله ، إلى آخر الذي لا آخر له ، قبل أول الذي لا أول له . كنت في كل ظهور حجة على العالمين ... في كل الظهورات من آدم الى محمد ، وقبل آدم ، لم يكن مظهر المشيئة الاّ نقطة البيان ذات الحروف السبعة ، إلاّ أنه كان طفلاً في وقت آدم وهو الآن شاب وسيم » .

وهو يعني بالحروف السبعة عدد حروف اسمه : « علي محمد » . ولم يكمل هذا الكتاب ، وترك بقيته ليكمله من يظهر بعده . وفيما كتبه هو خليط من أديان وفلسفات شتى[1] .

يقول الداعية البهائي الدكتور جون أسلمنت : « ولكن الباب لم يكتف بدعوى المهدوية بل تلقب بلقب « **النقطة الأولى** » ... حتى أن الأئمة أنفسهم كانوا يعدون مقامهم بعد مقام « النقطة » التي كانوا يستمدون منها الهامهم وحجتهم . فباتخاذ الباب هذا اللقب كانت دعواه أنه في عداد كبار مؤسسي الأديان ... ولهذا السبب كانت الشيعة تعده باطلا ... وزاد على ذلك فوضع تقويماً جديداً افتتح به العصر الجديد ابتداء من سنة اعلانه دعوته »[2] .

ويقول الدكتور أسلمنت كذلك : « قارن البعض الباب بيوحنا المعمدان في حين أن مقام الباب ليس مجرد كونه مبشراً بظهور بهاء الله ، بل ان الباب في ذاته كان

(١) « البابية » ، لظهير ، ص ١٧٤ و مابعد – « قراءة في وثائق البهائية » ، عائشة عبد الرحمن ، ص ٤٠ و ٤١ .

(٢) « مختارات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٢٠ .

مظهراً من المظاهر الالهية ، ومؤسساً لدين مستقل ، ولو أنه كان ديناً محدوداً في مدته ، ومقتصراً على فترة قصيرة من السنوات . ويعتقد البهائيون أن الباب وبهاء الله كانا المؤسسين اللذين اشتركا في تأسيس دينهم ، وتشهد كلمات بهاء الله التالية على صدق هذه الحقيقة ، حين يقول ماترجمته : « أما وقد اقتضى أن تفصل هذا الظهور الأعظم البديع عن ظهوري السابق فترة قصيرة جداً كهذه ، فان ذلك سرٌّ لايستطيع أحد كشفه ، وغيب لايستطيع أحد أن يسبر غوره ، وقد سبقت التقديرات الالهية فعينت مدة امتداد تلك الفترة ، ولم يستطيع أحد أبدا أن يكتشف سببها ، الاَّ بعد أن يطلع على مافي كتابي المكنون »[1] .

ويقصد بهاء الله هنا من ظهوره السابق ، ظهور الباب ، فهو يعتبر من يسميهم بمظاهر أمر الله ، أي الرسل والأنبياء والبعض ممن يدعون الألوهية بمثابة شخص واحد .

يقول شوقي أفندي[2] : « ولعله من الأصح طبقا للمبادىء التي نصها كل من حضرة بهاء الله وحضرة الباب ... اعتبار مبشر ديننا (يقصد الباب) ومؤسس هذا الدين (يقصد بهاء الله) مطابقين في جوهرهما ، وهي حقيقة يؤكدها دون أي التباس نص سورة الهيكل ، حيث يتفضل حضرة بهاء الله قائلاً : لو كان النقطة الأولى (يقصد الباب) على زعمكم غيري ، ويدرك لقائي لن يفارق مني ، ويستأنس بنفسي ، واستأنست بنفسه في أيامي ، انه ناح لفراقي ، وقد سبقني ليبشر الناس بملكوتي ، كذلك نزل في الألواح إن أنتم من الناظرين » .

يقول جون أسلمنت ، كذلك ، ضمن حديثه عن مؤلفات « الباب » : « لكن فحوى كلماته ، ومقصود مصنفاته ، انما يدور حول نعت الحقيقة الشاخصة التي مقصوده ومحبوبه ومطلوبه[3] . وقد اعتبر ظهوره في مقام التبشير به ، كما اعتبر حقيقة ذاته واسطة لظهور الكمالات العظيمة من تلك الحقيقة الشاخصة . وفي الحقيقة ظل ليله ونهاره متبتلا له في ذكره ، بحيث لم يغفل عنه لحظة واحدة . وكان يدل جميع

(١) « مختارات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٢٣ .
(٢) الخليفة الثاني لبهاء الله ـ « العهد الأوفى » ، ص ٦٨ .
(٣) يقصد « بهاء الله » .

أتباعه الى ترصّد شروقه ، بحيث أوضح في تآليفه : « اني حرف من ذلك الكتاب الأعظم ، ورذاذ من ذلك البحر الذي لاساحل له . وعند ظهوره تتجلى حقيقتي وأسراري ورموزي واشاراتي ، ويعرج جنين هذا الأمر في مراتب الوجود ويفوز بمقام « أحسن تقويم » ويلبس خلعة « فتبارك الله أحسن الخالقين »[١] .

وكتب أبو الفضل الكلبايكاني[٢] يقول : « لقد كشف الباب في ماكو الستار ، وأطلق نداء القائمية والربوبية والشارعية » .

ويقول أبو الفضل أيضا في مقدمة كتابه « الفرائد » : « نحن لانعتقد في المرزه علي محمد الباب إلا أنه رب واله »[٣] .

ويقول الأستاذ احسان الهي ظهير[٤] : « إن الباب نقل إلى قلعة ماكو في ربيع الآخر ١٢٦٣ هجري – مارس ١٨٤٧ ، وبقي فيها إلى تسعة أشهر حسب قول عباس أفندي في « مقالة سائح » (ص ١٥ ط أردو) ، والمؤرخ البهائي عبد الحسين آواره في « الكواكب » (ص ٢١٩ ط فارسي) ، وسنتين وستة أشهر على قول البعض[٥] وثلاث سنوات على قول المرزه جاني الكاشاني[٦] ، وكذلك يظهر من مقال البروفسور براؤن في دائرة المعارف للمذاهب والأديان عن الباب والبابية »[٧] .

وجاء في أحد الكتب البهائية[٨] أن البيان العربي والبيان الفارسي من كتب الباب كتبا في سجن ماكو .

أدرك الباب مافي دعواه الجديدة من تناقض مع أقواله السابقة ، فأمر بكتاباته

---

(١) « مختارات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٢٣ .

(٢) في كتاب « كشف الغطاء » ، ص ٣٤١ ، سطر ٢٠ .

(٣) « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ١٨٤ .

(٤) في كتابه « البابية » ، ص ٦٨ .

(٥) « دائرة المعارف الأردية » ، ص ٧٨٦ ، ج ٣ ، ط باكستان .

(٦) « نقطة الكاف » ، ص ١٣٣ .

(٧) ص ٣٠١ ، ج ٣ .

(٨) « الموجز في شرح المصطلحات الواردة في مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله – المنزلة بعد الكتاب الأقدس » ، ص ٣٢ .

السابقة ، ومن جملتها أحسن القصص ، أن تحرق ، وراح هو وأتباعه يؤولون أقواله السابقة بأساليب شتى ، فمن جملة ذلك مانقلوه عنه من قوله : « تسافلت قليلا لأجل ضعف الناس عنه (في أول الأمر) »[1] .

أخذ الباب يصف نفسه بأنه رجعة رسول الله ﷺ والحجة إمام الزمان ، وجعل أتباعه الثمانية عشر (وهم حروف حي) رجعة الأئمة الإثني عشر وفاطمة الزهراء ونواب إمام الزمان الأربعة الخاصين (مع أن عدد أتباعه يزيد واحداً على هؤلاء)[2] .

فيقول الباب الشيرازي في الباب السابع من الفصل الأول من كتابه « البيان » :

« ومن حين ظهور شجرة البيان إلى مايغرب قيامه (آخر الدين) رسول الله الذي كان قد وعد به في القرآن الكريم . أوله ساعتان واحدى عشرة دقيقة من ليلة الخامس من شهر جمادى الأولى سنة (١٢٦) المصادف لسنة ١٢٧٥ هجري أول قيامة القرآن (أي نهايته) ... إذ ظهور قائم آل محمد بعينه ظهور رسول الله »[3] .

وفي كتابه « أحسن القصص » ، في السورة ٥٢ منه يقول :

« وإن كنتم في ريب مما قد أنزل الله على عبدنا فاتوا بأحرف من مثله » .

ثم يقول في السورة ٢٧ من كتابه هذا : « **يامعشر العلماء ان الله قد حَرَّمَ عليكم بعد هذا الكتاب التدريس في غيره** » .

كما ذكر ذلك في كتاب « البيان الفارسي » ، ص ٢٠ و ١٣٠[4] .

وقال الباب بعد أن وضع كتابه « البيان » : « إني أفضل من محمد وقرآني أفضل من قرآن محمد وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآني . ان محمداً كان بمقام الألِف وأنا بمقام النقطة »[5] .

---

(١) دكتور همّتي ، ص ٣٩ .

(٢) دكتور همّتي ، ص ٤٠ ، نقلا عن « البيان » في الفصل الأول منه ، في البابين ٢ و ١٥ ، والفصل الثاني في البابين ١ و ٧ ، والفصل الثالث في الباب ١٤ .

(٣) دكتور همّتي ، ص ٤٠ و ٤١ .

(٤) دكتور همّتي ، ص ٤١ .

(٥) « مفتاح باب الأبواب » ، لمحمد مهدي خان ، ص ٢٠ ــ « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٢٣٣ .

أما ادعاؤه الألوهية فمن شواهده[1] :

١ ـ كتب الشيرازي في رسالته الى يحيى (صبح الأزل) يقول : « هذا الكتاب من الله الحي القيوم إلى الله الحي القيوم » .

٢ ـ كتب في « البيان الفارسي » يقول في الباب الأول من الفصل الأول : « كل شيء يرجع إلى هذا الشيء الواحد (يعني نفسه) وكل شيء يخلق بهذا الشيء الواحد . وهذا الشيء الواحد ليس ـ في القيامة التالية ـ إلا من يظهره الله الذي ينطق في كل شأن . انني أنا الله لاإله إلا أنا رب كل شيء ، وان مادوني خلقي ، أن ياخلقي إياي فاعبدون » .

٣ ـ كتب أبو الفضل الكلبايكاني في « كشف الغطاء » (ص ٣٤١) : « لقد كشف الباب في ماكو الغطاء ، وأطلق نداء القائمية والربوبية والشارعية » .

٤ ـ يقول الباب في « رسالة للثمرة » (ص ٤) ، مخاطباً الميرزا يحيى (صبح الأزل)[2] : « يا اسم الأزل[3] فاشهد على أن لا إله إلاّ أنا العزيز المحبوب » .

٥ ـ وكتب بخط يده في الألواح (اللوح الثاني) يقول : أللهم إنك أنت إلهان الإلهين لتؤتين الألوهية من تشاء ولتنزعنَّ الألوهية عمن تشاء ... أللهم إنك أنت ربان السماوات والأرض ومابينهما لتؤتين الربوبية من تشاء ولتنزعن الربوبية عمن تشاء » .

٦ ـ وفي كتاب الدلائل السبعة العربي والفارسي ، وعقب ذكره جميع مشتقات « الفرد » في صفحتين كاملتين ، ووصفه الله سبحانه بصفات من قبيل : « فرد وفريد وأفراد وأفرود وفرّاد وفرادين وفاردين وأفرداء ومفارد ومفرد وفردان ومتفارد ومتفرد وفارد وفوارد » ، يقول : لتؤتين الفردية من تشاء وتنزعن الفردية عمن تشاء »[4] .

٧ ـ يقول أبو الفضل الكلبايكاني ، وهو من كبار دعاة البهائية ، في كتابه

---

(١) « البابيون والبهائيون » ، د. همّتي ، ص ٤٢ و ٤٣ .

(٢) أخو « بهاء الله » غير الشقيق ، الملقب بصبح الأزل ، الذي نازعه دعواه .

(٣) « الأزل » يساوي « يحيى » بحساب الأبجدية ، فعدد كل منهما ٣٨ .

(٤) دكتور همّتي ، ص ٤٣ .

« الفرائد » : « إن دعوى المرزه علي محمد الشيرازي (الباب) والمرزه حسين علي (بهاء الله) ليس بدعوى المهدوية والنبوة ، بل دعواهم غير ذلك ، وهو الألوهية والربوبية »[1] .

٨ - يقول « بهاء الله » في كتابه « الايقان » ، ص ١٨٤ : « ولقد أصدر حضرة الباب الرب الأعلى ، روح ماسواه فداه ، توقيعاً مخصوصاً لجميع علماء كل بلد ، ذكر في توقيع كل منهم مراتب إعراضه وإغماضه بالتفصيل » .

٩ - يقول « بهاء الله » كذلك في كتابه « الإيقان » ، واصفاً « الباب » (ص ١٩٥) : « إن كيفية ظهوره لايسبقها إدراك أي مدرك ، وقدر أمره لايحيط به عرفان أي عارف ، وجميع الأقوال منوطة بتصديقه . وكل الأمور محتاج لأمره . وماسواه مخلوق بأمره ، وموجود بحكمه . وهو مظهر الأسرار الإلهية ، ومبين الحكم الغيبية الصمدانية ... فانظر الآن كيف أنه جعل العلم سبعة وعشرين حرفاً . وان جميع الأنبياء من آدم الى الخاتم قد بينوا حرفين منه . ويقول بأن القائم يظهر جميع هذه الخمسة والعشرين حرفا . فاعرف من هذا البيان مقام حضرته وقدرته ، وكيف أن قدره أعظم من كل الأنبياء ، وأمره أعلى وأرفع من عرفان وإدراك كل الأولياء . وان الأمر الذي ما اطلع عليه الأنبياء والأولياء والأصفياء ، أو ما أظهروه بأمر مبرم الهي ، مثل هذا الأمر يَزِنُهُ هؤلاء الهمج الرعاع بعقولهم وعلومهم ومداركهم القاصرة » .

١٠ - يقول « عبد البهاء عباس »[2] في وصاياه : « فأساس عقائد أهل البهاء ، روحي لهم الفداء ، هو أن حضرة الرب الأعلى (يقصد الباب) مظهر الوحدانية والفردانية الالهية ومبشّر جمال القِدم (يقصد المبشر بظهور بهاء الله) وحضرة جمال الأبهى (يقصد بهاء الله) ، روحي لأحبائه الثابتين فداء ، المظهر الكلي الالهي ومطلع الحقيقة المقدسة الربانية ، ومادون كل عباد له وكل بأمره يعملون ، ومرجع الكل الكتاب الأقدس[3] وكل مسئلة غير منصوصة ترجع

---

(١) مقدمة « الفرائد » ، ص ١٥ و ١٦ ، ط باكستان - « البابية » ، لظهير ، ط ٢ ، ص ٣١ .
(٢) ابن « بهاء الله » وخليفته .
(٣) أحد كتب بهاء الله .

يعتقد البابيون والبهائيون في الباب : « أن أرفع مراتب الحقيقة الالهية حلّت في شخصه حلولاً مادياً وجسمانياً »[1] . و « ماخلق له من كفو ولاعدل ولا شبه ولا قرين ولا مثال »[2] .

يقول عبد الرزاق الحسني :

« يُبتنى أساس المذهب البابي على الاعتقاد بوجود إله واحد أزلي نظير مايعتقد به المسلمون ، إلا أن البابيين يستمدون صفات الخالق من أساس العقيدة الباطنية التي ترى أن لكل شيء ظاهراً وباطناً ، وأن الوجود مظهر من مظاهر الله ، وأن الله هو النقطة الحقيقية وكل مافي الوجود مظهر له .

« أما عقيدتهم في النبي والإمام فمستمدة من عين العقيدة بالخالق . فالنبي أو الإمام في حياته مظهر من مظاهر الله في الأرض ، وارتقاؤه إلى هذه المنزلة إنما هو باستكماله صفات أخلاقية جعلته يعبر عن الأمر الواقعي ، ويصل إلى الحقيقة دون غيره . فمن استكمل الصفات التي استكملها النبي أو الإمام فهو أحق وأهل للتظاهر بمظهر الدعوة والتبشير ...

« هذه هي العقيدة الأصلية للمذهب البابي ، إلاَّ أنها دخلت في تطورات جعلتها من بعض جهاتها غير مفهومة ... وقد أضافت البهائية اليها بعض التغييرات والتحويرات إلا أن أساسها الاعتقادي واحد »[3] .

ويقول المعلم بطرس البستاني في « دائرة المعارف » أن الباب : « أسس ذلك الدين من عناصر اسلامية ونصرانية ويهودية ووثنية ولقب نفسه باب الدين ثم ترك هذا اللقب ولقّب نفسه النقطة أو خالق الحق مدعياً أنه ليس نبياً بسيطاً بل هو مشخّص للآلهة »[4] .

---

(١) « العقيدة والشريعة » لجولد تسيهر ، ص ٢٤٢ ـ « دائرة المعارف الاسلامية » مادة باب ، ط عربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٣ .

(٢) الباب الثالث من الواحد الرابع من البيان العربي .

(٣) « البابيون والبهائيون » لعبد الرزاق الحسني ، ص ٤٧ .

(٤) « دائرة المعارف » ، للبستاني ، الجزء ٢ ، ص ٢٦ .

٣ ـ قولهم في ختم النبوة :

يقول الباب : « إنه كان قبل آدم عوالم وأوادم مالانهاية لها ولهم »(١) .

ويقول : « يكون بعد ظهور من يظهره الله ظهورات أخرى إلى مالانهاية لها »(٢) .

ويقول : « إن نقطة البيان (أي نفسه) هو الآدم نفسه ، بديع الفطرة الأولى ، والخاتم الذي في يده هو نفس الخاتم الذي حفظه الله من ذلك اليوم إلى هذا اليوم »(٣) .

« وهو نفس محمد ﷺ الذي كان نقطة الفرقان »(٤) .

٤ ـ القيامة والجنة والنار :

يقول « الباب » عن القيامة :

« إنها عبارة عن وقت ظهور شجرة الحقيقة في كل الأزمنة ، مثلا إن بعثة عيسى كانت قيامة لموسى ، وبعثة رسول الله قيامة لعيسى ، وكل من كان على شريعة القرآن كان ناجياً إلى ليلة القيامة أي من يوم الساعة ، وهي الساعة الثمانية والدقيقة الحادية عشرة من غروب الشمس من اليوم الرابع وأول الليلة الخامسة من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ هجرية »(٥).

« ياقوم قد أتى يوم القيامة قوموا عن مقاعدكم وسبحوا بحمد ربكم العليم الحكيم »(٦) .

« إن ظهور القائم من آل محمد هو عين ظهور رسول الله ، وقد ظهر ليجتني ثمرات القرآن ، ولايمكن اجتنائها إلاّ بالايمان بالقائم الذي قامت بقيامه القيامة ، واليوم الذي

---

(١) الباب الثاث عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٤ .

(٢) الباب الثاث عشر من الواحد الرابع من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٤ .

(٣) الباب الثالث عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٢ .

(٤) الباب الخامس عشر من الواحد الأول ، والباب الثالث من الواحد الثامن من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٢ .

(٥) الباب السابع من الواحد الثاني من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهيرص ١٩٥ .

هو يوم القيامة ليس محل فصل القضاء إلاَّ في هذا الجبل (أي جبل ماه كو حيث كان مسجونا) »[١] .

« يوم القيامة على ما أنتم تدركون من أول ماتطلع شمس البهاء إلى أن يغرب خير في كتاب الله عن كل الليل إن أنتم تدركون »[٢] .

« إن قيامة البيان تقوم يوم ظهور من يظهره الله ، واليوم الذي يظهر فيه المظهر الالهي الآخر هو نفس يوم البعث والحشر للجميع من قبورهم »[٣] .

« إن البعث حق يبعث الله من يشاء عن أنفس الأحياء من خلقه مما يحكم مظهر نفسه ، لذلك أنتم يوم القيامة بما ينطق من يظهره الله يبعثون »[٤] .

« ذكر الصراط حق وأنتم به لتمرون ، ذلك أمر من يظهره الله إن أنتم يوم الظهور به تعملون ، قل كل من قبل انتظروا يومي فإذا ظهرت بما هم به دينهم يثبت فإذا عند الصراط كلهم واقفون ، ذلك صمتهم في الحق إن أنتم تدركون »[٥] .

« ذكر الميزان حق ذلك من يظهره الله يتقلب الحق معه مثل ما يتقلب الظل مع الشمس فإذا أنتم بالبيان والشهداء لتوزنون »[٦] .

« ذكر الحساب بمثل الميزان لحق وكل مانزل في البيان ذلك مايحاسب الله الناس وكل شيء أن ياعبادي فاتقون »[٧] .

« أتحسبون أن الحساب والميزان في غير هذا العالم ، قل سبحان الله عما يظنون »[٨] .

---

(١) الباب السابع من الواحد الثاني من البيان الفارسي – « البابية » ، لظهير ص ١٩٧ .
(٢) الباب السابع من الواحد الثاني من البيان العربي – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٧ .
(٣) الباب السابع والتاسع من الواحد الثاني من البيان الفارسي – « البابية » ، لظهير ص ١٩٨ .
(٤) الباب الحادي عشر من الواحد الثاني من البيان العربي – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٨ .
(٥) الباب الثاني عشر من الواحد الثاني من البيان العربي – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٨ .
(٦) الباب الثالث عشر من الواحد الثاني من البيان العربي – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٨ .
(٧) الباب الرابع عشر من الواحد الثاني من البيان العربي – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٩ .
(٨) الباب الرابع عشر من الواحد الثاني من البيان العربي – « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٩ .

« إن الحساب يقصد به محاسبة الله الناس بمظهره بالايمان به والإنكار له ، فكل من أنكر مظهره يحاسب بالعدل ويدخل في نار النفي ، ومن آمن به يحاسب بالفضل ويدخل في نور الاثبات ، فليس الحساب إلاَّ الإثبات والنفي »[١] .

« إن الجنة حب الله ثم رضاؤه وإن ذلك حق لاعدل له إنا كنا فيها خالدين ، ماينسب الي في الجنة ذلك ماينسب الى من يظهره الله أفلا تدخلون ، وإنما النار قبل أن يبدل بالنور نار الله ذلك من يظهره الله قبل أن يعرفكم نفسه أنتم في نار الحب تدخلون ... ذكر النار لمن أحب ذكر من لم يؤمن بمن يظهره الله ذلك من لا آمن قبل من ينسب اليه ينسب إلى النار أن ياعبادي فاحذرون »[٢] .

ويفسر أسلمنت ذلك بقوله :

« الجنة هي السرور بمعرفة الله ومحبته كما بينها مظهره ... وأما النار فهي الحرمان من معرفة الله وينتج عنها عدم الوصول إلى الكمال الإلهي وضياع السعادة الأبدية ، وقد قرر بصراحة أن هذه الكلمات لم يكن لها معنى غير ذلك وأن الأفكار السائدة الخاصة بقيام الجسد المادي وبالجنة والنار المادية وأمثالهما ، إنما هي اختراع وهمي »[٣] .

« إن الجنة عبارة عن الاثبات أي التصديق والايمان بنقطة الظهور (يعني نفسه) ، والنار عبارة عن النفي ، يعني عدم الايمان بنقطة الظهور وانكاره هو »[٤] .

« إن كل من ذهب في النفي فهو في نار الله إلى يوم من يظهره الله ، وكل من استقر في ظل الاثبات فهو في جنة الله إلى يوم من يظهره الله »[٥] .

يقول الباب في البيان الفارسي :

« كل الأديان لاتقوم قيامتها إلا بعد وصولها درجة الكمال ، فلما بلغ دين موسى هذه الغاية قامت قيامته ببعثة عيسى ، وشريعة عيسى عند وصولها الغاية والعروج

---

(١) كذلك .

(٢) الباب السادس عشر من الواحد الثاني من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٠ .

(٣) « بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٢٩ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٠ .

(٤) الباب الأول من الواحد الثاني من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٠ .

(٥) الباب الرابع من الواحد الثاني من البيان الفارسي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠١ .

الحقيقي قامت قيامتها ببعثة رسول الإسلام وبعد ١٢٧٠ سنة على وصول الإسلام غاية الكمال قامت قيامته بشجرة الحقيقة وشجرة البيان في سنة ١٢٨٠ هـ لأن الشيء ما لم يبلغ كماله ومنتهاه لاتقوم قيامته ، وقيامة البيان تقوم يوم ظهور من يظهره الله بعد وصوله غايته القصوى وحدّه الأعلى »[1] .

يقول جون أسلمنت : « ان جزءا مهما من تعاليم الباب خاص بتفسير عبارات القيامة ويوم الجزاء والجنة والنار . فقد قال ان معنى القيامة هو ظهور مظهر جديد لشمس الحقيقة ، وان معنى قيام الأموات هو اليقظة الروحانية لمن هم نيام في قبور الجهالة والغفلة والشهوات ، وان يوم الجزاء يعني يوم الظهور الجديد الذي فيه يحصل الفصل بين أغنام الله الذين يقبلون ظهوره وبين الذين لايقبلونه ، لأن الأغنام تعرف صوت الراعي الصالح فتتبعه ، وان الجنة هي السرور بمعرفة الله ، كما أنزل ذلك مظهره ، وبه يصل المرء الى أسمى الكمال الذي يستطيع الوصول اليه ، وبه يدخل بعد الموت إلى ملكوت الله والحياة الأبدية ، وأما النار فهي الحرمان من عرفان الله ، وينتج عنها عدم الوصول إلى الكمال الإلهي وضياع السعادة الأبدية . وقد صرح تصريحاً أكيداً أن عبارات القيامة لم يكن لها معنى بغير هذا ، وأن الأفكار السائدة بين الأمم الخاصة بقيام أجساد الموتى وبالجنة والنار المادية وأمثالها انما هي من اختراع الخيال . وقد بين أيضا بأن للانسان حياة أخرى بعد الموت ، وبأن التقدم نحو الكمال في الحياة الأخرى ليست له حدود[2] .

ويقول أسلمنت[3] : « وقد يبدو من الظلم أن يقاسي البريء الآلام من أجل المذنبين ، ولكن عبد البهاء يؤكد لنا أن هذا الظلم ظاهري فقط ، وأن العدل يسود أخيراً في خاتمة المطاف . فقد كتب ماترجمته :

« أما بخصوص الرضع من الأطفال والصغار والمظلومين الذين يبتلون بظلم الظالمين ، فإن لهم مكافأة مقررة مهيأة في العالم الآخر ، وان بلواهم بالمصائب والمشقات أعظم رحمة من المتعالي الجبار ، وتلك المشقات هي الرحمة الالهية بعينها ،

---

(١) ملخصا من الباب السابع ، الواحد الثاني من البيان الفارسي — « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٩٤ .

(٢) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، جون أسلمنت ، ص ٢٤ .

(٣) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، جون أسلمنت ، ص ١٠٥ .

وهي خير لهم من كل راحة في هذا العالم الأدنى ، وأولى لهم من كل نمو وتطور في هذا الموطن الفاني » (مكاتيب عبد البهاء ، الترجمة الانكليزية ، ج ٢ ص ٣٣٧) .

يقول عبد البهاء هذا في حين اتضح أن البابيين ، وسيتضح أن البهائيين كذلك ، لايؤمنون بوجود عالم آخر .

٥ ـ مدة دين الباب :

قال الباب في البيان الفارسي : « إن عمر العالم من ظهور آدم إلى يوم ظهور نقطة البيان لايتجاوز أكثر من ١٢٢١٠ سنة ولاشك أنه كان قبل هذا الآدم أوادم وهذا العالم عوالم مالابداية له ولايعلم عددها أحد غير الله ... فأنا ذلك الآدم الذي كان بديل الفطرة الأولى ، والخاتم الذي كان في يده نفس ذلك الخاتم في يدي ، قد حفظه الله منذ ذلك اليوم إلى هذا اليوم ، والآية التي كانت منقوشة فيه عين تلك الآية المنقوشة فيه ، والفرق في ذلك الآدم وهذا الآدم أنه كان في مقام النطفة وأنا في مقام الشاب في الثانية عشر (أي كل سنة مقام ألف سنة من ناحية الظهور والبعثة والارسال) فالعالم يترق يوماً فيوماً بالظهورات المختلفة وأما من يظهره الله يكون نفس ذلك الآدم غير أن ذلك المحبوب يكون شابا في الرابعة عشر حيث أنه ارتقى من النطفة من سنة وسنتين إلى أن بلغ الرابعة عشر من العمر (أي بعد ألفي سنة من ظهور الباب) »[1] .

« إن ظهور من يظهره الله إلى عدد اسم الله « الأغيث » فادخلوا في دينه ، وإن تأخر وانتهى ظهوره إلى عدد اسم الله « المستغاث » فاستظلوا بظله وإلا فتضرعوا وابتهلوا إلى الله حتى لاينقطع فضل الله عنكم إلى عدد «المستغاث»، وإن سمعتم أن المستغاث ظهر من هو محبوبي ومحبوبكم ومليكي ومليككم فإذا لاتصبرن قدر مايتنفس نفس ولتدخلن كلكم أجمعون في ظل الله ولاتقولن لم وبم فان هذا من أعظم أمري إياكم لأخلفنكم عن نار بعدكم بما قد أذنت لكم بهذا ، أن يا أهل البيان كل تشكرون وان صبر نفس بقدر التنفس بعد ألفي سنة وسنة لاشك أنه ليس من أهل البيان وهو داخل

---

(١) الباب الثالث عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٩٤ .

في النـار إلا أن لايظهـر من يظهـره الله وفي ذلك الوقت كل مكـلف بـالابتهـال والتضرع »[١] .

والمعروف أن عدد حروف « أغيث » ١٥١١ عدداً ، وعدد حروف « مستغاث » ٢٠٠١ عدداً[٢] .

« إن الرجاء من فضل الله العطوف الرؤوف أن لايترك عباده إلى عدد « الغياث » أو « المستغاث » إلا أن يظهر لهم مظهره ... وإنما الدليل آياته والوجود على نفسه نفسه ، إذ الغير يعرفه به وهو لايعرف بدونه سبحان الله عما يصفون »[٣] .

ومعنى هذه العبارة أن ظهور من يظهره الله لايكون إلا على عدد « الغياث » وهو ١٥١١ سنة أو عدد « المستغاث » وهو ٢٠٠١ سنة .

ومثل هذا كثير في بيانه الفارسي وبيانه العربي في الواحد السابع من الباب العاشر وغيره .

وثبت من هذا كله أن من يظهره الله لايظهر إلا بعد ١٥١١ سنة على الأقل ، أو ٢٠٠١ سنة على الأكثر غير أن المرزه حسين علي أحد تلامذة الشيرازي لم يصبر على هذا أكثر من عشرين سنة وكذب على أستاذه حيث نسب اليه بأنه ظهر مصداق بشائره وأخباره مع أنه لم يكن وحيداً من الذين ادعوا بهذه الدعوى ، وخالفهم في دعواهم بل وناظر أحدهم وجادله وجاء بالبراهين والأدلة على كذب دعواه حسب تعليمات الباب وتصريحاته (مقدمة نقطة الكاف ، ص « م » لبراون) . وحرض الناس على قتله وقتلهم « وقتل من جادله حسين علي المازندراني ورمي في شط العرب بعد ما أوثقوا رجليه بالحجارة الكبيرة وأغرق »[٤] .

ويقول بهاء الله في كتـابه « الايقـان » الذي دونه في خلال وجوده في بغداد : « وإني لأرجو من فقهاء البيان وعلمائهم أن لايقتفوا أثرهم في هذا الطريق وأن لايرد

---

(١) الباب السادس عشر من الواحد الثاني من البيان الفارسي – « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٩٥ .
(٢) « البابية » ، لظهير ص ٢٩٥ .
(٣) الباب السابع من الواحد الثاني من البيان الفارسي ، « البابية » ، لظهير ، ص ٢٩٦ .
(٤) « الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى » ، لكونت جوبينو الفرنسي – « البهائية » ، لظهير ٢٩٦ .

منهم في زمن المستغاث على الجوهر الإلهي والنور الرباني ، والجمال الأزلي ، ومبدأ الظاهر الغيبية ومنتهاها ، ماورد في هذا الكور وأن لايعتمدوا على عقولهم وعلومهم ومداركهم »(١) .

فبهاء الله هنا يعتبر نفسه قائما في زمن المستغاث ، لكنه لم يقدم أي تفسير لذلك .

على أن العجب العجاب أن ينسخ البهاء دين الباب ، وقد صرح الباب مرراً وتكراراً أن دينه هذا يطول أمده أعواماً قدرها حروف « المستغاث » التي يبلغ عددها وفق حساب الجُمَّل (٢٠٣١) عاما . فكل من يدعي شيئا في غضون هذه المدة فلايقبل منه مطلقا كائنا من كان . أما بعدها فطاعته واجبة ، وعصيانه يُغضب الباب !! ... قال في « البيان » : « كل من ادعى أمراً قبل سنين (المستغاث) فهو مفتر كذّاب أقتلوه حيث ثقفتموه »(٢) .

وينقل احسان الهي ظهير عن الباب قوله في « البيان العربي » و « البيان الفارسي » أن من يظهره الله لن يظهر ، إلا بعد ١٥١١ سنة ، أو بعد ٢٠٠١ عام مطابق سنوات عدد حروف كلمة « غياث » أو « أغيث » أو « مستغاث » .

ويقول ظهير : والمعروف أن عدد الحروف لكلمة «غياث » و « أغيث » هو ١٥١١ ولكلمة « مستغاث » هو ٢٠٠١ ، وفق حساب الجُمَّل(٣) .

ويقول براون : ان عقيدة البهائيين حول الباب بأنه لم يكن إلا مبشراً ومنادياً لبهاء الله عقيدة باطلة ، ومبنية على الأشياء التي لا أساس لها كلية وقطعاً(٤) .

ويقول أيضا : ان الديانة البابية لاتنتهي وتنسخ إلا بعد وصولها درجة الكمال ، وبعد اعتناق ايران كلها هذه الديانة(٥) .

---

(١) « الايقان » ، ص ١٩٨ .

(٢) « دراسات عن البهائية والبابية » ــ محب الدين الخطيب وآخرون ، ص ١٠١ .

(٣) « البهائية » ، لظهير ، ص ٥١ .

(٤) مقدمة نقطة الكاف ، ص « كا » ــ « البهائية » ، لظهير ، ص ٥١ .

(٥) مقدمة نقطة الكاف ، ص « كا » ــ « البهائية » ، لظهير ، ص ٥١ .

ويقول الباب نفسه في بيانه العربي متنبئا : سيكون ملك ايران بابيا وبعده يظهر من يظهره الله ويقدم إليه تاجه المكلل بخمس وتسعين جوهرة[١] .

يقول براون في « مقدمة نقطة الكاف » : « ولايكون ظهور من يظهره الله حسب قول الباب إلا بعد مدة طولها كطول المدة التي كانت بينه وبين الظهورات السابقة ، مثل مابينه وبين محمد ﷺ وبينه وبين عيسى ، وبين عيسى وموسى ، وغير ذلك – ويستفاد من أقواله في البيان حول هذا أنه يعد هذه المدة مابين ١٥١١ سنة إلى ٢٠٠١ عام »[٢] .

(١) الباب الثالث عشر من الواحد الحادي عشر من البيان الفارسي ، للباب الشيرازي – « البهائية » ، لظهير ، ص ٥٢ .

(٢) مقدمة نقطة الكاف ص « كبح » و « كد » – « البهائية » ، لظهير ، ص ٥٢ .

الفصل السابع

شرائــع البابيــة

١ ــ لمحة عامة :

إن استعراض بعض النماذج من مقررات « البـاب » في كتـابه « البيان » يعطي صورةً واضحةً وكافيةً عن نوع الشريعة التي أراد لها ، أو أرادت لها القوى الخارجية ، أن تحل محل الشريعة الاسلامية ، بقوة السيف ، كما يعطي صورة واضحة عن النوايا والقيم الخلقية الروسية والبريطانية التي ساندت شريعة الباب .

لكن ، لا السيف ولاسـواه ، كان قادراً على أن يجعـل من شريعة الباب شيئا فاعلاً ، في دنيا الإسلام على الأقل ، اللهم إلا ذلك الفعل العكسي الذي ألهب مشاعر الشعب الايراني فأشعل الثورة تلو الثورة إلى أن استطاع أن يكنس الكيد والكائدين .

يقول الداعية البهائي جون أسلمنت[1] : « ففي ايران لقي المؤمنون الأولون بهذا الظهور أقصى أنواع المقـاومة والاضطهاد والقسوة على أيدي أبناء وطنهم ... ومرت ستون سنة[2] لم يتجاسر خلالها أحد في ايران بالانتساب علناً إلى الباب أو بهاء الله وإذا انتسب كان ذلك مخاطرة بأمواله وبحريته وحتى بحياته » .

قد يبدو على شريعة الباب السخف والهزل ، لكن ذلك ليس بالشيء العفوي ، ففي بعض المواطن يبدو الباب في منتهى البراعة . فهو استخفاف أكثر مما هو سخف . وربما كانت هناك يد خفية كتبت له هذه الشريعة .

(١) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، أسلمنت ، ص ٢٥٠ .
(٢) أي إلى حين نشر أسلمنت كتابه في حوالي عام ١٩٢٠ .

يقول براون في « مقدمة نقطة الكاف » : « إن البهائيين غيَّروا تعليمات الباب لأثرها السيء في نفوس القراء أو حذفوها كلية »[1] .

أما المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر فيُثني على شخصية الباب وعلى دينه وشريعته ، أيَّما ثناء ، في الوقت الذي لايغفل فيه عن التنديد بالدين الإسلامي وبعلمائه ، فيقول :

« وقد ترعرع في هذه البيئة (بيئة المذهب الشيخي) الشاب الورع « ميرزا علي محمد » الشيرازي ، الذي ولد سنة ١٨٢٠ ميلادي . وقد شهد له أصحابه بسبب مواهبه الفائقة وحماسته المتقدة بأن العناية الإلهية قد اصطفته لغاية سامية ، وكانت هذه الشهادة من إخوانه في المذهب الملتهبين غيرة وحماسة إيحاءً قوياً أثَّر في عقل هذا الشاب الغارق في تأملاته وأفكاره فاعتقد أخيراً في نفسه أنه يؤدي رسالة سامية فوق مستوى البشر ، وأن أداءها هو نتيجة حتمية ملازمة مع التطور التاريخي للإسلام والتحقق الكامل لرسالته العالمية ... وقد دعا الباب أتباعه ومريديه إلى بغض الملاّ (وهو الاسم الذي يطلق على علماء الدين في فارس) ، بسبب نفاقهم وورعهم الكاذب وتكالبهم على الدنيا ، ولم يدخر وسعاً في أن يرفع الوحي المحمدي درجة نحو النضج والكمال ؛ ففسر الجزء الأكبر منه تفسيراً مجازياً ، ولم يعن بفرائض الإسلام وشرائط طهارته المرهقة وأبدل جزءاً منها بغيرها، كما أوَّلَ حساب الآخرة والجنة والنار تأويلا مخالفا لما عرفه المسلمون ... ولم تكن النظريات التي أتى بها هذا الشاب الفارسي المنجذب قاصرة على المسائل الإعتقادية والشرعية ، والتي قصد بها مناهضة الملا والتخلص من ضيقه وجموده ، بل انه نفذ بتعاليمه إلى الظروف والأحوال الإجتماعية التي تحيط بإخوانه في الدين وتغلغل فيها . فأتى بنظريات أخلاقية تطابق العقل والذوق السليم طالب فيها بالإخاء بين كافة أفراد الجنس البشري[2] بدلا من إقرار الفوارق التي تفصل بين الطبقات والديانات ورغب في أن يجعل المرأة على قدم المساواة بالرجل وذلك بانتشالها من الدرك الأدنى الذي وضعتها فيه تقاليد الحياة العملية باسم الدين والسنَّة . وقد بدأ بإلغاء الحجاب الذي فرض عليها ، وإنكار ذلك الأسلوب الهمجي في الزواج الذي

(١) مقدمة نقطة الكاف ، ص (نه) ـ « البهائية » ، لظهير ، ص ٥٨ .

(٢) لاحظنا أن الباب منع التعايش بين البابيين وسواهم .

أصبح جزءا من تقاليد المجتمع الإسلامي ... وإذاً ، فقد أدخل « الباب » في نطاق إصلاحاته الدينية قواعد تبنى عليها الحياة الإجتماعية ، لأنه ليس مصلحاً دينياً فحسب ، وإنما هو في نفس الوقت مصلح إجتماعي »[١] .

وفيا يأتي بعض نصوص هذه الشريعة :

يقول « الباب » في الواحد الأول من البيان العربي[٢] :

« إنما البيان حجتنا على كل شيء ، يعجز عن آياته كل العالمين » .

ويقول : « إني أفضل من محمد ، كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد ، وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن ، فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآني . إن محمدا كان بمقام الألِف ، وأنا بمقام النقطة »[٣] .

وقال بهاء الله في كتابيه « الإيقان » و « الأقدس » عن كتاب الباب « البيان » : « قل به أشرقت شمس الحجة ولاح البرهان »[٤] .

وقال الباب في البيان : « **لاتعلمن إلا بما نزل في البيان أو ماينشيء فيه من علم الحروف ومايتفرع على البيان ، قل ياعبادي تأدبون ولاتخترعون ، ثم تخضعون على أنفسكم ثم تنصتون ، ثم الواحد من بعد العشر أن لاتتجاوزون عن حدود البيان فتحزنون** »[٥] .

« قد نزّلت البيان وجعلته حجة من لدنّا على العالمين ، فيه ما لم يكن له كفو ذلك آيات الله قل كل منها يعجزون ، فيه ما لم يكن له عدل ذلك ماأنتم به تدعون ، فيه ما لم يكن له شبه ذلك ماكتنا فيه لمفسرين ، فيه ما لم يكن له قرين ذلك جوهر العلم

---

(١) « العقيدة والشريعة » ، ص ٢٤١ ــ ٢٤٣ .

(٢) « البابية » ، لظهير ، ص ١١٠ .

(٣) « مفتاح باب الأبواب » ، لمحمد مهدي خان ، ص ٢٠ ــ « حقيقة البابية والبهائية » ، محسن عبد الحميد ، ص ٦٢ .

(٤) « قراءة في وثائق البهائية » ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، ص ٧٢ .

(٥) « البيان » ، ص ٨٧ ، ملحق كتاب الحسني ــ « حقيقة البابية والبهائية » ، محسن عبد الحميد ، ص ٦٣ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ١١١ .

والحكمة أنتم به تجيبون ، فيه مالم يكن له مثل ذلك ماينطق به الفارسيون وأنتم في الواح لتنظمون »[١] .

٢ ـ محو الكتب ونسخ الشرائع السابقة :

اتضح من وقائع مؤتمر بدشت أن البابيين المؤتمرين ، وعلى رأسهم قرة العين ، قرروا إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية ، واعتبار الباب صاحب حق في بناء شريعة جديدة ، وكتبوا بذلك إلى الباب ، في محبسه بقلعة ماكو ، فأجابهم إلى مطلبهم .

وفي كتاب الباب إلى الشيخ الآلوسي[٢] رحمه الله قال :

« ولقد بعثني الله بمثل ماقد بعث به محمدا رسول الله من قبل » وقال : « رفعنا كل ما أنتم به تعملون » ، ثم أضاف « ولاتتبعن إلا مانزل في البيان فان ذلك ماينفعكم »[٣] .

وكنتيجة لمحو الشرائع السابقة ، فقد محا الباب الكتب السابقة ونهى عن مطالعتها .

فهو يقول في « البيان » : « لايجوز التدريس في كتب غير البيان إلا إذا أنشيء فيه من علم الحروف ، ومايتفرع على البيان ، قل أن ياعبادي تتأدبون ولاتخترعون »[٤] ... « حرم عليكم في دينكم النظر بعضكم الى كتاب بعض ... لعلكم لتستحيون ثم تتأدبون »[٥] ... « فلتمحون كل ما كتبتم ، ولتستدلن بالبيان وما أنتم في ظله تنشأون »[٦] ... « حكم محو الكتب كلها إلا ما أنشئت أو تنشأ في ذلك

---

(١) الباب الواحد من الواحد السادس من البيان العربي ـ « البابية » ، ظهير ، ص ٢٢٧ .

(٢) هو مفتي بغداد ومرجع أهل العراق العلامة أبو الفضل شهاب محمود الآلوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هجرية .

(٣) البيان ، ص ٨٥ ـ ٨٧ ملحق كتاب الحسني « البابيون والبهائيون » ـ حقيقة البابية والبهائية ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٦٢ .

(٤) الباب العاشر من الواحد الرابع من البيان العربي ـ ظهير ص ١٩٠ .

(٥) الباب الثامن عشر من الواحد السادس من البيان العربي ـ البابية لظهير ، ص ١٩٠ .

(٦) الباب السادس من الواحد السادس من البيان العربي ـ ظهير، ص ١٩٠

الأمر »[١] ... « لايجوز التدريس في كتب غير البيان إلا إذا أنشيء منه مما يتعلق بعلم الكلام ، وإن مما اخترع من المنطق والأصول وغيرها لم يؤذن لأحد من المؤمنين »[٢] .

وقال الباب في البيان أيضا : « لاتتعلمن إلا بما نزل في البيان أو ماينشيء فيه من علم الحروف ومايتفرع على البيان ، قل ياعبادي تتأدبون ولاتخترعون ، ثم تخضعون على أنفسكم ثم تنصتون ، ثم الواحد من بعد العشر أن لاتتجاوزون عن حدود البيان فتحزنون »[٣] .

وقد حاول بهاء الله التخفيف من وطأة تلك المحرمات التي أشعلت الثورة في ايران ، فقال في أقدسه[٤] :

« قد عفى الله عنكم مانزل في البيان من محو الكتب وأذنّا لكم بأن تقرأوا من العلومماينفعكم » .

« حرم عليكم السؤال في البيان عفى الله عن ذلك لتسألوا ماتحتاج به أنفسكم لا ماتكلم به رجال قبلكم اتقوا الله وكونوا من المتقين » .

٣ ـ عدم التعايش مع غير البابيين :

يقول الباب في كتابه « البيان » : « قد فُرض على كل ملك يبعث في دين البيان أن لايجعل أحدا على أرض ممن لم يدن بذلك الدين ، وكذلك فرض على الناس كلهم أجمعون إلا من يتجر تجارة ينتفع به الناس »[٥] .

وفي إحدى الروايات : « ولايجعل على أرضه من لم يؤمن به ومثل ذلك قبل أن يظهر في البيان إلا الذين هم يتجرون في ملكهم ، قل أن ياعبادي إياي فاتقون »[٦] .

---

(١) كذلك .

(٢) الباب العاشر من الواحد الرابع ـ ظهير ، ص ١٩٠ .

(٣) البيان ص ٨٧ ، ملحق كتاب الحسني ـ حقيقة البابية والبهائية ، محسن عبد الحميد ، ص ٦٣ .

(٤) البهائية لظهير ، ص ٥٨ .

(٥) « البابية » ، لظهير ، ص ١٨٩ .

(٦) « البيان » ، العربي ، الباب السادس عشر من الواحد السابع ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٨٩ .

يقول في البيـان العربي : « أنتم عمن لم يكن لي تحذرون ولاتبيعنّ ولاتشـترنّ مالايحبه الله فإنه حرم عليكم »(١) .

وعلى ذلك أقام البابيون المذابح في ايران ، في مدنها وقراها ، حيث كانوا يعدون الفتك والقتل لمن سواهم من أعظم القربات حتى قال أحد قادتهم السيد يحيى الدارابي :
« لو أنكر أبي السيد جعفر الدارابي مع جلالة قدره وعظمة شأنه ذلك الظهور الباهر النيّر (أي ظهور الشـيرازي البـاب) فقسماً بالله لقتلته بيدي في سبيل المحبوب »(٢) .

وقد قال عباس أفندي ، ابن بهاء الله وخليفته :

« وفي يوم ظهور حضرة الأعلى (أي البـاب) كان منطوق « البيـان » ضرب الأعنـاق ، وحرق الكتب والأوراق ، وهدم البقاع (يقصد البقاع المقدسـة) وقتل الجميع إلاّ من آمن به وصدّقه »(٣) .

وقال بهاء الله في لوح الدنيا : « إن المعرضين والمنكرين (يقصد البابيين الذين أنكروا خلافته للباب) متمسكون بأربع كلمات : الأولى « فضرب الرقاب » والثانية « إحراق الكتب » والثـالثـة « الاجتنـاب عن المـلل الأخرى » والرابعـة « إفنـاء الأحزاب » . وقد أزيلت الآن هذه السدود العظيمة الأربعة »(٤) .

وقال الباب في « البيان » العربي :

« فلتأخذنّ من لم يدخل في البيان ماينسب اليهم (أي مايملكون) ثم إن آمنوا لتردون ، إلا في الأرض التي أنتم عليها لاتقدرون »(٥) .

---

(١) الباب السابع من الواحد التاسع من البيان العربي _ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٣ .

(٢) « نقطة الكاف » ، للمرزه جاني الكاشاني ، البابي ، ص ١٢٢ ، ط ليدن _ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ١٨٩ .

(٣) « مكاتيب عبد البهاء » ص ٢٦٦ ، ط فارسي _ « البابية » ، لظهير ، ص ١٨٩ .

(٤) « مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله » ، ص ١٠٨ .

(٥) الباب الخامس من الواحد الخامس من البيان _ « البابية » ، لظهير ، ص ١٩٠ .

وكان الباب قد أمر في كتابه البيان أيضا بقتل من لايعتنق بخرافاته[١] .

وقد صرح الباب في كتابه « البيان » : « لايجوز أن يتعايش البابي مع غير المؤمن بالبابية فهذا أمر غير مشروع يدلل على عدم الالتزام عند البابي ، لأن شرط الصداقة هو طهارة الدين ولاشيء آخر . ومن واجب الناس أن يخشوا الله كما يجب وذلك يتبلور بأن يصبحوا جميعاً بابيين »[٢] .

يقول براون في « مقدمة نقطة الكاف » :

« إن البهائيين غيروا تعليمات الباب لأثرها السيء في نفوس القراء أو حذفوها كلية ، وحاول حسين علي جدياً أن يتعايش مع الحكومة الايرانية تعايشاً سلمياً وآمناً ، لذلك أمر أتباعه ومريديه أن يصيروا أوفياء طائعين للشاه ناصر الدين القاجاري الذي أنزل جميع البلايا على البابيين ، ومذهبه في هذا الباب يخالف مخالفة تامة مذهب البابيين الأصليين الذين يعتقدون أن كل من لايؤمن بالباب فهو نجس كافر يجب قتله كما أنهم يبغضون ملوك القاجار بغضاً علنياً لايخفونه من أحد »[٣] .

ثم مثل براون أمثلة كثيرة لذلك ، ومنها : « إن البابيين يكفّرون شخصاً ويقولون عنه انه ذهب إلى الجحيم ويقول البهائيون عن ذلك الرجل بعينه انه انتقل إلى الفردوس »[٤] .

يقول المعلم بطرس البستاني في دائرة معارفه : « وأوقع تابعوه (الباب) في قلوب الناس رعباً وخوفاً إذ كانوا يقفون على سرائر الناس وخباياهم فمن كان يومىء بطعن في معتقدهم لم يلبثوا أن يقتلوه وفشا منهم التعدي والغدر حتى كانوا يتشكلون بأشكال متعددة كالسائلين ونحوهم ليتمكنوا من الفتك بمن ظنوا به أو توهموا فيه أنه يشير بسوء إلى مذهبهم فسفكوا بذلك دماء كثيرة وكانوا أشبه الناس بالفداوية الذين اشتهر أمرهم على عهد الفاطميين »[٥] .

(١) البيان العربي للشيرازي ، الواحد السابع ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٨٦ .
(٢) « البيان » الفارسي ، ص ٤٦ ـ « البهائية والقاديانية » ، للسحمراني ، ص ٧٠ .
(٣) ص « نه » ـ « البهائية » ، لظهير ، ص ٥٨ .
(٤) « مقدمة نقطة الكاف » ، ص « سا » ـ « البهائية » ، لظهير ، ص ٥٨ .
(٥) « دائرة المعارف » ، بطرس البستاني ، ج ٥ ، ص ٢٧ .

٤ ـ العبادات البابية :

آ ـ الصــــلاة :

يقول الباب في البيان العربي :

« أنتم بالجماعة لاتُصَلُّون ، وأنتم على الكرسي بما يحبه الله تذكرون وتوعظون »[١] .

« ولتصلين كلكم مرة ولكنكم فرادى تقعدون »[٢] .

« فلاتسجدن إلا على البلور ، فيها من ذرات طين الأول والآخر ذكر من الله في الكتاب لعلكم شيء غير محبوب لاتشهدون »[٣] .

ويقول المرزه جاني الكاشاني ، المؤرخ البابي :

« إن المقصود من الصلاة التكبير والتحميد والتعظيم قولاً وفعلاً لحضرة النقطة (يقصد الباب) وهذا هو المفهوم لقول الأمير عليه السلام : نحن الصلاة »[٤] .

ويقول الباب في الوضوء :

« أنتم بالخلال والمسواك بعد ما تفرغون من رزقكم أفواهكم تُلَطِّفون ، ثم لترقدون ثم وجوهكم وأيديكم من حد الكف تغسلون إن تريدون أن تصلُّون ، ثم بمنديل تلطفن وجوهكم وأيديكم وإن في بيت الطهر تحفظن مايشم كل ريح بمنديل لعلكم دون ماتحبون لاتشهدون ، ولتوضئن على هيكل الواحد بماء طيب مثل ورد لعلكم بين يدي يوم القيامة بماء الورد والعطر تدخلون وان ريحكم لن يغير عملكم ... »[٥] .

« فلتلطفن أبدانكم في كل أربعة يوم عن كل ما أنتم تستطيعون لتلطفون ولتنظرن في المرآة بالليل والنهار لعلكم تشكرون »[٦] .

غير أن فيليب حتي يقول ان الباب ألغى الوضوء[٧] .

---

(١) الباب التاسع من الواحد التاسع من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٥ .
(٢) الباب الثالث عشر من الواحد الثامن من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٥ .
(٣) الباب الثامن من الواحد العاشر من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٦ .
(٤) « نقطة الكاف » بتحقيق براون ، ص ١٤٨ ، ط ليدن ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٦ .
(٥) الباب العاشر من الواحد الثامن من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٦ .
(٦) الباب السادس من الواحد الثامن من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٧ .
(٧) « خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى » ، فيليب حتي ، ج ٢ ص ٨٨ .

وقد ذكر البستاني في دائرة المعارف نقلا عن السيد جمال الدين الأفغاني أن البابيين يأمرون « بالصلاة وجوبا وهي ركعتان فقط وقت الصباح »[١] .

ولعله أخذ هذا عن البيان من قوله « ولتصلين كلكم مرة ولكنكم فرادى تقصدون »[٢] .

ولكن في البيان أيضا أن الباب قال عن الصلاة : « رفع عنكم الصلواة كلهن إلا من زوال الى زوال تسعة عشرة ركعة واحداً واحداً بقيام وقنوت وقعود لعلكم يوم القيامة بين يدي تقومون ثم تسجدون ثم تقنتون وتقعدون »[٣] .

لم يقدم الباب أية تفاصيل عن كيفية أداء الصلاة أو عددها وأوقاتها ، لكنه قال :

« أنتم فلتصلين في العباء وهن في لباسهن ، ولاجناح عليهن في ظهور شعراتهن وأبدانهن عند أزواجهن حين مايصلين ، وأنتم تأخذن شعر وجوهكم ليقوى وتجملن بما تحبن (أزواجكن) في أبدانكم لعلكم في أيام الله تشكرون »[٤] .

« وأنتم إن تقرأونّ البسملة خمس مرات ــ بسم الله الأمنع الأقدس ــ ليكفيكم عن وضوئكم إذا أنتم الماء لاتجدون أو يصعب عليكم بأمر ، لعلكم تشكرون .. قل في كل ظهور يُبَدَّل كينونات النار بالنور أنتم إلى نقطة الأمر تنظرون .. وأنتم إذا وجدتم ذلك الماء باختياركم توضّئون ثم لتسجدون ، ولتقولُنَّ تسعة عشر مرة : سبحانك اللهم أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت المسبحين .. وإنما النساء حين مايجدون الدم ليس عليهن صلاة ولاصوم إلا أن يتوضأن ثم يسبِّحن خمس وتسعين مرة من زوال إلى زوال يقولنَّ ، سبحان الله ذي الطلعة والجمال[٥] .

وقد اختلفت القبلة عندهم ، فمرة قال الباب :

---

(١) « دائرة المعارف » ، للبستاني ، ص ٢٧ ، ج ٥ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٧ .

(٢) الباب الثالث عشر من الواحد الثامن من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٧ .

(٣) الباب الثامن عشر من الواحد السابع من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٧ .

(٤) الباب السابع من الواحد الثامن من البيان العربي ــ « البابية ، لظهير ، ص ٢٠٨ .

(٥) من الواحد الثامن من البيان العربي ــ « قراءة في وثائق البهائية » ، د . عائشة عبد الرحمن ، ص ١٩٩ .

« أن ياعبادي الى بيتي تصعدون ، ذلك بيت من يظهره الله ، ذلك بيتي فلاتشترن مـافي حوله على قدر ما أنتم تستطيعون أن ترفعون .. مافي حول البيت والمسجد لله فلاتبيعون ... وان مسجد الحرام مايولد من يظهره الله عليه ذلك ماولدت عليه ... أنتم هنالك لتصلون »[1] .

ومرة قال : « أينما تولوا فثم وجه الله أنتم الى الله تنظرون »[2] .

ومرة أخرى : « قل إنما القبلة من نظهره متى ينقلب تنقلب الى أن يستقر ثم من قبل مثل من بعد تعلمون »[3] .

وفي الأذان يقول :

« فـلتجعـلن من أول ليـلكـم الى آخر نهاركم خمس قسمـة ثم عند كل قسمـة لتؤذنون ، فلتبدئن بأول الليل ثم في الأول تسعة عشر مرة لا إله إلا الله ثم الله أغنى تقولون ، ثم في الثاني تسعة عشر مرة لا إله إلا الله ثم الله أعلم تقولون ، ثم في الثالث تسعة عشر مرة لا إله إلا الله ثم عدد الواحد[4] الله أحكم تقولون ، ثم في الرابع تسعة عشر مرة لا إله إلا الله ثم عدد الواحد الله أملك تقولون ، ثم الخامس تسعة عشر مرة لا إله إلا الله ثم عدد الواحد الله أسلط تقولون » [5].

وأما أين يؤذّن ، فيقول :

« وكتب عليكم أن تؤذنون في المكان يسمع من حولكم واذا انقطع الصوت عن نفس فليلزمنه أن يبلغن الى مايؤذن في كل يوم وليلة تسعة عشر مثقالاً من القند الأبيض الأعلى » [6].

« فـليكـونن في مكـان يسمع الصـوت ولاعليكـم أن يخرجون من حجراتكـم

---

(١) الباب السادس عشر من الواحد الرابع من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٦ .
(٢) الباب السابع من الواحد الثامن من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٦ .
(٣) كذلك .
(٤) المقصود من عدد الواحد تسعة عشر ، لأن « واحد » تساوي تسعة عشر في حساب الجُمَّل ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٧ .
(٥) الباب الرابع عشر من الواحد الحادي عشر من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٧ .
(٦) الباب الرابع عشر من الواحد الحادي عشر من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٧ .

لتسمعون الصوت بل على علمكم بما يوصل الى بيوتكم صوت المؤذن ليكفيكم في كتاب الله »[1] .

« وإن كبر على المؤذن فليقولن مرة شهد الله أنه لا إله إلا هو وان من يظهره الله لحق من عند الله كل بأمر الله من عنده يخلقون ، وإنَّا كل بما ينزل الله عليه لمؤمنون ، ذلك من فضل الله عليهم في أيام بردهم وحين ما لايستطيعون أن يطولون »[2] .

فرض الباب الصلاة ركعتين وقت الصباح . وصلاتين أخريين : صلاة الوضع ، وصلاة الجنازة . وذلك دون قيد بوضوء أو طهر أو طمث أو جنابة .

ففي صـــلاة الوضـع ، يصـلي الأبوان حين نزول الجنـين صـــلاة ذات خمس تكبيرات ، يتلى بعض أقوال الباب في كل منها تسع عشرة مرة : ففي الأولى « إنا بكل مؤمنون » ، وفي الثاني « إنا بكل موقنون » ، وفي الثالثة « إنا كل بالله محيون » ، وفي الرابعة « إنا كل بالله مميتون » ، وفي الخامسة « إنَّا كل بالله راضون » .

وفي صلاة الجنازة ، يُصلَّى على الميت صلاة ذات ست تكبيرات ، يتلى بعض أقوال الباب في كل منها تسع عشرة مرة : ففي الأولى « إنا كل بالله عابدون » وفي الثانية « إنَّا كل لله ساجدون » ، وفي الثالثة « إنَّا كلٌّ لله قانتون » وفي الرابعة « إنَّا كلٌّ لله ذاكرون » ، وفي الخـامسـة « إنَّا كل لله شـاكرون » وفي الســادسـة « إنَّا كل لله صابرون »[3] .

« أنتم على الكرسي تدرسون وتخطبون أيام العز والحزن »[4] .

« أنتم على الكرسي بما يحبه الله تذكرون وتوعظون »[5] .

ب ــ الصوم عند البابيين :

الصوم عند البابيين « هو كف النفس عن كل مالايرضاه الشيرازي »[6] .

---

(١) كذلك .

(٢) كذلك .

(٣) « دراسات عن البهائية والبابية » ، لمحب الدين الخطيب وآخرين ، مقال محمد فاضل ، ص ١٠٤ .

(٤) الباب الحادي عشر من الواحد السابع من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٨ .

(٥) الباب الثامن من الواحد التاسع من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٨ .

(٦) « نقطة الكاف » ص ١٤٨ ــ « البابية » ، ظهير ، ص ٢٢٢ .

ويقول الباب الشيرازي نفسه :

« أنتم في كل حول شهر العلاء لتصومون ، وقبل أن يكمل المرء والمرأة احدى عشرة سنة من حين ماينعقد نطفته ان يريدون أن حين الزوال ليصومون ، وبعد مايلغ إلى اثني وأربعين سنة يعفى عنه ومابينهما من الطلوع إلى الغروب لتصومون لعلكم يوم الظهور في أبواب النار لاتدخلون ، وأنتم ان تستطيعن من قبل الطلوع وبعد الغروب لتضيفون ... ولاتأكلون ولاتشربون ولاتقترنون »[1].

« وإنما النساء حين مايجدون الدم ليس عليهن صلاة ولاصوم إلا أن يتوضأن ثم يسبِّحن خمس وتسعين مرة من زوال إلى زوال يقولنَّ ، سبحان الله ذي الطلعة والجمال »[2].

جـ ـ الحج عند البابيين :

الحج عند البابيين هو زيارة البيت الذي وُلِد الشيرازي فيه ، أو البيت الذي عاش فيه ، أو بيوت أصحابه الثمانية عشر « حروف الحي » . وهو مفروض على الرجال دون النساء ، ولم يعين له وقت أو شكل ، ورفع عن الذين يعيشون وراء البحر . وقد أمر الحجاج بأن يقدموا إلى حراس بيته وحفاظه من رفاقه أربعة مثاقيل من ذهب ويدفعوا اليهم النذور .

يقول الباب : « وإن مسجد الحرام مايولد من يظهره الله عليه ذلك ماولدت عليه قل مقعد أحمد ذكرى يدخل فيه أنتم هناك لتصلون ، ولاتعرجون إلى بيتي ولا المقاعد إلا وأنتم تملكن مافي السبيل مالاتحزنون ، ومن يقدر أن يدخل علي أو على البيت فلا يعفى عنه ... إن وقفتم علي ما أنتم تحبون من حج بيتي فلتؤتين مظاهر الواحد سرائرهم أربع مثقال من الذهب إنْ هم على منتهى الحب بكم يسلكون ... لولا يحزن النساء لأنهين عن صعودهن لما يصعبن في السبيل إلا من يكن في أرض البيت فانهن إذا شئن يدخلن البيت في الليل ثم على سرائرهن عند مظاهر الواحد يستوون ويذكرن ربهن الذي

---

(١) الباب الثامن عشر من الواحد الثامن من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٢ .

(٢) من الواحد الثامن من البيان العربي ـ « قراءة في وثائق البهائية » ، د . عائشة عبد الرحمن ، ص ١٩٩ .

خلقهن ثم إلى مساكنهن يرجعن »[١] .

« وليس عليكم فرضا إلا زيارة البيت ثم مقعد النقطة ثم مقاعد الحي والمساجد إن تستطيعون »[٢] .

« رفع عن الذين هم وراء البحر ماقد كتب الله من سفر واجب إن هم سفر البر لايملكون ، وأذن لهم ان يتخذون لأنفسهم أولياء عنهم ليحجون ، وليبلغون اليهم مايصرفون من مكانهم ، إلاَّ ماهم اليه يرجعون إن هم على ذلك لمستطيعون ، وإلا عفي عنهم وعما كل مايكسبون »[٣] .

طالب الباب « بهدم مكة والقدس وسائر مقامات الأنبياء والأولياء ، وجميع الأماكن المقدسة والمباركة « وهذا الأمر يرتبط بتعاليم الباب التي منعت فريضة الحج وفرضت حجا إلى البيت الذي ولد فيه الباب ، حيث ينبغي أن يقام مسجد فيه كما يطلب ، وإلى المكان الذي سجن فيه وكذلك الى بيوت كبار أتباعه »[٤] .

وقال في البيان : « من يكن على تلك الأرض إلى ماحولها ستة وستين فرسخا إن قضى من عمره تسعة وعشرين سنة ، عليهم أن يحضروا محل الضرب[٥] في كل سنة مرة ثم تسعة عشرة يوما هنالك لتخلصون . وعلى محل الضرب ركعة صلاة لَيُصَلّون . ومن لم يستطع ، في بيته تسعة عشر يوما يخلص لله ربه . ومن لم يكن في ذلك الحد يُعفى عنه بفضلي ، أن ياعبادي تتّقونِ . ثم الثالث من بعد العشر أنتم على النقطة (الباب) في أولاها وأخراها ، خمس وتسعين مرة في صلاتها لَتُعَظِّمون . ولَتُصَلِينَّ كلكم مرة ، ولكنكم فرادى تقصدون » (من الواحد الثامن)[٦] .

---

(١) الباب السادس عشر إلى التاسع عشر من الواحد الرابع من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٦ .

(٢) الباب السادس عشر من الواحد السادس من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٧ .

(٣) الباب الخامس عشر من الواحد العاشر من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٧ .

(٤) « البهائية والقاديانية » ، د . أسعد السحمراني ، ص ٧٠ .

(٥) حيث جرى ضرب الباب .

(٦) قراءة في وثائق البهائية ، د. عائشة عبد الرحمن ، ص ١٩٩ .

د ــ الزكاة عند البابيين :

يقول هيوارت الفرنساوي نقلا عن الباب الشيرازي : « تدفع الى المجلس الأعلى البابي زكاة مقدارها خمس العقار وتدفع في كل عام من رأس المال وباعتبار أن رأس المال لم ينقص ، ويطلب الى معتنق هذا الدين دفع هذه الزكاة ، ولكنه لايكره على أدائها لا بواسطة السلطة الزمنية ولابواسطة السلطة الروحية »[1] .

ويقول المرزه جاني الكاشاني : « ان الزكاة هو اقرار بملكية حضرة الباب يوم قيام أمره حيث يقول لمن الملك ؟ وجميع العباد الصالحين يقرون : لله الواحد القهار (أي للمظهر الإلهي ــ الباب) وهذا هو المقصود من قول الأمير عليه السلام « نحن الزكاة »[2] .

ويقول احسان الهي ظهير بأنه لاتوجد في التعاليم البابية أية تفاصيل تتعلق بالزكاة سوى ماذكر[3] . أما الأستاذ محمد فاضل فيقول بأن الباب افترض الزكاة خمسمئة دينار على كل مثقال من الذهب وخمسين على كل مثقال من الفضة متى مرّ الحول على النصاب وقدره من الذهب ٥٤١ مثقالا ومن الفضة مايعادل ذلك . وأوجب أن تحمل اليه في حياته ثم إلى زعمائه بعد هلاكه . ومن أحكامه أن الزكوات والصدقات لايجوز إعطاؤها لغير البابيين فإن فقد فقير في البابيين فتصرف إلى من بقي على مذهب الشيخ أحمد الأحسائي ، ذلك لأن جل من تبع الباب هم من أهل هذا المذهب »[4] .

وقد جعل الباب الوحدة القصوى لوزن النقود الذهبية مثقالاً واحداً يتألف من تسعة عشر (نخود) أي حمصة ، ويتجزأ إلى عشرة آلاف جزء يسمى كل منها (دينارا) وجعل وحدة النقود الفضية مثقالا من الفضة الخالصة مقسما إلى ألف من هذا الدينار[5] .

---

(١) « دائرة المعارف الاسلامية » ، مقال هيوارت ، ص ٢٢٩ ج ٣ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٩ .

(٢) « نقطة الكاف » ، للكاشاني البابي ، ص ١٤٨ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٠ .

(٣) « البابية » ، احسان الهي ظهير ، ص ٢١٩ .

(٤) « دراسات عن البهائية والبابية » ، لمحب الدين الخطيب وآخرين ، ص ١٠٥ و ١٠٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

هـ ـ المعابد البابية :

يطلب الباب الى أتباعه بناء معابدهم على خمسة وتسعين بابا ، فهو يقول :

« من يبعث في ذلك من الملك يبني بيتا لله على أبواب خمسة ثم تسعين ثم في تلقائه على تسعين لمن نظهره ليشهدن الطين من عنده على أن الملك لله لأنه شهد بما يعمل قدر مايشهد الطين من عنده أن ياعبادي فاتقون »[١] .

٥ ـ الزواج والطلاق عند البابيين :

جعل الباب الزواج برضاء الزوجين دون ولي أو وكيل ورتب صيغة العقد هكذا : « إنني أنا الله رب السموات والأرض رب كل شيء رب مايُرى ومالايُرى رب العالمين » .

وحرَّم النكاح مع غير البابي أو البابية ، فهو يقول : « ولايحل الاقتران إن لم يكن في البيان »[٢] .

وقد أوجب مهرا لنساء المدن خمسة وتسعين مثقالا من ذهب ، ولنساء القرى خمسة وتسعين مثقالاً من الفضة ، فقال : « لتقترن الباء بالألف بما قد نزلناه في الكتاب ثم إياي فاتقون ، قل في المدائن خمس وتسعين مثقالا من الذهب ثم في القرى مثل ذلك في الفضة إلى أن ينتهي تسعة عشر مثقالا ... إذا وجد الرضى بينهما ثم عن الانقطاع تنقطعون »[٣] .

وحظر الباب تحجب النساء واستعمالهن للنقاب ، وحلل المتعة وحرَّم التسرّي وأباح العقد على اثنتين فقط . وجعل المهر أدناه تسعة عشر مثقالا وأعلاه خمسة وتسعين ، فإذا رَبا على هذا المقدار ولو قيراطاً واحداً بطل النكاح ، وفرضه من الذهب على أهل المدن ومن الفضة على أهل القرى ، وجعل الزيادة من أدناه إلى أعلاه تسعة عشر فتسعة عشر ، ويبطل النكاح إذا لم يكن فيه مهر . وجعل العصمة بيد الرجل فمن أراد طلاق زوجته هجرها سنة ، فإن لم يعد إلى حبها ولم يندم على فراقها يطلقها .

---

(١) الباب التاسع من الواحد السابع من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٥ .
(٢) الباب الخامس عشر من الواحد الثامن من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٣٤ .
(٣) الباب السابع من الواحد السادس من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٣٤ .

فإن أراد ردها بعد ذلك فلاتحل له قبل تسعة عشر يوماً ولاتحل له أبداً متى أوقع عليها تسع عشرة طلقة[١] .

وقد أجاز الباب للزوجين اللذين لم ينجبا أطفالا المسافحة مع زوج آخر للحصول على طفل[٢] .

ويمنع الباب الزوجين من السفر كل منهما على انفراد ، فلو سافر واحد منهما لمدة أطول من سنتين « فعليه أن يدفع لقرينه اثني ومائتين من ذهب »[٣] .

وهو يجيز للمطلق أن يراجع مطلقته تسع عشرة مرة . فهو يقول :

« وأذنًا إذا أراد أن يرجعا تسعة عشر مرة بعد أن يصبر شهراً لعلكم في ظل أبواب دون الحق لاتدخلون »[٤] .

والبابية تُجبِرُ البنت على الزواج إذا بلغت الحادية عشر من عمرها[٥] .

وقد أكثر الباب من العقوبات التي تفرض على الزوج عدم مقاربة زوجته .

فقضى على « من يحبس أحداً يحرم عليه أزواجه ، وإن يقرب كُتب عليه تسعة عشر مثقالاً من ذهب في كل شهر ، وإن ينعقد من ماء - يقصد به النطفة - وجب على الشهداء نفيه ولم يقبل عنه من ايمان أن ياعبادي فاتقون »[٦] .

أما من يقتل أحدا فيحرم عليه زوجته تسع عشرة سنة فقط ، وليس تحريماً مؤبداً ، كما هي الحال في من يحبس أحداً ولو لمدة ساعة ، فهو يقول :

---

(١) « دراسات عن البهائية والبابية » ، ص ١٠٢ ، مقال الأستاذ محمد فاضل - « البهائية والقاديانية » ، للدكتور أسعد السحمراني ، ص ١٠٩ .

(٢) « بيان » الباب الخامس عشر من القسم الرابع ، والباب الخامس عشر من القسم الثامن - « البهائية في خدمة الاستعمار » ، ص ٢٨ .

(٣) الباب السادس عشر من الواحد السادس من البيان العربي - « البابية » ، لظهير ، ص ٢١١ .

(٤) الباب السادس عشر من الواحد الحادي عشر من البيان العربي - « البابية » ، لظهير ، ص ٢١١ .

(٥) « مطالع الأنوار » ص ٤٠٣ - « دائرة المعارف الاسلامية » ، ص ٢٢٩ ج ٣ - « البابية » ، لإحسان الهي ظهير ، ص ٢١٢ .

(٦) الباب الثامن عشر من الواحد السابع من البيان العربي - « البابية » ، لظهير ، ص ٢١١ .

« فلاتقتلن نفسا ولاتقطعن شيئاً عن نفس أبداً إن أنتم بالله وآياته مؤمنون .. وليحرمن عليه كل قرينه تسعة عشر سنة ودليل في كتاب الله ان كينونته قد خلقت على غير محبة الله ورضائه ويدخل النار بعد موته ولايغفر الله له أبداً »[1] .

وقد فرض الباب على الأزواج الذين توفيت زوجاتهم أن يتزوجوا في خلال تسعين يوماً ، وعلى الزوجات أن يتزوجن بعد وفاة أزواجهن في خلال خمسة وتسعين يوماً ، فهو يقول :

« فلايصبرن الحروف بعد ما تقبض حروفاتهن إلا تسعين يوماً ، ولا الحروفات بعد ماتقبض حروفهن إلا خمس وتسعين يوماً حداً في كتاب الله لعلكم تتقون ، لتشهدن أن الملك لله وكل اليه ليرجعون ، وإن صبروا فوق ماكتب الله عليهم أو هن فوق ما كتب الله عليهن بعد ما يستطيعن ويقدرن أو يستطيعون ويقدرون عليهم أن ينفقون تسعين مثقالاً من ذهب وعليهن أن ينفقن خمس وتسعين مثقالا من ذهب »[2] .

وذكر البستاني نقلا عن السيد جمال الدين الأفغاني عن عقائد البابية أنه عندهم « يجوز العقد على اثنتين فقط والشراء والمتعة بغير حصر ، وعلى مايقال أنه يجوز نكاح الأخت ... ويحظر في مذهبهم استعمال النساء النقاب ... وأما نسبتهم الى الإباحية فهذا من لوازم مذهبهم »[3] .

وكتب بروكلمان أن الباب « حرر النساء من الحجاب وأجاز لهن الاختلاط الاجتماعي بالرجال »[4] .

٦ ـ الموت والدفن عند البابيين :

يقول الباب في كتابه البيان : « أنتم تغسلن أمواتكم إذا استطعتم خمس مرة بماء طهر ، ثم في خمس حرير أو قطن تكفنون ، بعد ما تجعلن الخاتم في يده موهبة من الله

---

(١) الباب السادس عشر من الواحد الحادي عشر من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٢ .

(٢) الباب العاشر من الواحد العاشر من البيان العربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٠ .

(٣) « دائرة المعارف » ، للبستاني ، ص ٢٨ ، ج ٥ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٣٣ .

(٤) « تاريخ الشعوب الاسلامية » ص ٦٦٦ ج ٣٢ ، ط عربي .

للأحياء وهم لعلكم بمن نظهره يوم القيامة تؤمنون ، وان في منتهى الحر بما تحبون لأنفسكم أنتم ماء ورد أو شبهه كل بدن الميت إن تستطيعون لتوصلون ، ثم بمنتهى السكون والحب تقبلونه ثم في كل تسعة عشر يوما وليلة عن قربه أحداً لاتبعدون ليتلو آيات الله وأنتم المصباح عنده توقدون »[١] .

« ولتدفنن في البلور أو الحجر المصقل لعلكم تسكنون ، ولتجعلن الخاتم في يمينه ينقش عليه آية أمر بها لعلكم تستأنسون ، قل المرء يكتب لله مافي السموات والأرض ومابينهما والله علام مقتدر منيع .. أنتم بشيء من تربة الأول والآخر مع الموتى تدفنون أنتم كتاب وصية الى من نظهره تكتبون »[٢] .

ويقول بروكلمان أن الباب استند إلى العقائد الوطنية القديمة الخاصة بالدين الزردشتي ليطلب إلى أتباعه دفن موتاهم في نواويس حجرية تلافيا لتدنسها بالتراب[٣] .

٧ ـ الارث عند البابيين :

ذكر هيوارث أن التركة توزع عند البابيين بعد تكاليف الدفن على الوجه الآتي : « ٩/٦٠ للأولاد ، ٨/٦٠ للزوج ، ٧/٦٠ للوالد ، ٦/٦٠ للأم ، ٥/٦٠ للأخ ، ٤/٦٠ للأخت ، ٣/٦٠ للمعلم . ولاحق في الميراث لغير هؤلاء ولهم أن ينيبوا غيرهم »[٤] . وبذلك يكون هناك فائض في التركة من غير الواضح الى من يؤول .

أما الدكتور محسن عبد الحميد فينقل عن الانسيكلوبيدية التركية أن الباب قضى بتوزيع التركة بعد اخراج مصاريف الجنازة على النحو الآتي : للأولاد ٩/٦٠ وللزوج أو الزوجة ٨/٦٠ وللأب ٧/٦٠ وللأم ٦/٦٠ وللأخ ٥/٦٠ وللأخت ٤/٦٠ وللجد ٣/٦[٥] .

(١) الباب الحادي عشر من الواحد الثامن من البيان العربي ـــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٩ .

(٢) الباب الحادي عشر الى الثالث عشر من الواحد الخامس من البيان العربي ، ويبدو أن المقصود في نهاية العبارة هو وجوب الوصية للمظهر كالباب وأمثاله ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٩ .

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٦٦٦ .

(٤) « دائرة المعارف الاسلامية » ، مقال هيوارث ، ص ٢٣٠ ج ٣ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٣٢ .

(٥) « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١٣٦ .

٨ - كل الأشياء حلال للبابيين :

يقول الباب : « إن كل شيء يطلق عليه اسم شيء قد أدخل في بحر الحل والطهر لنفسه بنفسه »[١] .

وحتى البول والبراز للكلاب والخنازير « ومايخرج من الحيوان فلا تحذرون »[٢] .

« قل إذا نسب الشيء إلى من آمن بالبيان يطهر في الحين أن ياعبادي فاشكرون فلتقرئن البيان ثم من ذلك البحر لتاليها تأخذون ... كلما يدخل في الدين ومايملك الذين آمنوا من دونهم يطهر حينا هم يملكون فضلاً عليك إذا اتجرت في آخريك ثم العالمين »[٣] .

فكل مايملكه البابيون يصبح حلالاً طاهراً لهم .

يقول المستشرق الفرنسي هوارت أن الشريعة البابية تقضي بأنه « لايوجد رجس بعد الإيمان بل كل من اتبع هذا المذهب فقد تطهر بمجرد اتباعه إياه ، وكل ماتحوزه يده صار طاهراً وأما الماء فهو طاهر ومطهر »[٤] .

٩ - شرائع مختلفة :

الأثـــــاث :

« أنتم كل أسبابكم بعد أن يكمل تسعة عشر سنة ان تستطيعون لتجددون »[٥] ، يقصد وجوب تجديد أثاث المنزل كل تسع عشرة سنة .

الألبســـة :

« أنتم لباس الحرير ليلة العيش تلبسون .. وأنتم أسبابكم التي بها في سركم لتعيشون من الذهب والفضـــة تصنعـون .. فلتجعــلن في أيديكـــم عقيق أحمر أنتم عليـه لتنقشون »[٦] .

---

(١) الباب الخامس من الواحد العاشر من البيان العربي - « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٤ .

(٢) الباب السابع عشر من الواحد السادس من البيان العربي - « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٤ .

(٣) الباب الثامن والسابع من الواحد الخامس من البيان العربي - « البابية » ، لظهير ص ٢١٤ .

(٤) حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ .

(٥) الباب الرابع عشر من الواحد التاسع من البيان العربي - « البابية » ، لظهير ، ص ٢٣٤ .

(٦) الباب التاسع والعاشر من الواحد السادس من البيان العربي - « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢١ .

الجواهـــــــر :

« أنتم اذا استطعتم ثلاث ألماس ، وأربع لعل ، وست زمرد ، وست ياقوت ، يوم الظهور الى حروف الواحد[١] توصلون »[٢].

تاج الملـــــك :

أمر الباب الملوك البابيين بأن يضعوا على رؤوسهم تاجا مكوناً من خمس وتسعين زاوية : « ان يبعث ملكا في البيان كتب عليه أن يملكن لنفسه مايجعلنه على رأسه مما يكن عليه خمس وتسعين عدداً مما لم يكن له عدل ولاشبه ولاكفو ولاقرين ولامثل ... ان تفتخرون بذلك ان ياأولي الملك وإلا والله غني عن العالمين »[٣] .

الطب والدواء عند البابيين :

يُحرِّم الباب استعمال الدواء وبيعه وشراءه وتملكه ، فهو يقول :

« أنتم عمن لم يكن لي تحذرون ولاتبيعن ولاتشترن مالايحبه الله فانه حرم عليكم .. ثم أنتم الدواء .. لاتملكون ولاتبيعون ولاتشترون ولاتستعملون »[٤] .

تحريم السؤال في الأسواق :

« ولايحل السؤال في الأسواق ومن سأل حرم عليه العطاء وان على كل أن يكسب بأمر »[٥] . فلايجوز الاستعطاء ولا إعطاء السائل ، بل التصدق على السائل إثم[٦] .

ركوب الحيوانات :

« وإنما الخامس من بعد العشر لاتركبن البقر ، ولاتحملن عليه من شيء إن أنتم بالله وآياته مؤمنون . ولاتشربن لبن الحمير ولاتحملن عليه ولاحيوان غيره إلا على دون طاقتــه . ماقد كتب الله عليكـم لعـلكم تتقون . ولاتركبن الحيوان إلا وأنتم باللجام

---

(١) يقصد حروف « حي » ، وهم الباب وتلامذته الثمانية عشر الأوائل .

(٢) الباب الخامس من الواحد الثامن من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢١ .

(٣) الباب الثالث عشر من الواحد الحادي عشر من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٥ .

(٤) الباب السابع والثامن من الباب التاسع من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢١٣ .

(٥) الباب السابع عشر من الواحد الثامن من البيان العربي للباب ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٠ .

(٦) « حاضر العالم الإسلامي » ، للأمير شكيب أرسلان ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ ، نقلا عن المستشرق الفرنسي هوارت في الموسوعة الإسلامية الفرنسية .

والركاب لتركبون . ولاتركبن مالاتستطيعن أن تحفظن أنفسكم فإن الله قد أنهاكم عن ذلك نهياً عظيماً »[(١)] .

الفصل بين أصناف المهن :

يقول الباب : « تميز كل صنف في مقعده عن الآخر حيث لايختلط اثنين منهم إلا في مكانهما ، وكل صنف كانوا في مكان واحد على أحسن نظم محبوب ، ولتأمرن أن يكون كل صنف في خان فإن ذلك أقرب للنفع والتقوى إن أنتم تشعرون »[(٢)] .

البيـــض :

قال الباب : « ولاتضربن البيضة على شيء يضع مافيه قبل أن يطبخ ، هذا ماقد جعل الله رزق نقطة الأولى[(٣)] في أيام القيامة ومن عنده لعلكم تشكرون »[(٤)] .

النظافـــة :

يقول الباب في البيان العربي : « ثم العاشر أنتم بالخلال والمسواك بعد ماتفرغون من رزقكم أفواهكم تلطفون ، ثم لترقدون ، ثم وجوهكم وأيديكم من حد الكف تغسلون ، إن تريدون أن تصلون ثم بمنديل تلطفن وجوهكم وأيديكم ، وإن في بيت الطهر تحفظن مايشم كل ريح بمنديل لعلكم دون ماتحبون لاتشهدون »[(٥)] .

وفي الباب السابع من الواحد الثامن من البيان العربي يقول :

« ثم السادس أنتم فلتلطفن أبدانكم وتنظرن في كل أربعة يوم عن كل ماتستطيعون لتلطفون أبدانكم ولتنظرن في المرآة بالليل والنهار لعلكم تشكرون . ثم السابع أنتم فلتصلين في العباء وهن في لباسهن . ولاجناح عليهن في ظهور شعراتهن وأبدانهن عند أزواجهن حينما يصلين وأنتم تأخذون شعر وجوهكم ليقوى ، وتجملن بما تحبن في

---

(١) الباب الخامس عشر من الواحد العاشر من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٨ ــ حقيقة البابية والبهائية ، د . محسن عبد الحميد ، ص ٩٦ .

(٢) الباب السابع عشر من الوقاحد العاشر من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٩ .

(٣) النقطة الأولى هو الباب نفسه .

(٤) الباب الخامس عشر من الواحد العاشر من البيان العربي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٩ .

(٥) « حقيقة البابية والبهائية » ، للدكتور محسن عبد الحميد ، ص ٩٥ .

أبدانكم لعلكم في أيام الله تشكرون ... »[١] .

الختـــــان :

يقول فيليب حتي أن الباب ألغى الختان للولد[٢] .

تحريـم الحبـس :

يقول البـاب في البيان : « ثم الثامن من بعد العشر من يحبس أحداً يحرم عليه أزواجه وان يقرب كُتِبَ عليه تسعة عشر مثقالاً من ذهب عن كل شهر . وإن ينعقد ماء (ينعقد الحمل) وجب على الشهداء نفيه ولم يقبل عنه من ايمان ، أن ياعبادي فاتقون » .

المـــــاء :

يقول البـاب في البيـان : « إنما الماء طهر طاهر مطهر في الكأس حكم البحر تشهدون »[٣] .

١٠ – التقويم عند البابيين :

يقول بروكلمان وهيوارت : « وكان العدد ١٩ ذا قدسية خاصة عنده (أي عند الباب) لأنه يمثل القيمة العددية لكل من مجموع أحرف الكلمتين العربيتين « واحد » و « وجود » ومن هنا قسم السنة إلى ١٩ شهراً ، وقسم كلا من هذه إلى ١٩ يوما »[٤] .

ولقد قال الباب في بيانه العربي : « قد جعلنا الحول تسعة عشر شهرا لعلكم في الواحد تسلكون »[٥] .

ويكـون مجموع تلك الأيام ٣٦١ يوما وتبقى الأيام الخمســة فيقولون انها أيام زائدة زادت على الشهور وبقيت هكذا لاتعد في السنة ولا في الشهور ويعمل فيها من

(١) « البابية » ، لظهير ، ص ٢٠٨ – « حقيقة البابية والبهائية » ، للدكتور محسن عبد الحميد ، ص ٩٥ .

(٢) « خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى » ، فيليب حتي ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(٣) الباب الخامس من الواحد السادس من البيان العربي – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٣٢ .

(٤) « تاريخ الشعوب الاسلامية » ص ٦٦٦ ، ج ٣ – « دائرة المعارف الاسلامية » ص ٢٢٩ ج ٣ – « البابية » لاحسان الهي ظهير ، ص ٢٢٣ .

(٥) الباب الثالث من الواحد الخامس من البيان العربي – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٢٣ .

يشاء مايشاء ، ويسمونها « أيام الهاء » وهذه الأيام تأتي قبل شهر العلاء وهو شهر الصوم عندهم . وتبدأ السنة البهائية باليوم الحادي والعشرين من شهر آذار الغربي ، وهو يوم عيد النوروز .

وشهورهم هي :

١ – شهر البهاء ٢ – شهر الجلال ٣ – شهر الجمال ٤ – شهر العظمة
٥ – شهر النور ٦ – شهر الرحمة ٧ – شهر الكلمات ٨ – شهر الكمال
٩ – شهر الأسماء ١٠ – شهر العزة ١١ – شهر المشيئة ١٢ – شهر العلم
١٣ – شهر القدرة ١٤ – شهر القول ١٥ – شهر المسائل ١٦ – شهر الشرف
١٧ – شهر السلطان ١٨ – شهر الملك ١٩ – شهر العلاء .

أما أيام الأسبوع فقد بقيت سبعة ، وهي عندهم :

١ – يوم الجلال ، وهو يوم السبت .
٢ – يوم الجمال ، وهو يوم الأحد .
٣ – يوم الكمال ، وهو يوم الاثنين .
٤ – يوم الفضال ، وهو يوم الثلاثاء .
٥ – يوم العدال ، وهو يوم الأربعاء .
٦ – يوم الاستجلال ، وهو يوم الخميس .
٧ – يوم الاستقلال ، وهو يوم الجمعة .

وهذه الشهور والأيام بقيت هي ذاتها عند البهائيين فيما بعد .

الفصل الثامن

البابية والفلسفة

١ ـ تحريم دراسة الفلسفة والفقه :

أكد البابيون ، ومن بعدهم البهائيون ، على تحريم دراسة العلوم الانسانية والاجتماعية .

وقد نوّه بروكلمان بأن العقائد البابية تقضي بحظر دراسة الفقه والفلسفة ، رغم أن دراستهما كانت شائعة آنذاك[1] .

٢ ـ عمر العالم :

قال الباب في البيان الفارسي : « إن عمر العالم من ظهور آدم إلى يوم ظهور نقطة البيان لايتجاوز أكثر من ١٢٢١٠ سنة ولاشك أنه كان قبل هذا الآدم أوادم وهذا العالم عوالم مالابداية له ولايعلم عددها أحد غير الله ... فأنا ذلك الآدم الذي كان بديع الفطرة الأولى ، والخاتم الذي كان في يده نفس ذلك الخاتم في يدي ، قد حفظه الله منذ ذلك اليوم إلى هذا اليوم ، والآية التي كانت منقوشة فيه عين تلك الآية المنقوشة فيه ، والفرق في ذلك الآدم وهذا الآدم أنه كان في مقام النطفة وأنا في مقام الشاب في الثانية عشر (أي كل سنة مقام ألف سنة من ناحية الظهور والبعثة والارسال) فالعالم يترقى يوماً فيوماً بالظهورات المختلفة وأما مَن يظهره الله يكون نفس ذلك الآدم غير أن ذلك المحبوب يكون شاباً في الرابعة عشر حيث أنه ارتقى من النطفة من سنة وسنتين إلى أن بلغ الرابعة عشر من العمر (أي بعد ألفي سنة تقريباً من ظهور الباب) »[2] .

---

(١) « تاريخ الشعوب الاسلامية » لبروكلمان ، ص ٦٦٦ ج ٣ .

(٢) الباب الثالث عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي ـ « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٩٤ .

٣ ـ العدد ١٩ عند البابيين :

كتب بروكلمان عن العقائد البابية يقول : والواقع أن التفنن في اصطناع الأعداد الذي احتل مكانا واسعا في الصوفية الاسلامية القديمة ساعده على تفسير عقيدته وتأويلها حتى تصبح مقبولة ، وكان العدد (١٩) ذا قدسية خاصة عنده ، لأنه يمثل القيمة العددية لكل من مجموع أحرف الكلمتين العربيتين « واحد » و « وجود »[١] .

وقال جولد تسيهر ، وهو يذكر الباب الشيرازي ومعتقداته : « ومع أنه اعتمد في مذهبه على مقدمات صوفية وغنوصية، فقد ظلت هذه المقدمات تتخلل تعاليمه التي بنى عليها نظريته الكونية ، كما مزج آراء الثقافة العصرية بالدقائق الفيثاغورية ، ولعب كالحروفيين بتجميعات الحروف ، واهتم بما لها من خطر كبير من حيث قيمتها العددية وكان أخطرها شأناً في تقديراته الرقم ١٩ تسعة عشر ، الذي جعل منه نقطة مركزية استند عليها في حساباته التي تشغل جانباً كبيراً من مباحثه وأفكاره »[٢] .

ويشير فيليب حتي إلى أن العدد (١٩) الذي اتخذه الباب أساساً للكثير من قواعده ، مستمد من الفيثاغورية المحدثة التي تعتبره عدداً ذا مغزى خفي مقدس[٣] .

ان البابيين يعتقدون أن عدد الوحدة الالهية (١٩) وهو سر من الأسرار المقدسة التي لايتم نظام العالم إلاّ بها[٤].

يقول أبو الفضل الكلبايكاني في إحدى رسائله : « وللباب حسابات دقيقة ليس هنا مقام تفصيلها ، مثلاً عبر عن العدد ١٩ بالواحد ، تطبيقاً على حساب الأبجدية ، وبحاصل ضربه في نفسه بعدد كل شيء ، وبنى على هذا العدد تواريخ أيامه وطبقات أصحابه وأبواب كتبه ، والسنن والآداب المنسوبة إلى طريقته . وله أحكام صعبة صارمة قلما يمكن أن يعمل بها نقحها وأصلحها بهاء الله »[٥] .

---

(١) « تاريخ الشعوب الاسلامية » ، ص ٦٦٦ ج ٣ .
(٢) « العقيدة والشريعة » ، ص ٢٤٣ ، ط عربي .
(٣) « خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى » ، ج ٢ ص ٨٨ .
(٤) « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١٣٣ .
(٥) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ٣٢٢ .

الفصل التاسع

البابيون والشيعة

لقد حاول الباب الاستفادة من عقيدة المهدي عن الشيعة ، ليدَّعي لنفسه صفة المهدي ، لكن هذه العقيدة بالذات كانت السبب الرئيسي لصدِّه وتكذيبه . فالمهدي عند الشيعة هو شخص معين بالذات ، وهو الإمام الثاني عشر الغائب محمد بن الحسن العسكري ، فلم يكن من الممكن للباب أن يُحدِثَ أي تغيير في شخص المهدي المنتظر عند الشيعة ، رغم الجهود التي بذلتها مقدماً حركة أحمد الأحسائي وكاظم الرشتي .

وإذ أحس الشعب الايراني بالخطر الداهم هبَّ جميعه لمواجهته ، وكان علماء الشيعة في مقدمته . لذلك يلاحظ من كتابات البابيين والبهائيين مدى الغضب الذي يُحِسّون به حيال الشعب الايراني عامة وحيال الشيعة منه خاصة .

وحين انتقل البابيون إلى العراق وقف السنة والشيعة معاً في وجههم ، حتى انهال بهاء الله بالشتائم عليهم جميعا فأحيانا يصفهم بالهمج الرعاع[1] وأحيانا بالكلاب[2] وأحيانا بالذئاب[3] وأحيانا يصف أحد علمائهم بالذئب وآخر بالحية الرقشاء[4] .

يقول أبو الفضل : « وفي أثناء ذلك اشتدت الخصومة بين أتباع الباب وعلماء ايران وولاة البلاد فقاموا يداً واحدة على البابيين واتفقوا على لزوم إبادتهم فاشتبكت الحرب بينهم في بلاد مازندران وزنجان ونيريز ...وكذلك في مدينة زنجان اشتد الخصام

---

(١) ترددت هذه العبارة في كتاب « الإيقان » قرابة عشر مرات .

(٢) « الإيقان » ، ص ١٦٦ .

(٣) « مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله » ، بهاء الله ، ص ١٨٩ .

(٤) كذلك .

بين البابية وعلماء الشيعة وكان زعيم البابيين الحاج ملا محمد علي الزنجاني أحد العلماء المشهورين وكان الوالي أمير أرسلان خان الملقب بمجد الدولة خال ناصر الدين شاه المرحوم . فعمل الوالي بإغراء علماء الشيعة على إبادة البابية واشتبك القتال بينهم واشتد الأمر على الوالي فأرسل إلى طهران فأرسلت له العساكر والمدافع حتى قُتل زعيم البابيين وفني رجاله عن آخرهم وأرسلت بقية منهم إلى طهران فقتلوا هناك »[1] .

ويقول أبو الفضل[2] : « وأعجب وأقوى مما ذكرناه حادثة وقعت في العراق حينما كانت مدينة دار السلام مشرقة بأنوار نيِّر الآفاق ، وخلاصة هذه الحادثة هي أنه لما أشرقت شمس وجه ربنا الأبهى (يقصد بهاء الله) من أفق دار السلام ، وغلبت أنوارها الزاهرة على ظلمات الغيوم الحالكة المستولية على أمر النقطة الأولى (الباب) ، فانقشع ركامها وانكشف ظلامها وزال ضبابها وقتامها ، فتجلى به وجه أمر الله واجتمع شمل أحباء الله وزاد واتسع به نطاق نفوذ كلمة الله ، فثارت بذلك أحقاد الفقهاء والعلماء من الشيعة الذين لهم في العراق أهمية كبرى وصولة ونفوذ أعلى بسبب مشاهد أئمة الهدى في تلك البقاع وأنها مقصد زوار الشيعة الاثني عشرية من جميع الأنحاء والأصقاع ، وكان الشيخ عبد الحسين المجتهد الطهراني إذ ذاك مقيما في العراق ، وهو الذي أبعدته دولة ايران إلى تلك البلاد تحت ستار اسم مأمورية خصوصية في المشاهد المقدسة اتقاء لما كان راسخاً فيه من أوصاف الطيش والتهور والتكبر الزائد والنزوع إلى الثورة فأكسبته سمة هذه المأمورية بين العلماء نوعاً من الرئاسة والشهرة ، فأغرته وسوسة أن له سلطة مطلقة وكلمة نافذة بين عموم الأمة ، فعمد هذا الشيخ لما رآى سطوع أنوار الأمر ونفوذالكلمةالالهية (يقصد البهائية) إلى أن يقاوم أمر الله بالقوة الاستبدادية وإبادة عموم الأمة البهائية وسفك دماء غزيرة بخيالاته الثورية . فدعا أكابر الشيعة للإجتماع بعدما تكلموا وتراسلوا وقرروا بينهم مقاصدهم أولا وتعاهدوا على أن يجتمع في مدينة الكاظمية جمعية كثيرة من علماء مدينة نجف ومدينة كربلاء وأكابر الشيعة المقيمين في تلك البلاد ويجروا ما أضمروه من الفساد ووافقهم على ذلك قنصل دولة ايران المقيم في بغداد ... » .

---

(١) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ٣١٨ و ٣١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢١ و ٢٢٢ .

ويقول بهاء الله كذلك في لوح البرهان : « قد أحاطت أرياح البغضاء سفينة البطحاء بما اكتسبت أيدي الظالمين . ياباقر (يقصد الشيخ محمد باقر الذي أفتى بإعدام الباب) قد أفتيت على الذي ناح لهم كتب العالم وشهد لهم دفاتر الأديان كلها ، وإنك يا أيها البعيد في حجاب غليظ ... أتفرح بما ترى همج الأرض ورائك إنهم اتبعوك كما اتبع قوم قبلهم من سمي بحنّان الذي أفتى على الروح من دون بينة ولا كتاب منير ... هل السلطان اطّلع وغض الطرف عن فعلك أم أخذه الرعب بما عوت شرذمة من الذئاب الذين نبذوا صراط الله ورائهم وأخذوا سبيلك من دون بينة ولا كتاب ... يامعشر العلماء بكم انحط شأن الملة ونكس علم الإسلام وثلّ عرشه العظيم ...

« ياقلم الأعلى دع ذكر الذئب (يقصد الشيخ محمد باقر) واذكر الرقشاء (يقصد المير محمد حسين إمام جمعة مدينة أصفهان الذي اشترك في ملاحقة البابيين والبهائيين) التي بظلمها ناحت الأشياء وارتعدت فرائص الأولياء ... سوف تأخذك نفحات العذاب كما أخذت قوما قبلك انتظر يا أيها المشرك بالله مالك الغيب والشهود ... »[1] .

ويقول الداعية البهائي جون أسلمنت : « وقام علماء الشيعة بكل شدة على تكذيبه (الباب) ومقاومته وأقنعوا حاكم فارس المدعو « حسين خان » الذي كان حاكماً متعصباً مستبداً بأن يقمع هذه البدعة الجديدة . ومن ثم ابتدأت للباب سلسلة حوادث عديدة من الحبس والنفى والمحاكمات أمام المجالس والجلد والإهانة انتهت بشهادته سنة ١٨٥٠ ميلادية ...

« فقد قالت الشيعة أن ظهور المهدي هو بالذات ظهور الإمام الثاني عشر ، الذي قالوا انه اختفى عن الأنظار منذ ألف سنة ، وهم يعتقدون أنه حي وأنه سيظهر بجسده الأول ... رفضت الشيعة قبول دعوة الباب ، وواجهته بنفس الغلظة والقسوة التي واجه اليهود بها السيد المسيح »[2] .

يقول الداعية البهائي سليم قبعين ، في كتابه « عبد البهاء والبهائية » (ص ١٠) :

---

(١) مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله ، ص ١٨٣ ــ ١٩١ .

(٢) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ١٩ .

« وكذلك في مدينة زنجان اشتد الخصام بين البابية وعلماء الشيعة وكان زعيم البابيين الحاج ملا محمد علي الزنجاني أحد العلماء المشهورين ، وكان الوالي أمير أسلان خان الملقب بمجد الدولة خال ناصر الدين شاه المرحوم . فعمل الوالي بإغراء علماء الشيعة على ابادة البابية واشتبك القتال بينهم واشتد الأمر على الوالي فأرسل إلى طهران فأرسلت له العساكر والمدافع حتى قتل زعيم البابيين وفني رجاله عن آخرهم وأرسلت بقية منهم إلى طهران فقتلوا هناك .

« وفي مدينـة تبريز من مدن فارس اشتبكت الحرب بين الحزبين وكان رئيس البابيين العالم الشهير السيد يحيى الدارابي بن السيد جعفر الكشفي صاحب المصنفات كسنا برق وتحفة الملوك وغيرهما ، فآل الأمر إلى قتل السيد يحيى وأصحابه بعد تأمينهم » .

الفصل العاشر

البابيون والروس
العميل الروسي دالغوركي

يقول العلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء : « كنا قبل سنوات عثرنا على كتيب صغير بالفارسية لأحد الأفاضل الذين عاصروا الباب وشاهدوا كل تلك الحوادث مباشرة مع تحليل دقيق . وملخص ماذكره : أن رجلاً من روسيا أتى طهران بعد أن انتزع الروس مملكة القوقاس من الدولة الايرانية ، وأراد إشغالها عن التفكير في استرجاع ماغصب منها فتعلّم ذلك الرجل اللغة الفارسية وأتقنها ، ثم أظهر التدين بالإسلام ، وتزيّا بزيّ أهل العلم بلحية كبيرة وعمامة كبرى وعباءة وسبحة ، ولازم صلاة الجماعة ، ودرس شيئاً من المبادىء ، واشتهر اسمه بالشيخ عيسى (اللنكراني) ، ثم جال في عواصم ايران كأصفهان وشيراز فوجد فيها ضالته ، فاجتمع بالباب وكان غلاماً جميلاً ، وبتوسط خاله خلا به مرات عديدة ، والظاهر أنه هو الذي كان حلقة وصل بين البابيين والحكومة القيصرية الروسية ، حيث زودتهم بالأسلحة ، فقاتلوا بها المسلمين . ولقد كان يحرض الناس على الثورة ، ويظهر كقائد عسكري ، ويُعلّم البابيين فنون الحرب والهجوم على الجيش الفارسي »[1] .

وكان ذلك الرجل هو « كنياز دالكوركي » الذي ترجمت مذكراته أخيراً من اللغة الفارسية . وكان مترجماً للسفارةالروسية في طهران . فارتقى بخدماته الجاسوسية إلى منصب الوزير المفوض ثم السفير ، كما بين هو في مذكراته التي نشرت بعد انقراض القيصرية في مجلة الشرق السوفييتية سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ .

(١) « الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية » ، محمد حسين آل كاشف الغطاء - « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١٢٠ .

ولقد لعب هذا الجاسوس الخطير الذي أظهر الاسلام ، ودرس اللغة العربية والعلوم الاسلامية ، دوراً كبيراً في إيجاد البابية ثم البهائية .

ويقول الدكتور همايون همّتي أن دالغوركي كان سكرتيراً في السفارة الروسية في طهران حين ادعى الإسلام وتزوج من امرأة مسلمة وارتدى لباس الحوزات العلمية الايرانية وسافر إلى كربلاء فأخذ مكانه في درس السيد كاظم الرشتي وبين طلابه . ويشير إلى أن كتاب دالغوركي تمّت طباعته في الآونة الأخيرة فيمكن قراءة تفاصيل القصة فيه وتاريخ زعماء البهائية وأثرهم السياسي والطريقة التي استعملها السياسيون الروس في الإتيان بالباب وأصحابه[1] .

يقول دالغوركي في مذكراته : « انه كان يبحث ويفتش عن الزائفين في العقائد الإسلامية لضرب المسلمين من بينهم ضربة تقضي على وحدتهم وجمعيتهم ، فكان من أسهل الطرق الموصلة إلى هذا إنشاء الخلافات الدينية ونشرها ، وإسعار نارها مابينهم ، ففي هذا البحث والتحري اطلعت على الطائفة الشيخية التي كانت تخالف في كثير من العقائد الإسلامية الثابتة عند أكثرهم ، ومنها المعاد والمعراج الجسماني وغير ذلك . فدخلت في حلقة السيد كاظم الرشتي وكان كثير الذكر عن المهدي ولكن ليس المهدي الذي كانوا ينتظرون رجوعه منذ قرون بل الذي سيحل فيه روحه » .

ويقول : « إني سألت الرشتي يوما عن المهدي أين هو ؟ ، فقال : أأنا أدري ؟ ، يكون هنا في هذا المجلس ، فإذا لمح الخيال في خاطري كالبرق الخاطف وأردت إنجازه وإبداله في صورة الحقيقة .

« رأيت في المجلس المرزه علي محمد الشيرازي فتبسمت وصممت في نفسي أن أجعله ذلك المهدي المزعوم ، ومنذ ذلك اليوم بدأت كلما أجد الفرصة والخلوة أرسخ في ذهنه أنه هو الذي سيكون القائم ويوميا كنت أخاطبه : ياصاحب الأمر ، وياصاحب الزمان . فكان في أول الأمر بدأ يترفع ويتأفف لهذا القول ويتنكر ولكنه لم يلبث إلا القليل حتى كان يبدي السرور والفرحة عن هذه المخاطبات .

« وكان للحشيش دوره وأثره القوي مع تلك الرياضات والمشقات التي كان

---

(١) « البابيون والبهائيون » ، للدكتور همتي ، طهران ١٩٩٠ ، ص ٢٨ .

يعـاودهـا لتحقيق تلك الأمنيـة ، كما كانت التعليمات الشيخيـة عن عدم بقـاء ابن العسكري ذلك إلى ألف سنة ، ومجيئه بصورة شخص آخر بحلول روحه في جسمه لها تأثيرها ودورها في تكوين المهدوية ... فأثمرت هذه النتائج . وبعد انتقاله من كربلاء إلى مدينة بوشهر فجأني فجاة خطابه في مايو ١٨٤٤ م يخبرني ويدعوني إلى بابيته بأنه هو صاحب العصر وباب العلم ، فجاوبته بأني أؤمن انك صاحب الزمان وإمام العصر لابابه ونائبه . ورجوت منه بالإلحاح أن لاتحرمني حقيقتك ولاتحجبني من أصلك فأنا أول المؤمنين ، وحمدت الله أن سعيي لم يضع وتجارتي لم تبُرْ التي بذلت لأجلها الجهد الكبير وصرفت فيها الوقت الكثير »[1] .

ويقول دالغوركي في مذكراته أيضا : « وكان الميرزا حسين علي – البهاء – أول من ورد هذه الغرفة وأخبرني بمطالب مهمة جداً » (ص ٣٦) .

« انقضى رمضـــان المبــارك وأنـا كنت أربّي نفراً من أصحاب سرّي تربيـة الجاسوسية ، ولم تكن لأي منهم لياقة الميرزا حسين علي – البهاء – وأخيه الميرزا يحيى صبح أزل » (ص ٤٤) .

« فرجعت إلى المنزل وهيأت سما قتالا ودعوت الميرزا حسين علي – البهاء – وأعطيته سكة ذهبية من سكة « فتح علي شاه » وأعطيته السم ، وأمرته أن يدسه في طعام الحكيم الكيلاني بكل طريق ممكن ويقتله » (ص ٤٧) .

واصطـدم هذا الجاسـوس مع السفـير الروسـي « كراف سيمنويچ » فاستدعتـه الحكومة الروسية . وفي ذلك يقول :

« ... ولقد قطع هذا الوزير المفوض جميع رواتب أصدقائي ورفقائي حتى رواتب الميرزا حسين علي البهاء وأخيه الميرزا يحيى صبح أزل والميرزا علي رضا ، وغير هؤلاء الذين كانوا يأخذون الرواتب سراً ، فبقطعه رواتب هؤلاء قد هدم مؤسساتي جمعاء ، وقلب وعكس كل ما أنا فعلته وعملته ، ونقض كل ما أنا غزلته » (ص ٥٥) .

(١) « مذكرات كنياز دالغوركي » نقـلا عن كتاب فارسي « باب وبهاء رابشناسيد » ملخصا – « البابية » ، لظهير ، ص ٥٤ و ١٦٤ – « قراءة في وثائق البهائية » ، لعائشة عبد الرحمن ، ص ٣٦ .

« في كل شهر كانت تأتيني من أصدقائي الطهرانيين رسائل ومكتوبات وكلهم كانوا يدعونني إلى إيران ، وحتى بعض عباد البطن منهم ، مثل الميرزا رضا علي والميرزا حسين علي البهاء ، وبعض الآخرين ، كانوا يدعونني لهريسة (إوز) و (تهجين بلو) و (بلو فسبخان) كي أرجع إلى إيران ، ولكن أغلب اضهاراتهم العلقة والصداقة كان لأخذ مناط الذهب » (ص ٥٧) .

« فعلى أي نحو كان اقتنعت وزارة الخارجية أن تعطي الرواتب الشهرية لنفر من أقارب المرحوم محمد الأستاذ كما في السابق ، للميرزا حسين علي البهاء وأخيه الميرزا يحيى صبح أزل ، ونفر آخرين ، والمطالب التي كان أولئك مخبريها كانوا يرسلون إليّ في روسيا مباشرة بلا واسطة أحد » (ص ٥٩) .

« والخلاصة أني خرجت حسب الأمر في أواخر (سبتامبر) مع راتب مكفي من روسيا الى العتبات العاليات ، وفي لباس الروحانيين باسم الشيخ عيسى اللنكراني ، وردت كربلاء المقدسة » (ص ٦٢) .

« وكان بقرب منزلي طالب علم يسمى السيد علي محمد ، وكان من أهل شيراز » (ص ٦٢) .

« أنا أيضا صادقته بحرارة وبكمال الصميمية » (ص ٦٣) .

« والسيد علي محمد لم يترك صداقتي ، وكان يضيفني أكثر من قبل ، وكنا نشرب قليان المحبة (الحشيش) وكان ابن الوقت ومتلوّن الاعتقاد (ص ٦٤) . سأل طالب تبريزي يوما السيد كاظم الرشتي في مجلس تدريسه فقال : أيها السيد أين صاحب الأمر وأي مكان مشرف به الآن ؟ ، فقال السيد أنا ما أدري ، ولعل هنا — مكان التدريس — يكون مشرفا بحضوره ولكني لا أعرفه ، فأنا مثل البرق طرأ بخاطري فكرة سأشرحها » (ص ٦٥) .

ثم بدأ هذا الجاسوس بشرح هذه الفكرة مفصلا . وتتضمن محاولاته المستمرة الايحاء إلى الباب أنه هو المنتظر ، إلى أن أقنعه أخيراً بذلك (ص ٦٤ — ٦٨) .

« ولاتكن متلونا فإن الناس يقبلون منك كل ماتقول من رطب ويابس ويتحملون عنك (كل شيء) حتى ولو قلت باباحة الأخت وحليتها للأخ ، فكان السيد يصغي

ويستمع كاملاً ، وبلا نهاية صار طالباً ومشوقاً أن يدعي ادعاء ، ولكن لم تكن له جرأة ذلك » (ص ٦٧) .

وبعد أن أنهى مهمته رجع الى إيران ، وفي ذلك يقول : « فطفق كل من الميرزا حسين علي البهاء وأخوه الميرزا يحيى صبح أزل والميرزا رضا علي ونفر من رفقتهم أن يأتوني مجدداً ، ولكن مجيئهم كان من باب غير معتاد للسفارة الذي كان قرب سكة مغسل الأموات » (ص ٧٧) .

وبعد أن قبض على السيد علي محمد الباب ، يقول : « فأنا بواسطة الميرزا حسين علي وأخيه الميرزا يحيى ونفر آخرين أقمت بالضجيج والعجيج أن صاحب الأمر قد قبض عليه » (ص ٧٩)[1] .

ويقول دالغوركي في مذكراته : « فوصلني خبر قتله بطهران ، فقلت لميرزا حسين علي البهاء ، ونفر آخرين الذين لم يروا السيد أن يثيروا الغوغاء بالضجيج والعجيج . وقد تعصّب نفرٌ آخرون للدين ، وأطلقوا الرصاص على ناصر الدين شاه ، فلذلك قبضوا على كثير من الناس وكذلك قبضوا على الميرزا حسين علي البهاء ، وبعض آخرين من الذين كانوا لي أصحاب السر ، فأنا حاميت عنهم وبألف مشقة أثبتُّ أنهم ليسوا بمجرمين وشهد عمال السفارة وموظفوها ، حتى أنا بنفسي قلت أن هؤلاء ليسوا بابيين ، فنجّيناهم من الموت وسيّرناهم إلى بغداد ، وقلت لميرزا حسين علي البهاء إجعل أنت أخاك الميرزا يحيى وراء الستر وادعوه « من يظهره الله » فلاتدعه يكلم أحداً ، وكن أنت بنفسك متوليه ، وأعطيتهم مبلغاً كبيراً رجاء أن أعمل بذلك عملاً » (ص ٨٢) .

« فألحقت به في بغداد زوجته وأولاده وأقرباءه وكل من كان لائذاً به ، كي لايكون له هوى من خلفه » (ص ٨٢) .

« فشكلوا له في بغداد تشكيلات وجعلوا له كاتب الوحي ، وأنا أيضاً أرسلت لهم كتاباً ، وكتباً كانت باقية للسيد بعدما أنا أصلحتها جرحاً وتعديلاً ، وأمرتهم أن يستنسخوا منها نسخاً كثيرة . وكانوا يهيئون في كل شهر بعض الألواح ويرسلونها للذين كانوا منخدعين بالسيد الباب ولم يروه . وكان قسم من أعمال السفارة الروسية في

---

(١) « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١١٩ ومابعد .

طهران منحصرا في تهيئة الألواح وتنظيم أعمال البابية » (ص ٨٢ و ٨٣) .

« والدولة الروسية كانت تقويهم وبنت لهم مأوى ومسكنا » (ص ٨٤) .

« ورقباؤنا كانوا ساعين أن يفشوا الألواح المتضادة المتناقضة التي كانت صادرة بيد كتابنا ، وبتشهير رقبائنا اسم الميرزا يحيى صبح أزل في البابية أنه وصي الباب ، لاجَرَمَ صرنا مجبورين أن نبدل البابية بالبهائية » (ص ٨٥) .

« وكل من كان في طهران يصير بهائيا كنا نعاونه ونساعده وكان أحسن مبلغينا (الأخانيد) وعمدة معاونتنا ومساعدتنا كانت من هؤلاء ، اذ كل من كان بينه وبينهم خلاف كانوا يرمونه بالبابية والبهائية ، فكنا نغتنم الفرصة ونجلب أولئك المتهمين المنبوذين ونساعدهم ، ولم يكن لأولئك البتة مأوى وملجأ سوانا » (ص ٨٦)[1] .

يقول مؤرخ البابيين الميرزا جاني الكاشاني : « إن الملا محمد علي الزنجاني الملقب بالحجه اتصل بسفراء الدول الخارجية ، وأرسل إلى وزرائها الخطابات ، فتوسطوا الى الحكومة الايرانية في صالح البابيين ، كما عاتب ملك الروس الأمير الايراني وزجره على ظلمه هذه العصابة ، والتقى به (أي بالزنجاني) ، في حربه الأخيرة مع الحكومة الايرانية ، سفير الروس وسفير الروم ، وشفعا له ، ولكن لم يقبل شفاعتهما فيه وفيهم »[2] .

ويقول الكاشاني كذلك : « إن سفير الروس وسفير الروم وغيرهما لاموا الحكومة الايرانية على ظلمها للبابيين ، وإن ملك الروس أرسل سفراءه لتحري أحوال الباب وتفحص أحوال البابيين عامة »[3] .

ويذكر المؤرخ البهائي آواره : « أن القنصل الروسي صوَّر هيكل الباب بعد مصرعه ، وأرسلها إلى الحكومة الروسية ، وكان موجوداً هناك عند قتله »[4] .

ثم بعد اعدام الباب ، اتهم البابيون ومنهم حسين علي المازندراني (البهاء) بتدبير

---

(١) « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١١٩ ــ ١٢٥ .

(٢) « نقطة الكاف » ، ص ٢٣٣ و ٢٣٤ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٦٢ .

(٣) « نقطة الكاف » ص ٢٦٦ و ٢٦٧ ــ « البابية » ،لظهير ، ص ٦٣ .

(٤) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » ، ص ٢٤٨ ط فارسي ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٦٣ .

محاولة اغتيال شاه ايران ، فأودع عدد منهم في السجن، أما البهاء الذي لم يكن قد ادعى النبوة أو الألوهية بعد ، ولم يكن قد غادر ايران ، فانه التجأ إلى السفارة الروسية التي آوته . وحين طلبت الحكومة الايرانية تسليمه إليها ، امتنع الوزير الروسي المفوض بطهران . ثم جرت تسوية بين الدولتين تم بموجبها تسليمه إلى رئيس الوزراء الايراني آقا خان مشفوعا بكتاب رسمي من السفير يقول : « إن الحكومة الروسية ترغب أن لايمسه أحد بسوء ، وأن يكون في حفظ وحماية تامة ، وحذره أن يكون رئيس الوزراء مسؤولا شخصيا إذا لم يعتن به »[1] .

ويقول النبيل الزرندي ، وهو يذكر هذا الحادث : إن ناصر الدين شاه اندهش من الخطوة الجريئة والغير المنتظرة التي حصلت من شخص متهم بأنه المحرض الأكبر للتعدي على حياة الشاه ، فأرسل في الحال أحد ضباطه الموثوق بهم إلى السفارة لطلب تسليم المتهم ليدهم ، فامتنع الوزير الروسي عن ذلك[2] .

وآقا خان الذي يعدُّه المؤرخون موالياً للروس استضاف حسين علي المازندراني عدة أيام وأخفاه عنده ، وبعد أيام قدمه الى الحكومة فاعتقل في سجن « سياه جال » مدة أربعة أشهر[3] .

وسعى الميرزه آقا خان سعياً شديداً لايفاء العهد ، وحفظ الوديعة الروسية ، ومن طرف ثان « تدخل الوزير الروسي في القضية »[4] و « شهد سفير الروس بطهارة أخلاقه »[5] . فبرأته الحكومة الايرانية من الاشتراك في تلك المؤامرة وتدبيره إياها[6] . وقد كان سفير الروس حينئذ « كنياز دالغوركي » .

ويقول شوقي أفندي ، وهو الخليفة الثاني لبهاء الله : « كان سفير الروس كنياز

(١) « ملخص تاريخ النبيل » ، لاشراق خاوري البهائي ، ص ٦٣١ - « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٠ .
(٢) « مطالع الأنوار » ص ٤٨١ و ٤٨٢ - « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٠ .
(٣) « البهائية » طبع لجنة بهائية للنشر ، القاهرة ، ص ٧ - « البهائية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٢٠ .
(٤) « الكواكب الدرية » ، ص ٣٣٦ فارسي - « البهائية » ، لظهير ص ٢٠ .
(٥) « بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٣٤ عربي - « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٠ .
(٦) « الكواكب الدرية » ، ص ٣٣٧ - « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٠ .

دالغوركي يحاول بوساطته ودخالته تبرئة حضرة بهاء الله من جانب ، ومن جانب آخر اعترف الملا شيخ علي بجريمته بأنه هو الذي اعتدى على الشاه انتقاماً للباب بدون تحريض أي شخص آخر »[1] .

ويشير شوقي أفندي إلى حضور مندوب عن السفارة الروسية عند استجواب بهاء الله في أثناء التحقيق[2] .

ويصرح بهاء الله في سورة الهيكل قائلا : « ياملك الروس ... لما كنتُ أسيراً في السلاسل والأغلال في سجن طهران نصرني سفيرك »[3] .

وفي كتابه « مبين » يصرح بهاء الله كذلك : « ياملك الروس ... قد نصرني أحد سفرائك إذ كنت في السجن تحت السلاسل والأغلال ، بذلك كتب الله لك مقاما لم يحط به أحد إلا هو »[4] .

وفي أعقاب هذه المحاكمة تم إبعاد بهاء الله الى بغداد ، فوصلها سنة ١٢٦٩ هجرية ، في ٢٨ جمادى الثاني ، أو ٥ جمادى الأولى ، الموافق يناير ١٨٥٣ م ، أو بالتحديد ١٢ يناير من تلك السنة[5] .

وقبل تنفيذ قرار الإبعاد عرض الوزير المفوض الروسي بطهران على بهاء الله أن يسافر إلى روسية وأن الحكومة الروسية تضيفه بكل سرور وتتولى حمايته إلى أن يصل أرض الروس ، على حد قول شوقي أفندي[6] .

وفي الطريق الى بغداد رافقته قوة عسكرية إيرانية وأخرى روسية .

وفي ذلك يقول بهاء الله : « إنا مافررنا ولم نهرب بل يهرب منا عباد جاهلون ، خرجنا من الوطن ومعنا فرسان من جانب الدولة الايرانية ودولة الروس إلى أن وردنا

---

(١) كتاب « قرن بديع » ص ٨٣ ، ج ٢ – « البهائية » ، لظهير ، ص ٢١ .

(٢) كذلك – ظهير ، ص ٢٢ .

(٣) « لوح ابن ذئب » ، ص ٤٢ – « البابية » ، لظهير ، ص ٦٣ .

(٤) « مبين » ، ص ٥٧ – « البهائية » لاحسان الهي ظهير ، ص ٢١ .

(٥) « البهائية » لاحسان الهي ظهير ، ص ٢٢ .

(٦) « مطالع الأنوار » ص ٦٥٧ – « قرن بديع » ص ٨٦ ج ٢ – « البهائية » ، لظهير٢٣ .

العراق بالعزة والاقتدار »[١] .

ويقول داعية البهائيين أبو الفضل : « فلما حدثت حادثة سنة ١٢٦٨ ... قبض على بهاء الله وسجن نحو أربعة أشهر وحوكم بمحضر جمع من الوزراء وكان سفير روسيا يدافع عنه ، فلما ثبتت براءته من تهمة الاتفاق مع الخارجين على الشاه أمر الشاه بالافراج عنه وإبعاده إلى العراق ، فخرج من طهران مصحوباً ببعض عساكر إيران تراقبه بعض فرسان سفارة الروس حفظا له من الاغتيال أثناء الطريق حتى ورد بغداد سنة ١٢٦٩ »[٢] .

ويقول داعية البهائية في الهند حشمت علي : « **لو ما كان سفير الروس والانكليز ولم يشفعا لبهاء الله أمام الحكومة الايرانية لخلا التاريخ من ذكر ذلك الشخص العظيم وعن أحواله** »[٣] .

ولم تكتف الحكومة الروسية بذلك بل دفعت الأرمني الروسي « منوجهر خان » لإعلان إسلامه ، فغمره الشاه محمد بالفضل ، وأعطاه ثقته ، فعينه معتمدا للدولة في أصفهان وكان له دور خطير جداً في توسيع نار الحركة البابية مستغلاً ثقة الشاه به . فلقد قام باخفاءالميرزا علي محمد الباب في بيته أربعة أشهر[٤] .

ولما مات « منوجهر خان » وخلفه المعتمد « جورجين خان » كتب إلى الشاه يقول : « كان من المعتقد في أصفهان منذ أربعة أشهر أن معتمد الدولة سلفي قد أرسل السيد الباب إلى مقر الحكومة الملكية بناء على طلب جلالتكم ، وقد ظهر أن هذا السيد قاطن في عمارة خورشيد التي هي مقر معتمد الدولة الخاص . واتضح أن سلفي قد أكرم السيد الباب في ضيافته ، واجتهد في إخفاء تلك الحراسة عن الناس وعن الموظفين في المدينة »[٥].

---

(١) « لوح الطرازات » ـ مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله ، ص ٥٧ .

(٢) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ٣٢٣ .

(٣) « تعليمات بهاء الله » ، ص ٨١ ط أردو ، أكره ، الهند ـ « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٣ .

(٤) « مطالع الأنوار » ص ١٥٦ ، ١٦٩ ـ « الآيات البينات » ، لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ـ د . محسن عبد الحميد ، ص ١٢٥ .

(٥) « مطلع الأنوار » ، ص ١٦٨ ـ « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١٢٥ .

وكان إخفاء الباب مفيداً جداً للبابيين ، إذ أن المعتمد أنقذه من غضب علماء المسلمين الذين أفتوا بقتله لارتداده عن الإسلام ، وهيأ له من جهة أخرى سبيل الاتصال بالبابيين . فكان يراسلهم ويقابلهم في مخبئه ويوجههم بمعاونة المعتمد نفسه . وكان منوجهر خان يمول الحركة البابية بأموال طائلة . يظهر ذلك واضحاً من قوله للباب : « إن الذات العلية قد وهبني أموالاً عظيمة ، ولا أعلم كيف أصرفها على أحسن وجه . والآن والحمد لله وصلت إلى معرفة حقيقة هذا الظهور ، ولي رغبة شديدة في أن أخصص كل ممتلكاتي للصرف فيها على شؤون هذا الأمر ولإعلاء صيته » . وكان منوجهر خان يبذل للباب كل تشجيع ، فلقد قال له يوما : « لي رغبة أن أسافر بإذنك إلى طهران وأعمل جهدي حتى يعتنق محمد شاه هذا الأمر ، وهو شديد الثقة بي ، وثقته لاتتزعزع ، وإني متأكد أنه سيقبل الدعوة ويقوم على ترويجها شرقا وغربا ، وسوف أجتهد أن أحصل لك على يد إحدى أخوات الشاه ، وأنفذ مراسيم الزواج بنفسي . وفي نهاية الأمر أرجو أن أكون قادراً على أن أميل قلب حكام وملوك الأرض إلى هذا الأمر العجيب »[١] .

يقول الدكتور محمد مهدي خان : « إن الحكومة الروسية رأت لتنفيذ أغراضها في إيران تقوية القوم ، فأخذت تساعدهم في بلادها ، وأعطت لهم حرية كاملة في إظهار دينهم فبنوا لأنفسهم معبدين أحدهما في باكو والثاني في عشق آباد »[٢] .

وكتب المؤرخ الايراني الدكتور محمد مهدي خان زعيم الدولة : **« إن الحكومة القيصرية الروسية كانت تزوِّد البابيين بالأسلحة ليقاتلوا بها المسلمين ، وتعلمهم فنون الحرب والقتال وتموهم بالمال والعتاد »**[٣] .

وفي الواقع تدل معاركهم على أنهم كانوا يحصلون على دعم خارجي كبير .

كانت الحكومة القيصرية الروسية تقف بقوة إلى جانب بهاء الله ، وكان يتسلم

---

(١) « مطالع الأنوار » ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ – « حقيقة البابية والبهائية » ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١٢٥ و ١٢٦ .

(٢) « البهائية – تاريخها وعقيدتها » ، ص ١٢٥ – د. محسن عبد الحميد ص ١٢٦ .

(٣) « مفتاح باب الأبواب » – وأيضا « الحقائق الدينية » ، لمحمد الحسين – « البابية » ، لظهير ، ص ٦٤ .

مرتباً شهرياً منها ، وقد اعترف هو في الصفحة ١٥٩ من كتاب « مجموعة ألواح مباركة » بأنه كان يتسلم مرتباً شهرياً من الحكومة الايرانية[١] .

غير ان حجم المساعدات الروسية انخفض بشكل حاد نتيجة للأزمة الاقتصادية الخانقة التي كانت تمر بها الدولة ، قبيل سقوط الحكومة القيصرية على يد الشيوعيين ، إلى أن انقطعت هذه المساعدات نهائياً بعد ثورة أكتوبر وتسلم البلاشفة زمام الأمور في روسيا بسبب تعاون البهائيين مع الحكومة القيصرية ، مما أدى بعبد البهاء إلى أن يتجه نحو الانكليز[٢] .

لقد أخذ كل من الذين نقلوا أقوال دالغوركي روايته على علاتها . لكن يبدو أن الأمر مختلف قليلاً . فلايمكن للجاسوس والسفير الروسي أن يذكر الحقيقة كاملة ، ولايمكن أن تكون القصة بدون أساس . فشخص في مركز دالغوركي لايمكن أن يكون حضوره حلقات الرشتي عارضاً ، في الوقت الذي نرى فيه الرشتي وشيخه الأحسائي موضع شك ، فدعوتهما لم تكن إلا مقدمة لإظهار نبي زائف ، فلابد لمثل هذا النبي من مثل هذه المقدمة ، وكذلك لابد من مثل حلقاتهما للبحث فيما بين مريديها عن صاحب هوى ومواهب خاصة لاقتناصه لهذه المهمة ، وللبحث عن مريدين له .

فحضــور دالغوركي مثــل هذه المجالس لايمكن إلا أن يكون مخططاً له على مستويات عليا للإشراف على خطة أعدت مسبقاً ، ربما منذ أن ظهر الأحسائي على مسرح الأحداث ، يؤكد ذلك ، الاهتمام الكبير الذي أبدته السفارة الروسية في ايران ومن ورائها الحكومة الروسية ، إلى حين سقوط القيصرية ، بحركة بهاء الله ، الذي قرر إلغاء حتى الديانة المسيحية ، ومع ذلك أنقذته الحكومة الروسية من الإعدام حين لم يكن سوى تلميذ من تلامذة الباب ، ثم خصصت له راتبا شهريا ظل يتقاضاه لفترة طويلة ، كما خصصت لجماعته بلدة على الحدود الايرانية (عشق آباد) تكون لهم ملجأ في حالات الشدة .

---

(١) « البهائية في خدمة الاستعمار » ، ص ١٨ و ٣٥ .

(٢) كتاب « قرن بديع » ج ٢ ص ١٢٥ ، ج ٣ ص ٢٩١ _ كتاب « انشعاب دربهائيت » ، ص ١٢٧ _ « البهائية في خدمة الاستعمار » ، ص ١٨ .

ويبقى هناك تساؤل حول الهوية الحقيقية لدالغوركي ، يثيره الخلاف الذي ظهر بين دالغوركي والسفير الروسي « كراف سيمنويج » ، كما اتضح من مذكرات دالغوركي .

ربما كان تفسير ذلك كله في النشاط الصهيوني الذي أخذ يسعى وقتئذ إلى التغلغل في الأجهزة الروسية . فعلى إثر الحلف المقدس الذي عقده بتاريخ ٢٦ ايلول ١٨١٥ كل من قيصر روسيا اسكندر الأول وملك بروسيا فردريك وليم الثالث وامبراطور النمسا فرانسيس الأول ، أعطى آل روتشيلد أوامرهم لبعض المجموعات من المتهودين بالسيطرة على روسيا فظهرت مجموعة مسيحية كبيرة متبنيةً لعقيدة مشابهة لليهودية[1] ، انتشرت بسرعة عجيبة في القرى والمدن، جاذبة إليها الزراع والتجار على السواء ، وأعلنت أنه حان الوقت للرجوع إلى العهد القديم للمحافظة على ايمان الآباء اليهود ، مما أقلق السلطات المركزية فلجأت إلى اجراءات غير معتادة لوقف انتشار الانشقاق ، وكان أن وافقت لجنة الوزراء سنة ١٨٢٣ على المشروع الآتي : « يجب إدخال رؤساء المذهب المتهود ومعلميه في الخدمة العسكرية ، ومن لايصلح للخدمة يرسل إلى سيبريا . وينبغي طرد كل اليهود من المقاطعات التي ظهرت فيها هذه الحركة » . لكنَّه « بالنسبة لليهود كانت نتائج الاجراءات غير ذات قيمة ، فعدد اليهود الذين شملهم الطرد من المقاطعات المتأثرة لم يكن بذي بال » ، لكن الروتشيلديين كانوا قد قرروا حينئذ الثورة وإعدام القيصر ، فمات مسموما في كانون الأول ١٨٢٥[2] . ثم ظهرت حركة أخرى سميت بالنهلستية كان عمادها الطلبة الذين درسوا في الخارج ، وخاصة في سويسرا ، فانتشرت بين الشبيبة الروس على نطاق واسع . لقد بدت هذه الحركة في ظاهرها حركة تحررية ، لكنها كانت في الحقيقة حركة مناوئة للكنيسة الأرثوذكسية على وجه الخصوص . وقد انتهت الاضطرابات التي أثارتها إلى اغتيال القيصر اسكندر الثاني في شهر آذار(مارس) ١٨٨١ م[3] .

---

(١) « تاريخ اليهودية في روسيا » ، س .م. دونباو ، ص ٤٠٠ ومابعد ــ « حكومة العالم الخفية » ، ص ١٣٠ ومابعد .

(٢) كذلك .

(٣) « تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة » ، عبد الله عنان ، ص ١٦٠ ــ ١٦٥ .

وفيما بين القيصر اسكندر الأول والقيصر اسكندر الثاني ، اغتيل أيضا القيصر نقولا الأول مسموما في عام ١٨٥٥ بيد طبيبه الخاص ماندت على إثر خيانة من وزير ماليته اليهودي كانكرين[١] .

وقد سبقت الإشارة (في الصفحة ١٢٠) إلى النشاط اليهودي على الحدود الروسية ، وإلى دور اليهود في تنظيم الدبلوماسية الروسية وفق قول دزرائيلي .

وهكذا ، ففي ظل هذه الأجواء لم يكن غريبا أن يظهر ضابط مخابرات روسي على مسرح الأحداث في ايران مع ظهور البابية والبهائية . فالتوافق الذي جرى بين الدور البريطاني ودور هذا الضابط الروسي لايفسره غير الدور الصهيوني .

في هذه الظروف ظهرت البابية في ايران ، وكان دعم بريطانيا وروسيا لها .

---

(١) « حكومة العالم الخفية » ، ص ١٤١ .

الفصل الحادي عشر

محاكمة الباب وإعدامه

يذكر المؤرخون أن علي محمد الشيرازي (الباب) ، لما أراد الرجوع من بوشهر بعد ادعائه المهدوية سنة ١٢٦١ هجرية ، أرسل البارفروشي (قدوسه وواحد من أقانيمه الثمانية عشر) إلى موطنه شيراز لإعلان الدعوة فيها وإعداد الناس لاستقباله والترحيب به ، وكان واليها يومئذ حسين خان المعروف بصاحب الاختيار . ولما بلغه خبره استدعاه بحضور جمع كبير من علماء المدينة وفقهائها وسراتها وأمرائها .

وفي المجلس بالغ الوالي في إكرام الشيرازي والحفاوة به ، وأظهر الأدب والاحترام الزائد والتقدير له إخفاء لسريرة نفسه ، وقدم له المعذرة عما سبق في حقه وفي حق دعاته ، فانخدع الرجل وانشرح صدره وانطلقت أسارير وجهه وظنه محايداً . واندفع الباب لإظهار ما كان يكتم أمام عامة الناس واستعد للمناظرة مع العلماء فرأوا منه كفراً بواحاً وتكبراً ظاهراً وتطاولاً على أئمتهم ومعتقداتهم . فأفتى بعضهم بارتداده وحكم بقتله ، وأما البعض الآخر فقال بجنونه واختلال عقله .

أما الوالي فقد أمر بجرِّه في المجلس جرا وضربه ضربا مبرحا وأن يوضع في السجن رهين الذل والهوان .

فاستعاد الباب صوابه واستعظم الخطر الذي وقع فيه ، وغاب عنه ما كان يظهر فيه من ثبات جنانه وطلاقة لسانه وجرأة اعلانه ، وبدأ يتذلل ويرتمي على أقدامهم[1] .

وأنكر أنه وكيل القائم الموعود أو الواسطة بينه وبين المؤمنين[2] .

ولكن المجتمعين لم يرضوا بذلك ولم يتركوه حتى أبدى استعداده للتوبة عن

(١) « مفتاح باب الأبواب » ، لمحمد مهدي الايراني ، ص ١٣٢ — « البابية » ، لظهير ، ص ١٧٠ .
(٢) « مطالع الأنوار » ، ص ١١٩ ، ط عربي — « البابية » ، لظهير ، ص ١٧١ .

مقولاته على رؤوس الأشهاد يوم الجمعة في المسجد الجديد بشيراز فصعد منبره يوم الجمعة ، وأعلن أمام الجمهور :

« ان غضب الله على كل من يعتبرني وكيلاً عن الامام أو الباب ، وان غضب الله على كل من ينسب الي انكار وحدانية الله ، أو أني أنكر نبوة محمد خاتم النبيين ، أو رسالة أي رسول من رسل الله ، أو وصاية علي أمير المؤمنين ، أو أي أحد من الأئمة الذين خلفوه »[1] .

ويقول آواره : « انه كان هذا في ٢١ رمضان في مسجد الوكيل سنة ١٢٦١ هجري فأنكر ماهو عليه من الادعاءات »[2] .

وأقر به واعترف عباس أفندي ابن حسين علي البهاء في « مقالة سائح »[3] .

اعتقل علي محمد « الباب » في « قلعة ماه كو » تسعة أشهر – على أصح الروايات – فلما اتخذ مؤتمر بدشت قراره في شهر رجب ١٢٦٤ بوجوب انقاذ الباب من معتقله هذا أمرت الحكومة بنقله إلى « قلعة جهريق » واتخذت التدابير المقتضاة للحيلولة دون اتصال أي أحد به . لكن أنصاره في الخارج لم يلتزموا الصمت ، بل أثاروا الحروب والاضطرابات ، كما اتضح ، ولم يكن للجمهور آنئذ حديث غير حديثه . أما علماء الدين ، فانهم لم يكتفوا بما أنزلته الحكومة به من ضروب المضايقة ، فأجمعوا على وجوب استئصال شأفة دعوته ، واعادة الأمن إلى نصابه ، وتطمين النفوس التي اضطربت من أجل معتقداته . وكانت دعوة العلماء هذه تلاقي رواجاً عظيماً لا من قبل الرأي العام فحسب ، بل حتى من قبل السلطات الحكومية .

وكان ولي عهد ايران « ناصر الدين » يشغل حاكمية أذربيجان في ذلك الوقت ، فكان من أشد الناس رغبة في قمع هذه الفتن ، وقطع دابر هذه القلاقل والاضطرابات ، وذلك بالقضاء على الباب وصحبه ، وقبر تعاليمه ومبادئه في لحد عميق ، إلاّ أن هناك ظروفاً كانت تحول دون تنفيذ رغباته . ومع هذا فقد أمر باحضاره

---

(١) « مطالع الأنوار » ، ص ٢١ – « البابية » ، لظهير ، ص ١٧١ .

(٢) « الكواكب الدرية » ، ص ٤٨ ، ط فارسي – « البابية » ، لظهير ، ص ١٧١ .

(٣) « مقالة سائح » ، ص ٦ و ٧ – « البابية » ، لظهير ، ص ١٧١ .

من « قلعة جهريق » وعقد له مجلساً خاصا حضره لفيف من العلماء والفقهاء أمثال رئيس الشيخية الملا محمد المامقاني ، ونظام العلماء الملا محمود ، وشيخ الاسلام الملا علي أصغر وغيرهم ، وطلب اليهم مناظرته ومناقشته وتقرير مصيره ، فابتدره نظام العلماء قائلا :

« من تكون ، وماهو ادعاؤك ، وماهي الرسالة التي أتيت بها ؟ » .

فأجاب « الباب » ثلاثا : « إني أنا الموعود ، وأنا الذي دعوتموه مدة ألف سنةوتقومون عند سماع اسمه وكنتم تشتاقون للقائه عند مجيئه ، وتدعون الله بتعجيل ساعة ظهوره . الحق أقول لكم ان طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب ... » .

ورأى نظام العلماء أن الأحسن هو الاعتراض على رسالته علناً ، فقال للباب : ان الدعوة التي تقدمها الآن هي دعوة خطيرة فيجب أن تدعمها بالدليل القاطع . فأجاب الباب : إن أقوى دليل وأقنعه على صحة دعوة رسول الله هو كلامه . كما دلل على ذلك بقوله : ألم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب . ولقد آتاني الله هذا البرهان ، ففي ظرف يومين وليلتين أقرر أني أقدر أن أظهر آيات توازي في الحجم جميع القرآن[1] .

سأل ولي العهد الفقهاء والعلماء في أمر الباب بعد هذه المناظرات . أما الفقهاء فرأوا كفره ووجوب قتله ، وأما غيرهم فحكموا عليه بالعته والبلاهة ولزوم تعييره وتعزيره وتقييده . فاستصوب الحاكم الرأي الأخير ، وأمر بالباب فطرح أرضا ، وبعد أن ضرب على قدميه احدى عشرة مرة ، أو ثماني عشرة مرة على رواية أخرى ، أعيد إلى قلعة جهريق . فكتب من معتقله رسالة إلى ولي العهد يقول فيها ، وفق ما أثبته بروفسور براون ، الذي هو من أنصار البابية :

« فداك روحي ، الحمد لله كما هو أهله ومستحقه ، فالحمد لله الذي يحيط كافة عباده بظهورات فضله ورحمته ، ثم الحمد لله أنه جعلك ينبوع الرأفة والرحمة ، وعطوفا على المجرمين ، ورحيما على العصاة المذنبين أشهد الله أنه لم يكن لهذا العبد الضعيف الذي وجوده الذنب المحض أي قصد خلاف رضا الله وأهل ولايته . وبما أن قلبي موقن بوحدانية الله ونبوة رسوله وولاية أهل الولاية ، ولساني مقر بكل مانزل من عند الله

---

(١) المؤرخ البابي نبيل في « مطالع الأنوار » ، ص ٢٤٩ ـ الحسني ، ص ٢٨ و٢٩ .

أرجو رحمته ، ولم أرد مخالفة الحق مطلقاً ، وان صدر عني وعن قلمي كلمات تخالف الحق فلم يكن قصدي المعصية ، ففي كل الاحوال أنا مستغفر تائب ، وانه ليس لي أي ادعاء وزعم . وأستغفر الله ربي وأتوب اليه من أن ينسب إلي أمر . وأما بعض الكلمات أو المناجاة التي جرت من لساني لاتدل على أي شيء ، وأنا لم أدّع لا النيابة عن حضرة المهدي وغير النيابة ، ولن أدعي أيضا ، وأنا أرجو من ألطاف حضرة الشاهنشاه وحضرتكم أن تجعلوني مورد ألطافكم ورأفتكم ورحمتكم والسلام[1] .

وفي وسط هذه الاضطرابات التي كانت تموج بها ايران توفي السلطان محمد شاه في ٦ شوال ١٢٦٤ هجري – ٤ أيلول ١٨٤٨ م . واعتلى سرير الملك ولده وولي عهده ناصر ، فلما حدثت واقعتا قلعة الطبرسي ونيريز ، ووجد الفتن تثور من هنا وهناك ، والمعارك تدور داخل المدن والقرى ، والحالة تغلي غليان المرجل فمن قتل ونهب ، إلى ذبح أطفال وحرق نساء ، فانتهاك حرمات وتمثيل بالشيوخ والعجزة ، والشعب منقسم على نفسه ، والدسائس الأجنبية تكيد له وتعمل على اضعاف مركزه . ولاحظ ولي العهد أن التبريكات التي وردت على البلاط الايراني لتهنئته باعتلائه العرش كانت مشفوعة بالتذمر من الحالة التي وصلت إليها البلاد ، ومصحوبة بالاستياء من الدعوة البابية ، فصمم الشاه الجديد على استعمال العلاج الأخير ، وقطع دابر هذه الفتن باستئصال شأفتها فوراً .

استشار الملك الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) المرزه تقي خان أمير أتابك الفراهاني بذلك ، وأنكر على سلفه ووزير والده المرزه عباس أقاسي اكتفاءه بسجن الباب وحجبه عن الناس ، الأمر الذي أدى الى افتتانهم به وميل فريق منهم إليه ، بينما كان عليه أن يأمر بجلبه الى طهران ، ويسمح للجمهور بمعاشرته ومناظرته فتتضح لهم سيرته ومعتقداته ويكون الاعراض عنها أمراً طبيعياً .. تهلل وجه الصدر الفراهاني بشراً فأيد الملك بما أبداه وعرض عليه ضرورة قتل « الباب » وتخليص البلاد والعباد منه ، فاستصوب الملك هذا العرض ، وأمر أحد مؤتمنيه سليمان خان الأفشار بالسفر الى تبريز

(١) عن النص الانكليزي في « دراسات عن الديانة البابية » ، للمستشرق براون ، ص ٢٥٧ – « قراءة في وثائق البهائية » ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، ص ٤٦ .

حاملا الى عمه الأمير حشمت الدولة حمزه مرزا والي أذربيجان الارادة الملكية المقتضاة للقتل .

طلب ناصر الدين شاه إلى الوالي أن يجمع الباب بكبار العلماء ورجال الدين ليناظروه ويحاجوه في آرائه لآخر مرة عسى أن يجدوا منه عدولا عن عقائده ، ورجوعاً إلى سبيل الرشاد . فلما أعلن الوالي ورود أمر الشاه ، وطلب إلى الفقهاء والعلماء أن يناظروه للمرة الأخيرة ، امتنعوا عن ذلك قائلين : إن رجل اليوم هو رجل الأمس ، وطالما ناقشناه وناظرناه ، ولكن دون جدوى . فلما رآى الوالي هذا الصدود « عقد مجلسا عرفياً من أعيان الموظفين ومأموري الحكومة فأقروا أمر الاعدام على أن يشمل الباب وكاتب وحيه حسين يزدي وأحد غلاة أنصاره محمد علي زنوزي [1] . وفي هذا المجلس طُلِبَ الشيرازي وأوقِف بين أيديهم ، فسأله الأمير عن الدليل على دعواه أو المعجزة التي تُثبت أنه لايتكلم إلا بالوحي والالهام ؟ .[2] .

فقال الباب الشيرازي : ان معجزته هي قوة بيانه[3] .

فطلب منه أن يرتجل خطبة يصف فيها هذا المجلس وأنواره المتلألئة ، فارتجل خطبة وصف فيها القصر وجماله وزينته ، وذلك المجلس والسراج والزجاج والمصباح والمشكاة والألوان الجميلة والطاق والديوان شبيهة سورة النور[4] .

ودوَّن كاتب وحيه حسين يزدي كل ماتلاه الباب في هذه الخطبة . فسأله الأمير هل نزلت عليك هذه الآيات بطريق الوحي ؟ . أجاب : نعم .

فقال الأمير : إن الوحي لايمحى من خاطر الموحى اليه ؟ ، فرد عليه الشيرازي : نعم هذا صحيح . فطلب منه أن يعيد هذه الخطبة مرة أخرى ، وطلب من الكاتب أن يكتبها هذه المرة أيضا . ولما أعادها قال له الأمير بعد اثباته بكتابة كاتبه : انها مغايرة للأولى . فيصرح المؤرخ البابي آواره : ان وجه المبارك قد تغير لونه ، وأطرق رأسه إلى

(١) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ٢٢٩ – الحسني ص ٢٨ – ٣٠ .
(٢) « البابية » ، لظهير ، ص ٩٠ .
(٣) « مطالع الأنوار » ، ص ٢٥٠ .
(٤) « الكواكب الدرية » ، ٢٣٧ ، ط فارسي – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٠ .

الأرض ولم يرفعه ولم يتكلم بكلمة ، اللهم إلاّ أنه قال : نزلت علي في هذه المرة على هذا النمط ..[١] .

عرف الباب أنه وقع في الفخ وبدأ يرتجف ، ويقول : « أشهد أن لا إله الأ أنت بما أنت عليه من العزة والعظمة والجلال والقدرة وأشهد أن محمدا عبدك الذي اصطفيته لرسالتك ، وارتضيته وانتخبته لمعرفتك ، وجعلته خاتم أنبيائك ورسلك . وأشهد لأوصياء محمد حبيبك صلواتك عليهم ، بما قدرت لهم في عوالم الغيب ، وتصف أنفسهم في كتابك حيث قلت وقولك الحق : عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [٢] .

ولكن رد عليه العلماء ومنهم رئيس الشيخية هناك الملا محمد المامقاني : آلآن وقد عصيت قبل[٣] . فتشبث الباب الشيرازي بردائه متضرعا : أيها الحجة وأنت أيضا تفتي بقتلي ، فانتهره قائلا : أنت ، أنت الذي أفتيت بقتل نفسك أيها الكافر[٤] .

وتقرر تنفيذ الحكم في صبيحة يوم الاثنين في السابع والعشرين من شعبان سنة ١٢٦٦ هجري — الثامن من يوليو (تموز) ١٨٥٠ م ، ولمّا علِم الشيرازي به انهارت قواه وأسقط في يده « وصار يبكي وينوح ، وغمره الذهول العميق والشرود ، حتى فهم أصحابه في السجن أن هناك أمراً قد تقرر ، ولكنهم ما أرادوا أن يسألوه ، فاستفاق بعد منتصف الليل وبدأ يردد أبياتاً من الشعر منها[٥] :

تروم الخلد في دار المنايا ... فكم قد رام مثلك ماتروم
تنام ولم تنم عين المنايا ... تنبه للمنيّة يانؤوم
لهوت عن الفناء وأنت تفنى ... فما شيء من الدنيا يدوم

ويروي الكاشاني أنه قال في تلك الليلة أيضا : سيقتلونني صباحا بالذلة والاهانة ،

---

(١) « الكواكب الدرية » ، ٢٣٧ ، ط فارسي — « البابية » ، لظهير ، ص ٩٠ .

(٢) « الكواكب الدرية » ، ص ٢٤٣ — « البابية » ، لظهير ، ص ٩١ .

(٣) « ناسخ التواريخ » ، تحت ذكر قتل الباب — « البابية » ، لظهير ، ص ٩١ .

(٤) « مفتاح باب الأبواب » ، ذكر مناظرة العلماء مع الشيرازى في تبريز — « البابية » ، لظهير ، ص ٩٢ .

(٥) « الكواكب الدرية » ، ص ٢٤٢ و ٢٤٣ — « البابية » ، لظهير ، ص ٩٢ .

فياحبذا لو وُجد من يقتلني هذه الليلة في هذا السجن حتى لا أرى الذلة والمهانة من الأعداء ، إنه لو فعل أحد من الأحباء لكان عين الصواب .

ولما استعد لذلك الملا محمد علي الزنوزي المجنون ارتعد مرة أخرى ، وتراجع حينما رأى سيفه مسلولاً .

و « بدأ ينتحب ويبكي كما بكى أصحابه وأتباعه في السجن »[1] .

وقبـل أن يُقتـل عاينـه ثلاثة من الأطبـاء تحت رئاسـة الدكتور « كورمك » الإنكليزي ، برفقة طبيبين ايرانيين ، لفحصه حتى إذا كان مختل العقل أو مجنوناً لاينفذ فيه حكم الاعدام ، حسب الدستور الايراني[2] .

و « صباح ذلك اليوم طافوا بالشيرازي واليزدي والزنوزي في شوارع تبريز وطرقها المعروفة ، حيث نقلوا إلى هناك للإعدام » فأغلق الناس دكاكينهم ومتاجرهم واندفعوا إلى الميدان الكبير الذي اختير كساحة للإعدام « واحتشد هناك الرجال والنساء حتى لم يبق محل في الميدان فطلع الناس على سطوح البيوت المطلة على الميدان وجدرانها »[3] .

ولما رأى كاتب وحيه حسين اليزدي هذا المنظر الرهيب أخذه الرعب والخوف وبدأ يمطر الباب سباً ولعناً ، ويتبرأ منه ، ويتنكر للبابية ، ويرجع إلى الاسلام . فأطلق سراحه ، وسيق الشيرازي والزنوزي إلى محل الاعدام ، ووثقا بحبل من القنب المحكم بالعمود الغليظ الذي كان بجانب حجرات الثكنة العسكرية ، فربطوهما به ، وعلقا على ارتفاع من الأرض[4] .

وكان الشيرازي خائفا مرتعداً مرعوباً نادماً قلقاً مذعوراً ، بينما كان صاحبه رابض الجأش باسما غير آبه بما يجري حوله .

---

(١) « نقطة الكاف » ، ص ٢٤٦ . و « الكواكب الدرية » ، ص ٢٤٣ ، فارسي – « البابية » لاحسان الهي ظهير ، ص ٩٢ .

(٢) « دائرة المعارف الأردية » ، ص ٧٩٠ ج ٣ – « دراسات في الديانة البابية » ، لبراون ، ط انكليزي – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٣ .

(٣) « نقطة الكاف » ، ص ٢٤٨ – « الكواكب الدرية » ، ص ٢٣٦ فارسي – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٣ .

(٤) كذلك .

وكان من بين حضور المشهد القنصل الروسي ، ولم يكن يائسا حتى ذلك الوقت ، وكان يرى أن عمله وخطته ستجدي ، وفعلاً كاد أن يظفر وينجح في مقاصده .

فإنه « لما أطلق الجند الرصاص ودوت البنادق في الفضاء واغبرت الساحة بالدخان الكثيف ، رآى الناس بعد انكشاف الدخان قتيلاً واحداً ممزقاً مضرجاً بالدماء ولا أثر للثاني ، أي الباب ، هناك ، حيث أحكمت الرصاصة إلى الحبل الذي كان الشيرازي مشدوداً به ، وقطعت بالتدبير المدبر من قبل ، فتهلل وجه القنصل ورفاقه لما كانوا هيأوا الأسباب لاختطافه من قبل واخفائه في أحد المنازل التابعة للقيصرية . أو انقاذه من الموت على الأقل حسب العرف الرائج « إخلاء سبيل المتهم إذا استطاع أن ينجو من الموت »[1] .

ولكنهم فشلوا في المحاولتين ، حيث لم يستطيعوا الذهاب به إلى المكان المهيأ له من قبل ، كما لم يتمكنوا من منع جره إلى ساحة الاعدام مرة أخرى فقد قبض عليه في مخبئه الذي اختبأ فيه هارباً في ظلام الدخان الكثيف ، في حجرته التي كان مسجونا فيها على رواية البابيين ، أو في المرحاض الذي كان بجانب حجرات الأسرى بحسب رواية المسلمين ، لأن الجنود أحاطوا كل الحجرات والطرق المؤدية الى خارج الساحة ، ومالبثوا برهة يسيرة إلا وقد عثروا عليه واقتادوه الى الساحة مرة ثانية[2] .

وكان البابيون الموجودون هنالك بدأوا يذيعون ويوسوسون للناس : ان الباب رجع الى غيبته ، وارتفع إلى السماء . ولكنهم فشلوا في المحاولات حيث وجدوه عاجلا في احدى الحجرات للثكنة العسكرية[3] .

وأخذ الباب يستعطفهم ويسترحمهم بقوله : أنا ابن رسول الله فلا تظلموني ولاتعدموني ، فاتقوا الله واستحيوا الرسول ولاتقتلوا ابنه ، ولم أذنب مطلقا[4] .

---

(١) « الكواكب الدرية » ، ص ٢٤٨ ، ط فارسي – البابية لظهير ، ص ٩٤

(٢) « دائرة المعارف » للوجدي ، ص ٧ و ٨ ، عن جوبينو – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٤ .

(٣) « دائرة المعارف » ، للبستاني ، ص ٢٧ ، ج ٥ – « نقطة الكاف » ، ص ٢٤٩ – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٤ .

(٤) « نقطة الكاف » ، ص ٢٤٩ – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٥ .

ولكن ما أثرت فيهم صرخاته هذه حيث علقوه بالحبل من جديد ، وتم استبدال الجنود بوحدة عسكرية جديدة ، فما أطلقوا الرصاص إلاّ وقد مزق جسده وسقط ميتاً ،فقد اخترق جسمه بضع وعشرون رصاصة لم تخطيء منها واحدة ، انهار قنصل الروس « واعتلاه الغم والألم وبدأ يبكي أسفاً وحسرة من هول وقع هذه الكارثة »[1] . وربط المأمورون الجثتين بالحبال وجروهما إلى الميدان وألقوهما في خندق خارج المدينة[2]. وتوجه قنصل الروس إلى ذلك الخندق وصوره وبعث بالصور إلى الحكومة الروسية[3] . « وبقيت جثته ونعش الزنوزي في ذلك الخندق ثلاث ليال حتى أكلتهما الطيور الجارحة ولقمتهما الكلاب والسباع »[4] .

ويقول البابي جاني الكاشاني : « ان جسم ذلك الإمام بقي ليلته ويومين في ذلك الميدان ، ودفن بعده هنالك حتى أخرج نعشه ونعش الملا محمد علي بعد مدة وكُفّنا في الحرير الأبيض وأُتي بهما إلى المرزه يحيى الوحيد – الملقب بصبح الأزل – فقبرهما بيده في لحد قد أعد من قبل لهذا الغرض »[5] . ويقول الكاشاني أيضا ان الدولة الايرانية سمحت لوصيه صبح الأزل باخراج الجثة وتكفينها ودفنها »[6] .

بخلاف آواره ، فانه يقول : ان نعشه قد سرق من ذلك الخندق ، ووضع في الصندوق المعد من قبل لهذا الغرض ، ووضع ذلك الصندوق في مصنع أحمد الميلاني التاجر المعروف المشمول بحماية دولة الروس[7] .

ويقول البهائيون أنه في الليلة التالية (من الاعدام) خلّص بعض البابيين جسديهما

(١) « الكواكب الدرية » ، ص ٢٣٨ – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٥ .
(٢) « دائرة المعارف الاسلامية » ، ص ٢٢٨ ج ٣ عربي – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٥ .
(٣) « الكواكب الدرية » ، ص ٢٤٨ – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٥ .
(٤) « دائرة المعارف » ، للبستاني ، ص ٢٧ ج ٥ – « مقالة سائح » ، ص ٥٧ – « مفتاح باب الأبواب » – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٦ .
(٥) « نقطة الكاف » ، ص ٢٥٠ – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٦ .
(٦) عائشة عبد الرحمن ، ص ٤٧ ، نقلا عن « نقطة الكاف » .
(٧) « الكواكب الدرية » ، ص ٢٤٩ ، فارسي – « البابية » ، لظهير ، ص ٩٦ .

في منتصف الليل . وبعد إخفائهما سنوات عديدة[1] في أماكن سرية في ايران ، جيء بهما بصعوبة وتحت الخطر إلى الارض المقدسة ، ودفنا في مقام جميل في موقعه في سفح جبل الكرمل على مقربة من كهف ايليا النبي وعلى بضعة أميال فقط من المكان الذي قضى فيه بهاء الله سنواته الأخيرة والذي دفن فيه[2] . ونقل ذلك الصندوق المرزه عبد الكريم الأصفهاني ، حسب روايتهم ، إلى حيفا بفلسطين « وسمّي أحد أبواب المرقد باسم عبد الكريم اعترافا بفضله في نقل الصندوق الى مقره الأخير »[3] .

أما محمد مهدي الايراني ، فيقول ، في كتابه « مفتاح باب الأبواب » : « ذهب أبوه اليوم الثاني بعد قتله فوجد الكلاب أكلت من الشيرازي احدى رجليه وبعض الجسم »[4] .

وكان عمر الباب يومذاك ٣١ سنة[5] .

يقول البهائي وليم سيرز : « وكما لفظ المسيح آخر أنفاسه على الصليب عسى أن يعود الناس الى بارئهم ، كذلك لفظ الباب أنفاسه الأخيرة وهو معلق على حائط الثكنة في مدينة تبريز بأرض ايران »[6] .

ويقول أيضا : « فحاكم شيراز الذي كان أول من سجن الباب ، قد أطيح به من سلطته ... ورئيس الوزراء الحاج ميرزا آقاسي ، الذي أبعد الباب الى السجن مرتين أقيل من منصبه ... ومحمود خان رئيس بلدية طهران ، الذي سجن الطاهرة وتعاون على قتل بعض البابيين بطهران خنق وعلق على المشنقة . أما ناصر الدين شاه ، الملك الجديد ، الذي أباح قتل الباب فكان ينتظر يوم اغتيال أكثر فظاعة من يوم مقتل أبيه . ورئيس

---

(١) خمسين سنة على قول النبيل في « مطالع الأنوار » ، ص ٥١٩ ، ط انكيزي . و١٧ عاماً على قول البعض « دائرة المعارف للأديان والمذاهب » ص ٣٠١ ، ج ٣ ، ط انكليزي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٩٦ .

(٢) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ،أسلمنت ، ص ٢٢ .

(٣) « مطالع الأنوار » ، ص ٢٠٤ و ٢٠٥ ، ط عربي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٩٦ .

(٤) « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٩٧ .

(٥) « منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد » ، أسلمنت ، ص ٢١

(٦) « دع الشمس تشرق » ، وليم سيرز ، ص ١٧٣ .

الوزراء ميرزا تقي خان الذي أمر باعدام البـاب وحرض على القتل العام للعديد من أتباعه ... فقد سقط من حظوته لدى الملك واتحدت دسائس القصر وأطماعه على إتمام سقـوطه . انتزعت منـه كافة منح الشـرف التي كان ينعـم بها ، واضطر للفرار من العاصمة . وأخيراً أطبقت عليه يد الانتقام ، فقد قطعت أوردته ومازال حائط حمام قصر فين ملطخا بدمه ... لقي قائد الكتيبة التي تطوعت لتحل محل كتيبة سام خان حتفه عندما قصف الانكليز بلدة المحمرة بالقنابل ... أما بقية أفراد الكتيبة ، وعددهم خمسمئة رجل فكان مصـيرهم أكثر اثارة ، فقد أعدموا رميا بالرصاص على يد فرقة الاعدام لاتهامهم بالتمرد »[1] .

ان مثل هذه النتائج إن وقعت بالفعل ، فانما تؤكد وجود التنظيم السري الدولي ، الذي يقف وراء البـابيـين والبهـائيـين . لكن كتاب ولِم سـيرز في مجمله يبدو أشبه بالروايات الخيالية أو قصص الأطفال في جميع مايعرضه من وقائع . فلايمكن اعتباره ذا قيمة تاريخية . أما قيمته الحقيقية فتكمن في أنه يكشف عن نمط التفكير البهائي ، الذي أوضح معالمه عبد البهاء عباس في معرض حديثه عن موازين الادراك[2] .

(١) « دع الشمس تشرق » ، ولِم سيرز ، ص ١٧٥ و ١٧٦ .
(٢) « من مكاتيب عبد البهاء ــ ١ » ص ٨٣ ــ « من مفاوضات عبد البهاء » ، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٤ ــ تراجع صفحة (٨٤) من هذا الجزء .

الفصل الثاني عشر

محاولة اغتيال شاه ايران

بعد إعدام الباب « تألفت جمعية سرية منهم (من البابيين) في طهران تحت رئاسة سليمان خان ابن يحيى خان التبريزي ، أحد رجال التشريفات للملك ... وقررت وجوب قتل الشاه أخذاً بثأر الباب والبابية ، وعينوا الزمان والمكان وكيفية القتل ، وأناطوا تنفيذ هذا القرار برجلين منهم على حسب الاقتراع ، الأول اسمه محمد صادق التبريزي ، والثاني فتح الله حكاك القمّي وكانا يكسبان عيشهما في طهران »[1] .

وكان الشاه يرتاض في ذلك الوقت عند سفح جبل شميران ، ويُكثر التردد والاختلاف إلى قصره الخاص في نياوران الذي يبعد عن طهران نحو ١٢ ميلا ، فأخذ هذان الرجلان يتربصان وينتهزان الفرص حتى إذا خرج الشاه إلى القنص في صباح اليوم الثامن والعشرين من شوال ١٢٦٨ هجري (١٥ آب ١٨٥٢ م) كانا ينتظرانه على قارعة الطريق فتقدما منه وصرخا « الظليمة الظليمة : والغوث الغوث » ، وكانت بيد أحدهما عريضة فلمّا مد الشاه يده لاستلامها عاجله الثاني بطلق ناري أهاج الحاشية ، فتقدم رئيس السُواس محمد مهدي التبريزي وعاجل أحد المعتدين بضربة سيف قتلته في الحال . أما الثاني فجرح ، وعلى إثر ذلك تراكض الجنود والحراس وأخذوا الجريح ، وبعد أن استدلوا منه على زعماء الجمعية قضوا عليه . وكان من حسن الصدف أن محمد صادق التبريزي كان قد حشى مسدسه « رشّاً بدلاً من الرصاص فلم يُصب الشاه بأذى بليغ ولو أنه أصيب من الرش »[2] .

---

(١) « مفتاح باب الأبواب » ، للدكتور مرزا محمد مهدي ، ص ٢٧٠ ـ « البابيون والبهائيون » ، لعبد الرزاق الحسني ، ص ٣٢ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ١٢٩ .

(٢) « بهاء الله والعصر الجديد » ، ص ٣٢ ـ « البابيون والبهائيون » ، للحسني ، ص ٣٢ و ٣٣ .

ولما وصل الخبر إلى طهران شاع بين الناس أن الشاه قتل ، وأن البابية قتلته ، فهاجت العاصمة وماجت ، وأغلقت الحوانيت والأسواق ، وجنح الناس إلى السلاح يريدون الفتك بأصحاب الباب ، فتراءى للصدر الأعظم بأن لابد من ركوب الشاه ومروره من الشوارع الرئيسية لتسكين الهياج . وهكذا جيء به محمولاً على نقالة اسعاف ، ثم أُركب حصاناً اخترق الجموع المتراصة ثم أُدخل القصر لتضميد جروحه فهدأت المدينة وعاد الناس إلى أعمالهم .

على أن الأهلين لم يطمئنوا إلى الاجراءات التي نوت الحكومة اتخاذها فعقدوا مجلساً عاماً حضره ممثلون عن مختلف الصنوف وقرروا إبادة البابيين عن بكرة أبيهم . وكانوا قد استدلوا عليهم بدفتر كان في بيت سليمان خان التبريزي رئيس الجمعية التي كانت تألفت للأخذ بثأر الباب ، وأيدت الحكومة هذا الاجراء ، فصدر الأمر بالقبض عليهم والقائهم في غيابة الجب ، حتى إذا اكتمل عددهم « قسموهم على طبقات أصناف الملة من الأمراء والوزراء والعلماء والتجار والعسكرية وأرباب الحرف والصنائع فأخذ كل منهم حصته من البابية وشهروهم بالمدينة بعد أن أذاقوهم أنواع الاهانات ، وساموهم سوء العذاب ثم أفنوهم عن بكرة أبيهم ، وهكذا كان حالهم في سائر البلدان الايرانية ... وقتل في هذه الحادثة من البابيين نحو أربعمئة نفس وعشرات من غير البابية اتهموا من أخصامهم بالبابية[1] .

وممن قُتل في هذه الحادثة رزين تاج قرّة العين[2] .

---

(١) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ٢٧٣ ـ « البابيون والبهائيون » ، عبد الرزاق الحسيني ، ص ٣٣ .

(٢) « قراءة في وثائق البهائية » ، د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٥٦ .

الفصل الثالث عشر

الوصاية والخلافة عن الباب

- جمع الباب الشيرازي قبيل إعدامه مكتوباته وخاتمه ولباسه ومقلمته ومخلفاته في جعبة وأرسلها مع مفتاحها من سجنه في قلعة تبريز إلى يحي صبح أزل ، وأمره أن يتم البيان بكتابة الأوحاد الثمانية التي تركها لخليفته ، ونص على أنه لايكملها إلاّ وصيُّه ووليُّه ، كما نص على خلافته في ورقة الوصية التي ختمها بختمه وأرسلها إليه أيضا بتوقيعه وقال فيها :

« الله أكبر تكبيرا كبيرا .

- « هذا كتاب من عند الله المهيمن القيوم إلى الله المهيمن القيوم ، قل كل من الله مبدؤن ، قل كل إلى الله يعودون ، هذا كتاب من علي قبل نبيل[1] . ذكر الله للعالمين إلى من يعدل اسمه اسم الوحيد[2] . ذكر الله للعالمين قل كل من نقطة البيان ليبدؤن[3] أن يا اسم الوحيد فاحفظ مانزل في البيان وأمر به فانك لسراط حق عظيم »[4] .

وأنكر البهائيون ذلك ، حيث قالوا : إن الباب لما علم أنه سيعدم أرسل هذه الأشياء كلها بيد الملا باقر ليسلمها إلى عبد الكريم القزويني حيث يوصلها هو بدوره إلى

(١) يقصد بعلي قبل نبيل اسمه هو علي محمد ، باعتبار « نبيل » تطابق من حيث القيمة العددية « محمد » في حساب الجُمّل .

(٢) يعني به « يحي » ، لأن عدد « الوحيد » يطابق عدده في حساب الجُمّل .

(٣) نقطة البيان من ألقاب « الباب » .

(٤) « نقطة الكاف » ، للكاشاني ، ص ٢٤٤ ـ « مقدمة نقطة الكاف » ، لبروفسور براون ، ص « لد ، له » ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٠ ـ « قراءة في وثائق البهائية » ، د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٦٠ .

المرزه حسين علي الملقب من قبل الباب بالبهاء[1] .

والجدير بالذكر أنه لايوجد في كتابٍ ما أن الشيرازي « الباب » هو الذي لقب المازندراني بالبهاء بل إن البهائيين أنفسهم هم الذين ادعوا ذلك[2] .

فالواضح أن الأخوين تنازعا الوصاية ، مع أن الثابت ، وفق قول براون والمؤرخ البابي جاني الكاشاني المقتول ببابيته في طهران سنة ١٢٦٨ هجرية أن وصي الباب الشيرازي وخليفته بنصه لم يكن إلاَّ المرزه يحيى صبح الأزل[3] .

ولما لم يجد البهائيون مخلصا من تلك الوصية الثابتة الموجودة المذكورة عندهم أوّلوها ، حيث قالوا :

« نهض لفيف من كبار الأصحاب الذين وقفوا على أن مصير حضرة الباب إلى الشهادة ، وخشوا على حياة حضرة بهاء الله ، فكتبوا عريضة رفعوها إلى حضرة الباب ، وهو اذ ذاك في سجن ماه كو ، يتقدمون إليه فيها بأن يتخذ التدابير اللازمة لتحويل الأنظار عن بهاء الله حتى تصان حياته ولكن حضرته لم يجبهم على ذلك الغرض بالفعل إلاَّ في أواخر أيامه بماكو وجهريق ، ففي تلك الأيام الأخيرة بدت آثار تلك العريضة إذ وضعها حضرة الباب في حيز الأمل وكانت الخطة التي رسمها لحفظ بهاء الله هي أن لقّب المرزه يحيى — الأخ غير الشقيق لبهاء الله — بألقاب الأزل والوحيد والمرآة ، ونعته بتلك النعوت والسمات ، ثم أمر بعض الأصحاب بأن يشهروا اسمه بين عامة الصحب لتتحول الأنظار نوعا اليه ، بيد أنه مع هذا لم يهمل مايجب ويلزم من التحفظ لكي لايتمكن مرزه يحيى هذا من الادعاء لمقام الأصالة ، وذلك أنه لم يعطه ألقاباً صريحة من مثل الشمسية والمظهرية والمختارية ، بل أعاره ألقاباً ذات معنيين متباينين ، ككلمة وحيد ، فإنها تفيد معنيين : الوحيد في الايمان والوحيد في الطغيان[4] .

---

(١) « مقالة سائح » ، ص ٣٦ ، لعبد البهاء عباس — « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦١ .

(٢) « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٢٦١ .

(٣) كذلك .

(٤) « الكواكب الدرية » ، ص ٤٠٨ ، ط عربي — « البابية » لظهير ، ص ٢٦١ — « البابيون والبهائيون » ، لعبد الرزاق الحسني ، ص ٣٦ .

وأيضا : « الخلافة المصطنعة إشارة إلى إقدام يحيى الأزل والسيد محمد الأصفهاني اللذين سعيا بطرق مختلفة لنشر الدعاية بين أهل البيان في أوائل أيام دعوة بهاء الله بأن المرزه يحيى هو وصي وخليفة النقطة الأولى (الباب) وأنه هو المقصود بمن يظهره الله في سنة المستغاث . إن ادعاء المرزه يحيى بأنه وصي حضرة النقطة مختلق ومزور ، فضلا عن مخالفته الصريحة لأمر الله الصريح في البيان الفارسي إذ أن حضرة الأعلى (الباب) قد طوى في بيانه هذا بساط النيابة والوصاية من بعده ، وبشر الجميع بظهور من يظهره الله ، كما جاء في الباب الرابع عشر من الواحد السادس ، وهو قوله : وبما أنه ليس في هذا الكور وجود للنبي والوصي فسيعرف الأصحاب بالمؤمنين فقط . وقال أبو الفضل في إحدى رسائله : ومع أن النقطة الأولى عز اسمه الأعلى نص في غاية الصراحة في الباب الرابع عشر من الواحد السادس من كتاب البيان الفارسي المستطاب بأن وجود النبي والوصي لن يكون في هذا الكور بل سيُعرف الأتباع كافة باسم المؤمنين ، فان أهل البيان (يقصد البابيين) لم يستحوا ــ مع هذا التصريح الصريح ــ من إطلاق اسم الوصي على المرزه يحيى وروجوا وأشاعوا ماصرح به المستشرق المستر براون في مقدمته على كتاب نقطة الكاف وفي مجلة « أشياتيك سوسايتي ماكزين » من أن صبح أزل وصي الباب وخليفته .. ان المستشرق المذكور براون قد صرح في مقدمته على كتاب نقطة الكاف « بوصاية المرزه يحيى نور ، ونشر صورة فوتوغرافية لكتاب الوصاية المحرر بخط يحيى نفسه وهذا نصه (النص المذكور آنفا ذاته) .. وقد كتب المرزه يحيى تحت صورة هذه الوصية مانصه : صورة توقيع الباب خطابا الى صبح أزل في التنصيص على وصايته والمتن بخط صبح أزل الذي نسخه عن أصل توقيع الباب وأرسله إلى مصحح الكتاب .. أما الأمر الذي هو في منتهى الغرابة في هذا المقام ، فهو لماذا لم يظهر المرزه يحيى نور أصل التوقيع للمستشرق براون يوم زاره في قبرص مع أنه كان يتردد عليه في كل يوم من ثلاث إلى أربع ساعات ويخرج من عنده بمستودع من المعلومات وانما اكتفى بنسخ التوقيع بخط يده وقدمه إليه »[1] .

يقول البهائي وليم سيرز أنه حين أرسل رئيس وزراء ايران ميرزا تقي خان أمراً إلى

---

(١) « الرحيق المختوم » ، لعبد الحميد اشراق خاوري ، ص ٤٤٦ ، ج ١ ، ط فارسي ــ « البابيون والبهائيون » ، للحسني ، ص ٣٦ و ٣٧ .

جهريق باحضار الباب من سجنه إلى تبريز تمهيداً لإعدامه :

« جمع الباب جميع مافي حوزته من وثائق وآثار مكتوبة ، قبل وصول الضابط (الذي كان يحمل أمر انتقال الباب إلى تبريز) وجنوده إلى جهريق بأربعين يوما ، ووضعها مع مقلمته وأختامه وخواتمه في صندوق خاص عهد به إلى الملا باقر أحد تلاميذه . كتب الباب أيضا خطاباً عنونه إلى الميرزا أحمد الذي عمل كاتباً للوحي باخلاص مدة طويلة . وضع الباب مفتاح الصندوق داخل هذا الخطاب وأمرالملا باقر بأن يحافظ على الصندوق والخطاب بكل عناية . وأكد له على قدسية الصندوق وطلب منه أن يكتم أمر محتوياته عن أي شخص سوى الميرزا أحمد .

« وجد الملا باقر الميرزا أحمد في قم حيث سلمه الخطاب والصندوق . قرأ الميرزا أحمد الخطاب وتأثر تأثراً عميقاً . وقال لأصحابه أن عليه التوجه إلى طهران فوراً لتسليم الأمانة . خشي الجميع من قرب انتهاء حياة الباب الأرضية ، ورغبوا بلهفة في معرفة محتويات الصندوق القيمة . وألحوا على الميرزا أحمد الحاحاً شديداً وتوسلوا اليه حتى وافق أخيراً على الكشف ليلا على محتويات الصندوق . كان نبيل المؤرخ موجوداً في قم حين وصل إليها الملا باقر وشاهد نبيل بنفسه فتح ذلك الصندوق الجميل ، وقال : « تعجبنا كثيراً عندما شاهدنا من جملة محتويات الصندوق لفافة من الورق الأزرق من ألطف الأنواع ، دبّج عليها الباب بخطه البديع على شكل مخمس نحواً من خمسمئة آية كلها من مشتقات كلمة بهاء »...

« استمر النبيل في سرد روايته قائلا : « لقد أخذنا الاعجاب ونحن نتأمل هذا المخطوط النادر الذي يعجز حسب اعتقادنا أن ينافسه أي خط . أعيدت هذه اللفافة إلى الصندوق وسلم إلى ميرزا أحمد الذي توجه إلى طهران في نفس اليوم الذي وصله الصندوق . وقبل رحيله أخبرنا بأن كل مايمكن أن يبوح به عن ذلك الخطاب هو أنه مأمور بايصال الأمانة إلى يد « بهاء الله » في طهران » ...

« وفي هذه الأيام دوّن الباب بخط يده على لفافة خاصة آخر آيات حبه واحترامه العظيمين لبهاء الله ، ولم يكن ذلك اشارة غامضة أو تلميح خفي ...

« وعندما كان الباب في طريقه إلى طهران لمقابلة الملك ، أعطى رئيس الوزراء

أوامره باعادته والذهاب به إلى الحبس في ماه كو ... وفي تلك الساعة ساعة خيبة الأمل الشديدة ، تسلم الباب ، وهو في قرية كلين رسالة جاءت من بهاء الله ..

« كتب المؤرخ نبيل عن هذه الحادثة قائلا : « كلّف بهاء الله الملا محمد بتسليم رسالة مختومة مع بعض الهدايا إلى الباب . وما أن تسلمها الباب بيده حتى أثارت في روحه أحاسيس من البهجة غير عادية ، فأشرق وجهه فرحا وأغدق على الرسول عبارات شكره وامتنانه » ...

« يقول النبيل : « وبعد ذلك بقليل وصل رد الباب مدبجا بخط يده »

« أعطى الباب نفراً من تلاميذه وعوداً محددة ، بأنهم سوف يلاقون الموعود الذي بشّر بمجيئه . وأعدّ بعضا منهم بكل عناية لذلك اللقاء . تسلم الملا باقر أحد حروف الحي خطاباً من الباب ، تنبأ له فيه بلقاء الموعود وجها لوجه . وبشّر سياح بالوعد نفسه ، كما كتب الباب إلى عظيم لوحاً خاصاً يمنحه هذا اللقب ، وتنبأ فيه بقرب مجيء هذا الموعود الذي كان ينتظره الجميع . وقد تحققت جميع وعوده »[1] .

لم يظهر البهائيون وثائقهم هذه لأحد . وقد رد عبد البهاء عباس ، ابن بهاء الله وخليفته ، على من سأله عنها ، بقوله :

« وأما ما سألت عن جنة الأسماء إنها لهي الهيكل المرقوم بالخط الأبهى أثر القلم الأعلى ، النقطة الأولى[2] ، روحي له الفداء ، على ورقة زرقاء ، وفي الهيكل اشتقاق شتى من كلمة البهاء ، وهذا الهيكل الكريم قد سرقه يحيى الأثيم ومعه ألواح شتى بأثر النقطة الأولى روحي له الفداء ، ظنا منه أنه يجديه نفعاً ، كلا إن هذا العمل حسرة له في الآخرة والأولى ، ولكن سواد ذلك الهيكل موجود عند الأحباء حتى نسخة منه بخط يحيى ، وبعث هذه النسخة مع جملة كتب من ألواح ربك إلى الهند أمانة ، ولكن مركز النقض[3] ألقى في قلب الأمين أن يستولي عليها ولايؤدي الأمانات إلى أهلها ، هذا شأنهم في الحياة الدنيا ، وبئس التابع والمتبوع ، وياحسرة على الذين اتبعوا من الذين

---

(١) « دع الشمس تشرق » ، وليم سيرز ، ص ١٣٩ — ١٤٥ .

(٢) القلم الأعلى والنقطة الأولى من ألقاب الباب .

(٣) يقصد يحيى صبح الأزل .

اتبعوا في هذه الخيانة العظمى ، فسوف يظهر الله بقوة من عنده أن الخائنين لفي خسران مبين »[1] .

وهكذا يستغني البهائيون ، بمثل هذه الادعاءات ، عن تقديم أي دليل لإثبات أقوالهم . وإذ يُحِسُّ وليم سيرز بضرورة الدليل الحسي ، فإنه يقدم الدليل الآتي ، الأكثر خواء :

« وهناك دليل آخر على الوحدة الفريدة التي تربط رسالة الباب برسالة بهاء الله . فطبقا للتقويم الشمسي المتبع في الغرب ، ولد الباب في العشرين من أكتوبر عام ١٨١٩ م ، وولد بهاء الله في الثاني عشر من نوفمبر عام ١٨١٧ ميلادي أما حسب التقويم القمري المتبع في الشرق (في ايران بلد مولدهما) . فإن الباب ولد في اليوم الأول من شهر محرم (عام ١٢٣٥ هجري) وولد بهاء الله في اليوم الثاني من محرم (عام ١٢٣٣ هجري) ويحتفل بهذين اليومين المقدسين كعيد واحد عظيم حافل بالسرور والفرح »[2] .

ويقول الكونت جوبينو ، الذي كان وزيراً مفوضاً في طهران من قبل الحكومة الفرنسية من سنة ١٢٧١ هجرية إلى سنة ١٢٧٤ ، في كتابه « المذاهب والفلاسفة في آسيا الوسطى » : ان البابيين لم يتوقفوا إلا قليلا بعد إعدام الباب الشيرازي حتى علم الجميع أن خليفته هو الشاب الحديث السن المرزه يحي بن المرزه بزرك النوري ... وكان ملقباً بحضرة الأزل ، فاختاروه خليفة واتفق على خلافته البابيون[3] .

وقد اتفق أغلب المؤرخين على أن الباب أوصى بالخلافة ليحيي[4] .

---

(١) « من مكاتيب عبد البهاء – ١ – » ، ص ٦٧ .

(٢) « دع الشمس تشرق » لوليم سيرز ، ص ١٤٣ .

(٣) ص ٢٧٧ – « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٢٦٣ .

(٤) « دائرة المعارف للمذاهب والأديان » ، ص ٣٠١ ، ج ٢ – « دائرة المعارف الاسلامية » ، ص ٢٥٣ ، ج ٣ – « دائرة المعارف » ، للبستاني ، ص ٢٧ ، ج ٥ – « دائرة المعارف » ، للوجدي ، ص ٨ ، ج ٣ – « تاريخ الشعوب الاسلامية » ، لبروكلمان ، ص ٦٦٨ ، ج ٣ – « دائرة المعارف الأردية » ، ص ٨٣٠ ، ج ٣ – « دائرة المعارف البريطانية » ، ص ٩٤٧ ، ج ٢ – « مقدمة نقطة الكاف » ص « لط » – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٤ .

وبعد إعدام الباب بدأ المرزه يحيى يتنقل من قرية الى قرية « من قريته نور وشميران حوالي طهران يبشر بتعاليم الشيرازي خفية »[١]. إلى أن هرب في زي الدراويش من ايران إلى بغداد ، بعد محاولة اغتيال الشاه الفاشلة من البابيين ، وفي يده كشكول السائلين والعصا متنكراً سنة ١٢٦٨ هجرية[٢]. وأعلنت الحكومة الايرانية عن دفع ألف تومان لمن يساعد في أسره أو يدل على وجوده[٣].

ولحقه البابيون الآخرون هاربين من ايران ، ومنهم المرزه حسين علي المازندراني (بهاء الله) أخوه « وولاّه المرزه يحيى وكالته وتنظيم البابيين ورعاية مصالحهم »[٤].

« وكان المرزه حسين علي يراسل عنه ويكاتب الناس ويخاطبهم ، والناس يخاطبونه ويكاتبونه بصفته وكيلاً عن أخيه يحيى »[٥].

وكان المرزه حسين علي (بهاء الله) نفسه يمدح المرزه يحيى ، وكان يبالغ في ذكر أوصافه الحسنة وخصاله الطيبة . فقد ذكر المرزه جاني الكاشاني عنه : « ان والدته (أي والدة بهاء الله) لم تكن تبالي بابن ضرتها المرزه يحيى ، حتى لقيها رسول الله ﷺ وصاحب الولاية (علي) في المنام ، وقبّلا أمامها المرزه يحيى وأمراها أن تحافظ على ذلك الولد حتى يصل إلى القائم ، وقالا : ان هذا ولدنا . ثم قال حسين علي : وما كنت أعرف وأنا أربي هذا الطفل (يقصد يحيى الذي هو أصغر من حسين علي بثلاثة عشر عاما) أن يكون صاحب هذه المرتبة الرفيعة مع ماكنت أعرف منه الأدب والحياء والأخلاق ، واجتنابه مخالطة الأطفال وأفعال الصبيان »[٦].

ثم وقع النزاع بين حسين علي وأخيه ، وهما في بغداد ، وأيضا بدأت المناوشات بينهم جميعا من جهة وبين المسلمين من جهة أخرى .

---

(١) « مقالة سائح » على الهامش ، ص ٣٨٤ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧ .

(٢) « مقدمة التاريخ الجديد » ، ص ك ، انكليزي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧ .

(٣) « مقدمة نقطة الكاف » ص « لط » ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧

(٤) « دائرة المعارف للمذاهب والأديان » ، ص ٣٠١ ، ج ٢ ، ط انكليزي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧ .

(٥) « مفتاح باب الأبواب » ، ص ٣٣٦ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧

(٦) « نقطة الكاف » ، ص ٢٣٩ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٤ .

فطلب علماء كربلاء والنجف من الحكومة نقلهم من بغداد ، كما طلب قنصل ايران المرزه زمان خان وقبله المرزه بزرك خان بوساطة المرزه حسين خان مشير الدولة سفير ايران لدى الباب العالي نقلهم من بغداد لقربها من ايران[1] .

فنقلتهم الحكومة العثمانية الى استانبول ، ومن استانبول الى أدرنه ، سنة ١٢٨٠ هجرية ، بمن فيهم المرزه يحيى والمرزه حسين علي .

وفي أدرنه أعلن حسين علي جهرا بأنه هو وريث الباب الشيرازي ، وأنه هو المقصود بعبارة « من يظهره الله » التي وردت في كتابات الباب أو على لسانه ، فحصل الخلاف الشديد بين البابيين ، وهناك افترقوا فرقتين ، فرقة لازمت المرزه يحيى صبح الأزل ، وسميت بالأزلية ، وكان فيها كبار البابيين وبقية حروف الحي مثل الملا محمد جعفر التراقي ، والملا رجب علي القاهر ، والسيد محمد الأصفهاني والسيد جواد الكربلائي ، والمرزه أحمد الكاتب ، ومتولي باشي القمي ، وغيرهم .

وتبع الآخرون المرزه حسين علي الملقب ببهاء الله ، وسميت فرقته بالبهائية .

ويقول أبو الفضل الجرفادقاني ، وهو أحد زعماء البهائية وكبار فلاسفتها ، أنه لما قتل الباب اشتهر من بعض رؤساء البهائية « دعاوى مختلفة من قبيل النبوة والوصاية والولاية والمرآتية وأمثالها فاختلفت آراؤهم وتشتتت أهواؤهم وسقط كثير منهم في الضلالات وانهمك بعضهم في المنكرات والموبقات »[2] .

وبعد قتل الباب ادعى كثير من البابيين أنهم « من يُظهره الله » مثل المرزه أسد الله التبريزي الملقب بالديان ، والمرزه عبد الله الغوغاء ، وحسين الميلاني المعروف بحسين جان ، وسيد حسين الهندياني ، والمرزه محمد الزرندي الملقب بالنبيل ، حتى قال الشيخ الكرماني البابي في كتابه « هشت بهشت » ، (أي الجنان الثمانية) : « وصل الأمر إلى حد أن كل من كان يقوم من النوم صباحاً كان يزين جسده بلباس هذا الادعاء أي أنه

(١) « مقالة سائح » ، ص ٨٧ ومابعد ، ومجلة وحيد ، ص ٦٥ ، ومابعد ، رقم العدد ٨٦ — « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧ .

(٢) « مختارات من مؤلفات أبي الفضائل » ، ص ٣٢٠ — « عبد البهاء والبهائية » ، لسليم قبعين ، ص ١١ .

من يظهره الله »[1] .

ويقول البهائي عزيز الله سليماني أردكاني ، في كتابه « نبذة عن الدين البهائي » (ص ١١) :

« لقد عرّف حضرة الباب نفسه بأنه موعود الإسلام ، أي أنه ، وفقا لمعتقدات أمة الشيعة ، القائم المنتظر ، وبتعبير أهل السنة هو المهدي المنتظر ، وقد أتى بشرع جديد وأبلغ أتباعه في جميع كتاباته ضرورة انتظار ظهور أعظم من ظهوره باسم « من يظهره الله » و « بقية الله » ووجوب الايمان به واتباعه والإسراع بقبوله بمجرد إظهار الأمر وإنزال الآيات ولهذا لم يعين حضرته خلفا لنفسه بل صرح بأنه في دور البيان ، وعنى بذلك دور شريعته ، لايطلق اسم الوصي أو النبي على أحد بل يسمون جميعا بالمؤمنين » .

وإن الواضح من سَير الأحداث أنه لو لم يجر إعدام الباب لما احتيج إلى يحيى أو إلى بهاء الله كخليفة له ليتابع المسيرة التي انقطعت قبل الأوان المحدد لها . لذلك يكون من المرجح أن إشارة الباب إلى من يظهره الله إنما تقصد شخصا آخر غير معين سيظهر أو سيجري اختياره حينما يكتمل المخطط ويبلغ غايته من القضاء على الأديان والقوميات والمقومات الأخرى للأمم والشعوب فيكون مِلك العالم .

(١) « هشت بهشت » ، للكرماني ، نقلا عن « مقدمة نقطة الكاف » لبراون ، وترجمة « مقالة سياح » ص ٣٥٧ و ٣٥٨ ـ « البهائية » ، لظهير ، ص ٢٩٠ .

الفصل الرابع عشر

انشقاق البابية وفرقهـــا

١ ـ الأزليـــة :

اتضح أن النزاع وقع بين حسين علي (الذي سمى نفسه بهاء الله) وأخيه (الذي سماه الباب صبح الأزل) ، وهما في بغداد ، كما بدأت المناوشات بينهم جميعا من جهة وبين المسلمين من جهة أخرى .

فطلب علماء كربلاء والنجف من الحكومة نقلهم من بغداد ، كما طلب قنصل ايران المرزه زمان خان وقبله المرزه بزرك خان بوساطة المرزه حسين خان مشير الدولة سفير ايران لدى الباب العالي نقلهم من بغداد لقربها من ايران[1] .

فنقلتهم الحكومة العثمانية إلى استانبول ، ومن استانبول إلى أدرنه ، سنة ١٢٨٠ هجرية ، بمن فيهم المرزه يحيى والمرزه حسين علي .

وفي أدرنه أعلن حسين علي جهراً بأنه هو وريث الباب الشيرازي ، وأنه هو المقصود بعبارة « من يظهره الله » التي وردت في كتابات الباب أو على لسانه ، فحصل الخلاف الشديد بين البابيين ، وهناك افترقوا فرقتين ، فرقة لازمت المرزه يحيى صبح الأزل ، وسميت بالأزلية ، وكان فيها كبار البابيين وبقية حروف الحي مثل الملا محمد جعفر النراقي ، والملا رجب علي القاهر ، والسيد محمد الأصفهاني والسيد جواد الكربلائي ، والمرزه أحمد الكاتب ، ومتولي باشي القمّي ، وغيرهم .

---

(١) « مقـالة ســائح » ، ص ٨٧ ومـابعد ، ومجلة وحيد ، ص ٦٥ ، ومابعد ، رقم العدد ٨٦ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٧ .

وتبع الآخرون المرزه حسين علي الملقب ببهاء الله ، وسميت فرقته بالبهائية .

فجرت المناقشات بين الطرفين حتى امتدت إلى القتل والقتال ، فأجلتهم الحكومة العثمانية من أدرنه سنة ١٢٨٥ هجرية .

« فأجلي صبح الأزل مع عائلته وأتباعه الى فماغوستا بجزيرة قبرص التي كانت تحت حكم العثمانيين آنذاك ، ونفي حسين علي البهاء مع أتباعه وأهله إلى عكا بفلسطين »[١] .

وفي قبرص خصصت الحكومة البريطانية ليحيي صبح الأزل راتباً معيناً[٢] .

وكان كل واحد من يحيي وحسين علي يريد قتل الآخر[٣] . وقتل بعض الأزليين بأمر من حسين علي .

يقول كامل عباس سكرتير المحفل البهائي في بغداد أنه لم يكن لبهاء الله يد ولا إرادة في قتل الأزليين وإنما فعل ذلك بعض أتباعه ممن ساءهم جداً أفعال أولئك الرقباء . ويضيف إلى ذلك قوله : ان بهاء الله مكث في التوقيف لاستنطاقه عن جريمة قتل الأزليين سبعين ساعة فقط أعلنت فيها براءته وأطلق سراحه وسراح نجله العباس بينما حبس ٢٥ من تابعيه وكبلوا بالسلاسل وسجنوا لمدة أشهر عدا القاتلين الذين طال سجنهم لسنوات عديدة[٤] .

وكانت الحكومة العثمانية تعطي المرزه يحيي راتباً ١١٩٣ بياس شهريا إلى أن مات في التاسع والعشرين من أبريل سنة ١٩١٢ م صباحا في منفاه بمدينة فماغوستا من جزيرة قبرص ، ووصى لإبنه المرزه محمد هادي بأن يكون خليفته ووصيه من بعده[٥] . بعد ما

---

(١) « مقدمة نقطة الكاف » ، ص مب ـ « الكواكب الدرية » ، ص ٣٨٢ ، فارسي ـ « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٢٦٨ .

(٢) « تاريخ الشعوب الاسلامية » ، لبروكلمان ، ص ٦٦٨ .

(٣) « الدراسات في الديانة البابية » ، ص ٢٢ ، ط انكليزي ـ « مقالة سائح » ، ص ٣٥٩ ، ط انكليزي ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٨ .

(٤) « البابيون والبهائيون » ، لعبد الرزاق الحسني ، ص ٧٨ .

(٥) « دائرة المعارف الأردية » ، ص ٨٣٣ ، ج ٣ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٩ .

عمّر ٨٢ سنة تقريبا قضى أكثر من نصفها في منفاه[١] .

وألّف يحيى كتباً عديدة منها « تكملة البيان الفارسي » – حسب وصية الباب الشيرازي – و « المستيقظ » و « آثار الأزلية » و « أحكام البيان » و « ألواح أزل » و « رياض المهتدين » و « صحائف الأزل » و « كتاب النور » و « مرآة البيان » و « كتاب الهياكل » . وأشهرها « المستيقظ » ، الذي يظنون فيه أنه ناسخ للبيان ، كما كان البيان ناسخاً للقرآن حسب اعتقادهم .

يقول المستشرق المجري جولد تسيهر : « وقد التفّت الأقلية حول صبح أزل الذي اتخذ مركزه بمدينة فاماغوستا بجزيرة قبرص ، وكان يرغب في إبقاء البابية على الصورة التي تركها عليها مؤسسها ؛ فأتباعه هم إذاً ، البابيون المحافظون »[٢] .

والأزليون تفرقوا بعد موت يحيى ، ولبعد الدار انقطعت الروابط بينه وبين البابيين حتى أن ابنه الكبير تنصّر ومات بقيتهم في الفقر والافلاس[٣] .

ويذكر جولد تسيهر أنه وجد صورة لصبح الأزل في كتاب براون : التاريخ الجديد للباب (كمبردج سنة ١٨٩٣)[٤] .

ومن بين الأوصاف والنعوت التي أطلقها البهائيون على يحيى :

« إن الشمس إذا غابت تتحرك طيور الليل وترتفع رايات السامري[٥] : ... وفي هذه الدورة يطلق هذا اللقب على مظاهر النقض ، وخاصة على يحيى أزل الذي كان مِحْوَرَ النقض في دورة حضرة بهاء الله »[٦] .

« أخبرناهم بالعجل[٧] : اشارة إلى عجل السامري الذي به ضل قوم موسى ...

---

(١) « قراءة في وثائق البهائية » ، د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٧٥ .
(٢) « العقيدة والشريعة » ، ص ٢٤٤ .
(٣) « دائرة المعارف الأردية » ، ص ٨٣٣ ج ٣ – « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٩ .
(٤) « العقيدة والشريعة » ، ص ٣٦٣ .
(٥) من أقوال بهاء الله في سورة الوفا .
(٦) « الموجز في شرح المصطلحات » ، ص ٣٢ .
(٧) من أقوال بهاء الله كذلك .

وقد استعمل هذا اللقب ، أي العجل ، للدلالة على الناقضين وخاصة رؤسائهم أمثال يحيى أزل »[1] .

ويقول بهاء الله بحق أخيه صبح أزل ، في أواخر « الأقدس » :

« قل يامطلع الإعراض دع الإغماض ثم انطق بالحق بين الخلق ، تالله لقد جرت دموعي على خدودي بما أراك مقبلا إلى هواك ومُعرضاً عمّن خلقك وسوّاك ، اذكر فضل مولاك إذ ربيناك في الليالي والأيام لخدمة الأمر ، اتق الله وكن من التائبين . هبني اشتبه على الناس أمرك ، هل يشتبه على نفسك ؟ خف الله ثم اذكر إذ كنت قائماً لدى العرش وكتبت ما ألقيناك من آيات الله المهيمن المقتدر القدير . إياك أن تمنعك الحمية عن شطر الأحدية ، توجه اليه ولاتخف من أعمالك إنه يغفر من يشاء بفضل من عنده لا إله إلا هو الغفور الكريم . إنما ننصحك لوجه الله إن أقبلت فلنفسك وإن أعرضت إن ربك غني عنك وعن الذين اتبعوك بوهم مبين »[2] .

ومن أقوال يحيى صبح الأزل في حق أخيه بهاء الله : « لاتتخذوا العجل من بعدنا وأنتم تعلمون . إن الذين يتخذون العجل من بعد نور الله أولئك هم المشركون »[3] .

٢ ـ البهائيـــة :

وسيأتي بحثها في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

٣ ـ أسد الله التبريزي الملقب بالديان :

كان أحد الذين ادعوا خلافة البـاب « أسـد الله التـبريزي ، الملقب بالديان » و « هو الذي أرسله الشيرازي إلى المرزه يحيى ونصّبه على منصب كاتب وحيه (أي وحي صبح الأزل) وكان عارفاً باللغة العبرية والسريانية »[4] .

ولما رأى جهل صبح الأزل وعدم معرفته بالعلوم ومسايرة الأمور وعجزه عن إدراك الحقائق ، آثر أن يدعو لنفسـه . فادعى وهو في بغداد بأنه هو الذي تنبأ الشيرازي

(١) « الموجز في شرح المصطلحات » ، ص ٣٣ .
(٢) « قراءة في وثائق البهائية » ، د . عائشة عبد الرحمن ، ص ٧٢ .
(٣) « معجم الفرق الاسلامية » ، شريف يحيى الأمين ، ص ٢٨ .
(٤) « مقدمة نقطة الكاف » ، ص « م » ، لإدوارد براون ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٦٩ .

بظهوره : « إن من يظهره الله سيظهر قريباً » ، فقال : أنا هو . « فناظره المرزه حسين علي البهاء وجادل ، وطلب منه أن يرجع عن دعواه ، ولكنه لم يرجع ولم يرض ، فقتله البابيون وأغرقوه في شط العرب بعد أن وثق برجليه الحجر الثقيل »[1] .

وكان أتباعه يسمون : « الأسديون » .

٤ ـ الذبيـــح :

وادعى المظهرية والنبوة طفل مدلل ومراهق جميل « ذبيح » ، وكان حلوانياً ، ولم يبلغ السابعة عشر من العمر « وكانت طلعة جماله جذابة للغاية ، وحسنه محييا للأموات ، وقده كالغصن في الطول ، وعيناه المباركة كأنها عين الله الناظرة ، وحواجبه كالقوس ، وأذناه اللطيفة كسمع الله ، ولسانه الحلو كلسان الله الناطق وكان يقتل ويصطاد الناس بلحظاته ، فمشيته العزة لله ، ونظره جذب الله ، وسكوته الحكمة ، وتكلمه الرأفة ، ووقوفه القيامة ، وحركته ايجاد العوالم البديعة ، فسبحان الله ما أجمله ، والشمس تخجل من لمعان بهائه وجماله ، فاللسان أعجز من أوصافه ونعوته »[2] .

فادعى النبوة والرسالة أولا ، ثم الألوهية والربوبية ، وسار على خطى الشيرازي الباب ، فقال : « إنني أنا الله لا إله إلاَّ أنا » ، وتبعه بعض البابيين وخالفه الأكثرون ومنعوه جبراً وقهراً أن يظهر دعاويه أمام أحد[3] .

وكان هذا في السنة الثانية بعد إعدام الباب .

٥ ـ بصير الهندي :

كان البصير رجلا أعمى سماه المرزه يحيى بصيرا ، واشتهر بعد ذلك باسم السيد البصير الهندي ، ومكث طويلا عند يحيى صبح الأزل وعند أخيه حسين علي البهاء .

---

(١) « المذاهب والفلاسفة في آسيا الوسطى » لكونت جوبينو ، نقلا عن « مقدمة نقطة الكاف » ، ص م ـ « دائرة المعارف للمذاهب والأديان » ، ص ٣٠١ ج ٢ انكليزي ـ « البابية » لظهير ، ص ٢٧٠ .

(٢) « نقطة الكاف » ، للمؤرخ البابي المرزه جاني الكاشاني ، ص ٢٥٢ و ٢٥٣ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٧٠ .

(٣) « نقطة الكاف » ، ص ٢٥٥ ـ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٧١ .

وأنزل فيـه يحيى صبح الأزل آيـات مثـل : « أن ياحبيب قد اصطفينـاك بين الناس » ، وأنزل آية : « باسمه الأبصر الأبصر »[1].

فغرته تلك الألقاب الفارغة التي أعطيت للبابيين بكل جود وسخاء ، وادعى أخيرا أنه هو أيضا من يظهره الله « فاعتنق دعاويه ناس من البابية بأصفهان وغيرها من المدن الأخرى بايران »[2].

٦ ــ وآخــــــرون :

وكذلك المرزه عبد الله الغوغا ، وحسين الميلاني ، والسيد حسين الهندياني ، وآغا محمد الكردي وغيرهم وغيرهم ادعى كل واحد من هؤلاء النبوة والرسالة والمظهرية[3].

وحتى المرزه زرندي المعروف بالنبيل ، صاحب الكتاب التاريخي البهائي « مطالع الأنوار » ، ادعى أيضا هذه الدعوى ، حتى قال الشيخ أحمد الكرماني البابي الملقب بروحي أزلي : « وصــل أمر الادعاءات إلى هذا الحد بأنه ماكان أحد يقوم صباحاً ويستيقظ من نومه إلاّ (وقد زين) نفسه بهذه الدعوى »[4].

وهنـاك فرقة من البـابيـة لم تعترف لأحد بالخلافة عن الباب ، وعرفوا بالبابيين الخلّص ، و « فرقة كل شيء »[5].

---

(١) « نقطة الكاف » للكاشاني ، ص ٢٥٨ ــ « البابية » لظهير ، ص ٢٧١

(٢) « دائرة المعارف للمذاهب والأديان » ، ص ٣٠٢ ج ٢ ــ ظهير ، ص ٢٧١ .

(٣) « مقدمة نقطة الكاف » ، لبراون ص « م » ، ط ليدن ١٩١٠ ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٧١ .

(٤) « مقالة سائح » ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ــ « مقدمة نقطة الكاف » ، ص م ــ « البابية » ، لظهير ، ص ٢٧١ .

(٥) « البابية » ، لاحسان الهي ظهير ، ص ٢٥٧ .



محتويات الكتاب

الجزء الأول

الموضوع **الصفحة**

الباب الأول : المقدمة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة







